كتاب

جامع الأصول فى الأوليء

وأصول كل طريق ومهمات المريد
وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحهم
وأنواع التصوف ومقاماتهم

تأليف
الشيخ أحمد الكمشخانوى النقشبندى
المجدد الخالدى
نفعناالله به
امن

ويليه
متممات
كتاب جامع الاصول في الاولياء انواعهم

بالمعنى على فسانترين

كتاب

جامع الأصول فى الأولياء

تأليف :

الشيخ الناسك ضياء الدين احمد

مصطفى الكمشخانوي

النقشبندى المجددي

الخالدي رحمه

الله تعالى

آمين

بتسويد :

علي مستعين بن راسم البشير باتى

بالمعنى على فسانترين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق أولياءه وكشف لهم حياض جماله، ثم وفقهم وأدلى لهم بحكم جلاله، وزكاهم وفلق لهم صبح أنواره، وأطلع عليهم شمس أسراره، وأنجحهم وأتم لهم قمر حقائقه، ومن عليهم بإسباغ نعمائه، وزين لهم كنز الهداية وحسن بهائه، ووسع لهم العطاء وخفي ألطافه، وهداهم سبل السلام وطرائق قربه، وقدس أرواحهم وأعطاهم أنس عزائمه، وفتح عليهم باب ذكره، وأجلسهم على كرسي توحيده، ورفع عنهم الحجب وجذبهم إلى دار فردانيته، وأدناهم وأزال ستور الجلال وناسوت ربوبيته، ونورهم بسنائه، وأدخلهم حصن جبروته، وخلص أفكارهم وأدرجهم في ملكوته، وصفى أسرارهم وأبلج عالم لاهوته، وأفناهم وأفلج معالم عظمته ومشاهداته، وأكرمهم وعرس لهم حضرة حضراته، وأبقاهم ثم أبقاهم ثم أبقاهم ثم تجلى بسر ذاته، والصلاة والسلام والتحيات والبركات على أكمل موجوداته، محمد وعلى آله وصحبه وأولاده وذرياته، وأنصاره وخدامه وأتباعه وأحبائه، الذين نرث من أنواع علومهم ونستفيض بفيضهم.

(وبعد) فيقول الفقير أضعف الورى، أحمد ضياء الدين مصطفى: لما رأيت الناس ضيعوا أصول الطريق، أردت أن أجمع نبذة من أصولها وأوصافها، والأولياء وأنواعهم وأصطلاحهم وأطوارهم وبعض أسرارهم وآدابهم ومسلكهم وشروطه إجمالاً، مستعيناً بالله.

❖ بيان تفصيل الطرق ومحالها ❖

(أما التفصيل) فأما النقشبندية فمذكور في الرشحات ومكتوبات الإمام والنفحات والرسالة القدسية والتاجية والخادمي والخطاب لمحمد بارسا ومفتاح المعية ❖ وأما القادرية ففي بهجة الأسرار والغنية وقلائد الجواهر وفتوحات الغيب ونفحات القدس والمناقب والغوثية ❖ وأما الشاذلية ففي المفاخر العلية والكواكب الزاهرة والمناقب والواردات ❖ وأما الرفاعية ففي بهجة الرفاعي والوصايا والمناقب ❖ وأما الأحمدية ففي بهجة البدوي وشرح متن الغاية والوصايا ❖ وأما الدسوقية ففي الوصايا والمناقب ❖ وأما الأكبرية ففي الفتوحات المكية والحلية والتدبيرات وحوض الحياة والمناقب والفصوص ❖ وأما المولوية ففي المثنوي والثواقب والمناقب، وفيه ما فيه ❖ وأما الكبروية ففي فقرات نجم الدين والتأويلات والمناقب ❖ وأما السهروردية ففي العوارف وتعرف علم التصوف ❖ وأما الخلوتية ففي معيار العلوم وشرحه لعمر الفؤادي وترجمة الحال والمناقب ❖ وأما الجلوتية ففي خطاب الحقي والمجالس الأربعين

والمسألة والمناقب ❖ وأما البكداشية ففي خطاب البيان والجاودان والمناقب ❖ وأما الغزالية ففي الإحياء والحجة والمناقب ❖ وأما الرومية ففي مزكي النفوس والمناقب ❖ وأما السعدية والجشتية والشعبانية والكلشنية والحمزوية والبيرامية والعشاقية والبكرية والعمرية والعثمانية والعلوية والعباسية والزينبية والعيسوية المغربية والبحورية والحدادية والغيبية والخضرية والشطارية والبيومية والملامية والعدروسية والمتبولية والسنبلية والأويسية وسائر الأكابر والأولياء، فمذكورة في الكواكب الدرية ونفحات الأنس وتذكرة الأولياء والقاشاني وطبقات الشعراني والنفحات القدسية ومنقبة الأولياء وطبقات القاضي زكريا ورسالة القشيري وطبقات المشايخ ومقامات العارفين وكتاب المنحلي ولطائف الإعلام واصطلاحات الصوفية وشمس البوني والمناهج وكشف الواردات ودرة الموحدين وحقائق الدقائق وأسرار السرور ومحاضرة الأبرار والتجليات الإلهية والوصايا القدسية وكتاب الإسراء والتمهيد ومفتاح الغيب ومصباح الإنس والإنسان الكامل ومنازل السائرين ومدارج السالكين وكشف الحقائق وحدائق الحقائق وخالصة الحقائق والميزان للشعراني والتميز ومرآة الأصفياء والوصايا الإلهية وكشف الأسرار الأزلية وحاوي الأرواح ومقامات بدر الدين وروضة الواصلين وزبدة الحقائق.

❖ بيان تعريف القطب وسائر الأولياء ❖

(وأما تعريف القطب وسائر الأولياء) فقالوا: إن الأقطاب كثيرة فإن كل مقدم قوم هو قطبهم. وأما القطب الغوث الفرد الجامع فهو واحد، وكذلك أن نقباءهم ثلثمائة وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس، ولهم عشرة أعمال: أربعة ظاهرة وستة باطنة، فأما الأربعة الظاهرة: فكثرة العبادة والتحقق بالزهادة والتجرد عن الإرادة وقوة المجاهدة، وأما الباطنة: فهي التوبة والإنابة والمحاسبة والتفكر والإعتصام والرياضة.

وأما النجباء فأربعون، وقيل: سبعون، وهم مشغولون بحمل أثقال الخلق، فلا ينظرون إلا في الحق، ولهم ثمانية أعمال: أربعة باطنة وأربعة ظاهرة. فأما الظاهرة فهي الفتوة والتواضع والأدب وكثرة العبادة. وأما الباطنة فالصبر والرضا والشكر والحياء، وهم أهل مكارم الأخلاق والعرفان.

وأما الأبدال فسبعة رجال، وهم أهل فضل وكمال واستقامة واعتدال، قد تخلصوا من الوهم والخيال، ولهم أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة، فأما الظاهرة فالصمت والسهر والجوع والعزلة، ولكل من هذه الأربعة ظاهر وباطن • أما الصمت فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله، وأما باطنه فصمت الضمير عن جميع التفاصيل والأخبار • وأما السهر فظاهره عدم

النوم، وأما باطنه فعدم الغفلة • وأما الجوع فظاهره جوع الأبرار لكمال السلوك، وباطنه جوع المقربين لموارد الأنس • وأما العزلة فظاهرها ترك المخالطة بالناس، وباطنها ترك الانس بهم • وأما الأعمال الباطنة فهي التجرد والتفريد والجمع والتوحيد. ومن خواص الأبدال من سافر من القوم من موضعه وترك جسداً على صورته، فذلك هو البدل لا الغير، والبدل على قلب إبراهيم عليه السلام، وهؤلاء الأبدال لهم إمام مقدم عليهم، يأخذون عنه ويقتدون به، وهو قطبهم، وقيل: الأبدال أربعون وسبعة، هم الأخيار، وكل منهم لهم إمام منهم هو قطبهم.

وأما الأوتاد فهم عبارة عن أربعة رجال، منازلهم منازل أربعة أركان من العالم، شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، ومقام كل واحد منهم تلك الجهة، ولهم ثمانية أعمال، أربعة ظاهرة وأربعة باطنة، فأما الظاهرة فكثرة الصيام وقيام الليل والناس نيام وكثرة الإمتثال والإستغفار بالأسحار. وأما الباطنة فالتوكل والتفويض والثقة والتسليم، ولهم واحد منهم هو قطبهم.

وأما الإمامان فهما شخصان أحدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله، فالذى عن يمينه ينظر في الملكوت، وهو أعلى من صاحبه، وهو مرآة مايتوجه من المركز القطبي إلى العالم الروحاني من الإمتدادات التي هي مادة الوجود والبقاء، وهذا مرآة لا محالة، والذى عن شماله ينظر في الملك، وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية، وهذا مرآة كذلك، وصاحب اليمين هو الذى يخلف القطب، ولهما أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة، فأما الظاهرة فالزهد والورع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأما الباطنة فالصدق والإخلاص والحياء والمراقبة.

وأما الغوث فهو عبارة عن قطب عظيم ورجل عزيز وسيد كريم، تحتاج إليه الناس عند الإضطرار في تبيين ما خفي من الأمور المهمة والأسرار، ويطلب منه الدعاء، وهو مستجاب الدعاء، لو أقسم على الله لأبره في قسمه، مثل أويس القرني في زمان رسول الله ﷺ ولا يكون القطب قطباً حتى تجتمع فيه هذه الصفات التي اجتمعت في هؤلاء الذين تقدم ذكرهم.

(اعلم) أن القطب - وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه - هو عبارة عن الفرد الجامع الواحد، الذى هو موضع نظر الله تعالى في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسرى في الكون والأعيان الباطنة الظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام من حيث حصة الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس، لا من حيث إنسانيته، وحكم جبريل عليه السلام فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل عليه السلام فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم

عزرائيل عليه السلام فيه كحكم القوة الدافعة فيها. فالقطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب، وهو باطن نبوة محمد ﷺ فلا تكون إلا لورثته لاختصاصه عليها بالأكملية، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب الأعلى باطن خاتم النبوة.

وقال بعض العارفين في طريق الشيخ الأكبر: وهذا ترق وهوان، يترقى فيها المريد من البدلية إلى القطبية، وذلك غاية ما يكون في العلو لأن قلب القطب دائماً يطوف بحضرة الحق، كما يطوف الناس بالبيت الحرام، فهو يرى بقلبه الحق تعالى في كل وجهة ومن كل جهة، كما يستقبل الناس بالبيت ويرونه إذ هو متلق عن الحق جميع ما يقضيه على الخلق، وهو بجسده بحيث ما أراد الله من الأرض، فأكمل البلاد البلد الحرام، وأكمل البيوت البيت الحرام، وأكمل الخلق في كل عصر القطب، فالبلد نظير جسده والبيت نظير قلبه.

فالأفراد: هم الرجال الخارجون عن نظر القطب وهم أكمل أهل الأرض، والأمناء هم الملامتية، وهم الذين لم يظهر مما في بواطنهم أثر على ظواهرهم، وتلامذتهم في مقامات أهل الفتوة. قال صاحب العوارف: الملامي هو الذي لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً، وذلك أن الملامي تشربت عروقه طعم الإخلاص والحب، وتحقق بالفتوة والصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله.

والنقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وتحققوا باسم الباطن، فأشرفوا على باطن الناس، فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلاثة أقسام: نفوس علية وهي الحقائق الأمرية، ونفوس سفلية وهي الخلقية، ونفوس وسطية وهي الحقائق الإنسانية. وللحق تعالى في كل منها أمانة مطوية على أسرار إلهية وكونية وهم ثلثمائة.

(اعلم) أن الأولياء لهم أربع مقامات: الأول مقام خلافة النبوة، والثاني مقام خلافة الرسالة، والثالث خلافة أولى العزم، والرابع خلافة أولى الإصطفاء، فمقام خلافة النبوة للعلماء، ومقام خلافة الرسالة للأبدال، ومقام خلافة أولى العزم للأوتاد، ومقام خلافة الإصطفاء للأقطاب. فمن الأولياء من يقوم في عالم مقام الأنبياء، ومنهم من يقوم في عالم مقام الرسل، ومنهم من يقوم في مقام أولى العزم، ومنهم من يقوم في مقام أولى الإصطفاء.

ومعنى الولي على وجهين: الأول من ثبت له تصرف ولاية على مصلحة دينية، والثاني من ليس له ولاية التصرف بالفعل، بل ثبت له ولاية التصرف بالقوة. (فإن قيل): كيف يكون ولياً وليس له ولاية التصرف، (الجواب): يجوز أن يكون ولياً على معنى أن الله تعالى قد تولى وتصرف بجميع أموره، وهذا الولي ولي بالقوة إن سمع فبالحق يسمع، وإن أبصر فبالحق يبصر، وإن نطق فبالحق ينطق، فهو في عالم المحبوبية، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: كنت له

سمعاً وبصراً، وهذا الولي لا يصلح أن يكون مُربيا للخَلق، لأنه في قبضته تعالى مسلوب الإختيار عن نفسه، وإذا كان مُسلوب الإختيار عن نفسه فلا يصلح أن يكون مُربيا للغير لأن التصرف في غيره يستدعي ولايةَ التصرف في نفسه، وهذا الوليّ مَجذوبٌ في نفسه مَسلوبَ التصرف في نفسه، فكان مَسلوب التصرف في غيره ألا ترى في عرف الشرع أن مَنْ ثَبَت له الولاية على نفسه ثَبتَ له الولاية على غيره، ومن لا فلا، فالعاقل البالغ لَمّا ثبت له الولاية على نفسه، ثبتَ له الولاية على غيره، والطفل والصبيّ والمجنون لما لم يثبت له الولاية على نفسه لم يثبت له الولاية على غيره، والمجذوب في قبضته تعالى بمنزلة الصبيّ الرضيع، تتصرف فيه يدُ القُدرة كتصرف الوالــدة في ولدها، فهوَ في حجر تربية المَخبوبيّة، يرضَع بلبن كرَم الربوبية وهم أطفال، ويقول فيهم: "قد يربون في حجر تربية إرادتنا، يرضعون بلبن كرمنا".

فأما الوليّ السالكُ فيَصلحُ أن يكونَ مُربيا، فهوَ تام التصرف والتدبير على نفسه وغيره، وهذا وَلي بالفعل لأنه بمنزلة البــالغ الّذي ثبت له الولاية على نفسه، ومن له الولاية على نفسه جاز له الولاية على غيره، وإذا جاز ذلك في عرف الشرع جاز في عرفِ الحقيقة، فإن الحقيقة على وزنِ الشريعة، والتفرقة بينهما كفر، فمثال المجذوب في مقام المَحْبوبية كمثل مَن سَلك به طريق مسدود العين، فهوَ لا يرى موضع قدمه ولا يدري أينَ يذهب، فإن هذا الرجل إذا قطع المسافة ووصل إلى مراده، وسُئل عن منزلةٍ من المنازل، لم يكن عنده علم ولا خبر، وكما أن هذا الرجلَ لا يصلح أن يكونَ دليلاً في البادية، فكذلك المجذوب لا يصلح أن يكونَ دليلاً في طريق الآخرة.

❖ بيانُ خصوصيّة كلّ ولي ❖

(اعلم) أنّ لكلّ من الأولياء خصوصيةً وهمّة في الحياة والممات، كنقش الحقيقةِ والإلقاءِ في بَحرِ الوحدة والفناءِ والإستغراق لشاه نقشبندي محمد بهاء الدين، وقوة التصرفِ والإمداد لعبد القادر الجيلاني، وقوة العلم والواردات لعلي أبي الحسَن الشاذلي، وخرق العادة والفتوة لحضرة أحمد الرفاعي، والترحّم والتعطف للسيد أحمد البدوي، والسخاء والكرامة لإبراهيم الدسوقي، والعرفان والإكمال للشيخ الأكبر، والمحبّة والعشق لمحمد جلال الدين الرومي، والغيبة والمحو للإمام السهرَوردي، والرياضة والأواهية للشيخ خضر يحيى، والوجد والجذبات لنجم الدين الكبرى، وإن ثبتت هذه الخصلة نوعًا لكلّ الأولــياء، إلا أنها خصوص وغاية مقام لهؤلاء العارفين، وكلّ قوم بما لديهم فرحون.

قال علي القرشي: رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء: الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ المعروف الكرخي، والشيخ عقيل المنجي، والشيخ حياة بن قيس

الحراني. وقالوا: كبار الأولياء ما عدا هؤلاء وبعد القرون الثلاثة: الجنيد البغدادي، وأبو يزيد البسطامي، والإمام الشبلي، وشمس الدين البرزي، وداود الطائي، وإبراهيم بن أدهم، وأبو الحرث، والسري السقطي، وإمام الحرمين، وأبومدين، وعبد السلام، وأبوالعباس، والسمنوني، والسهل، والحرث، وإبراهيم الخواص، وابن عطاء، والحلاج، والشيباني، وأبو بكر الدقاق، والرازي، والشعراني، والقشيري، ومحمد الخفاف، وأبو الفضل، ويوسف الهمداني، وركن الدين، ورضي الدين، وفخر الدين، وظهير الدين، وبدر الدين، وصدر الدين، ونظام الدين، وسيف الدين، وآق شمس الدين، والرملي، والقاضي زكريا، والبرزنجي، والأوزاعي، وأبو الليث، وشيخ الإسلام، والكرماني، والقسطلاني، والسيوطي، والخطيب، والديلمي، والبيهقي، والسكاكي، والسبكي، والمناوي، والجرجاني. هؤلاء مشهورون، وغيرهم كثيرون وألوف لا يعرفون. قال تعالى: «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري».

وقال شمس الدين الحنفي: إن الله قد أطلعني على مقام عبد القادر وعلى مقام أبي الحسن الشاذلي، فوجدت مقام أبي الحسن الشاذلي أعلى من مقام عبد القادر، قال: وكذلك لأن سيدنا عبد القادر سئل يوماً، فقيل له: يا سيدي من شيخك؟ فقال: أما فيما مضى فكان سيدي حماد الدباسي، وأما الآن فأنا أستقي من بحرين: بحر النبوة وبحر الفتوة. يعني ببحر النبوة النبي عليه الصلاة والسلام، وببحر الفتوة علي ابن أبي طالب ﷺ. وقال: سئل سيدي أبو الحسن الشاذلي، فقيل: من شيخك ؟ فقال: أما فيما مضى فكان سيدي عبد السلام بن مشيش، وأما الآن فأنا أستقي من عشرة أبحر، خمسة سماوية، وخمسة أرضية، أما السماوية فجبرائيل وميكائيل وإسرائيل وعزرائيل والروح، وأما الأرضية فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والنبي عليه الصلاة والسلام.

وقال أبو العباس المرسي: جلت في ملكوت الله، فرأيت أبا مدين متعلقاً بساق العرش، فقلت له: ما علومك وما مقامك؟ فقال: أما علومي فأحد وسبعون علماً، وأما مقامي فرابع الخلفاء ورأس السبعة الأبدال، قلت: فما تقول في سيدي الشاذلي؟ قال: زاد علي بأربعين علماً، هو البحر الذي لا يحاط به. وقال المحققون: مقام عبد القادر أعلى – والله أعلم – بمقامهم ومناصبهم وأحوالهم وأمدادهم.

◆ بيان مظاهر الأولياء ومراتبهم في الأسماء الإلهية ◆

وأما مظاهرهم ومراتبهم في جميع الأسماء الإلهية فهكذا:

(عبد الله) هو العبد الذي تجلى له الحق بجميع أسمائه، فلا يكون في عباده أرفع مقاماً

وأعلى شأناً منه، لتحققه باسمه الأعظم واتصافه بجميع صفاته، ولذا خصّ نبينا ﷺ بهذا الإسم في قوله تعالى: ﴿ وأنه لما قام عبدُ الله يدعوه ﴾، فلم يكن هذا الإسم بالحقيقة إلاّ له وللأقطاب من ورثته وتبعيته، وإن أطلق على غيره مجازاً لإتصاف كلّ اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية واحدية جميع الأسماء.

(عبد الرحمن) هو مظهر اسم [الرحمن]، فهو رحمة للعالمين جميعاً، بحيث لا يخرج أحد من رحمته بحسب قابلية استعداده.

(عبد الرحيم) هو مظهر اسم [الرحيم]، وهو الذي يخص رحمته بمن اتقي وأصلح ورضي الله عنه وينتقم ممن غضب الله عليه.

(عبد الملك) هو الذي يملك نفسه وغيره بالتصرف فيه بما شاء الله وأمره به فهو أشدّ خلق الله على خليقته.

(عبد القدوس) هو الذي قدسه الله عن الإحتجاب، فلا يسع قلبه غير الله، وهو الذي وسع قلبه الحق، كما قال: « لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن » ومن وسع الحق قدس عن الغير، إذ لا يبقي عند تجلى الحق شيء غيره، فلا يسع القدوس إلاّ القلب المقدس من الأكوان.

(عبد السلام) هو الذي تجلى له باسم السلام، فسلمه عن كلّ نقص وآفة وعيب.

(عبد المؤمن) هو الذى آمنه الله من العقاب والبلاء، وآمنه الناس على ذواتهم وأموالهم وأعراضهم.

(عبد المهيمن) هو الذى يشاهد كون الحق رقيباً شهيداً على كل شيء، فهو يرقب نفسه وغيره بإبقاء حق كلّ ذي حق لكونه مظهر اسم [المهيمن].

(عبد العزيز) هو الذي أعزه الله بتجلى عزته، فلا يغـلبه شيء من أيدي الحادثات والأكوان، وهو يغلب.

(عبد الجبار) هو الذي يجبر كسر كلّ شيء ونقصه، لأن الحق جبر حاله وجعله بتجلي هذا الإسم جابرًا لحال كلّ شيء، مستعليا عليه.

(عبد المتكبر) هو الذي فني تكبره بتذلله للحق، حتى قام كبرياء الله مقام كبره، فتكبر بالحقّ على ما سواه، فلا يتذلل للغير.

(عبد الخالق) هو الذي يقدر الأشياء على مراد الحق، لتجليه له بوصف الخلق والتقدير، فلا يقدر إلاّ بتقديره تعالى.

(عبد البارئ) هو قريب من عبد الخالق، وهو الذي برئ عمله من التفاوت والإختلاف،

فلا يفعل إلا ما ناسب حضرةَ الإسم الباري، متعادلا متناسباً بريئاً من التنافر، كقوله تعالى: ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ لأن الباري الذي تجلى له شعبة من شعب الأسماء التي تحت إسم الرحمن.

(عبد المصوّر) هو الذي لا يتصرف ولا يصور إلا ما طابق الحق ووافق تصويره، لأن فعله يصدر عن مصوريته تعالى.

(عبد الغفار) هو الذي غفر جناية كل من يجني عليه وستر عن غيره ما أحب أن يستر منه، لأن الله تعالى ستر ذنوبه وغفر له بتجلي غفاريته، فيعامل عباده بما عامله به.

(عبد القهار) هو الذي وفقه الله بتأييده لقهر قوى نفسه، فتجلى له باسمه القهار، فيقهر كل من آذاه، ويهزم كل من بارزه وعاداه، ويؤثر في الأكوان ولا يتأثر منها.

(عبد الوهاب) هو من تجلى له الحق اسمه الجواد، فيهب مما ينبغي لمن ينبغي على الوجه الذي ينبغي بلا عوض ولا غرض، ويمد أهل عنايته تعالى بالإمداد، لأنه واسطة جوده ومظهره.

(عبد الرزاق) هو الذي وسع الله رزقه فيؤثر به على عباده، ويبسط لمن يشاء الله أن يبسط له، لأن الله جعل في قوته السعة والبركة، فلا يأتي إلا حيث يبارك فيه ويفيض الخير به.

(عبد الفتاح) هو الذي أعطاه الله علم أسرار المفاتح على اختلاف أنواعها، ففتح به الخصومات والمغالق والمعضلات والمضايق، وأرسل به فتوحات الرحمة وما أمسك من النعمة.

(عبد العليم) هو الذي علمه الله العلم الكشفي من لدنه بلا تعلم وتفكر، بل بمجرد الصفاء الفطري، وتأييد النور القدسي.

(عبد القابض) هو من قبضه الله إليه، فجعله قابضاً لنفسه وغيره عما لا يليق بهم، ولا ينبغي أن يقبض عليهم في حكم الله وعدله، وحاجزاً عن العباد ما ليس يصلح وهم ينقبضون بقبضه وحجزه.

(عبد الباسط) هو من بسطه الله في خلقه تعالى، فيرسل عليهم بإذنه من نفسه وماله ما يفرحون به ويبسطون موافقاً لأمره، لأنه يبسطه بتجلي اسم الباطن، فلا يكون مخالفا لشرعه.

(عبد الخافض) هو الذي يتذلل له في كل شئ، ويخفض عن نفسه لرؤية الحق فيه.

(عبد الرافع) هو الذى يترفع عن كل شئ لنظره إليه بنظر السوى والغير، ورفع نفسه عن رتبته لقيامه بالحق الذى هو رفيع الدرجات، وقد يكون بالعكس، لأن الاول بمظهرية الإسم الخافض يخفض كل شئ لرؤيته عدما محضا وتلاشيا صرفا، والثاني لتجلي اسم الرافع له يرفع كل شئ لرؤيته الحق فيه، وهذا عندي أولى، لان العارف يطلب الرحمة ليتصف بها، فيصير رحيما لا مرحوما، لأن ذلك نصيب العامي من الرحمة.

(عبد المعز) هو من تجلى الحق له باسمه المعز، فيعز من أعزه الله بعزته من أوليائه.

(عبد المذل) هو مظهر صفة الإذلال، ليذل بمذلية الحق كل من أذله الله من أعدائه باسمه المذل الذى تجلى به له.

(عبد السميع – عبد البصير) هما من تجلى له بهذين الإسمين، فاتصف بسمع الحق وبصره، كما قال : « كنت سمعه الذى به سمع، وبصره الذى به يبصر »؛ فيسمع ويبصر الأشياء بسمع الحق وبصره.

(عبد الحكيم) هو الذى يحكم بحكم الله على عباده.

(عبدالعدل) هو الذى يعدل بين الناس بالحق، لأنه مظهر عدله تعالى، وليس العدل هو التساوى، كما يظن من لا يعلم، بل توفية حق كل ذى حق وتوفيره عليه بحسب استحقاقه.

(عبد اللطيف) هو من يلطف بعباده لكونه بصيرا بمواقع اللطف للطف إدراكه، فيكون مطلعا على البواطن، وواسطة للطف الحق بعباده وإمدادهم وهم لا يشعرون به، للطفه بتجلى الإسم اللطيف فيه، وهو الذى لا تدركه الأبصار.

(عبد الخبير) هو الذى أطلعه الله على علمه بالأشياء قبل كونها وبعده.

(عبد الحليم) هو الذى لا يعاجل بمن يجنى عليه بالعقوبة ويحلم عليه، ويتحمل أذية من يؤذيه وسفاهة السفهاء، ويدفع السيئة بالتى هى أحسن.

(عبد العظيم) هو الذى يجلى الحق له بعظمته، فيتذلل له غاية التذلل أداء لحق عظمته، فيعظمه الله فى أعين عباده ويرفع ذكره بين الناس، فيبجلونه ويوقرونه لظهور آثار العظمة على ظاهره.

(عبد الغفور) هو أبلغ في غفران الجناية وسترها من عبد الغفار، فهو دائم الغفران وعبد الغفار كثير الغفران.

(عبد الشكور) هو دائم الشكر لربه لأنه لا يرى النعمة إلا منه، ولا يرى منه إلا النعمة، وإن كان فى صورة البلاء والنقمة، ولا يرى باطنه النقمة، كما قال علي رضي الله عنه: سبحان من اشتدت نقمته لأعدائه فى سعة رحمته واتسعت رحمته لأوليائه فى شدة نقمته.

(عبد العلى) هو من علا قدره على أقرانه وارتفعت همته فى طلب المعالى عن همم إخوانه، وحاز كل رتبة علية، وبلغ كل فضيلة سنية.

(عبد الكبير) هو من كبر بكبرياء الحق وزاد بكبره فى الفضل والكمال على الخلق.

(عبد الحفيظ) هو الذى حفظه الله فى أفعاله وأقواله وأحواله وخواطره وظواهره وبواطنه عن كل سوء، فتجلى فيه باسمه الحفيظ حتى سرى الحفظ منه فى جلسائه، كما

يُحكَى عن أبي سليمان الداراني أنه لم يخطر بباله خطرة سوء ثلاثين سنة ولا يبالى جليسه مادام مجالسا معه.

(عبد المقيت) هو من أطلعه الله على حاجة المحتاج وقدرها ووقتها، ووفقه لإنجاحها على وفق علمه من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم على وقتها ولا تأخر عنه.

(عبد الحسيب) هو من جعله الله حسيبا لنفسه، حتى في أنفاسه، ووفقه للقيام عليها وعلى كل من تابعه بالحسنة.

(عبد الجليل) هو من أجله الله بجلاله، حتى هابه كل شيء رآه لجلالة قدره، ووقع في قلبه الهيبة منه.

(عبد الكريم) هو الذى أشهده الله وجه اسمه [الكريم]، فتجلى له بالكرم وتحقق بحقيقة العبودية وعمل بمقتضاها فإن الكرم يقتضي معرفة قدره وعدم التعدى عن طوره، فيعرف أن لا ملك للعبد، فلا يجد شيئا ينسب إليه إلا يجود به على عباده بكرمه تعالى، فإن كرم مولاه يختص بملكه من يشاء، وكذا لا يرى ذنبا من أحد إلا وهو يستر عليه، ولا يجنى أحد عليه إلا وهو يعفو عنه، ويقابله بأكرم الخصال وأجمع الفعال. قيل: إن عمر ﷺ لما سمع قوله تعالى ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾ قال: كرمك يا رب. وقال محي الدين بن العربي: هذا من باب تلقين الحجة، وفي الجملة لا يرى لذنوب جميع عباده في جنب كرمه تعالى وزنا، ولا يرى لجميع نعمه عند فيض كرمه قدرا، فيكون أكرم الناس، لصدور فعله عن كرم ربه الذى تجلى له به. وقس عليه عبد الجواد، فإنه مظهر اسمه الجواد وواسطة جوده على عباده، فلا يكون أجود منه في الخلق، وكيف لا وهو جاد بنفسه لمحبوبه، فلا يتعلق بقلبه ما عداه.

(عبد الرقيب) هو الذى يرى مراقبة الله أقرب إليه من نفسه، إدراكا لقيامها وذهابها في تجلى الإسم [الرقيب]، فلا يجاوز حدا من حدود الله تعالى، ولا أحد أشد مراعاة لها منه لنفسه ولما يحضره من أصحابه، فإنه يرقبهم بمراقبة الله تعالى.

(عبد المجيب) هو الذى أجاب دعوة الحق وأطاعه حين سمع قوله: ﴿ أجيبوا داعى الله ﴾، فأجاب الله دعوته حتى تجلى له باسمه [المجيب]، فيجيب كل من دعاه من عباده إلى حاجته لأنه من جملة الإستجابة التى أوجبها عليه لإجابته تعالى في قوله: ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ﴾، لأنه يرى دعاء من دعاه بحكم الرقيب، والتوحيد للإيمان الشهودي في قوله: ﴿ وليؤمنوا بى ﴾.

(عبد الواسع) هو الذى وسع كل شيء فضلا وطولا ولا يسعه شيء لإحاطته بجميع المراتب فلا يرى مستحقا إلا أعطاه من فضله.

(عبد الحكيم) هو الذى بصره بمواقع الحكمة في الأشياء، ووفقه للسداد في القول والصواب فلا يرى خللاً في شيء إلا يسده ولا فساداً إلا يصلحه.

(عبد الودود) هو من كملت مودته لله ولأوليائه جميعاً، فأحب الله والقى محبته على جميع خلقه، فأحبه الكل إلا جهال الثقلين. قال النبى ﷺ: إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى في السماء، فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول.

(عبد المجيد) هو الذى مجده الله بين الناس بكمال أخلاقه وصفاته، وتحققه بأخلاق الله، فيمجدونه لفضله وحسن خلقه.

(عبد الباعث) هو من أحيا الله قلبه بالحياة الحقيقية بعد موته الإرادى، عن صفات النفس وشهواتها وأهوائها، وجعله مظهراً لاسمه [الباعث]، فهو يحيى موتى الجهل بالعلم ويبعثهم على طلب الحق.

(عبد الشهيد) هو الذى يشهد الحق شهيداً على كل شئ فيشهده في نفسه وفي غيره من خلقه.

(عبد الحق) هو الذى تجلى له الحق، فعصمه في أفعاله وأقواله عن الباطل فيرى الحق في كل شئ، لأنه الثابت الواجب القائم بذاته، والمسمى بالسوى باطـل زائل غير ثابت، فيراه في صور الحق حقاً والباطن باطلاً.

(عبد الوكيل) هو من يرى الحق في صور الأسباب فاعلاً بجميع الأفعـال التى هم المحجوبون إليها، فيعطل الأسباب ويكل الأمور إلى من توكلنا منه ويرضى به وكيلاً.

(عبد القوى) هو الذى يقوى بقوة الله على قهر الشيطان وجنوده التى هي قوى نفسه من الغضب والشهوة والهوى ثم على قهر أعدائه من شياطين الإنس والجن، فلا يقاويه شئ من خلق الله إلا قهره ولا يعاديه أحد إلا غلبه.

(عبد المتين) هو الصلب في دينه الذى لم يتأثر عمن أراد إغواءه ولم يستكن لمن أذله عن الحق بشدته لكونه أمتن كل متين. فعبد القوى هو المؤثر في كل شئ، وعبد المتين هو الذى لم يتأثر من شئ.

(عبد الولى) هو من يتولاه من الصالحين والمؤمنين، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ فهو يتولى بولاية الله أولياءه من المؤمنين والصالحين.

(عبد الحميد) هو الذى تجلى له الحق بأوصافه الحميدة، فيحمده الناس وهو لا يحمد إلا الله.

(عبد المحصى) هو الذى أطلعه الله على إحصاء كل شيء عددًا، وأحاطه بكل شيء علمًا، فهو يحصى المعلومات ويحيط بالموجودات إجمالًا وتفصيلًا، فيحاسب نفسه ويحصى أقواله وأفعاله.

(عبد المبدئ) هو الذى أطلعه الله على إبدائه، فيشهد ابتداء الخلق والأمر، فيبدى بإذنه ما يبدى من الخيرات.

(عبد المعيد) هو الذى أطلعه الله على إعادته الخلق والأمور كلها إليه، فيعيد بإذنه ما يجب إعادته إليه، ويشهد عاقبته ومعاده فى عافية وسعادة على أحسن ما يكون.

(عبد المحيى) هو الذى تجلى له الحق باسمه [المحيى]، فأحيا قلبه به وأقدره على إحياء الموتى كعيسى عليه السلام.

(عبد المميت) هو من أمات الله من نفسه هواه وغضبه وشهوته، فحيى قلبه وتنور عقله بحياة الحق ونوره، حتى أثر فى غيره بإماتة قوى نفسه، أونفسه بالهمة المتأثرة من الله بتلك الصفة التى تجلى له بها.

(عبد الحى) هو من تجلى له الحق بحياته السرمدية فحي بحياته الديمومية.

(عبد القيوم) هو الذي شهد قيام الأشياء بالحق، فتجلت قيوميته له، فصار قائما بمصالح الخلق، قيما بالله مقيماً لأمور خلقه بقيوميته، ممدا لهم بما يقومون به من معايشهم ومصالحهم وحياتهم.

(عبد الواجد) هو الذى خصه الله بالوجود فى عين الجمع الأحدية، فوجد الواجد الموجود بوجوب الوجود الأحدى، فاستغنى به عن الكل لأن الفائز به فائز بالكل، فلا يفقد شيئا ولا يطلب شيئاً.

(عبد الماجد) هو الذى شرفه الله بأوصافه، وأعطاه ما استعد له، وأطاق تحمله من مجده وشرفه كعبد المجيد.

(عبد الواحد) هو الذى بلغه الله الحضرة الواحدية وكشف له عن أحدية جميع أسمائه، فيدرك ما يدرك ويفعل ما يفعل بأسمائه، ويشاهد وحوده بأسمائه الحسنى، فهو وحيد الوقت صاحب الزمان الذى له القطبية الكبرى بالأحدية الأولى.

(عبد الصمد) هو مظهر الصمدية الذى يصمد إليه لدفع البليات واتصال إمداد الخيرات ويتشفع به إلى الله لرفع العذاب وإعطاء الثواب، وهو محل نظر الله إلى العالم فى ربوبيته له.

(عبد القادر) هو الذى شاهد قدرة الله في جميع المقدورات بتجلى الإسم [القادر] له، فهو صورة اليد للإله الذى به يبطش، فلا يمتنع عليه شيء، ويشاهد مؤثرية الله تعالى فى الكل،

ودوام اتصال مدد الوجود إلى المعدومات مع عدميتها بذواتها، فيرى نفسه معدومة بذاتها مع كونها مؤثرة بقدرة الله في الأشياء. وكذا (عبد المقتدر) لكونه يشهد مبتدأ الإيجاد وحاله.

(عبد المقدّم) هو الذي قدمه وجعله من أهل الصف الأول، فيقدم بتجلي هذا الاسم له كل من يستحق التقديم باسمه وكل ما يجب من الأفعال.

(عبد المؤخّر) هو الذي أخره الله عما عليه كل مفرّط مجاوز حدوده تعالى بالطغيان، فهو يؤخر بهذا الإسم كل طاغ عاد ويرده إلى حده ويردعه عن التعدي والطغيان، وكذا كل ما يجب تأخيره من الأفعال وقد يجمعهما الله لأقوام.

(عبد الاول) هو الذي يشاهد أولية الحق على كل شيء وأزليته، فيكون هو الأول بتحققه بهذا الاسـم على الكل في مقامات المسابقة إلى الطاعات والمسارعة إلى الخيرات، وعلى من وقف مع الخليفة لتحققه بالأزلية والخلقية، موسومة بسمة الحدوث.

(عبد الآخر) هو الذي شهد آخريته تعالى وبقاءه بعد فناء الخلق في تحقق معنى قوله: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ لطلوع الوجه الباقي عليه، فبقي ببقائه وآمن بلقائه، وقد يتصف بهما بعض أوليائه بل أكثرهم.

(عبد الظاهر) هو الذي ظهر له الطاعات والخيرات، حتى كشف الله له عن اسمه الظاهر، فعرفه بأنه الظاهر؛ واتصف بظاهريته فيدعو الناس إلى الكمالات الظاهرة والتزين بها، ورجح التشبيه على التنزيه كما كانت دعوة موسى عليه السلام. ولهذا وعدهم الجنان والملاذ الجسمانية، وعظم التوراة بالحجم الكبير وكتابتها بالذهب.

(عبد الباطن) هو الذي بالغ في المعلومات القلبية وأخلص لله وقدس الله سره، فتجلى له باسمه [الباطن]، حتى غلبت روحانيته وأشرف على البواطن وأخبر عن المغيبات، فيدعو الناس إلى الكمالات المعنوية والتقديس وتطهير السر ورجح التنزيه على التشبيه كما كانت دعوة آدم عليه السـلام إلى السماوات والروحانيات وعـالم الغيب والتكشف في الملبس والإعتزال والخلوة.

(عبد الوالي) هو من جعله الله والياً للناس بالظهور في مظهره باسمه [الوالي] فهو يلي نفسه وغيره بالسياسة الإلهية ويقيم عدله في عباده، يدعوهم إلى الخير ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فأكرمه الله تعالى وجعله أول السبعة الذين يظلهم في ظل عرشه، وهو السلطان العادل، ظل الله في أرضه أثقل الناس ميزاناً لأن حسنات الرعايا وخيراتهم توضع في ميزانه من غير أن تنقص من أجورهم شيئاً، لأنه أقام دينه فيهم وحملهم على الخيرات، فهو مؤيده وناصره، والله مؤيده وناصره وحافظه.

(عبد المتعالِ) هو المتابع في العلوّ عن إدراك الغير، وعبده الذى هو مظهره من لا يقف بكل كمالٍ وعلوّ حصل له، بل يطلب بهمته العالية الترقي إلى أعلى منه، لأنه شهد العلوّ الحقيقي المطلق المقدّس عن علوّ المكان والمكانة وعن كل تقييد، فلا يزال يطلب العلو في جميع الكمالاتِ. ألا ترى أكرم الخلائق وأعلاهم رتبةً، كيف خوطب بقوله تعالى: ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾.

(عبد البرّ) هو من اتصف بجميع أنواع البرّ معنىً وصورةً، فلا يجد نوعاً من أنواع البرّ إلاّ آتاه، ولا فضلاً إلاّ أعطاه، ﴿ ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر ﴾.

(عبد التواب) هو الرجوع إلى الله دائماً عن نفسه وجميع ما سوى الحقِ، حتى شهد التوحيد الحقيقي. وقيل: التوبة الرجوع إلى الله عن الجريمة.

(عبد المنتقم) هو الذى بالغ في العقوبة على أعدائه تعالى، ولا يحمد من العبد إلاّ إذا كان انتقامه لله تعالى. وأحق الأعداء نفسه، فينتقم منها مهمّا ارتكبت معصية أو تركت طاعة بأن يكلفها خلاف ما حملها عليه، وينتقم لله ولدينه ما استطاع من كل فاجر وفاسق.

(عبد العفوّ) هو من أقامه الله تعالى لإقامة حدوده، بل لا يجنى عليه أحد إلاّ عفاه. قال النبي ﷺ: « إن الله عفو يحب العفو ». وقال: « حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلا يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان موسراً، وكان يأمر غلمانه بالتجاوز عن المعسر. قال الله تعالى: نحن أحق بالتجاوز منه، فتجاوز عنه ».

(عبد الرؤف) هو من جعله الله مظهراً لرأفته ورحمته، فهو أرأف خلق الله بالناس إلاّ في الحدود الشرعية، فإنه يرى الحد وما أوجبه عليه من الذنب الذى أجرى الله على يده بحكم الله وقضائه رحمة منه عليه، وإن كان ظاهره نقمة. وهذا مما لا يعرفه إلاّ خاصة الخاصة بالذوق. فإقامة الحد ظاهراً، عين الرأفة به باطناً.

(عبد مالك الملك) هو من شهد مالكيته تعالى، فرأى نفسه ملكا له، خالصاً من جملة ملكه، فتحقق بعبوديته حتى اشتغل بعبوديته لمولاه، عما ملكه إياه وعن كل شيء، فجازاه الله بجعله مظاهراً لمالك الملك، إذ لا يمالكه حتى يشغله عن ربه. وكان حراً عن رق الكون، مالكا للأشياء بالله لا بنفسه، فإنه عبد حقاً.

(عبد ذي الجلال والإكرام) هو من أجله الله وأكرمه لاتصافه بصفاته وتحققه بأسمائه، وكما تقدست أسماؤه وعزت وتنزهت وجلت، فكذلك مظاهرها ورسومها، فلا يراه أحد من أعدائه إلا هابه وخضع له بجلالة قدره، ولا أحد من أوليائه إلا أكرمه وأعزه، لإكرام الله إياه، وهو يكرم أولياءه تعالى ويهين أعداءه.

(عبد المقسط) هو أقوم الناس بالعدل حتى يأخذ من نفسه لغيره حقاً لا يشعر به ولا يعرفه ذلك الغير لأنه يعدل بعدل الله الذى تجلى له به فيوفى كل ذي حق حقه ويزيل كل جور يطلع عليه فهو على كرسى النور يخفض من يجب خفضه ويرفع من يجب رفعه كما قال عليه السلام « المقسطون على منابر من نور ».

(عبد الجامع) هو الذى جمع الله فيه جميع أسمائه، وجعله مظهراً للجامعية، فيجمع بالجمعية الإلهية كل تفرقة وتشتت من نفسه وغيره.

(عبد الغنى) هو الذى أغناه الله عن جميع الخلائق، وأعطاه كل ما احتاج إليه من غير مسألة منه، إلا بلسان الإستعداد لتحققه بفقره الذاتى وافتقاره إليه بجوامع همه.

(عبد المغنى) هو الذى جعله الله بجد كمال الغنى مغنيا للخلق بإنجاح حوائجهم وسد خللهم بهمته التى أمدها الله من أغنيائه بتجلى اسمه [المغنى] فيه.

(عبد المانع) هو الذى حماه الله ومنعه من كل ما فيه فساده، وإن طلبه وأحبه وظن فيه خيره، كالمال والجاه والصحة وأمثالها. وأشهده معنى قوله تعالى: ﴿ عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ﴾. وقد جاء فى الكلمات القدسية: « إن من عبادى من أفقرته، ولو أغنيته لكان شراً له، وإن من عبادى من أمرضته، ولو عافيته لكان شرا له، وأنا أعلم بمصالح عبادى، أدبرهم كما أشاء ». ومن تحقق بهذا الإسم منع أصحابه عما يضرهم ويفسدهم، ومنع الله به الفساد حيث أتى، ولو حسبوا فيما منعوه خيرهم وصلاحهم.

(عبد الضار والنافع) هو الذى أشهده الله كونه فعالاً لما يريد، وكشف له عن توحيد الأفعال، فلا يرى ضراً ولا نفعاً، ولا خيراً ولا شراً، إلا منه. فإذا تحقق بهذين الإسمين وصار مظهراً لهما، كان ضاراً نافعاً للنـــاس بربه. وقد خص الله بعض عباده بأحدهما، فقد جعل بعضهم مظهر الضر كالشيطان ومن تابعه، وبعضهم مظهر النفع كالخضر عليه السلام ومن تابعه.

(عبد النور) هو الذى تجلى باسمه [النور]، فشهد معنى قوله : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾. والنور هو الظاهر الذى يظهر به كل شىء كوناً وعلماً، فهو نوره فى العالمين كما قال عليه السلام: « اللهم اجعلنى نوراً ».

(عبد الهادى) هو مظهر هذا الإسم، جعله الله هاديا لخلق الله، ناطقا عن الحق بالصدق، مبلغا ما أمره به وأنزل إليه، كالنبى ﷺ بالأصالة وورثته بالأتبعية.

(عبد البديع) هو الذى شهد كونه تعـــالى بديعا فى ذاته وصفاته وأفعاله، وجعله الله مظهراً لهذا الإسم، فيدع ما عجز عنه غيره.

(عبدُ الباقي) هو من أشهده الله بقائه، وجعله باقـيا ببقائه عند فناء الكل، يعبده به بالعبودية المحضة اللازمة لتعينه، فهو العـابد والمعبود تفصيلاً وجمعا وتعيناً وحقيقةً، إذ لم يبق رسمه وأثره عند تجلى الوجه الباقي، كما قال في الحديث القدسي: « ومن أنا قتلته فعلي ديته، ومن عليّ ديته فأنا ديته ».

(عبد الوارث) مظهر هذا الإسم، وهو من لوازم عبدِ الباقي، لأنه إذا كان باقيا ببقاءِ الحقّ بعد فنائه عن نفسه لزم أن يرث ما يرثه الحق من الكلّ بعد فنائهم من العلم والملك، فهو يرث الأنبياء علومهم ومعارفهم وهدايتهم لدخولهم في الكلّ.

(عبد الرشيد) هو من آتاه الله رشده بتجلى هذا الإسمُ فيه، كما قال عليه السلام : « ثمّ أقامه لإرشاد الخلق إليه وإلى مصالحهم الدنيوية والأخروية في المعادِ والمعاش ».

(عبدُ الصبور) هو المتثبت في الأمور بتجلى هذا الإسم فيه، فلا يعاجل في العقوباتِ والمؤاخذات ولا يستعجل في دفع الملماتِ ويصبر في المجاهداتِ وما أمره الله به من الطاعات وما ابتلاه من البليات وما يعتريه من الأذيات.

◆ بيان الطرق وأصولها ◆

(وأما الطريق) فاعلم أنّ أصولَ طريقةِ النقشبندية: التمسك بعقاعدِ أهلِ السنه، وترك الرخص، والأخذ بالعزائم، ودوام المراقبة، والإقبـال على المولى، والإعراض عن زخارف الدنيـا، بل وعن كل سوى اللهِ، وتحصيل ملـكة الحضورِ، والخلوة في الجلوة مع التحلي بالاستفادةِ والإفـادة في علوم الدين، والتزيي بزي عوّام المؤمنين، وإخفاء الذكر، وحفظ الأنفاسِ، بحيث لا يخرج ولا يدخل نفسٌ مع الغفلةِ عن اللهِ الكريم، والتخلق بأخلاقِ النبي صاحبِ الخلق العظيم.

فشـرائط النقشبندية : الإعتقاد الصحيح، والتوبـة الصادقة، والإستحلال مع أرباب الحقوقِ، وردّ المظالم، واسترضاء الخصومِ، والتحقق بآداب السنةِ في الأمور كلها، والدقة والتحقيق على العمل بأصحّ الشريعة، والإهتمام على المجانبة من كلّ المنكراتِ والمبتدعاتِ، والغيرة على التباعد من الهوى والمذمومات.

وأصول الشاذلية خمسة أيضاً: تقوى الله تعالى في السرّ والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعـالِ، والإعراض من الخلق في الإقبالِ والإدبار، والرضا عن اللهِ في القليـل والكثير، والرجوع إلى اللهِ تعالى في السراء والضراء. فتحقيق التقوى بالورع والإستقامة، وتحقيق السنة بالتحفظ وحسن الخلق، وتحقيق الإعراض بالصبر والتوكل، وتحقيق الرضى عن الله بالقناعة والتفويض، وتحقيق الرجوع إلى الله بالحمدِ والشكر في السراء واللجأ إليه.

وأصول القادرية خمسة أيضاً: علو الهمة، وحفظ الحرمة، وحسن الخدمة، ونفوذ العزمة، وتعظيم النعمة. فمن علت همته ارتفعت مرتبته، ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته، ومن حسنت خدمته وجبت كرامته، ومن أنفذ عزمته دامت هدايته، ومن عظمت النعمة في عينه شكرها، ومن شكرها استوجب المزيد من المنعم حسبما وعده.

وأصول سائر الطرق خمسة أيضا: طلب العلم للقيام بالأمر، وصحبة المشايخ والإخوان للتبصر، وترك الرخص والتأويلات للحفظ، وضبط الأوقات بالأوراد للحضور، وإتهام النفس في كل شيء للخروج عن الهوى والسلامة من الغلط. فطلب العلم آفته صحبة الأحداث سناً أو عقلاً أو ديناً ممن لا يرجع لأصل ولا قاعدة، وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس، وآفة ضبط الأوقات اتساع النظر في العمل لعلة ذى الفضائل، وآفة إتهام النفس الأنس بحسن أحوالها واستقامتها، قال تعالى: ﴿ وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ﴾، وقال: ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾.

وقال الشيخ الشاذلي: أوصاني حبيبي، فقال: لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطف لنفسك الا من تزداد به يقيناً.

وقال أيضا: من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك.

وقال أيضا: اجعل التقوى وطنك، ثم لا يضرك مدح النفس ما لم ترض بالعيب أو تصر على الذنب أو تسقط خشية الله بالغيب. وهذه الثلاثة أصول العلل والبلايا والآفات. وقد رأيت فقراء هذا العصر ابتلوا بخمسة أشياء: إيثار الجهل على العلم، والاغترار بكل ناعق، والتهاون في الأمور، والتعزز بالطريق، واستعجال الفتح دون شرطه. فابتلوا بخمسة: إيثار البدعة على السنة، واتباع أهل الباطل دون أهل الحق، والعمل بالهوى في كل الأمور، وطلب الترهات دون الحقائق، وظهور الدعوى. فظهر فيهم بذلك خمسة أشياء: الوسوسة في العبادات، والاسترسال مع العادات، والسماع والاجتماع في عموم الأوقات، واستمالة الوجوه بحسب الإمكان، وصحبة أبناء الدنيا حتى النساء والصبيان. واغتروا بوقائع القوم في ذلك وذكر أحوالهم، ولو تحققوا لعلموا أن الأسباب رخصة الضعفاء، فلا يسترسل إلا بعيد من الله؛ وأن السماع رخصة المغلوب أو الكامل، وهي انحطاط في بساط الحق إذا كان بشرط من أهله في محله وأدبه؛ وأن الوسوسة بدعة، أصلها جهل بالسنة، أو خبل في العقل؛ وأن التوجه لإقبال الخلق إدبار عن الحق، لا سيما قارئ مداهن، أو جبار غافل، أو صوفي جاهل؛

وأن صحبة الأحداث ظلمة وعار في الدين والدنيا.

وقال أبو مدين: كل من ادعى مع الله حالًا، ثم ظهرت منه إحدى خمس فهو كاذب أو مسلوب: أرسال الجوارح في معصية الله، والتصنع بطاعة الله، والطمع في خلق الله، والوقيعة في خلق الله، وعدم احترام المسلمين على الوجه الذي أمر الله.

✧ بيان شروط الشيخ ✧

وشروط الشيخ الذي يلقى المريد إليه نفسه خمسة: ذوق صريح، وعلم صحيح، وهمة عالية، وحالة مرضية، وبصيرة نافذة. فمن فيه خمسة لا تصح مشيخته: الجهل بالدين، وإسقاط حرمة المسلمين، والدخول فيما لا يعني، واتباع الهوى في كل شيء، وسوء الخلق من غير مبالاة. وآداب المريد مع الشيخ والإخوان خمسة: اتباع الأمر وإن ظهر له خلافه، واجتناب النهي وإن كان فيه حتفه، وحفظ حرمته حاضرًا وغائبًا حيًا وميتًا، والقيام بحقوقه حسب الإمكان بلا تقصير، وعزل عقله وعلمه ورياسته إلا ما يوافق ذلك من شيخه، ويستغني عن ذلك بالإنصاف، والنصيحة وهي معاملة الإخوان. وإن لم يكن شيخ مرشدًا ووجد ناقصًا عن شروطه الخمس اعتمد فيما كمل فيه وعومل بالإخوة في الباقي. وأما مهمات المريد فأمور:

(الأول) التزام التقوى بترك المحرمات وحفظ الواجبات، من غير إخلال ولا إفراط، ويحرص على تحقيق ما يحتاج إليه.

(الثاني) العمل بالأسباب التي تكمل بها النفس والتقوى، كترك الشبه التي لا تدعو إليها ضرورة.

(الثالث) التيقظ لموارد الأشياء ومصادرها، بحيث يكون قلبه عند جوارحه وكل جارحة تتحرك منه يقابلها بحكم حركتها وقصدها. وقال الشاذلي: ما سلم عبد من النفاق ما لم يعمل على الوفاق.

(الرابع) صحبة أهل المعرفة والعلم الذين يبصرونك بعيوب نفسك ويدلونك على ربك، وكذلك بأن يحصل بالالتجاء إليه في المبادئ، والشكر إليه في المناهي، والرضا عنه في الواردات، والصبر له في المكاره، والتسليم في الأقدار، وإيثار حقه على كل شيء في كل شيء. وقال الشاذلي: لا تصحب من يؤثر نفسه عليك، فإنه لئيم.

(الخامس) مجانبة أهل العزة والاغترار. قال سهل: احذر صحبة ثلاثة أصناف: الفقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين، والجبابرة الغافلين.

(السادس) التزام الأدب. قال الشاذلي: أربعة آداب إذا خلا الفقير المتجرد عنها فاجعله مع التراب سواء: الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والإنصاف من النفس، وترك الانتصاف

لها. وأربعة آداب إذا خلا المنتسب عنها فلا تعتمد نسبه: مجانبة الظلمة، وإيثار أهل الآخرة، ومواسات ذوي الفاقة، وملازمة الخمس مع الجماعة. وقال أبو حفص: التصوف كله أدب، لكل وقت أدب، ولكل حال أدب. فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ترك الأدب فهو مطرود من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يظن الوصول.

(السابع) إعطاء الأوقات حقها، فقد جاء في صحف إبراهيم عليه السلام: وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، (قلت: وهي من السحر إلى طلوع الشمس)؛ وساعة يحاسب فيها نفسه، (وهي من العصر إلى الغروب)؛ وساعة يمضي فيها إلى إخوانه الذين يبصرونه بعيوبه، ويدلونه على ربه، ويعينه متى تيسر له من ليله ونهاره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وشهواته المباحة، وهي كالتي قبلها والأوقات كلها ﴿ هو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾.

(الثامن) أن لا ترى في العالم إلا أنت وربك، فتراقبه حق المراقبة بأن تتخذ ما عنده كنزاً وتنفق منه في ظاهر أمرك وباطنه، ولا تتشوف لأحد سواه. واحذر أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك أو يرى منك التفاتاً لغيره. قال بعض العارفين: من أشار إلى الحق وتعلق بالخلق أحوجه الله إليهم ونزع الرحمة من قلوبهم، فاستغن عن كل ذي قرب ورحم فإن الغني من استغنى عن الناس.

(التاسع) اجتناب نوع التكلف في الحركات. وقد قال عليه السلام: « أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف ». وقال تعالى: ﴿ قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾. وأصل التكلف حب المرضاة، ومنه يقع حبط الإيمان والجور والرياء والسمعة والمصانعة. فعليكم بالتوسط في كل شيء ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾.

(العاشر) عمارة القلب بما يحييه، بدلاً من نقيضه. وهو أربعة أسباب تقابلها أربعة:

أولها: ذكر غربتك في الدنيا. ويترتب على ذلك عدم الإنتصاف لنفسك، والإنصاف منها، والإستسلام لما يجرى من المسيء وغيره. ويقابله شغل القلب بلذاتها ونيل الأغراض.

وثانيها: ذكر مصرعه عند الموت، وهو الذي ينسيه كل شيء من دنياه ويزهده في الخلق، إذ لا ينفعونه في ذلك المحلي بشيء. ويقابله نسيان الأجل وبعد الأمل، وهو مفتاح خوف هم الرزق. وهما أصل كل بلاء في الدنيا وكل محنة في الآخرة.

وثالثها: ذكر وحشة القلب، وهو الذي ينسيه أنفس كل أنيس، إلا من حيث معاملته، فلا يصحب إلا أولياء الله ولا يجتمع إلا بمن يرجو ثواب الله ويقابله شمول الغفلة والإغترار بأيام المهلة وهو مفتاح ترك العمل والتراخي عنه والفترة فيه وطلب الرياسة وظهور البدع.

ورابعها: ذكر وقوفه بين يدى الله وهو يوجب أنْ لا يتحرك حركةً ولا يسكن سكوناً إلاّ بالله، ولله فليتبع الشرع فى جميع حركاته ويحاسب نفسه فى جميع حالاته ويستحى من مولاه فى أموره ويقابله الجرأة على الله والإعتزاز به مع ظنه أنه راجٍ فيه، ولو أحسنَ الظن بربهِ لأحسنَ العمل له ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾. فإياكم ومحدثات الأمور فإن كلّ محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة مع صاحبها فى النار. وإياكم وترهات الباطلين الذين يئيسونكم من الله ويعوجون عليكم طريقكم فما هى إلاّ الفرائض المشهورة تؤدى والمحرمات المعلومات تترك والسنن المأثورة تتبع ومحبة الأولياء تؤخذ.

❖ بيان الإنتساب إلى الطُرق ❖

(وأما الإنتساب) فاعلَمْ أن الأخذ والإنتساب الى الطُرق وغيرها على أربعة أقسام:

أحدها: أخذ المصافحة والتلقين للذكر ولبس الخرقة والعذبة للتبرك أو للنسبة فقط.

وثانيها: أخذ رواية وهو قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها، وهو قد يكون أيضاً للتبرك أو للنسبة فقط.

وثالثها: أخذ دراية وهو حلّ كتبهم لإدراك معانيها كذلك فقط.

ورابعها: أخذ تدريب وتهذيب وترق فى الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفناء فى التوحيد والبقاء وهو المراد العزيز وجوده وعلى هذا المعول أكثر الطُرق خصوصاً النقشبندية والشاذلية ويصح الإنتساب أيضاً بالإتباع والمشاركة ولو فى شئ يسير مع المحبة لهم كتلاوة حزب من أحزابهم. ولذا قال الشاذلى: من قرأ حزبنا هذا فله مالنا وعليه ما علينا يعنى فله مالنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة أو أعم منهما وهذا جار فى الكل.

(واعلم) أن عدم الإجتماع بالشيخ لا يقدح فى محبته بعد أن بلغه مناقبه وطريقته بالتواتر فليس لقائل أن يقول كيف يقتدى به وهو ميت. فإنا نقول: إنما نقتدى بما بلغنا عنه من طريقته وأخلاقه الحميدة لا بصورته الجسمية كما نحب رسول الله ﷺ وأصحابه ولم نرهم. فينبغى لمن إنتسب إلى ولى من أولياء الله أن يتشبه به فى أصول طريقته وفروعها المهمة، ثم ما لاح عليه من دقائقها، ويعلم أن هذا باب من أبواب الله يقف به ليأتيه من ذلك الباب رحمة ونفحة على حسب مراده، وليكن قصده الله تعالى دون ما سواه، ويعظمه تعظيماً يرى فيه رضا الله عنه لأنه تعالى ينوب عن وليه إذا فقد ويغنى به إذا شهد.

(واعلم) أن التشبه يكون فى الدين والخلق والعمل فالتشبه بهم فى الزى جائز لدفع المضرة وغيرها لقوله تعالى: ﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ الآية. ولبس الخرقة للتمييز من ذلك وللدخول فى القوم بالتشبه لكن شرط

هذا اجتناب الكبائر وصغائر الخسة. ثُمّ المتشبه والمستند جزاؤه أنْ يحبّ ويحترم فيوضعُ له القبولُ في الخلق والحرمة في القلوب فلا يراه أحدٌ إلا احترمه وعظمه.

وشرط الشيخ الذي يستند إليه أنْ ينصح الجميع بما أمكنهم فيدلهم على التقوى والإستقامة، وينهاهم عن المنكر والشهوات، ويدعو لهم بالثبات والسعادة والمغفرة والتوفيق، ويعلمهم ما أمكنهم من أمر دينهم ويشفق عليهم في دنياهم، ويجتهد في ذلك بما يجتهد لنفسه لأن من قصد قوماً وجب حقه عليهم، وينظر لكافة خلق الله بعين الرحمة واللطف والشفقة ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم.

❖ بيان الذكر ❖

(وأما الذكر) فاعلمْ أن الله تعالى جعل للعبد أسباباً بعدد أنفاس الخلائق، يصل بها إلى الحضرة الرحمانية، ويعتكف بها في معتكف الخطرات الرحمانية. وتلك الأسباب باطنة وظاهرة، [فالباطنة] نحو مراقبة الحق واستحضار العبد في جميع أوقاته أو غالبها أنه بين يدي الله تعالى وأنه تعالى مطلع عليه وناظر إليه ومحيط بكل شئ في جميع الكائنات فيحمل ذلك على ترْك المعصية وحفظ الباطن من الأخلاق الرذيلة. [والظاهرة] كلوام الطاعات من الجمعة والجماعة والزكاة والصدقة وسائر الخيرات والعبادات خصوصاً الأذكار.

(واعلم) أن أوّل صيغ الذكر لفظة [الله] عند النقشبندية مع ملاحظة المعنى. وقولُ لا إله إلا الله عند الشاذلية وهما والإستغفار والصلاة عند سائر الطرق بحضور تام وأدب قال الله تعالى: «أنا جليس من ذكرني، وأنا مع عبدي إذا ذكرني، وتحركت بي شفتاه».

ومعنى مجالسة الله تقريب رحمته وعنايته ومدده وفيضه وفتحه ونور أسمائه وصفاته من عبده بحيث إذا صدق في ذكره عمر قلبه بتلك الأسرار وملأه بهذه الأنوار. ومعنى لفظة [الله] أي الله مقصودي أو مطلوبي أو محبوبي، أو يا الله أنت مقصودي، أو الله لا شريك له، أو الله هو مقصودي، أو هو موجود أو معبود، أو أنت الله لا غيره أو لا غيرك. والأصح عند النقشبندية لا تركيب له، بل يقول [الله] ويلاحظ بحت الذات بلا تركيب ولا معناه وما له ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع العليم﴾. ومعنى التوحيد أما للعموم فنفي الألوهية عما سواه تعالى، والإله عند أكثر المتكلمين المعبود بالحق، وعند بعضهم المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، فقولنا [لا إله إلا الله] أي لا معبود بحق إلا الله أو لا مستغني عن كل ما سواه مفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله. وأما السالك فمعناه لا معبود إلا الله للمبتدي لأن مقتضاه العبادات ابتداءً أو لا مقصود إلا الله للمتوسط لأن مقتضاه الطلب، أو لا موجود إلا الله للمنتهي لأن مقتضاه الفناء لما سوى الله والبقاء لله.

(واعلم) أن لهذا المنتهى أربع حالاتٍ : إما أن يكون في توحيدِ الأفعالِ فيكون المنفي بلا إله كل فاعلٍ سوى الله، أو في توحيدِ الصفاتِ فيكون المنفي بها كل ما عداه، أو في توحيد الذاتِ فيكون المنفي بها كل ما سِواه، أو في توحيد المجمل باعتباره مفصلاً فينفى عنه شهود الإجمالِ بشهودِ التفصيل.

❖ بيان آداب الذِكر ❖

(وأما آدب الذِكر) فتقديمُ الطهارة عن الحدَث والخبث وصلاةُ ركعتين عند البعض يقرأ في الأولى قل ياأيها الكافرون وفي الثانية الإخلاصَ أو المعوذتين فيهما سرًا في النهار وجهرًا في الليل، فإذا فرغ جلس متور كا عند النقشبندية وهيئة التشهد عند السائر، متواضعا مستقبل القبلة متفرغاً عن كل خطرةٍ وشغلٍ، ثم يستغفر الله خمساً أو خمسة عشر أو خمساً وعشرين عند النقشبندية، وسبعين عند الشاذلية، ومائة عند السائر. ثم يدعو الله بقبوله واتباع السنة وحسن الخاتمة له ولشيخه، وأن يروح الله على يده الطريقةَ والشريعةَ والسنةَ، ويقول عند الشاذلية : يا رب أمت الله، يسر لنا علم لا إله إلا الله، ثم يقرأ الفاتحة والإخلاصَ ثلاثا ويهدي ثوابها إلى السلسلة جميعًا، ثم يغمض عينيه ويلاحظ نفسه كأنه مات وليس له ملجأ من الله إلا إليه، ثم يتوسل بمرشده ليشفع له عند ربه ويلاحظ كأنه ناظر إلى المرشد بين عينيه، إما بالرؤية لو من أهلها أو بالإيقانِ أو الوجدان، ثم يقول عند النقشبندية بالقلب أو باللسان : [إلــهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ثلاثًا] تأكيدًا إلى أنه لا مقصود له إلا الله الأجل الأعلى بل الشيخ واسطة بينه وبين ذاته الجليلة لقوله تعــالى ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾. ثم يشتغل بالوقوفِ القلبي، وهو أن يجمع جميع حواســه البدنية، ويقطع عنها جميع الشواغل والخطرات القلبية، ويتوجه بجميع إدراكه إلى أوسطِ قلبه وعمقه متوجها بجمعية القلب الى الربّ المقدس عما لا يليق بحقه، فإن المراد من لفظة [الله] الذات المتصفة بأكمل الصفاتِ، ويبقى في تلك الملاحظة بقدر ربع ساعةٍ فكلما أكثر منها حصل له القرب والإستعداد. فإن الوقوف القلبي ركن الطريقة، بل أساسها، بل واجب في كل طاعةٍ، بل كل حالةٍ من القيام والقعود والإضطجاع حتى الرواح الى الخلاءِ ووقت الجماع ولو حين يغشاها. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون ﴾. الآية، أي يذكرون الله في جميع أحوالهم مع التفكر في مصنوعات الفاعِل المختار. والوقوف القلبي فإنه لو خلت منه الطاعات أو الأذكار فهي كصورة بلا روح وخارجة عن الإعتبار. ثم بعد ضبط الوقوف يشتغل بالذِكر القلبي، وذلك بأن يلاحظ جريان لفظة الجلالة من قلبه ويلصق لسانه بسقف حلقه ويسكن بجميع جوارحه ويسلب عن الجسدِ جميع اختياره وإدراكه فيطلق حق

يشتغل بذاته ولو توغل القلبُ في ملاحظةِ الذاتِ القُدسية واستغرق في تلك الحالةِ المرضية ولم يذكر الإسمَ الشريفَ لإستغراقه فيها واستهلاكه لكفى فهو أحسن وأقوى، وهو حال الأقوياءِ لا المبتدى، ولو حصل لقلبه فتور أو قبض أو غفلة أو خطرة لغلبة الإنقباضِ فليغتسل بالماء البارد فإن لم يقدِر فبالحارِ ثم يستغفر الله من كل غفلةٍ وخطرةٍ ومن ترك الأدب مع ربه أو مرشدِه ومن سائر زلاته خمسًا وعشرين ويصلي ركعتين صلاةَ التوبة أو يقول: سبحان الله الملكِ الخلاق الفعّال ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلقٍ جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴾.

وقيل: من المعالجة استماع أصوات الرياح والمياه الجاريات. وقيل: الصعود على الجبال الراسيات. وقيل: البكاء والإنكسار لأن الذكر سبب الوصل والمحبوبية، فلا يسلب إلا ممن أراد الله تعالى به المقت والشقاوة والغضب فإذا حصل له الإنكسار يعود حاله. قال تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم». وقيل: يقول إذا أردتَ مني ذلك فهو عين مرادي. ثم يذكر بلطيفةِ القلب، فإذا خرج نور تلك اللطيفةِ من جداءِ كتفه وعلا، أو حصل فيه إختلاج أو حركة قوية فليلقن بلطيفةِ الروح فهي تحت الثدي الأيمن بأصبعين، فالذكر فيها والوقوف في القلب كمن ينظر إلى الطرفين بنظر واحد، ثم إذا وقعت الحركة فيها واشتغلت فليلقن بلطيفةِ السر، وهي فوق الثدي اليسار بأصبعين فيكون الذكر فيها والوقوف في القلب أيضا. ثم إذا اشتغلت أيضا فليلقن بلطيفةِ الخفي، وهي فوق الثدي الأيمن بأصبعين. ثم يلقن بلطيفةِ الأخفى وهي في وسط الصدر فيشتغل بها كما تقدم ثم بلطيفة النفس وهي ما بين العينين والحاجبين مع الوقوفِ القلبي في جميع ذكر اللطائف ثم بلطيفة الجسدِ، فيذكر بجميع الجسد كله بعد بســط الوقوفِ في جميع أجزائه ومنابت شعره، فإذا أثر الذكر في الجسد كله إما بالاختلاج اللطيفِ أو بجريانِ الذكر في جميع الجسد الكثيف فيكون كالقلب يتحرك بالذكر من أسفله الى أعلاه ويسمى سلطان الذكر.

(اعلم) أن مقدار الورد من اسم الجلالة أقله خمســة آلافٍ ولا حصر لأكثره. وأقله للسالكين خمسة وعشرون ألفا في مدة يوم وليلة، إما بمجلسةٍ واحدة وهو الأحسن، أو بثلاث جلساتٍ، أو بحسب الإمكانِ. وبعد ذلك يلقن المريد بالنفى والإثباتِ، وقيل بعد الإستغراقِ والإستهلاكِ، وقيل بعد قطع الخواطر دوامًا، وقيــل بعد ظهور الحضور التــامِ، وقيل بعد الاطمئنان والنزاع لفظيّ. وكيفيته أن تلقي أولاً جميع الشعور والإدراكاتِ إلى قعر القلب للوقوف التــامِ، ثم تخرج النفس من الأنف بعنف إلى انتهاءِ النفس بقصد إخراج الخواطر والهواجس، فإنه أعظم ما يدفع به الخواطر في جميع الأوقاتِ ثم يحبس النفس ثم يلاحظ لفظ [لا] ويتخيله خطا مستطيلا من الســرة إلى أم الدماغ مع ملاحظة معناه الذي هو النفي

والإثبات، ثُمَّ يلاحظ لفظ [إله] فيجر الخط من أم الدماغ إلى رأس الكتف الأيمن ويلاحظ المنفيّ بلا المعبود لو كان مُبتدئًا أو جنس المقصود لو كان متوسطًا أو الموجود لو كان منتهيًا، ثُمَّ يلاحظ لفظة [إلا] فيجر ذلك الخط من رأس الكتف مرًا على اللطائف بحسب الخيال والإجمال إلى فم القلب ويريد منه الاستثناء، فيلقي لفظة [الله] بعظمة وشدة وغاية قوة إلى قعر القلب ويوتر في العدد وفي آخره يتخيل بها كلمة محمد رسول الله ثم يطلق نفسه لكن مع ضبط الوقوف في خروج النفس ودخوله وبينهما، ثم يقول: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي في حالة إطلاق النفس، ثم يستأنف ثانيًا بتلك الشرائط وهلم جرا ويزيد في العدد إلى أن يبلغ إلى إحدى وعشرين مرة بنفس واحد فحينئذ لو ظهر له أثر الإستهلاك والإنمحاء في ذاته تعالى فعلى ذلك المعوّل، وإلا يستأنف من الأول. وهكذا إلى حصول ذلك ولا يحبس النفس بحيث يشتد ضيقه فيتشوش حضوره ولو كان له مقصود معيّن من المطالب فيخصه بالنفي صريحًا حتى ينتفي أثره عن قلبه لأن الخطرة الخبية تسد باب الفيض، بخلاف الخطرة العمومية أي خطور ما لا يعني، هذا هو طريق اللطائف والنفي والإثبات عند الخالدية، وله أركان سبعة: الوقوف القلبي، وحبس النفس، وملاحظة الألفاظ والمعاني والنقوش، وكلمة محمد رسول الله والباز كشب، وهي إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، والوقوف العددي. وقيل تسع الضرب والوتر في العدد.

◆ بيان المقامات ◆

(وأما المقامات) فهو أنّ تلاحظ حين الذكر وجميع العبادات أنّ الله تعالى ناظر إليك وحاضر لك وهو مقام الإحسان لقول سيد الأكوان: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، أي إذا لم يكن لك قوة على ملاحظة أنك ناظر إليه فاعبده ملاحظة أنه ناظر إليك، بأن تلاحظ أنّ نظره تعالى محيط بك من جميع جهاتك، وأنت في وسط ذلك النظر تذوب وتصغر، حتى لا يبقى لوجودك أثر ثم تترقى عن ذلك إلى تخيل أنك في نور ربك البسيط الوحداني المجرد من غير تعلق بشيء وغير مكيف بكيفية أصلا وغير منقسم للأقسام التي تتبدد، بل هو محيط بجميع الموجودات من الجسمانية والروحانية الذي هو بكل شيء محيط لقوله تعالى: ﴿ وكان الله بكل شيء محيطًا ﴾، ثُمَّ تترقى عن ذلك إلى مشاهدة الذات العلية المنزهة عن الشبيه والمثيل والكيفية، وهو ناظر إليك ومعك أينما كنت لا كمعية متحيزين بل على ما يليق بشأنه لقوله تعالى: ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾، ثم تترقى مع تلك المشاهدة الأولية إلى المقام الثاني المسمى بالأحدية بمعنى أن الله تعالى هو الواحد الباقي الصمد، ودليله ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ثم تترقى إلى المقام الثالث وهو الأقربية

بمعنى أن الله تعالى أقرب إليك من نفسك التي بين جنبيك ودليله قول الملك المجيد ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾، ثم تترقى إلى المقام الرابع وهو البصرية بمعنى أنه سبحانه ناظر إليك في جميع حركاتك وسكناتك وإلى ما قدره عليك مع ملاحظة قربه لديك ودليله قول الفاعل المختار ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾، ثم تترقى إلى المقام الخامس وهو العلمية لتصون قلبك عن كل خطرة ردية بمعنى أنه تعالى يعلم ما في القلوب في كل آن، ودليله قول العزيز الغفور ﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾، ثم تترقى إلى المقام السادس وهو الفاعلية، بمعنى أن ذاتك وأفعالك فعل من أفعاله تعالى ليحصل لك الرضى بجميع أفعاله في الرخاء والشدة لقول الكريم الحميد ﴿ فعال لما يريد ﴾، ثم تترقى إلى المقام السابع، وهو الملكية بمعنى أن ذاتك وما تملك ملك من أملاكه تعالى ولا تعارضه في ملكه فسلم الأمر إليه وتوكل في جميع أحواله عليه، ودليله قول مجرى الفلك ﴿ قوله الحق وله الملك ﴾، ثم تترقى إلى المقام الثامن وهو الحياتية بمعنى أن الحياة الأبدية انحصرت لرب البرية فأفن صفاتك بصفاته وذاتك في ذاته ولا تجعل لنفسك وجوداً بل أنت معلوم فدع الأمور للحي القيوم ودليله قوله تعالى ﴿ هو الحي لا إله إلا هو ﴾ ثم تترقى إلى المقام التاسع وهو المحبوبية بمعنى أن محبته تعالى حصلت لك من التقرب بالنوافل كما في الحديث القدسي : «ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ... الخ». أي إن التقرب بالنوافل كان سبباً لمحبته تعالى للعبد، والجزاء من جنس العمل، ودليله قوله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ثم تترقى إلى المقام العاشر وهو مراقبة التوحيد الشهودي بمعنى أنك أينما توجهت ترى الله تعالى بعين البصيرة. قال الصديق الأعظم : ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، ودليله قوله تعالى ﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾.

(اعلم) أن قطع عقبات الطريق إلى أن يصير المريد من أهل هذه المقامات لا بد له من السلوك عند مرشد كامل عالم عامل، يعرف دسائس النفس والدنيا والشيطان وغوائلها، والأخلاق الذميمة ورذائلها.

❖ بيان مراتب الطريق ❖

(وأما المراتب) فاعلم أن مراتب الطريق أربع لا يضع السالك قدمه في ثاني مرتبة حتى يحكم الأولى ولا يدخل في واحدة حتى يعمل ما قبلها، وهي مرتبة التوبة، ومرتبة الإستقامة، ومرتبة التهذيب، ومرتبة التقريب.

(أما الأولى) فإن التوبة أصل كل مقام وحال وأول المقامات وهي بمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بنـاء له فمن لا توبة له لا حال ولا مقام له، وهي على ضربين : إنابة

واستجابة، فالإنابة أن تخاف الله لقدرته عليك، والإستجابة أن تستحي من الله لقربه منك.

والتوبة: الرجوع من الذنب، وهي على قسمين: توبة عوام وتوبة خواص. ◘ فتوبة العوام على ثلاث مراتب: الأولى للكافرين، فتوبتهم إلى الإيمان والإسلام وترك الطغيان. الثانية للفاسقين، فتوبتهم عن الكبائر بست: الندم على الماضى، وترك الذنوب فى الحال، والعزم أن لا يعود، ورد المظالم، وإعادة الفرائض التى فاتت، وتربية النفس فى الطاعة، والبكاء فى الأسحار. الثالثة توبة المؤمنين عن الصغائر التى صدرت بسهو وغفلة وجهل ونسيان كما قال تعالى: ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون ﴾. الآية ◘ وتوبة الخواص، وهى رتبتان: توبة الخواص، وتوبة خواص الخواص. فالأولى تكون عن الأفكار والأخطار وحب الدنيا وأمورها وتسويلها وهى مقام عوام الأولياء وخواص المؤمنين الذين فى الصف الثانى من الأرواح. والثانية تكون عن اشتغال القلوب بغير ذكر الله، وهى مقام خواص الأولياء الذين فى الصف الأول من الأرواح. وأشار إلى هذا المقام عليه السلام بقوله: «إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة». وشرطها: أن يصرف أمواله وأملاكه على الفقراء ليكون الترك ظاهراً وباطناً، وأن يصوم بنية التوبة ثلاثة أيام متواليات على سنة آدم عليه السلام، وأن يصلى ركعتين بنية التوبة، وأن يدعو بما شاء.

(وأما المرتبة الثانية) فهى الإستقامة على الطاعات واجتناب المخالفات بشروطه وأركانه وسننه من غير إخلال مع التواضع لله وشهود المنة والتوفيق منه والخوف من الخذلان والسلب ثم التخلق بالكمالات والتحقق بالحالات، فيترك العيوب ويجتنب الذنوب ويبتدر المندوب وليس له إلى ذلك سبيل إلا بثلاث: إقامة الأوراد من جميع الطاعات، والدعاء فى جميع الحالات، واتباع المراد وإيثار السداد.

(واعلم) أن سبل الخيرات كلها ثلاث: خشية الله فى السر والعلانية، والرضا عن الله بالقليل والكثير، ومحاسنة الخلق فى الإقبال والإدبار. وشرار البلايا مجموعة فى ثلاث: خوف الخلق، وهم الرزق، والرضا عن النفس. وأعظم العافية واللطف ثابت فى ثلاث: الثقة بالله فى كل شئ، والرضا عن الله بكل حال، واتقاء شرور الناس. وعلامة الرضا والمحبة لله: تقديم أمره على هوى النفس، ورعاية حدود الشرع، والتقوى والورع والتشوق إلى لقائه، والخلو عن كراهة الموت، والرضا بقضائه، ومحبة كلامه والتلذذ بتلاوته وسماعه، والطرب عند ذكره أو سماع اسمه، وعدم الصبر ومحبته عليه السلام واتباعه.

قال زروق رضي الله عنه: الأصول ثلاثة: خشية الله فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر. والفروع ثلاثة: حفظ الحرمة، ولزوم الخدمة، وتصفية

اللقمة. وتحقيقها بثلاث: إفراد القلب لله في جميع الأوقات، واتهام النفس في جميع الحالات، واتباع العلم في الحركات والسكنات. وتقويمها بثلاث: حسن الخلق في معاملة الخلق، والرفق في التناول، والتأني في التوجه.

وقال: أصول الخير ثلاثة: التواضع وحسن الخلق والنصيحة. فالتواضع تتبعه ثلاث: الإنصاف من نفسك، وترك الإنتصاف لها، وخدمة المؤمنين. وحسن الخلق تتبعه ثلاث: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، والخشية في السر والعلانية. والنصيحة تتبعها ثلاث: العمل الصالح، والعلم الصحيح، واتباع الحق في كل حال.

(وأما المرتبة الثالثة) فهي التذهيب، ولها أربعة أركان: الصمت والعزلة والصوم والسهر. وكل واحد منها يدفع عدواً، فالشيطان سلاحه الشبع وسجنه الجوع، والهوى سلاحه الكلام وسجنه الصمت، والدنيا سلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة، والنفس سلاحها النوم وسجنها السهر.

(واعلم) أن الإفراط من الصمت مضر بالحكمة، والإفراط من السهر موذ للحواس، والإفراط من الخلوة يودي إلى الإختلاط، لكن خير الأمور أوسطها، وهو مع ذلك يجاهد نفسه إلى أن تزول أخلاقه الذميمة من العجب والرياء والكبر والحسد والبخل والحقد والكفر والبدعة والجهل وكفران النعمة والجزع والشكوى واليأس والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله وحب الظلمة وبغض الصالحين وتعليق القلب بأسباب الدنيا وحب الجاه والمدح والثناء وخوف الذم واتباع الهوى والتقليد والتذلل للدنيا والشماتة والجبن والتهور والغدر وخلف الوعد والطيرة وسوء الظن وحب المال وحب الدنيا والحرص والسفه والبطالة والعجلة والتسويف بالعمل والوقاحة والحزن في أمر الدنيا والخوف فيه والفتنة والعناد والتمرد والاباء والنفاق والجريرة والغباوة والشره والخمود وحب الشهوات والإصرار على المعاصي وخوف الفقر وسخط المقدور والغل والغش وطلب العلو وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والغضب والبغضاء والأنفة والعداوة والطمع والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والإستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والإشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية وشدة الإنتصار للنفس إذا نالها الذل وضعف الإنتصار واتخاذ إخوان العلانية أعداء السر والإتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فوتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والخفة وقلة الحياء وقلة الرحمة. فهذه وأمثالها

من صفات القلب ومغارس الفواحش فيه ومنابت الأعمال المحظورة يجب على الشخص أن يجتنبها ويتخلق بأضدادها وهي الأخلاق الحميدة التي هي منبع الطاعات والقربات، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الآخرة والتهذيب، وهو فرض عين عندهم.

(وأما المرتبة الرابعة) وهي التقريب وهو أن يدخل السالك الصادق إلى الخلوة بشروطه ويداوم على الذكر ولا يتركه ساعة حتى يصير الذكر له بمثابة النفس يجري من غير اختيار ولا قصد بحيث لو صمت ومنع لا يمتنع ولا ينفك عنه، ويجري الذكر وإن صمت اللسان وكان بمنزلة جري الغذاء في الأجسام يسري سريانا لا يتفطن له وتوحد له قوة ولو فقده وجد أثره فعلم سريانه ونفعه فإذا حصل له هذا اتسعت له ميادين الله ومرافق أسراره فبدا له من نور الحق ما كشف له الوجود وحاصل هذا أن يطلع على معادن الغيوب على حسب قوته وقدر سعيه واستعداده. والخلاصة إما من طريق الفراسة والتخييل، وإما من طريق الكشف والتمثيل أو من الإفادة والتعليم لأن قلبه صار مرآة والوجود محاذي له أبدا ثم بعد هذا الكشف قد تزل قدم المريد بالوقوع والإشتغال ببعض ما رآه من العجائب فيوكل إليه أو يكله فيثبت فيتأتى إليه كل ما فيه من صور الأكوان وحقائق الكشف، غير أنه لا يخرج من موقف حتى يبدو له منه ما هو مقصود له باعتبار وقته، وهو في كل ذلك خائف من طرده تعالى ومقته فكل مورد له فيه مخاطبات وتنزلات ومدامات كلها خارجة عن مقصوده فإذا فني عن رؤية العوالم وهو خلع نعل الكون لم ير في الكون غير المكون، فإذا تمكن من مقام الفناء عاد بجنده عودا ما لاستغراقه بالحقائق وهو غاية الطريق، ثم إن شاهد الحقيقة يقضي له بالحق فيصير غريق الأنوار مطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره أكمل فازداد صحوا وهو مقام النهاية و لم يبق إلا ما يهبه الله له من أنواع الكرامة.

◆ بيان فوائد الصحبة وآدابها ◆

وأما الصحبة وآدابها فاعلم أن للصحبة ثلاث فوائد :

(الأولى) أن صحبة أهل الخير تمنع المريد عن الإنقلاب والعود إلى البطالة وتبعد النفس عن التشوق الى المعاصي فإن البعد عن المعاصي يثقل فعلها على النفس والقرب من الطاعات يهون أمرها على النفس فبركة الصحبة وقوة الروحانية القدسية يسهل أمرهما عليه.

(الثانية) أن علم القلوب لا يصطاد إلا بالصحبة فإن من تحقق حاله لم يخل حاضروه منها والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يعلم والمرء على دين خليله والمؤمن مرآة أخيه وما كان

من المرئيات انطبع في المرآة المقابلة لها ولذا كان معول الشاذلية والنقشبندية على الصحبة.

(واعلم) أن الداعي للصحبة بين اثنين وجود الجنسية والنسبة بينهما فلا يصحب إلا من وجدهما فإنك تجد جنس البشر مثلاً يميل بعضهم إلى بعض وكذلك غيرهم من الحيوانات يميل كل نوع إلى بعضه أكثر من ميله إلى النوع الآخر وكميل أهل الملة إلى بعضهم وكميل أهل الطاعة إلى بعضهم وكذلك أهل المعصية وكميل أهل الشرع والطريقة والحقيقة والمعرفة وكذلك أهل كل علم وحال وقال ومقام وصنائع وحرفة ويؤيد ذلك قول النبي عليه السلام: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». فإذ علمت أن الموجب للصحبة وجود الجنسية والنسبة فتفقد نفسك عند الميل إلى صحبة شخص والحالة التي فيه من أجلها أحببته وزن ذلك بميزان الشرع. فإذا رأيت أحواله مسددة فبشر نفسك بحسن الحال وإن رأيت أحواله غير مسددة فارجع إلى نفسك باللوم فإن تلك الحالة القبيحة مركوزة في نفسك وفر منه كفرارك من الأسد فإنه زادك ظلمة وبعداً ومقتاً وغفلة ونقمة، فيجب أن تقتدي بمن علم بالديانة والصيانة والرحمة والعفة والتقوى والأمانة من البدع والأهواء والخيانة بعد أن تحقق أن طريقته موافقة للكتاب والسنة وأفعال الصحابة والمشايخ الراسخين والعارفين وكبار الأمة.

(الثالثة) أن السالك مبتلى بنفسه فإذا عمل وحده ربما ظفر منه الشيطان بخيالات وأوهام وعقائد فاسدة وأفكار كاسدة وكسل ومكر وحيل وزندقة واستدراج وغيرها ويوهمه أن ذلك من الأحوال والأصول وهو لا يدري لاسيما المبتدئ فإنه يشوش عليه هذه الحالة فلا بد من شيخ بشروطه السابقة لينجو من هذه الورطة وعقبات الطريق وتوقفه.

❖ بيان التلقين وسنده ❖

(وأما التلقين وسنده) فلما كانت الصحبة من لوازمه وشروطه وكان الإنتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون إجازته صحيحة مستندة إلى شيخ صاحب طريق وهو إلى النبي عليه السلام وكان الذكر لا يفيد فائدة تامة إلا بالتلقين والإذن بل جعله الأكثر شرطاً وكان الشيخ في الدين مقدم النسب على الأب في الطين كما قال بعضهم:

نسب أقرب في شرع الهوى ❊ بيننا من نسب من أبوي

وكان السالك لابد له من مرشد حسي كالشيخ، أو معنوي كالإلهام وحسن التفقه في الكتاب والسنة وإجماع الأمة مع التيقظ والإعتبار والتفكر بمساعدة التوفيق واللطف والعناية أو يغنيه الله عن ذلك كله بمنح من فضله وجذبة بما يصل من غير مشقة وجب ذكر الأسانيد في كل الطرق إلى الرسول عليه السلام.

(واعلم) أن مَن لا يعرف آباه وأجداده في الطريق فهو مطرود وكلامه دعوى غير مقبولة وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله ﷺ: « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه ». وقد أجمع السلف كلهم على أن مَن لم يصح له نسب القوم ولا أذن في أن يجلس للناس لا يجوز له التصدر إلى إرشاد النــاس ولا أن يأخذ عليهم عهدًا ولا أن يلقنهم ذكرًا ولا شيئاً من الطريق إذ السر في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى الرسول ﷺ الى حضرة الحق جل جلاله فمن لم يدخل بسلسلة القوم فهو غير معدود منهم فقد روى أحمد والطبراني وغيرهما أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه جماعة وفرادى.

فأما تلقينهم جماعة، فقد قال شداد بن أوس : كنا عند النبي عليه السلام فقال ﷺ: « هل فيكم غريب » يعني من أهل الكتاب، قلت: لا، فأمر بغلق الباب، وقال: « ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله » ثمّ قال: « الحمد لله اللّهمّ إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد» ثمّ قال: « ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم».

وأما تلقينهم فرادى فروى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن عليا ﷺ سأل النبي ﷺ فقال : دلني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى، فقال ﷺ: « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إلهَ إلاّ الله. ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إلهَ إلاّ الله في كفـة لرجحت بهم »، ثمّ قال ﷺ: « يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَن يقول الله ». فقال علي: كيف أذكر يا رسول الله؟ قال ﷺ: غمض عينيك واسمع عني ثلاث مرات ثمّ قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال لا إلهَ إلاّ الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعا صوته وعلي يسمع، ثمّ قال علي: لا إلهَ إلاّ الله كذلك والنبي ﷺ يسمع فهذه نسبة علي في تلقين الذكر.

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية فذلك بإثبات من غير نفي بلفظ اسم الذات لقوله تعالى لرسول الله ﷺ: ﴿قُلِ الله ثُمَّ ذَرْهم﴾. وهذه نسبة الصديق الأعظم التي أخذها باطنا عن النبي ﷺ وهذا هو الذكر الذي وقر في قلبه ﷺ وعنى به بقول النبي ﷺ عن ربه: « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وقر في قلبه ». وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين فهما أصلان ومعهما عون الرحمن.

◆ بيان التوحيد بلا إله إلا الله ◆

(وأما التوحيد بلا إله إلا الله) فإن كل مَن توجه وقلبه لغير الله أحجب عن الله تعالى، وكل مَن ذكر وقلبه بغير مذكوره حجب بألف حجاب فإذا طهرت ظاهرك من الأنجاس والأدناس وباطنك من الوسواس والظنون والأوهام، فقل خمسة آلاف مرة: لا إلهَ إلا الله،

وأقله اثنا عشر عند الشاذلية. وإياك أن يكون ذكر عدد بل حضور ومعنى. وأصل الذكر التلذذ والحلاوة فإن غلب عليك خشوع ودموع واحتراق واغتراق فذلك علامة الفتح ولا يزال الذاكر يذكر حتى يدرك العجائب والغرائب والأسرار العظيمة والكيفية الفخيمة، ثم لا يحرك لسانه بالذكر ويبقى الفكر وهو مقام الأكابر وفيه كلام فاعرف. وهذا التوجه سريع الفتح، وأكثر العباد تركوا العبادات والرياضات واشتغلوا بالتوجهات حتى أحرق الذكر قلوبهم ما سوى الله وتوقفوا فإذا كان مع رياضة حصل الكمال الأعظم سريعاً ألبتة بلا شك.

وأما خواصها فروي أن من قالها سبعين ألف مرة فداه الله من النار ◆ وقال ﷺ: « ما قال أحد لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر » ◆ وعن الصحابة: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ومدها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر ومن كان يخشى شيئاً فليقل بعد صلاة الصبح: أستكفي كل شر بلا إله إلا الله مائة مرة فإنه يكفي ما يخاف ومن كتبها على خاتم فضة في الساعة الأولى من يوم الجمعة انشرح صدره وانبسط فكره وتيسر أمره وزال همه وانجلى كربه ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ◆ ومن كتبها في جام بعدده ومحاه بماء وشربه على الفطور أحيا الله قلبه بنور الإيمان وفجر من صدره أنوار العرفان ومن داوم على شربه وقاه الله شر قساوة القلب وشرح باطنه لقبول الحقائق الإيمانية والأسرار الروحانية ◆ ومن كتبها على خاتمه وتلا عليه عدده ووضعه تحت رأسه رأى ما رآه في نومه بشرط العزلة والطهارة وهذا وفقه:

٥٤	٥٥	٥٢
٥٤	٥٥	٥٧
٥٨	٥١	٥٧

وفي المعارف أن من قالها ألف مرة على الطهارة في صبيحة كل يوم يسر الله له أسباب الرزق، ومن قالها عند منامه ألفاً باتت روحه تحت العرش، ومن قالها عند قوة الشمس ضعف منه شيطان الباطن، ومن قالها عند رؤية الهلال أمن من أسقام الأجسام، ومن قالها عند دخول مدينة أمن من فتنها، ومن قالها بجمع فكره وأرسلها لظالم أو جابر قطعته، ومن قالها بقصد التطلع إلى العلويات كشف له عن غيب ما قصده، ولها خواص كثيرة وهذه نبذة ترغيب.

◆ بيان الفرق بين الأحوال الربانية والطبيعية والشيطانية ◆

(وأما الفرق بين الأحوال الربانية والطبيعية والشيطانية) فلا بد من معرفتها حتى يميزها عياناً، قالوا: المدعي السماع له حالات ثلاث:

[فالحالة الأولى] نقتصر على شيءٍ منها وهو أن الإنسان إذا كان صاحب صدقٍ فإذا ورد عليه شيءٌ تشتغل الروح معه وتتحد الجوارح وينحرف الطبع ويتغير المزاج فإن الجسم اشتغل عنه حافظه بما يلقى اليه فإذا انصرف عنه النور الملكي سرى عنه وقد عرق جبينه واحمر وجهه وقام كأنما نشط من عقال وهي المحادثة وللأولياء الله فيها مشارب شتى.

[والحالة الثانية] هي أنه متى اشتد على الإنسان وغاب عن الوجود الحسي فإن حصل في تلك الغيبة علم يعقله هنا ويعقله إذا رجع إلى حسه ويعبر عنه على ما أعطاه الله من العبادة فهو الحال الإلهي ويملأ القلب سرورا عند الإفاقة وإن غلب ثم رد ولم يجد شيئا إلا أنه أخذ عنه بفيضة أفيضت عليه لم تتم له فائدة ولكن غاب عن حسه فهذا حاله من المزاج لما حمي القلب بالذكر أو بالتخيل صعد منه البخار ومن التجويف الكبير إلى الدماغ فحجب العقل ومنع الروح الحيواني من السريان ورمى بصاحبه كالمصروع فهذا حال صحيح، ولكن من المزاج الطبيعي ليس له فائدة وكثيرا ما يرى شبحا أو سحابا أو بستانا أو برا أو بحرا وهو هذا البخار.

[وأما الحالة الثالثة] فهي لكذاب وهو الذى يعقل أهل مجلسه في السماع أو في الخلوة فهذا صاحب وسوسةٍ وحديث نفسٍ قد سخر به الشيطان. فكل ما يلقى إليه يتخيل أنها علوم وهي سموم، فلا يعول على كل ما يخاطب به في هذه الحالة، ولو صادف الصحة فيها كما قال الفقهاء: من صلى جاهلا بكيفية الوضوء والصلاة والقبلة لا تصح صلاته وإن صادف الصحة. فكما أن هذه المسئلة أصل عند العلماء فكذلك عند الصوفية فلا يعول أبدا على ما يخاطب الجاهل بطريق فإنه لا يحسن أن يفرق بين الحق والباطل فكيف يعول على قوله فإن هذه الحالة شيطانية وإنه ليس في قوة الشيطان أن يغيبك عن حسك ثم يلقي إليك وتعقل عنه وإنما هو على وجهين: إما أن يغيبك ولا يلقي إليك وأنت مع حسك وفي باطنك شيء من حرارة وتوهم واستماع إلى شيء وضرب من الاستعداد للخطاب فإن عرف أنه ممكن منه في هذا المقام ألقى إليه خطابا فيحس بذلك على حسب ما يلقي إليه فيخبر عما وجده وإخباره أنه وجد هنا في نفسه صحيح وربما يقول له بمواقع خطابه: «عبدي أنا ربك، لا تنظر إلي إلا بي، فإن نظرت إلي بك أشركت، فأنا الناظر والمنظور، وأنا الساجد والمسجود، وأنا الذاكر والمذكور» وما أشبه ذلك من الخطاب. ويقنع الإبليس منه أن يعتقد أن ذلك من الله تعالى فيستولي عليه فيصير محلا له طول عمره فلو علم هذا الجاهل أن خطابة الحق لا تزيل إحساسا وليست بالوهم ولا بالخيال ولا بالاستعداد ولا بالانتظار ولا بخاطر يخطر بالبال ولا ببقاء الحس والقال لرجع عن جهله ولو علمت أن هذا من جهلك بنفسك وبغرور

الشيطان بك لَتبتَ إلى اللهِ وعرضتَ هذهِ الأمور على مُرشد يعرفكَ الحقَّ فإنْ أمرتْكَ ونَهتكَ بضرب من العبادات فهي شيطانية فأكثِرْ من الذِكْر وقراءةِ آيةِ الكرسي والمعوّذتَين والحَمدَلةِ والبَسْملَة والإستغفار وترك الطَمع والدنيا فهذه الثمانية السِّلاح. وإنْ لم تأمرك ولكن تخبرك بما وقعَ في الكون من أمر مغيب من خوارق العــادات فأنت على الإحتمال من أن تكونَ شيطانية أوغيرها فميزْ بينهما بسرعة الإلقاءِ والتفرقةِ وإن لم تلقَ إلا شيئًا آخر ثُمَّ آخر فهو روح شيطاني ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾. وان استمرَّ أمر واحد فإنك في حال الفتنة أيضًا فلا تقبل من الإلقاءِ إلا ما حصلَ لكَ في حال الفناءِ الكلي عن نفسِكَ وحسِكَ ولا يبقى من تمثيل ولا حسٍ سوى مجرد الفهم منك لما يكون منه فإن سرَّ المشاهدة للبهتِ وسرَّ الكشف للعلم وسر البقاء للأدب وسر الفناء للتوحيد وسرّ القبض للإفتقار وسر البَسْط للسؤال وسر المعرفة للعجزِ. والأسرار كثيرة تفطنْ.

◆ بيان الفرق بين الهواجس والخواطر ◆

(وأما الفــرق بين الهواجس والخواطر) فاعلمْ أن الهاجس يعبّرون به عن الخاطر الأول وهو الخاطر الربّاني والرّحماني والمزعج ويسميه سُهل السبَب الأول وهو الخاطِر. فإذا تحقق في النفس سموه إرادة، فإذا تردد الثالثة سموه هماً، وفي الرابعة سموه عزمًا، وعند التوجه إلى مراده سموه قصدا، ومع الشروع في الفعل سموه نيةً، وإنْ لم يكن خاطر فعل سموه إلهاما أو علوماً وهبية أولدنية. فالإلهام يكون عاماً ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾. والوهبي واللدني خاص بالأولياءِ ﴿ وعلّمنا من لدنا علماً ﴾. والخواطر خطاب يرد على الضمائر فقد تكون بإلقاءِ الحقّ، وقد تكون بإلقاء الملكِ، وقد تكون أحاديث النفس، وقد تكون بإلقاءِ الشيطان، ويسمّون الربّاني عناية ولطفاً وخذلاناً إن شرّاً والملكي إلهاماً والشيطاني وَسواساً والنفساني خاطراً والربّاني يرده بالرحمة والعظمة والحكمة. فإذاً ورد بالرحمة أبقى في القلب أنسا، وإذا ورد بالعظمة أبقى في القلب هيبة، وإذا ورد بالحكمة أبقى في القلب سكونا. والملكي يرد مبشراً ومنذراً ومنبها، فإذا بشر أبقى في القلب بسطًا، وإذا أنذر أبقى في القلب قبضاً، واذا ورد منبها ترك في القلب علماً. والنفساني يدعو إلى الحظ والأمنيات والشهوات وســوء الأخلاق والشيطاني يشوق للمعاصي ويخوف من الفقر ويأمر بالفحشاء ويحض على الكفر.

وفرق الجنيد بين الهواجس للنفس والوسْواس الشيطاني، فقال : إن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت فلا تزال تعاود وتصمم ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها وتحصل مقصودها إلا أنْ يدوم صدق المجاهدة حتى تموت عن حظوظها وتسكن أغراضها فيستريح السالك من آفاتها البتة. وأما الشيطان إذا دعا إلى زلة وقبح فخالفته بتركها فهو يوسوس بزلة أخرى

لأن المخالفات عنده سواء. وكل خاطر يكون من الملك فإنه يأمره بالمعروف ويشوقه إلى الفضائل ويزين له كسب الحسنات ويحذره من السيئات يعلم السالك جميع ما يحتاج إليه وكأنه أستاذ الولي وزاجره في ضميره وليس له غرض في تخصيص فعل خير دون آخر.

(واعلم) أن الخواطر هي موازين يحفظ بها الولي بدايته ويخلص بمعرفتها نهايته. والخواطر أربعة: أولها الرباني وهو مصيب أبدًا، وبه تكون الفراسة للمؤمن الكامل والمكاشفة عند السالك الصادق ويرد بثلاثة تجليات بالجلال والجمال والكمال فإذا ورد بالجلال يمحق ويفنى وإذا ورد بالجمال يثبت ويبقى وإذا ورد بالكمال يصلح ويهدى. وللخواطر أربعة موارد، فالخاطر الرباني يرد على الروح والملكى على العقل والنفساني على القلب والشيطاني على الطبع.

(واعلم) أن الخاطر الأول أبدًا لا يكذب، والثاني أبدًا لا يغش، والثالث أبدًا لا يصدق، والرابع أبدًا لا ينصح، وأكثر ما يرد الخاطر الرباني إذا خرج من خلوة أو انفصل عن غيبة أو فكر في حقيقة وهو المفيد للولي في حال الكمال ويهبه الإستقامة والإعتدال ويكون خارقًا للعادة في عالم الغيب والشهادة والملكي يرد واعظًا وآمرًا أو ناهيًا وناصحًا. والنفساني يرد بالكبر والغضب والعجلة والنورانية عند أكل الحرام ومعاشرة اللئـام ومجالسة أهل الجدال والكلام. والشيطاني يرد عند الميل إلى الطبع والفرار من قيود الشرع. ثم الرباني يبلغ منازل المقربين ويكاشف من اختصه الحق بعلوم الأولين والآخرين. والملكي يحض على مقام أهل اليمين ويشوق لمنازل الصالحين. والنفساني يرغب في العاجل ويزهد في الآجل ويدعى في الرتب ويفرد العـلة والسبب ويزدري بأحوال المتقين وينزل بالهوي إلى أسـفل سافلين، والشيطاني يعد بالفقر ويزين الأماني فاتزنوا بميزان الشرع و تبصروا يا إخواني.

وأما الواقعات التي تظهر للسالك بين النوم واليقظة فهو أنه إذا شرع في رياضة النفس تظهر له العبودية في عالم الملك والملكوت وفائدتها في السالك أن يطلع على أحوال النفس من الزيادة والنقصان والرفعة والوجد والشوق إلى المنازل والمقال والدرجات العليا والسفلى والحق والباطل وبها يعرف، أي صفة غالبة عليه من النفسانية والحيوانية والسبعية والقلبية والروحية والملكية والرحمانية فإن كانت مستولية عليه صفة من الصفات المذمومة النفسانية كالحرص والبخل والحقد والكبر والغضب والشهوة فإنها تظهر في الواقعات حيوانات، فإن كانت صفة الحرص غالبة عليه تظهر بصورة الفأرة والنمل، وإن كانت صفة الحقد غالبة فبصورة العقارب والحيات، وإن كانت صفة الكبر غالبة فبصورة الفحل، وإن كانت صفة البهائم غالبة فبصورة الأغنام، وإن كانت الشهوة غالبة فبصورة الحمار، وإن كانت السبعية غالبـة فبصورة السباع، وإن كانت الشيطانية غالبة فبصورة الشياطين والمردة والأباليس

والغيلان، وإن كانت الحيلة والمكر غالبة تتمثل بالأرنب والثعلب. فإن رأى هذه الأشياء يُعلم أن هذه الصفات غالبة عليه فإن رأى الأنهار الجارية الصافية والكواكب والقمر والسماء مُصحية يُعلم أن هذه من الصفات القلبية. وإن رأى الأنوار والصعود والعروج وطيّ الأرض والذهاب إلى السماء والجو وكشف المعاني والعلوم الدينية والإدراكات بلا واسطة الحسّ علم أنها من مقامات الروح. وإن رأى مطالعات الملكوت والهواتف والأفلاك والأنجم والعرش والكرسي علم أنها من الصفات الملكية وحصول الصفات الحميدة. وإن رأى مشاهدات أنوار الغيب ومكاشفات الصفات الإلهية والإلهامات والإشارات والوحي والتحلي لصفات الربوبية علم أنها من مقامات التخلق بأخلاق الرحمن. وبالجملة إن كل صفة كانت غالبة على النفس رآها السالك في صورة تشاكل تلك الصفة.

(واعلم) أنه إذا بلغ مقامًا لا علم له به وانقطع عن السلوك فلا بد له من شيخ إذا كان سلوكه في صفات النفس والقلب. وإذا بلغ المقام الروحاني فلا يمكن عبوره إلا بتصريف صاحب الولاية.

(واعلم) أن الواقعات القلبية والروحية والملكية تكون مع الذوق، ويحصل للنفس منها قوة وشرب وشوق ويظهر لها التنفر عن الخلق ولذة عالم الشهادة ومشتهيات عالم الجسم، ويحصل لها الإستئناس مع المغيبات والعالم الروحاني ولما ينكشف لها عالم الأسرار والحقائق تنقطع بالكلية إلى عالم الغيب ثم بعد ذلك تحصل المشاهدة، وهي أن مرآة القلب إذا صفت بلا اله الا الله وحصلت لها الصقالة وذهب عنها الصدأ تظهر لها أنوار الغيب بحسب الصقالة فتكون أولا كالبرق واللوامع واللوائح ثم كالسراج ثم كالشمع ثم كالمشعل ثم كالكواكب ثم كالهلال ثم كالبدر ثم كالشمس ثم أنوار المجردة، ووصف ذلك يطول ثم من بعدها التجليات ويليها المكاشفات ثم الوصول إلى حقيقة المعرفة.

(واعلم) أن للقوم في قطع مسافة النفس والتوصل إلى الحقيقة طريقين. وهم بحسب ذلك فرقتان فرقة بطريق الجلاء، وهي استعمال الرياضات وتزكية الأخلاق. فهؤلاء إن أخذوا تلك الأعمال عن شرع فهم الصوفية وإلا فهم الإشراقيون من الحكماء الإلهيين؛ وفرقة بالإشتغال بالعلوم والبحث. وهؤلاء إن استندوا إلى شريعة فهم المتكلمون وإلا فهم المشاؤن.

قال أحمد زروق: إن الفريق الأول يقولون: إن النفس في أصل نشأتها كالمرآة صقيلة نظيفة يتجلي فيها كل شيء يقابلها من الماضي الوجود الآتي منه، لكنها معوقة عن ذلك بأحد أمرين إما صدؤها بصور الأكوان شهودًا واعتمادًا وإسنادًا أو انصرافها عن المقصود بالتوجه إلى غيره من العلوم والعمليات وغيرها مما يصرفها عن المقصود بانطباعه فيها فلو انجلت في

الأمر الأول لأبصرت رفع حجابها، ولو توجهت في الثاني لرأت نفي حجابها وما دامت معوقة بأحدهما فهي مصروفة عن المقصود فلا يمكن الوصول إليه. ولذا قال في الحكم: (كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته) انتهى.

وأما الفريق الثاني أهل طريق البحث والاشتغال بالعلوم، فإنهم عالجوا النفس بطريق العلم والعمل وذلك أن ما فيها من الأنوار يتعاضد ويدفع ما يرد عليه من ظلمة وشك وكدرة أصلاً وفرعًا بقوته وقالوا: إن العلم إمام العمل، والعمل تابع له. وقال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يطلب الخير يؤته، ومن يتق الشر يوقه، ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم». فالعلوم التي يحتاج إليها أربعة: علم الذات والصفات، وعلم الفقه والفتوى، وعلم التفسير والحديث، وعلم الحالات والتنزلات وما يجري فيها من الآداب والمعاملات.

◆ بيان السلوك ◆

(وأما السلوك) فقالوا: إن الطريق على ثلاثة أقسام. والناس بحسب اختلاف أحوالهم ثلاثة أقسام، لكل منهم طريق:

فالأول: ذوو الأمزجة الكثيفة والأفهام البعيدة التي يعسر عليها محاولة التعليم ويدق عن إدراكها دقائق التكليم فطريقهم بالعبادة والنسك من كرات الصلات والصوم وتلاوة القرآن والحج والجهاد وغيرها من الأعمال الظاهرة لأن هذه الطائفة لصلابة أبدانها وقوة أركانها وشدة جنانها تتحمل مشاق العبادة ولا تمل منها بل تصير تألفها كالأمور المعتادة. والسالكون بهذه الطريق لا يزالون على هذه المناهج يرقون لأرفع المعارج إلى أن تتلطف منهم الكثائف ويقربون من وطن تنزلات المعارف فحينئذ يكشف لهم نحن سبحات المحبوب ويرون عجائب الغيوب ويتلقون عرائس الأسرار. وهذه الطريق صعيدة جدًا والواصل بها كاد أن يكون فردًا.

والقسم الثاني: ذوو الأفهام اللذوعية والأخلاق السبعية والهياكل النيرانية والنفوس الأبية نحو ذوي المناصب والرتب والمتغلغلين في قيود شهود السبب والذين لا يملكون نفوسهم في حال الغضب فطريقهم المجاهدة والرياضات وتبديل الأخلاق وتزكية النفوس والسعي فيما يتعلق بعمارة الباطن والسالكون بها لا يزالون يتراضون في قلع ما انطبع في نفوسهم من الأخلاق الذميمة إلى أن تذهب تلك الطباع وترجع إلى فطرتها السليمة وملاك الأمر في ذ

ذلك مخالفة ما تَهواه ورفض ما تتمناه إلى أن يستوي عنده الرضا والغضب والراحة والتعب والتنزّل والترقي وعلمها فحينئذٍ قد خلصت النفس من أمراضها غاية الخلوص واستحقت أن يرسم في لوح قبولها حقائق النفوس وهذه الطريق دون التي قبلها في الأحوال والواصلون بها فحول الرجال.

والقسم الثالث: ذوو النفوس الرضية والعقول الزكية والفطرة الصديقة التي أبدان أصحابها في كمال النحافة ونهاية الإعتدال واللطافة، وطريقهم طريق السائرين إلى الله والطائرين إليه وهي طريق أهل المحبة السالكين بالجذبة وملاك السير بها صفاء القلب وصدق الحبّ والتحقق ظاهراً وباطناً جهراً أو سراً بشعائر التصديق فيخرج عن حوله وقوته وعقله وفطنته حتى لو طلب منه بذل المهج لم يوجد له حرج فحينئذٍ ينفخ فيه من روح قاب العيان ويتحقق بقوله: ﴿كل من عليها فان﴾. وهذه الطريق في غاية السهولة بالنسبة لأهل المخطوبين لجمال وصلها فربما وصل السالك بها في نفس فسبق من اندرس وعفا بالمجاهدة.

❖ بيان العزلة ❖

(وأما العزلة) فإنك إذا أردت الوصول إلى الله فاستعن بالله واجلس على بساط الصدق مشاهداً ذاكراً الله، واربط قلبك بالعبودية المحضة على سبيل المعرفة ولازم الذكر والمراقبة والتوبة والإستغفار وقل [الله الله] مثلاً مراقباً لقولك بالتقوى بترك الدفع عن نفسك والجلب لها وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى ﴿أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم﴾ فهذه من الدفع وفي الجلب: ﴿أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ ووصف الذكر أن تذكر بلسانك وتراقب بقلبك فما ورد عليك من خير من الله قبلته وما ورد عليك من ضده كرهته راجعاً إلى الله في الدفع والجلب كما وصف وإياك أن تدفع أو تجلب لنفسك شيئاً إلا بالله فإن خطر في بالك شيء من ذنب أو عيب أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل فبادر إلى التوبة من الجميع. أما الجلوس على بساط الصدق فتحقق أوصافك من الفقر والضعف والعجز والذلة، واجلس عليها ناظراً لأوصافه تعالى من القوة والقدرة والعزة والغنى أوصاف العبودية بأوصاف الربوبية، وقل: "يا غني يا قوي يا قدير يا عزيز، من للفقير غير الغني، من للضعيف غير القوى، من للذليل غير العزيز، من للعاجز غير القدير فاجلسني على بساط الصدق واكسني لباس التقوى الذى هو خير وهو من آياتك واحجبني بعظمتك على كل شيء عن لك واملأ قلبي بمحبتك حتى لا يكون فيه متسع لغيرك إنك على كل شئ قدير".

هذه أسماء النصرة عند الدخول في العزلة فاستمسك بها ولا تعجل في شئ من أمورك وقل بسم الله وبالله ومن الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذه أسماء الرضا وقل لسعة الصدر

مما يرد عليك من الضيق في العزلة: "حسبي الله، آمنتَ بالله، رضيتَ بالله، توكلتَ على الله، لا قوةَ إلا بالله". وقل في بعض مناجاتِك وسؤالك: "يا مَنْ وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم، أسألك الإيمان بحفظك إيمانًا يسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق، وقربني بقدرتك قربًا تمحق كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك، فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوك وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من أغنيته عن منفعة الأحباء، كلا إني أسألك أن تغنيني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني إنك على كل شيء قدير".

(اعلمْ) أن ثمرة العزلة الظفر بمواهب المنة، وهي أربعة: كشف الغطاء وتنزّل الرحمة وتحقق المحبة ولسان الصدق في الكلمة قال الله تعالى ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له. الآية ﴾.

وأما آفاتها في العوام القاصدين إلى الله على سبيل المعرفة والإستقامة في سلوك العلم إلى الله فأربعة أيضًا: تعلق النفس بالأسباب، وركون النفس إلى الجهة المخصوصة من الإكتساب، واكتفاء العقل بما يحصل له من الإقتراب، وخطرات العدو بالأماني الصادة عن المراد. وأما في الخواص فأربعة أيضًا: الإستئناس بالوسواس، والتحدث بالرجوع إلى الناس، والتحديد في الوقت وهو من أمارات الأفلاس، وملاقاة هواتف الحق على زعمه بالمعهود من الحواس. ولكل آفة سبيل في الجهاد بالرد إلى أصل التوحيد والمعرفة والحمل على سبيل الإستقامة.

فإذا عرض لك عارض من جهة التعلق بالأسباب والركون إلى الجهة المخصوصة في الاكتساب فارجعها إلى أصل المعرفة بالسوابق فيما قسم لها أو أجرى لها وقل لها: أتخذت عند الله عهدًا أنك لن ترزقي إلا بهذا السبب أو من هذه الجهة وضيق عليها بالمعرفة وغرقها في بحر التوحيد، وقل: ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن. ولذا قالوا: غرق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرقك.

وإن عرض لك عارض من جهة اكتفاء العقل بما حصل لك من علم أو عمل أو نور أو هدى أو خطاب بنجوى فلا تغفل عن السابقة والخاتمة، ولا بد من فعل الواحد المختار ﴿ يفعل ما يشاء ﴾ ولا يبالي بحسنة المقبل ولا بسيئة المدبر.

وإن عرض لك عارض من خطرات العدو الصادة عن المراد فاثبتْ واستعذْ واصبرْ ﴿ إن الله يحب الصابرين ﴾ لأن المراد بالعبودية المحضة وجود الحق بلا سبب من الخلق فالله تعالى يقتضي منك أن تكون له عبدًا وتحب أنت أن يكون لك ربًا فإذا كنتَ من حيث يرضى كان لك من حيث ترضى ولا يدعك لغيره من الحقائق فكيف بالأماني.

وإذا كنتَ من الخواصّ وعرض لك في معرفتك الوسواس بما يناسبه العلم من طريق الإلهام والكشف من حيث التوهم فلا تقبل وارجع إلى الحقّ المقطوع به من كتاب أو سنة. واعلم أن الذي عارضك لو كان حقًا في نفسه وأعرضت إلى حقٍّ بكتاب الله أو بسنة رسوله لما كان عليك عيب في ذلك لأنك تقول: إن الله قد ضمن لنا العصمة في جانب الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف والإلهام فكيف تقبل ذلك بطريق الإلهام لم تقبله إلا بالعرض على الكتاب والسنة فإذا لم تقبله إلا بهما، فما بالك تأنس بالوسواس واحفظ هذا.

وإنْ عرض لك عارضٌ من التحدث بالرجوع إلى الناس لتعرض عليهم ما أنت فيه فأنت معهم لم تخرج عنهم بشيء ولا تغتر باعتزال بدنك والقلب معهم فاهرب إلى الله فإن من هرب إلى الله آواه الله وحفظه. وصفة الهروب إلى الله بالكراهة لجانبهم والمحبة لجانب الحقِ باللجأ إليه والإعتصام به، ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم ﴾.

وإن عرض لك عارض من التحديد فجاهده بالعوارض الممكنة في العلم الحاصل من ذلك مما يجوز أنْ يكون، واصرف همتك إلى الله بالتقوى كي يجعل لك من ذلك مخرجًا ويرزقك من حيث لا تحتسب. فإن جاذبتك هواتف الحقّ وآفات الإستشهاد بالمحسوسات على الحقائق المغيبات فلا تردوها إلى ذلك فتكون من الجاهلين ولا تدخل في شيء من ذلك بعقلك وكنْ عند ورودها كما كنت قبل ظهورها حتى يتولى الحق بيانها وإيضاحها ويتولى هناك ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾.

◆ بيان الجهاد بالعدو ◆

(وأما الجهاد بالعدو) فمن أراد أنْ لا يكون للشيطان عليه سبيل، فليصحح الإيمان والتوكل والعبودية لله بالفقر واللجأ والإستعاذة. قال تعالى: ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾. وقال: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ وقال: ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ وتصحيح الإيمان بالشكر على النعماء، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، وصحة التوكل بهجران النفس ونسيان الخلق والتعلق بالحق وملازمة الذكر.

وإذا عرض لك عارض يصدك عن الله فاثبت قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل والمسكنة، وأضدادها أوصاف الربوبية، فما لك وما لها، فلازم أوصافك وتعلق بأوصاف الله، فقل في بساط الفقر الحقيقي: "يا غنيّ من للفقر سواك"، وفي بساط العجز: "يا قدير من للعاجز سواك"، وفي بساط الضعف: "يا قوي من للضعيف سواك"،

وفي بساط الذل : "يا عزيز مَنْ للذليل غيرك"، تجدْ الإجابة كأنها طوع يدك ﴿ واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾.

ومن أخلد إلى أرض الشهوات واتبع هواه و لم تساعده نفسه إلى التخلي فعبوديته في أمرين : (أحدهما) معرفة النعم من اللهِ فيما وهب الله له من الإيمان والتوحيد وسائر الإحسان إذا حبّبه إليه وزيّنه في قلبه وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، فتقول: أنعمتَ عليَّ بهذا، وسميتني راشدًا، فكيف أيأس منك وأنت هديتني بفضلك، وإن كنتَ متخلفا فأرجوك أن تقبلني، وإن كنتُ زائغـا فاهدني. (والأمر الثاني) اللجأ والإفتقار دائمًا، فتقول : سلمني ونجني وخلصني وأنقذني فلا طريق لمن غلب عليه الهوى إلا هذا.

وقال الشاذلي رحمه الله: مخازن الشيطان أربعة إما أنْ تجلس متفكرًا فيما يقربك إلى الله فتأتيه أو متفكرًا فيما يبعدك عنه فتجتنبه، وإما أن تجلس متفكرًا فيما سبق من حسن عملك فتشكر أو متفكرًا فيما سبق من عيوبك فتستغفر.

وقال رحمه الله: إذا أردتَ أنْ تغلب العدو فعليك بالإيمان والتوكل وصدق العبودية والاستعاذة باللهِ من نزغاته وقراءة الآيات السابقة.

وقال رحمه الله : إذا اتخذتَ الله وليًا والشيطان عدوًا فقد استرحت.

وقال رحمه الله : أتريد أن يغنيك الله عن الناس حتى يغنى بك من أحبَّ أو توسّل أو دعا أو سأل. قيل : كيف لي بذلك؟ قال: لا تتخذ منهم عدوًا ولا حبيبا، واتخذ الله حبيبا. قيل : كيف بالعداوة في اللهِ والمحبة فيه؟ قال: ذلك بالله لا بالنفس ولا بالحظ فإنْ عاديتَ أو أبغضتَ بالعلم فأعط العلم حقه ولا تتخذ الشيطان وليًا فإذا أحببتَ بالعلم فاصحبه معك ما وافق الطاعة وإن خالف بغضته بالعلم ما دام مع المخالفة فتحبه به وتبغضه لمخالفته له، فتنبه في هذا النوع وكنْ من الشاكرين.

❖ بيان الجهاد بالنفس ❖

(وأما الجهـــاد بالنفس) فإنّ مراكز النفس أربع : مركز الشهوة في المخالفات، ومركز الشهوة في الطاعات، ومركز في الميـــل إلى الراحات، ومركز في العجز عن أداء المفروضات ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ﴾.

قالوا : إذا أردتَ الجهاد بالنفس فاحكمْ عليها بالعلم في كل حركة واضربها بالخوف عند كل خطرة واسجنها في قبضة الله أينما كنتَ واشكُ إلى الله كلما غفلت فهي التي لم تقدروا عليها قد أحاطة الله بها، فإنْ سخرت لك في قبضة ما فحذير أن تذكروا نعمة الله عليكم وتقولوا ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾.

وقال الشاذلي رحمه الله : رأس النفس إرادتها ويداها علمها وعقلها ورجلاها تدبيرها واختيارها. وقال : موت النفس بالعلم والمعرفة والاقتداء بالكتاب والسنة.

وقال : إن من أعظم القربات عند الله مفارقة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلاص منها وما تهوى لما يرجى من حياتها وأن من أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل ما يريد وهو لا يجد في نفسه بعض ما يريد فطالب نفسك بإكرامك لهم ولا تطالبهم بإكرامهم لك ﴿ لا تكلف إلا نفسك ﴾.

وقال : ليس شيء أشد وأشق في العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعاني وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله تعالى وهو موضع الإخلاص والعزيمة على العمل بها وبه يرجى وهو موضع الصدق ونهوض السر عن الدنيا وعن كل شيء سوى المولى وهو موضع النية.

وقال : حاكيا عن أستاذه : الأنفس ثلاثة نفس لم يقع عليها البيع لحريتها ونفس وقع عليها البيع لرقيتها ونفس لم يقع عليها البيع لخسيتها فالتي لم يقع عليها البيع لحريتها أنفس الأنبياء والتي لرقيتها أنفس المومنين والتي لخسيتها أنفس الكفار.

قال : قلت للأستاذ : فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تقدم منهما الشرك قال : هما على الحرية وإنما هما كمن أسر وهو حر.

وقال : قد أيست من منفعة نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من منفعة غيري لنفسي رجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي.

وقال : يا عبد الله انتزع من محادثة النفس وإرادة الشيطان وطاعة الهوى وحركة الزمني تكن صالحا واتق في الخطرة والهمة والفكرة وحركة السر تكن صديقا وإن تكرر عليك شيء من ذلك فاهجر الأسباب والأوطان والإخوان ومواقع الفتن تكن مهاجرا وإن وقعت شيئا من ذلك فتب إلى الله واستغفر والجأ إليه واستعذ به تكن مومنا، واتخذ الطهارة والصوم والصلاة والصبر والتلاوة والذكر والتبري من الحول والقوة تكن سالما وإن غلبت فاتخذ الإيمان حصنا وإن دخل عليك فسلم الأمر وعليك بالتوحيد والإيمان والمعرفة والمحبة لله.

وقال : سألت أستاذي عن قول النبي ﷺ المومن لا يذل نفسه قال : هواه وقال يوصف بالبخل والذم من منع لأجل شيء من هذه الأوصاف خوف الفقر وسوء الظن والاحتقار لحرمة المومنين وإيثار النفس والهوى. وقال : أرحم الناس بالناس عبد يرحم من لا يرحم نفسه.

وقال : هل تدري ما علاج من انقطع عن المعاملات ولم يتحقق بحقائق المشاهدات علاجه أربع : طرح النفس على الله طرحا لا يصحبه الحول والقوة والتسليم لأمر الله تسليما

لا يصحبه الاختيار مع الله هذان العلاجان باطنان وفي الظاهر منع الجوارح عن المخالفات والقيام بحقوق الواجبات ثم يقعد على بساط الذكر بالإنقطاع إلى الله عن كل شيء سواه ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾.

◆ بيان الإجتناب عن المعصية ◆

(وأما الإجتناب عن المعصية) فمن أراد أن لا يضره ذنب فليقل: أعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك، وأعوذ بك من عاجل العذاب ومن سوء الحساب، فإنك لسريع العقاب وإنك لغفور الرحيم رب إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا فاغفر لي وتب علي ﴿ لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾.

وإذا أردت أن لا يقسو لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قول [سبحان الله العظيم، لا إله إلا الله، اللهم ثبت علمها في قلبي واغفر لي ذنبي واغفر للمؤمنين والمؤمنات، وقل الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى].

وقال: من فارق المعاصي في ظاهره ونبذ حب الدنيا من باطنه ولزم حفظ جوارحه ومراعاة سره أتته زوائد من ربه ووكل به حارسا يحرسه من عنده وجمعه في ستره وأخذ الله بيده خفضا ورفعا في جميع أموره والزوائد من العلم واليقين والمعرفة.

وقال: رأيت النبي ﷺ يقول: هدى للسنة من آمن بالله واليوم الآخر وأعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة خرة وعزم أن لا يعصى الله، وإن عصاه استغفر وتاب وأناب فقلت ما تاب وأناب فقال: تاب من معصية الله وأناب إلى طاعته.

وقال: إذا أردت خير الدنيا والآخرة وكرامة المغفرة والرحمة والنجاة من النار والدخول في الجنة فاهجر المعصية وأحسن بمجاورة أمر الله واعتصم واستعن بالله واستغفر الله وتوكل على الله ﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾. قال له القائل: اشرح لي كيف أتوكل على الله وأعتصم واستعين به. قال: من تعلق بشيء سواه او استند إليه أو توكل أو اعتمد عليه فليس بمتوكل فالتوكل وقوع القلب والنفس والعقل والروح والسر والأجزاء الظاهرة والباطنة على الله دون شيء سواه والإعتصام بالله التمسك به واللجأ إليه والاضطرار له فاحذر في الإعتصام أن ترى قدرة أو إرادة أو حكما أو أثرا على شيء أو في شيء أو من شيء أو لشيء.

◆ بيان الاستعانة بالله ◆

(وأما الإستعانة بالله) فأن لا تتخذ العلم سببا ولا المسبب إليه سببا ولا الأول والآخر وغرق الكل في العلم والقدرة والإرادة والكلمة كما غرقوا الدنيا والآخرة في السابقة والسابقة في الحكم، والحكم في العلم.

❖ بيان الهجْر للمعصية ❖

(وأما الهجر للمعصية) فاهجرْ حتى تنسى وحقيقة الهجرُ نسيان المُجُور وهذا في صورة الكمال فإنْ لم تكنْ كذلك فاهجرْ على المكابَدة والمجاهـدة ﴿ فإن الله لا يضيع أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً ﴾.

❖ بيان حُسْن مجاورَة أمْر الله ❖

(وأما حسْنَ مجاورة أمْرِ الله) فبالذِكْر والفِكْر والحِفْظ والمبادرَة والتفقه لأمْر الله وإذا عارَضكَ ذنب أو نقص أو سَهْوٌ أو غَفْلة فاستغفرْ الله من ظلمك لنفسك ومن سوء عملك بعظيم جهلك ﴿ ومَن يَعمل سُوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا ﴾.

❖ بيان الخلاص من الدنيا ومَا فيها ❖

(وأما الخلاص من الدنيـا ومَا فيها) فاعلَمْ أنَ مَنْ أخذ من الدنيا حلالاً بشَرط الأدب سلم قلبه من الكبير ومن نار الحجب.

والأدبُ فيه نوعان : أدب السنة وأدب المعرفة، فأدب السنة الأخذ بالعِلْم على سبيل القصد وحُسْن النية لِله. وأدب المعرفة مُصحوب بالإِذْنِ والأمْر والقَول والإشارةِ الثابتة من الله تعالى فالإشارة تفهيم من اللهِ لعبده من نور جماله وجلاله. قال الشاذلي : الهي إنَ الدنيا حقيرة، حقير ما فيها إلاّ ذكر الله. والآخرة كريمة، كريم مَا فيها، وأنتَ الذي حقرت الحقير وكرمتَ الكريم فكيف يكون كريمًا من طلب غيرك أم كيف يكون زاهدًا من اختار الدنيا معَك فحققني بحقائق الزهد حتى أستغني عن طلب غيرك ومَعرفتك حتى لا احتاج إلى طلبك الهي كيف يصل إليكَ من طلبك أمْ كيف يفوتك من هرَب منك فاطلبني برحمتِكَ ولا تطلبني بنقمتك يا رحيم يا منتقم إنك على كل شئ قدير.

وقال : لا كبيرة عندنا إلا في اثنين حبّ الدنيا بالإيثار والمقام على الجهل بالرِضا، لأن حبّ الدنيا رأس كل كبيرة، والمقام على الجهل أصْلُ كلّ معصية.

وقال : لأنْ يغنيك الله عن الدنيا خيرٌ من أنْ يغنيك بها، فوالله ما استغنَى بها أحد قط وكيف يستغني بها بعد قوله تعالى ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾.

وقـال : دخل عليّ شخص وأنا بالمغرب في معـارة، فقال لي قيل : عندك الكيمياء فعلمني، فقلتُ له : أعلمها لك ولا أغادرك منها حرفًا إن كنتَ قابلاً وما أراك قابلاً فقال : أي والله أقبل فقلتُ له أسقط الخلق من قلبك واقطع الطمعَ من ربك أنْ يعطيك غير ما سبق لك قال لي ما أطيق هذا فقلتُ له ألم أقلْ لك انك لا تقبل انصرفْ.

وقال : أربعـة أشياء كنْ بها وادخلْ مَتى شئت : لا تتخذ من الكافرين وليًا ولا من

المؤمنين عدواً، وارتحل بقلبك عن الدنيـا وعدّ نفسك في الموتى، واشهد لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة وحسبك عملاً، وقل آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسُله وبالقدر كله لا نفرق بين أحد من رسُله ونقول كما قالوا : ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾.

من كان بهذه الأربعة ضمن الله له أربعة في الدنيا وأربعة في الآخرة. أما في الدنيا فالصدق في القول والإخلاص في العمل والرزق كالمطر والوقاية من الشر، وفي الآخرة المغفرة العظمى والقربة الزلفى ودخول جنة المأوى واللحوق بالدرجة العليا ثم أربعة في الدين الدخول على الله والمجالسة معه والسلام منه ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾.

وإذا أردتَ الصدق في القول فأعن نفسك بقراءة ﴿ إنا أنزلناه ﴾، وإن أردتَ الإخلاص في العمل فأعن نفسك بقراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾، وإن أردتَ السعة في الرزق فأعن نفسك بقراءة ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾.

وقال : رأيتُ النبيّ ﷺ يقول : أربعة ليس معهن من الفقه لا قليل ولا كثير: حبّ الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر والناس.

وقال : أخسّ النـاس منزلة من بخل بالدنيا على مَنْ لا يستحقها، فكيف بمن بخل بها على مستحقها.

وقال : رأيتُ كأني في المحل الأعلى فقلتُ يا الله أيّ الأحوال أحبّ إليك وأيّ الأقوال أصدق لديك وأيّ الأعمال أدل على محبتك فوفقني واهدني، فقيل لي : أحب الأحوال إلي الرضا بالمشاهدة، وأصدق الأقوال لدي قول لا إله إلا الله على النظافة، وأدل الأعمال على محبتي بغض الدنيا واليأس من أهلها مع الموافقة.

وقال : انتزع عن حبّ الدنيا بالإيثار، وعن المعصية بترك الإصرار، وداوم على مسئلة الرحمة اللدنية واستعن بها على الفعلية ولا تعلق قلبك بشيء تكن من الراسخين في العـلم الذين لا يغيب عنهم سر ولا علم فإن خطر بقلبك خطرات المعصية والدنيـا فألقها تحت قدميك حقارة وزهداً إملأ قلبك علماً ورشداً ولا تتشوف لهـا فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها ثمّ لا بد من معانقتها إما بالهمة والفكرة أو بالإرادة والحركة فعند ذلك يتحير اللبّ ويكون ﴿ كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ ولا هدى إلا لمن اتقى، ولا تقوى إلا لمن أعرض عن الدنيا، وما أعرض عن الدنيا إلا من هانت عليه نفسه، ولا تهون النفس إلا على من عرفها، ولا يعرفها إلا من عرف الله، ولا يعـرف الله إلا من أحبه، ولا يحب الله إلا من اصطفاه الله واجتباه، وحال بين نفسه وهواه. وقل : يا الله يا قدير يا مريد يا عزيز يا حكيم يا حميد يا

رب يا ملك يا موجود يا هادي يا منعم، هب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب وأنعم على عبدك بنعمة الدين وبنعمة الهداية إلى صراط مستقيم ﴿ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ بحرمة هذا الإسم الأعظم. آمين.

وقال: إذا توجهت إلى شيء من عمل الدنيا والآخرة فقل: يا قوي يا عزيز يا عليم يا قدير يا سميع يا بصير. وقال: إذا ورد عليك مزيد من الدنيا والآخرة فقل ﴿ حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾.

وقال: رأيت الصديق ﷺ في النوم، فقال لي: هل تدرى ما علامة خروج حب الدنيا من القلب، قلت: ما هو؟ قال: تركها عند الوجود ووجدان الراحة منها عند الفقد فالدنيا التي لا حساب عليها في الآجل ولا حجاب معها في العاجل هي التي لا إرادة لصاحبها فيها قبل وجودها ولا له معها وقت وجودها ولا أسف عليها عند فقدها والحر الكريم من يأخذها منه على المواجهة ويدعها به على المواجهة لا أثر ولا غبار في قلبه فتفكر.

◆ بيان المصائب ◆

(وأما المصائب) فاعلم أن المغبون في الدنيا والآخرة من أصحب مصائب الأجور بمصائب الثبور والرضا عن الله ثوابه الرضا من الله فمن يرض عن الله يرض الله عنه ومن يسخط عن الله يسخط الله عنه. قال الله تعالى ﴿كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾.

وقال الشاذلي: حكم السخط إرادة ما لم يرد الله بالحكم. وقال: من آمن بالقسمة حرم عليه أن ينازع في الحكم. وقال: كل مصيبة ترجى ثوابها ولا يخاف عقابها فليست بمصيبة، إنما المصيبة من لا يرجي ثوابها ويخاف عقابها.

وقال: قل على كل مصيبة نزلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها. قال فالقي إلي أن أقول: واغفر لي سيئها وما كان من توابعها والمتصل بها وما هو محشو فيها وكل شيء كان قبلها وما يكون بعدها. فقلتها فهانت علي، فلو أن الدنيا كلها كانت لي في ذلك الوقت وأصبت فيها لهانت علي وكان ما وجدت من برد الرضا والتسليم أحب إلي من ذلك كله.

وقال: رأيت في النوم صائحا يصيح من جو السماء: إنما تساق لرزقك أو لأجلك أو لما يقضي الله به عليك أو بك أو لك وهي خمسة لا سادس لها فاتقوا الله أينما كنت ولا تعدل بالتقوى شيئا فإن العافية للمتقين والله يحب المتقين، فبحق يحبهم ويحبونه ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾. أعوذ بالله من سوء القضاء ومن جزع النفس عند ورود البلاء ومن الفرح والحزن والهم والغم في الشدة والرخاء.

◆ بيان الشرّ ◆

(وأما الشرّ) فأصوله ستة: استبدال إرادة الخير بإرادة الشرّ، واستبدال التعلّق بالله بالتعلّق بمخلوق دون الله، واستبدال حسن الظن بالله وكرمه بسوء الظن بالله ورسوله، وكمون الدعوى وحبّ الدنيا ومتابعة الهوى.

قال الشاذلي: حصون القلب من الشرّ أربعة: ارتباط القلب مع الله وبغض الدنيا وأن لا تنظر بعينك إلى ما حرّم الله وأن لا تنقل قدميك حيث لا ترجو ثواب الله.

وقال الصلاح: أسهل شيء لمن يسره الله إليه أن لا تعلم في نفسك إرادة من الشرّ وأنت من الصالحين.

وقال: رأيت جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة من أجناد هذا الوقت فجعلت أنظر تارة إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء فخرج إليّ واحد من أصحاب رسول الله فقال: أليس في ذكر أصحاب رسول رسول الله ﷺ وأعمالهم ما يكفيك عن ذكر هؤلاء وأفعالهم لكن همّ الرزق وخوف الخلق ونصرة النفس وإرادة الشرّ واتباع الهوى قطع الخير كله ونصرة النفس إجابتها إلى محابها.

وقال: إذا اردت أن تغلب الشرّ كله وتلحق الخير كله ولا يسبقك سابق وإن عمل ما عمل فقل: يا من له الأمر كله وبيده الخير كله أسألك الخير كله وأعوذ بك من الشرّ كله فإنك أنت الله الغني الغفور الرحيم. أسألك بالهادي محمد رسول الله ﷺ إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور مغفرة تشرح بها صدري وتضع بها وزري وترفع بها ذكري وتيسر بها أمري وتبرئ به فكري وتقدس بها سري وتكشف بها ضري وترفع بها قدري إنك على كل شيء قدير.

◆ بيان العقوبات ◆

(وأما العقوبات) فاعلم أنها أربع: عقوبة بالعذاب، وعقوبة بالهلاك، وعقوبة بالإمساك، وعقوبة بالحجاب. فعقوبة العذاب من جهة المحرّمات، وعقوبة الهلاك تكون من جهة الإستعجال في المطلوب والقلق، فربما يدل له ذلك فيهلك، وعقوبة الإمساك تكون من جهة المراكنات، وعقوبة الحجاب هي لأهل الطاعة فتكون من سوء الأدب.

وقال الشاذلي: قال الله تعالى لا تحجب بالفضل عن المتفضل، قلت: يا ربّ كيف هذا قال: اعلم أنه سبق وجودك ووجود عليك وشكر عملك وسبق وجودك ما ظهر تفضله عليك فإن كنت بالفضل فأنت محجوب بالفضل عن المتفضل وإن كنت عنده وبه فلا سابق ومسبوق وان كنت شاهدًا من وجودك إلى وجوده فأنت محجوب بالعلم.

وقال: لا يكون حظك من دعائك الفرح بقضاءِ حاجاتك دون الفرح بمناجاة محبوبك فتكون من المحجوبين.

❖ بيان الشفاعة ❖

(أما الشفاعة) فاعلم أن الشفاعة انصباب النور على جوهر النبوةِ فتنبسط من جوهر النبوة إلى الأنبياءِ والأولياء وتندفع الأنوار من الأنبياءِ والأولياءِ إلى الخلق.

وقال الشاذلي لرجل قد أحاط به الهم والغم حتى كاد يمنعه من الأكل والشرب والنوم: يا ابن فلان اسكن لقضاءِ الله وعلّق قلبك باللهِ ولا تيأسن من روح الله وانتظر الفرجَ وإياك والشركَ باللهِ والنفاق مع رسول الله ﷺ وسوء الظن فإنها موجبات لدوائر السَوء من اللهِ وغضبه ولعنته واعداده ناره وأعدَّ لهم جهنمَ وساءت مصيراً، فعليك بحسن الحياءِ. قال: فرأيته في المنام أسيرًا مربوطًا بين يدي رسول الله ﷺ وهو يتلو: ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرَى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم، وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبلُ فأمكن منهم والله عليم حكيم ﴾. فقلتَ: بما النفاق مع الرسول ﷺ؟ قال: التظاهر بالسنة، والله يعلم منكم غير ذلك. قلتَ: وبما الشرك بالله؟ قال: اتخاذ الأولياء والشفعاء دون اللهِ، ﴿ ما لكم من دونه من وليٍ ولا شفيع أفلا تتذكرون، أم اتخذوا من دون الله شفعاءَ قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ﴾.

وقال ﷺ: اشفعوا تؤجروا في حقٍ بحقٍ حيث أمركم الله ورسوله بحق وقد بيّن ذلك حق البيان بقوله يؤجروا أن من شفع في المعصية أو في طلب الجاهِ والمنزلة أو في طلب الدنيا بالرغبة لا يؤجر بل يعذب على ذلك ويتوب الله على من يشاء وقلت فما سوء الظن باللهِ. قال من رجا غير الله واستنصر بغير الله فقد ساء ظنه بالله ﴿ من كان يظن أن لا ينصرَ الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسببٍ إلى السماءِ ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾.

❖ بيان القبض والبسط ❖

(وأما القبض والبسط) أنهما يتعاقبان كتعاقب الليـــل والنهار والعبد قلما يخلو منهما والحق يقتضي منك العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو أن يعلم بسببه أولاً.

وأسباب القبض ثلاثة ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك أو ظالم يؤذيك في مالِك أو نفسك أو عرضك أو عيالك أو جاهك أو دينك أو غير ذلك، فإن ورد شيء من هذه الأسباب فالعبودية أن ترجع إلى الشـــرع. أما في الذنب فبالتوبةِ والإنابة وطلب الإقالة وأما فيما ذهب عنك أو نقص لك فبالتسليم والرضا والاحتساب. وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبرِ والسكون والثبات، فاحذر أن تظلم نفسك فتنتصر لها فتفدى الحق في حق

الظالم فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك، فإنْ فعلتَ ما ألزمت به من الصبر والإحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فيجاب دعوتك فتلك درجة الصديقين والرحماء وتوكل على الله. وأما إذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سبباً فالوقت وقتان ليل ونهار، فالقبض أشبه شيء بالليل والبسط أشبه شيء بالنهار. فإذا ورد عليك القبض بغير سبب فالواجب عليك السكون وهو عن ثلاثة أشياء عن الأقوال والحركات والإرادات فإذا فعلتَ ففي قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك أو يبدو لك نجم تهتدي به أو قمر تستضيء به أو شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة، وإن تحركت في ظلم ليلك فقل سلّمنا تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ﴿ومن رحمته جعل لكم الليلَ والنهار﴾ الآية. فهذا حكم العبودية في القبضين.

وأما من كان وقته البسط فلا يخلو إما أن يعلم له سبباً أو لا فالأسباب ثلاثة أيضا. (الأول) زيادة الطاعة أو نوال من المطاع كالعلم والمعرفة. (والثاني) زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة. (والثالث) المدح والثناء من الناس وإقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك وأنواع تعظيمك.

فإذا ورد عليك شيء من هذه الأسباب فالعبودية تقتضي أن ترى النعمة والمنة عليك من الله في الطاعة والتوفيق فيها وتيسير أسبابها واحذر أن ترى شيئا منها من نفسك وحقها أن يلازمك خوف السلب فتكون مفتونا هذا في جانب الطاعة والنوال من الله. وأما الزيادة من الدنيا فهي نعم كالأولى وخف مما بطن من آفاتها وغوائلها وتصريفها وجهة كسبها إلى غير ذلك من الواجبات والمندوبات والمحرمات. وأما مدح الناس وسائر تعظيماتهم فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر عليك وخف من الله أن يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس إليك. وأما البسط الذي تعرف له سببا فحق العبودية ترك السؤال والادلال والصولة على النساء والرجال.

(اعلم) أن الفقد والوجد متعاقبان علينا كتعاقب الليل والنهار ومدار هذا الأمر على أربعة كن شاكرا لأنعم الله إذا وجدت، وراضيا عن الله إذا فقدت، وباذلاً للفضل إذا نلت، ومسلما وجهك إلى الله في كل أمر إذا اهتديت. ﴿فإنْ حاجوك فقل أسلمتُ وجهي لله إلى الله﴾ الآية. ولا تكن عابداً مكابدا ولا زاهدا معاندا ولا عاصيا متمرداً ولا مفتريا جاحدا، فإن حصلت بالأربعة الأول فقد دخلت في ثناء الله بقوله ﴿شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾.

❖ بيان الإقتداء ❖

(وأما الإقتداء) فقالوا عشرة أشياء عظيمة فاحتفظ بها إذا رأيت رجلا يدعي حالاً مع

الله يخرجه عن أمر الشرع فلا تقربن منه ولا ترج فلاحه وإذا رأيت رجلاً يسكن إلى الرياضة والتعظيم فلا تقربن منه واقطع بعدم فلاحه أبداً وإذا رأيت فقيراً عاد إلى الدنيا فلو مت جوعاً فلا تقربن منه ولا تركنن إلى مرافقته فإن رافقته قسا قلبك أربعين صباحاً وإذا رأيت رجلاً يستغني بعلمه فلا تأمنن جهله وإذا رأيت رجلاً يرضى عن نفسه ويسكن إلى وقته فاتهمه في دينه واحذره أشد الحذر وإذا رأيت رجلاً مريداً يسمع القضيب والملاهي ويميل إلى الراحة فلا ترج فلاحه وإذا رأيت فقيراً لا يحضر عند السماع بل يغفل ويشتهي فاعلم أنه قد حرم بركات ذلك بتشويش باطنه وتبديد فهمه.

وقال الشاذلي ﷺ : رأيت رسول الله ﷺ، فقلت : يا رسول الله، ما حقيقة المتابعة، فقال: رؤية المتبوع عند كل شيء ومع كل شيء وفي كل شيء. وقال: ليس الرجل الكامل من حي في نفسه إنما الرجل الكامل من يحيى به غيره. وقال: كل شيخ لم تصل إليك الفوائد منه من وراء حجاب فليس بشيخ. وقال: من دعا إلى الله بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعة. وقال: ثلاثة لا تدعي وواحدة لا تزدري اقتداء فيهن بالنبي ﷺ ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً ﴾.

◆ بيان آداب المجالسة والحضرة ◆

(وأما آداب المجالسة والحضرة) فقالوا: إن آداب مجالسة الأولياء والأكابر أربع، (الأول) التجنب عن أضدادهم والميل والمحبة والتصديق لهم (والثاني) إلقاء السلم بين أيديهم وترك ما يهوى لما يهوون. (والثالث) إيثار أقوالهم وأفعالهم وترك التجسس عن حالهم وعقائدهم. (والرابع) تعلق الهمة بما تعلقت به هممهم بشرط الموافقة في جميع أفعالهم.

وآداب الحضرة ثلاثة: دوام النظر وإلقاء السمع والتوطين لما يرد من الحكم.

وقال الشاذلي: إذا جالست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة إما أن تفيدهم أو تستفيد منهم وذلك غاية الربح منهم وإذا جالست العباد والزهاد فاجلس معهم على الزهد والعبادة وحل لهم ما استمروه وخوفهم من المعرفة ما لم يذوقوه وإذا جالست الصديقين ففارق ما تعلم ولا تنتسب لما تعلم تظفر بالعلم المكنون وبفوائد أجرها غير ممنون.

وقال: أربعة آداب إذا خلا الفقير المتجرد منها فاجعله والتراب سواء الرحمة للأصاغر والحرمة للأكابر والإنصاف من النفس وترك الإنتصاف لها. وأربعة آداب إذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأ به، وإن كان أعلم أهل البرية: مجانبة الظلمة، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة أهل الفاقة، ومواظبة الجماعة.

◆ بيان آداب السؤال والطلب ◆

(وأما السؤال والطلب) فقالوا : مثال السائل ثلاثة : سائل يسأل عن التصديق بتحقيق القرب، وسائل يسأل عن عين التحقيق برفع الحجاب، وسائل يسأل عن النيابة بالفناء من نفسه.

وقال الشاذلي : إذا سألت فاسأل الله فإن أعطاك فاشكره وإن منعك فارض عنه وإياك وكزازة النفس وسوء الظن وغلبة الشهوات فتحرم المحبة والمعرفة والرضا والمغفرة وتحجب عن الله وتطرد عن المحل الأعلى إلى أسفل من ذلك، ولست تدرى أين يرميك من حدود أسفل سافلين. وقال : أفضل ما يسأل العبد خيرات الدين وفي خيرات الدين خيرات الآخرة وفي خيرات الآخرة خيرات الدنيا وفي خيرات الدنيا خصائص الأولياء. وخصائص الأولياء أربعة أوصاف العبودية ونعوت الربوبية والأشراف على ما كان ويكون والدخول على الله في كل يوم سبعين مرة والخروج كذلك فتكسى كل مرة حللاً من الأنوار والتقريب.

وقال : إذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله قبل أن ترفعها لأحد منهم فإن قضاها لك فاشكره واشكرهم وإن لم يقضها لك منهم فارض عن الله ولا تنسب شيئا لأحد منهم ولا تذم أحداً إلا بما ذمه الله ولا تمدحه إلا بما مدحه الله وإلا فامسك فهو أسلم لك وأهيأ للرضا من الله عنك، واعبد الله باليقين ترفع في الدرجات العلي وإن قل عملك. وقال : أخس الناس منزلة عند الله من جعل دينه سبباً لقضاء حوائجه. وقال : إذا كانت لك حاجة وأردت أن تقضي فأثبت الملك والقدرة والعلم والإرادة والمشيئة لله تعالى، واجعل فقرك إليه وحاجتك عنده واحذر أن تمر بصر قلبك إلى غير الله فتحجب عنه بل فوض إليه ولا تفرح ولا تحزن ولا تخف ولا ترج ولا تذل والمؤمن لا يذل نفسه، وقل : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

◆ بيان النية والإستخارة ◆

(وأما النية والإستخارة) فقالوا : حقيقة النية عدم غير المنوي عند الدخول، وكمالها الإستصحاب إلى التمام، فمحل النية القلب ووقتها عند افتتاح الأعمال، وكيفيتها ارتباط القلب مع الجوارح. ومبنى النية أربعة : القصد والعـزم والإرادة والمشيئة، كل ذلك بمعنى واحد. وللنية صورتان توجه القلب بحسن التيقظ فيه، والإخلاص في العمل لله ابتغاء ما عنده من الأجر والرضا.

وقال الشاذلي : في قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » فقال : إن للنية محلاً ووقتاً وكيفية ومعنى، فنسألك الصفاء بمحلاتها والتوفيق لأوقاتها والعصمة في كيفياتها والتحقيق

لمعانيها، ونسألك صحّة العَقْد وحسن القَصْد وإرادة الوجه والتعظيم لحقّ الربوبية وإلزام النفس صفة العبودية.

وقال في قوله ﷺ: «من حَسُنَتْ نيّته حَسُنَ عمله، فحسّن نيّتك فيما بينك وبين الله بتوجه القلب بالتعظيم لله والتعظيم لما به أمر الله، وفيما بينك وبين العباد بتوجه النفوس بالنصيحة لهم مع القيام بحقوقهم وترك الحظوظ ونبذ العوارض مع الصبر لله والتوكل عليه.

وقالوا: الإستخارة لازمة عند كل أمر على كل مريد بكل خيار فلا يستخار إلّا بأمين وكم عبد أمين على الأموال غير أمين على الفروج، وربّ عبد أمين على الفروج غير أمين على الأخلاق، وربّ عبد أمين على الأخلاق غير أمين على الأحوال، وربّ عبد أمين على الأحوال غير أمين على الدين والأمين على الدين هو الآخذ عن الله ببصيرة اليقين والإشراف على الأحوال كلها وعواقب الأمور في الدنيا والآخرة.

❖ بيان الأعمال والأوراد ❖

(وأما الأعمال والأوراد) فقالوا: مدار الأعمال على أربعة: المحبة والإخلاص والحياء والإيمان، فالمحبة بالخوف، والإخلاص بالعلم، والحياء بالتعظيم، والإيمان بالصدق. وقالوا: أفضل الأعمال أربعة بعد أربعة: المحبة لله والرضاء بقضاء الله والزهد في الدنيا والتوكل على الله والقيام بفرائض الله والإجتناب لمحارم الله والصمت عما لا يعني والورع عن كل ما يلهي.

وقال الشاذلي ﷺ: اللهمّ إني أسألك حسن اللبّ ودوام الذكر والفكر واللجا والإفتقار إليك والدعاء لك والإستجابة منك والثقة بك والتوكل عليك والزهد الواقع على الزاد القاطع والمحبة والرضا، هذه أعمال الصدّيقين في بداية أمورهم. وقالوا: أوراد الصادقين عشرون: الصوم والصلاة والذكر والتلاوة وحفظ الجوارح وذبّ النفس عن الشهوات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أصول أربعة: الزهد في الدنيا والتوكل على الله والرضا بقضاء الله والحبّ الصافي على مبان أربعة: الإيمان والتوحيد وصدق النية وعلوّ الهمم. ومن لم يكن فيه أربعة خصال فلا ترج له فلاحا العلم والورع والخشية لله والتواضع لعباد الله.

وقال الشاذلي حاكيا عن أستاذه رضي الله عنهما: عبادة الصدّيقين عشرون: كلوا واشربوا والبسوا وانكحوا واسكنوا وضعوا كل شيء حيث أمركم الله، ولا تسرفوا واعبدوا الله واشكروه، وعليكم بكفّ الأذى وحمل الأذى وبذل الندى فإنما نصف العقل والنصف الثاني أداء الفرائض واجتناب المحارم والرضا بالقضاء وإن عبادة الله التفكر في أمر الله والمشقة في دين الله فهو رأس العبادة والزهد في الدنيا ورأسها التوكل على الله فهذه عبادة الأصحاء وإن كنتم مرضى فاستشفوا واسترقوا بالعلماء واختاروا منهم الأتقياء الهداة المتوكلين على الله.

وقال : سألتُ من أستاذي عن وِرْدِ المحقِّقين فقال: عليك بإسقاط الهوَى ومحبّة المولى وأبتّ المحبة أن تستعمل محبًا لغير محبوبه. وقال حاكيا عن رجلٍ سأل أستاذه عن وظائف وأوراد فغضب منه الأستاذ وقال أرسول أنا فأوجب الواجبات، الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة، فكن للفرائض حافظًا وللمعاصي رافضا واحتفظ من إرادة الدنيا وحبّ النساء وحبّ الجاه وإيثار الشهوات واقنع من ذلك كله بما قسم الله تعالى لك إذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله شاكرا وإذا خرج مخرج السخط فكن عنه صابرا وحبّ الله قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لأنواع الكرامات وحصونُ ذلك كله أربعة : صدق الورع وحسن النية وإخلاص العمل وصحبة العِلم، ولا تتم لك هذه إلا بصحبة أخ صالح وشيخ ناصح.

وقال حاكيا عن أستاذه : إنه سمعه يقول لرجل استأذنه في المجاهدة لنفسه فأجاب بقوله ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾. الآية.

❖ بيان العبّاد والزهاد ❖

(وأما العباد والزهاد) فإنهم بنوا أمرهم على عشرة أصولٍ : الصوم والصلاة والذِكر والتلاوة والدعاء والإستغفار والتضرّع والبكاء واعتزال الناس وتحصيل القوت من حلال وبساطهم الفكر. والزهاد يزيدون عليهم بأربعة أوصافٍ : بالزهد في الدنيا عموما وفي الناس خصوصا وبكشف الغيب الملكوتي والتحيز للأحوال ومقامات الرجال وبساطهم الفكر.

❖ بيان الأولياء ❖

(وأما الأولياء) فلهم درجات بسط في العلم والمعرفة والنور والمحبّة والتوحيد واليقين وكشف الغيب والرسوخ فيه والتحقق بالفناء وبآثار أنواع البقاء وبساطهم المحبة الفرعية.

❖ بيان الصدّيقين ❖

(وأما الصديقون) فلهم في بدايتهم خمسة أحوال : علوّ الوجود عن أسرارهم وكشف أمر الدين لأرواحهم ومراقبة القلوب ومراعاة العقول وحفظ النفوس. وأما الخمسة التي في نهايتهم فالتحقيق في المحبة والكشف والصمت والثبات في الخلة والاتصاف بالبقاء وبساطهم المحبة الأصلية

❖ بيان الطاعات ❖

(وأما الطاعات) فقالوا : لا تؤخر طاعة وقت لوقتٍ فتعاقب بفوتها أو بفوت غيرها أو مثلها جزاءً لما كفر من ذلك الوقتِ، فإن لكل وقتٍ سهما في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية.

وقال الشاذلي : قيل لي مرة ما الذي استفدتَ من طاعتي وما الذي استفدتَ من معصيتي فقلتُ استفدتُ من الطاعة العلم الزائد والنور النافذ والمحبة ومن المعصية الغمّ والحزن والخوف

وعدم الرضا. وقال في الأخبار: من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء قال كأنه يقول: من أطاعني في كل شيء بهجرانه لكل شيء أطعته في كل شيء بأن أتجلى له في كل شيء حتى يراني كأني في هذه الطاعة والمشاهدة في حق العوام من الصالحين.

❖ بيان الخواص ❖

(وأما الخواص من الصديقين) فطاعتهم باليأس منهم بإقبالهم على كل شيء لحسن إرادة مولاهم في كل شيء فكأنه يقول: من أطاعني بكل شيء بإقباله على كل شيء لحسن إرادتي في كل شيء أطعته في كل شيء بأن أتجلى له عند كل شيء حتى يراني أقرب إليه من كل شيء.

وقال: عليك بالمطهرات الخمس في الأقوال والمطهرات الخمس في الأفعال والتبري من الحول والقوة في جميع الأحوال وغص بعقلك إلى المعاني القائمة بالقلب واخرج عنها وعنه إلى الرب واحفظ الله يحفظك وتجده أمامك واعبد الله بها وكن من الشاكرين. فالمطهرات الخمس في الأقوال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. والمطهرات الخمس في الأفعال الصلوات الخمس والتبري من الحول والقوة وهو قولك لا حول ولا قوة إلا بالله.

❖ بيان العزة والخلوة ❖

(وأما العزة والخلوة) فقالوا: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، فعزة المؤمن أن يمنعه الله من التعبد للنفس والهوى والشيطان والدنيا أو لشيء من المكنونات في الغيب والشهادة والدنيا والآخرة. والمنافق لا يعلم العزة إلا من الأسباب والتعبد للأرباب ﴿ أإله مع الله تعالى الله عما يشركون، أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ﴾.

(وقال الشاذلي) من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا هذا يومين قيل كيف لي بذلك قال فرق الأصنام عن قلبك وأرح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت فإن الله لن يدعك فإن جاءك شيء من الدنيا بعد فلا تنظر إليه بعين الرغبة ولا تصحبه بالرهبة ولا تجلس معه إلا بالواجب العلمي في صرفه أو امساكه وإن طلبت شيئا يوما فاطلب الله لك في طلبك له فإنك مطلوب بالطلب فإن خرج لك الطلب منه مخرج الرضا فادخل ولا تعلق قلبك به فإنك لا تدرى أتصل إليه أم لا وإن وصلت فلست تدرى ألك هو أم لغيرك فإن كان لك فلست تدرى أفيه الخير أم الشر وإن كان لغيرك فليس لك به علم هل هو لحبيبك أو عدوك فكيف يسكن القلب إلى موهوم تتصور فيه هذه الوجوه وأكثر من ذلك فاطلبه وأنت متعلق بالله وناظر إليه واستعمل الشكر إذا ظفرت به والصبر والرضا إذا لم تظفر بل الثناء على الله

أجمل لأنه لم يمنعك عن بخل وإنما منعك نظرا لك فإذا منعك ذلك فقد أعطاك، ولكن لم يفقه العطاء في المنع إلا الصديقون وإن خرج لك الطلب من الله يخرج السخط بدلالة العلم أو الظن فالجأ إلى الله وفه إليه حتى يكون هو الذي يخلصك ويفعل الله ما يشاء والعاقبة للمتقين.

◆ بيان التواضع ◆

(وأما التواضع) فاعلم أن التواضع من أفضل الأوصاف الحميدة وأحسنها وأكرمها وبه نال النبي عليه السلام الفضل على الأولين والآخرين فكان ﷺ أشد الناس تواضعا وقد خير بين أن يكون نبياً ملكا أو نبياً عبدا فاختار أن يكون نبياً عبدا فقال له إسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له وإنك سيد ولد آدم وأول شافع وأول من تنشق عنه الأرض.

ومن تواضعه عليه السلام أنه كان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم والأجير ويحمل بضاعته من السوق.

وقال الشاذلي: وسم السعادة في رجل عرف الخلق فتواضع لأهله وإن عمل ما عمل، ووسم الشقاوة في رجل جحد الحق وتكبر على أهله ولو عمل ما عمل.

وقال: خرجت البستان مع أصحابي بمدينة تونس، ثم عدت إلى المدينة وكنا ركبانا على الحمير، فلما وصلنا قريبا من المدينة نزلوا وكان طين، وقالوا يا سيدي انزل هنا، فقلت ولم؟، فقالوا هيبة المدينة ونستحي أن ندخلها على الحمير فنزلت رجلي وأردت موافقتهم، فإذا النداء علي إن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع ولكن يعذب على راحة يصحبها الكبر.

◆ بيان الورع ◆

(وأما الورع) فقالوا: ليس الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير ولبس الصوف والتصنع وإنما هو بالصبر واليقين في الهداية ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾. وهذا ثغر كريم لرجل كريم فيه خمس خصال: الصبر والتقوى والورع واليقين والمعرفة. الصبر إذا أوذي أن لا يؤذي، والورع فيما يخرج وفيما يدخل من فمه وفي القلب أن لا يلج فيه غير ما يحبه الله ورسوله، واليقين في الرزق والمعرفة بالحق التي لا تذل معها لأحد من الخلق ﴿ واصبر ان العاقبة للمتقين ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾.

وقال الشاذلي: والورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وآجل ثوابه فقد انتهى بهم إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة وهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا

ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون وهجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا أدنى. وأما أدنى الأدنى فالله يوزعهم عن ذلك ثوابًا لورعهم مع الحفظ لمنازلهم الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروع بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والإستكبار على مثله والصولة بعلمه والدلال على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يرد بعلمه وعمله افتقارًا لربه وتواضعًا لخلقه فهو هالك، فسبحان من قطع كثيرًا من أهل الصلاح بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع المفسدين بفسادهم عن وجودهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم.

وقال: أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة وأقم عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم لا تعززًا عليهم ولا تقتد بمن يتورع عما تناولته أيدي الكافرين.

❖ بيان الإخلاص ❖

(وأما الإخلاص) فقالوا: الإخلاص نور من نور الله استودعه الله قلب عبده المؤمن فقطعه به عن غيره فذلك هو أصل الإخلاص ثم يتشعب أربع شعب: إرادة الإخلاص في العمل على التعظيم لله، وإرادة الإخلاص على التعظيم لأمر الله، وإرادة الإخلاص لطلب الأجر والثواب، وإرادة الإخلاص في تصفية العمل عن الشوائب أن لا يراعي فيه غير ذلك وكل هذه استعبد بها فمن تمسك بواحدة منها نجا وأخلص لهم درجات عند الله ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾. وأشار إلى ذلك بقوله الإخلاص سر من سري استودعته من أحببته من عبادي.

وقال الشاذلي: رأيت كأني أطوف بالكعبة طالبًا من نفسي الإخلاص والاذافتق عليه في سري فإذا النداء علي كم تدندن مع من يدندن وأنا السميع القريب العليم الخبير، وتعريفي يغنيك عن علم الأولين والآخرين مما خلا علم الرسول وعلم النبيين، وإنما مرادك الإخلاص وهو على ضربين: إخلاص الصادقين وإخلاص الصديقين. فإخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب، وإخلاص الصديقين لنضر وجود الحق مقصودًا له لا لشئ من عنده فمن استودع ذلك في قلبه، فهو المستثنى على لسان عدوه بقوله: ﴿ لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾. وقال: إن أردت السلامة من الغرور، فأخلص العمل لله بشرط العلم ولا ترض عن نفسك بشيء.

❖ بيان اليقين ❖

(وأما اليقين) فقالوا من علم اليقين بالله وبما لك عند الله أن تتعاطى بين الخلق ما لا تصغر به عند الحق وإن صغرت به في أعين الخلق بلا اعتراض من الشرع ولا منازعة من الطبع بل

من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدائد وتتابع الفوائد بسواطع الشواهد بل من حق اليقين الغرق في الشيء كمن اضطر إلى رؤية البحر فركب وانكسرت سفينته فتلاطمت عليه أمواجه فمنهم يعدم ويفنى ويذهب مع الذاهبين وينقل إلى درجات عليين ومنهم من يحيا ويبقى مع الباقين لاحظ للمقتدي به بل هو مستور عن الخلق أجمعين ومنهم من يبقى برزخا بين الحق والخلق ظاهرا بالنعتين كاملا في الوصفين قدوة للثقلين ومنهم الإمام الأكبر الفرد القطب الغوث الجامع المختص بالأسماء والصفات والأنوار والأخلاق وما لا يسع أن يسمعه سامع ومن دونهم من لا درجة له من الأولياء والعباد والزهاد ومن أهل النظر بالدليل والبرهان و لم يطلع بعد على الكشف والعيان ومن دونهم أهل الوسائل بالأعيان والأحوال وأهل التخليط في الأقوال والأفعال ﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾.

وقال الشاذلي : إن كنت مؤمنا موقنا فاتخذ الكل عدوا كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾، وإن كنت محمديا فاتل هذه الآية : ﴿ قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ أخرج الفعــل بشيئين المضي والإستقبال تحقيقا للرسول والمؤمنين. وأما الله تعالى فلا مضى ولا استقبال عنده إذ لا يتجدد عنده شيء.

وقال : الصادق الموقن لو كذبه أهل الأرض ما ازداد بذلك إلا يقينا، ولو صدقه أهل الأرض لم يزدد به إلا تمكينا. وقال : أربع من كن فيه احتاج الخلق إليه وهو غني عن كل شيء: المحبة لله والغني بالله والصدق واليقين والصدق في العبودية واليقين في أحكام الربوبية ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾.

❖ بيان العلم ❖

(وأما العلم) فاعلم أنك لا تنشر علمك ليصدقك الناس وانشر عملك ليصدقك الله وإن كان لازم العلة وجودا، فعلة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير لك من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك والعلة تردك إلى الله خير لك من علة تقطعك عن الله فمن أحل ذلك علقك بالثواب والعقاب إذ لا يرجى ولا يخاف إلا من قبل الله وكفى بالله صادقا ومصدقا وعالمــا ومعلما وهاديا ونصيرا ينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك ووليا يواليك ويوالي بك ولا يوالي عليك.

وقال الشاذلي : هذه العلوم أنواس وبيان لمواقع النفوس وخواطرها ومكرها وإرادتها وقطع للقلوب من الملاحظة والمساكنة والمراكنة على سبيل التوحيد والشرع بصفات المحبة وإخلاص الدين بالدين ولهم بعد زوائد في مقامات اليقين من الزهد والشكر والرجاء والخوف والتوكل والرضا وغير ذلك من مقامات اليقين فهذا سبيل القاصدين.

وأما أهل الله فهم قوم جذبهم الله عن الشر وأصوله واستعملهم بالخير وفروعه وحبب إليهم الخلوات وفتح إليهم سبل المناجاة والهدايات فتعرف إليهم فعرفوه وتحبب إليهم فحبوه وهداهم السبيل إليه فسلكوه فهم به وله ولا يحجبهم عنه غيره بل هم محجوبون به عن غيره ولا يعرفون سواه ولا يحبون ﴿ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴾.

وقال : رأيت النبي ﷺ ونوحا عليه السلام وملكا بين يديهما، فقال : لو علم نوح من قومه كما علم محمد عليه السلام من قومه ما دعا عليهم بقوله ﴿ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾. هذا موضع العلم الحقيقي الذي لا يتبدل. ولو علم محمد عليه السلام ما علم نوح عليه السلام من قومه ما أمهلهم طرفة عين ولكن أمهلهم لعلمه أن في أصلابهم من يؤمن ويسعد بلقاء ربه، فقال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، فكل على علم وبينة من الله فلزم كل واحد ما لزم من الدعاء فمن جاهد نفسه وهواه وشيطانه وشهوته ودنياه فغلب فهو منصور ومشكور ما لم يصر على الذنب أو يرض بالعيب أو تسقط منه الخشية في الغيب ومن كان بإحدى الثلاث وعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به وآمن بالقدر كله وخاف من ذنبه ووجل من ربه فالرحمة إليه أسرع من القطر إلى الأرض يقول الله أرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل مايكون عبدي إذا أقبل علي والهالك الذي يفرح بالمعصية إذا عصى ويحزن عليها إذا فاتته ويفتخر بها ولا يستتر منها، فنعوذ بالله وهو في مشيئة الله. وقال : حقيقة العلم بالخير السكون فيه وحقيقة العلم بالشر الخروج عنه. وقال : العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير في الأيدي إن شاء نفعك وإن شاء ضرك معها. وقال : سبعة ارفع قلبك عنها لا علوم ولا أعمال ولا خصائص ولا ودائع ولا أماكن ولا لطائف ولا حقائق تنجيك من قدر الله.

❖ بيان الإرادة ❖

(وأما الإرادة) فأصول الإرادة على مذهب محققي الصوفية على أربعة : الصدق في العبودية وترك الإختيار مع الربوبية والأخذ بالعلم في كل شيء وإيثار الله بالمحبة على كل شيء. والصدق على أربعة أصول : على التعظيم والمحبة والحياء والهيبة. وترك الإختيار يبنى على أربعة أصول : على الشهود في القبضة، وعلى التحقيق بالجملة، وعلى الثقة بضمان الله ووعده. والأخذ بالعلم يبنى على أربعة أصول : إما من طريق الأصالة، وإما من طريق المواجهة، وإما من طريق الفهم، وإما من طريق السمع. وإيثار الله بالمحبة يبنى على أربعة أصول : إيثار الوجود على كل موجود، وإيثار الصفات بالتحسين لكل موجود، وإيثار أفعاله بالرضا عند كل مفقود، وإيثار محابه على محاب نفسك. هذا إن نفذ فأما من لم ينفذ فليكن مع الأستاذ النافذ هذا المثابة.

وقال الشاذلي : من لم تصح إرادته لم يزده مرور الأيام إلا إدباراً، فمن أراد أن تصح إرادته فما يوصل أمره على العلم إلا برفض الجهل وعلى رفض الدنيا إلا بالإقبال على الآخرة وليلازم الخلوة ودوام الذكر فهنا تظهر عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء في التوجه وتقبل الناس عليه من الرجال والنساء من الحواضر والبوادي ويسارعون إلى إكرامه والسلام عليه والتعظيم له فإن قبل ذلك منهم قبل التمكن والتحقيق يسقط من عين الله ويرد إلى ما خرج منه فتارة يمدح هذا ويذم هذا ويحتال على هذا فقد ظهرت عورة نفسه بإدباره عن ربه ورفضه لمحاب الله بمحاب نفسه فاحذر هذا الداء العظيم فقد هلك به خلق كثير فاعتصموا بالله ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾.

❖ بيان الكرامة ❖

(وأما الكرامة) فقالوا بسط الكرامة أربعة : حب يشغلك عن حب غيره ورضاً يفضل به حبك وزهد يحققك بزهد رسوله وتوكل يكشف لك عن حقيقة قدرته. وقالوا : كرامة الصديقين خمسة : أولها دوام الذكر والطاعات بشرط الإستقامة، والثانية : الزهد في الدنيا بإيثار القلة، والثالثة : تجديد اليقين مع المعارضات، والرابعة : وجود الوحشة مع أهل المنفعة والأنس مع أهل المضرة، والخامسة : ما يظهر على الأبدان من طي الأرض والمشي على الماء وغير ذلك مما لا يجري تحت حكم العادة ولهذه الفضائل أوقات وأشخاص وأماكن، فمن طلبها في غير وقتها قلما يعثر عليها، وعلى الجملة لا يعطاها من طلبها ولا من تحدثه نفسه بها واستعمل نفسه في طلبها، إنما يعطاها عبد لا يرى نفسه ولا عمله وهو مشغول بمحاب الله ناظر لفضل الله آيس من نفسه وعمله وقد تظهر على من استقام في ظاهره وإن كانت هيئة النفس في باطنه.

وقال الشاذلي : كرامة الله في الرضى تلهيك عن المصائب إلى يوم اللقاء. وقال : إنما هنا كرامتان جامعتان محيطتان في الدنيا : كرامة الإيمان بزيادة الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل بالإقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيها وجعل يشتاق إلى غيرها فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطا في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك والخدمة إلى عين الرضا وجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع المرضى، وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله وعن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور.

وقال : قيل لي إن أردت كرامتي بطاعتي وبالإعراض عن معصيتي فإن زللت بغلبة الشهوة وعظيم القدرة. فاعلم قربي منك ونظري إليك وإحاطتي بك وقدرتي عليك واستنقذ نفسك مني ومن عظيم قدرتي وقل يا موجود قبل كل موجود وهو الآن على ما هو عليه موجود

يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن ضاقت عليّ الأرض بما رحبت وضاقت عليّ نفسي ولا ملجأ منك إلا إليك، فتب عليّ لأتوب إنك أنت التواب الرحيم.

❖ بيان الولاية ❖

(وأما الولاية) فقالوا: الولي مصان في أربعة مواطن من الخواطر والوسواس في الصلاة ووقت الدعاء واللجأ إلى الله والإجابة منه ووقت نزول الشدائد وعند تفريجها فهذه التي لا يخطر ولا يتعلق فيها بقلوبهم شيء سوى الله تعالى وهي محروسة مصانة إلا من أربعة أصناف من الآخرة وضدها وذكر الأولياء وأضدادهم وذكر الطاعات وأضدادها ومن حقائق الإيمان وأضدادها فهي مصانة من جميع الخواطر إلا من هذه لما فيها من فوائد الإستعمال بالعبودية المحضة والنهوض عن الضد وكيف لا يكون ذلك ورسالات ربنا على لسان نبينا محشوة بذكر ذلك، كله فلا تنازع في دفع شيء من هذا الباب واعطه حقه فيما يخطر بقلبك واعتصم بالله وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين. وعليك بالتقوى في ثلاث منازل: تقوى العزائم وتقوى الاقتضاء وتقوى التحويل في الأحوال والأماكن والتوكل رأس الأعمال والزهد أساسها

وقال الشاذلي: كل نفسك وزنها بالصلاة وإقبال الناس عليك وإعراضهم عنك وبالفقد والوجد في الأحوال الظاهرة والباطنة، فإن خطر بالبال شيء تسكن إليه وتفرح به أو تحزن عليه أو تهتم له أو من أجله فذلك يسقطك من الولاية الكبرى والصديقية العظمى وعساك أن تختص بالولاية الصغرى في درجات الإيمان ومزيد العمل ولن تعدم فيها الوسواس والخواطر لأنك بعيد في سماء الدنيا وقريب من الشيطان والهوى يسترقون ويلقون ويقولون فإن أيدت بنجوم العلم وكواكب اليقين ودوام الحفظ فقد تمت ولايتك في هذا الباب وإلا كنت متأخراً فتارة لك وتارة عليك على حسب ذلك ولك أجر المجاهدين.

وقال: من أجل مواهب الله الرضا بمواقع القضاء والصبر عند نزول البلاء والتوكل على الله عند الشدائد والرجوع عند النوائب، فمن خرجت له هذه الأربعة من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والإقتداء بالأئمة فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ﴾ ومن خرجت له هذه من خزائن المنن على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله له بقوله تعالى ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾، ففرق بين الولايتين فعبد يتولى الله وعبد يتولاه الله فهما ولايتان صغرى وكبرى فولايتك لله خرجت من المجاهدة، وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته وولايتك للمؤمنين خرجت من الإقتداء بالأئمة. وقال: يبلغ الولي مبلغاً يقال له اصحبناك السلامة وأسقطنا عنك الملامة فافعل ما شئت.

◆ بيان المحبة ◆

(وأما المحبة) فالزمْ الطهارةَ من الشِرك كُلّما أحدثْتَ ومن دنسِ حب الدنيا كُلّما ملتَ إلى شَهْوة أصلِحت بالتوبــةِ ما أفسدْتَ بالْهوى أو كدرتَ وعليْكَ بمحبةِ اللهِ على التوقير والنّزاهة وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحوِ كلما أفقتَ أو تيقظتَ شرِبْتَ حتى يكون سُكرك وصَحْوك به حتى تغيبَ بجماله عن المحبَةِ وعن الشرابِ والشرْب والكأسِ بما يَبدو لك من نور جمَاله وقدس جلالهِ وأجل ما أخذتَ أنْ لا تعرفَ المحبة ولا الشرابَ ولا الشربَ ولا الكأسَ ولا الصحْوَ ولا السكر فنعمتِ المحبة أُخِذَتَ من اللهِ قلبَ مَنْ أحب بما يكشف له من نورَ جماله وقدس كمَال جلاله وشراب المحبة مزجِ الأوصافِ بالأوصافِ والأخلاق بالأخلاقِ والأفعال بالأفعالِ والأنوار بالأنوار والأسْماءِ بالأسماءِ والنعوت بالنعوت ويتسع فيه النظر لمنْ شاءَ اللهُ تعالى والشربُ سقي القَلْب والأوْصَال والعروقِ ومن هذا الشرابِ تسكرُ ويكونُ الشرابُ بالتدْريب بعد التدْريب والتهذيبِ فسقي كل على قدره فمنهم من يُسْقى بغير واسطةٍ والله سبحانه يتولاه منْه له ومنهم من يُسْقى من جهةِ الوسَائط كالملائكة والعلماء والمقرّبين فمنْهم من يسكر بشهودِ الكأس ولم يذق بعدِ شيْئاً فما ظنك بعد بالذوقِ وبعد بالشراب وبالريِّ وبالسكر وبالمشروبِ ثمّ الصحوِ بعد ذلك على مقاديرِ شتى كالسكر والكأسُ معرفة الحق يغترفُ بها مِن ذلك الشرابِ الطهورِ المحضِ الصافي من عباده الخاصة فتارةً يشهد الشاربُ تلكَ الكأس صُورةً وتارةً يشهدها معْنويةً وتارةً علميةً فالصورة حظ الأبدان والأنفس والمعنوية حظ القُلوب والعقول، والعلمية حظ الأرْواح والأسْرار فطوبى لمن شرِب منه ودامَ ولم يُقطَع عنه ﴿ ذلكَ فضْلُ الله يؤتيه منْ يشاء ﴾، وقد يجتمعُ المحبُّون فيُسْقون من كأسٍ واحدٍ، وقد يُسقون من كؤس كثــيرة، وقد يُسقى الواحدِ بكؤس، وقد تختلف الأشربة بعدد الكؤس وقد يختلف الشُرْب من الكأسِ وانْ شرب منه الجمّ الغفير من الأحبة.

وقال الشاذلي: المحبة أخذٌ من اللهِ لقلب عبده عن كلِّ شيءٍ سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل مختصاً بمعرفته والرّوح مأخوذة من حضرته والسر معمورٌ في مشاهدته والعبد يُستزيد فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذِ مُناجاته، فيكتسي حلل التقريب على بساطِ القُرْبة ويمس أبكار الحقَائق وشباب العلوم فمن أجلها قالوا أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون. قيل له: قد علمتَ الحب، فما شراب الحبّ وما كأسه وما الساقي وما الذوق وما الشرب وما الرى وما السكر وما الصحو؟ قال له: أجل الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب، والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب والساقي هو الله المتولى للخاصة والصالحين فمن كشف له عن ذلك الجمال وحُظي بشئ منه نفساً أو نفسين ثم

أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقاً ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذلك هو الريان ومن غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقال ولا ما يقول فهو السكران وقد تدور عليهم الكؤسات وتخلف لديهم الحالات ويردون إلى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم وبشمس المعارف يستضيئون في نهارهم ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾.

وقال: من أحب الله وأحبه الله فقد تمت ولايته، والمحب في الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة غير مشيئته، فإذا مات ثبتت ولايته من الله له ولا يكره لقائه ويعلم ذلك من قوله تعالى: ﴿إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون النـــاس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾. فإذا الولي على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، وأحب له من لا يحب شيئاً لهواه وأحب لقاء من ذاق أنس مولاه ويتمحض لك الحب له في عشرة فاعتبرها فيما وراءها في الرسول عليه السلام والصديق والفاروق وعثمان وعلي والصحابة والتابعين والأولياء والعلماء الهداة إلى الله والشهداء والصالحين فإذا افترق الأمر بعد الإيمان الى عشرة أشياء إلى السنة والبدعة والهداية والضلالة والطاعة والمعصية والعدل والجور والحق والباطل ميزت وأحببت وأبغضت وقد يجمع لك الوصفان في شخص واحد ويجب عليك القيام بحقهما جميعا فإذا قد بان لك الحب لله في العشرة الأول فانظر هل للهوى هناك أثر فإن كان ذلك فاعتبر حب من حضر من إخوانك الصادقين والمشايخ الصالحين والعلماء المهتدين وسائر من حضر بمن غاب عنك أو مات فقد خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله وان وجدت شيئاً يتعلق فيمن تحب أو فيما تحب فارجع الى العلم واتقن النظر في الأقسام الخمسة من الواجب والمندوب والمكروه والمحظور والمباح.

وقال: المحبة سر في القلب من المحبوب إذا ثبت قطعك عن كل مصحوب. وقال: حرام عليك أن تتصل بالمحبوب ويبقى لك في العالمين مصحوب. وقال: إذا منعك مما تحب وردك إلى ما يحب فهي علامة محبته لك.

❖ بيان المراقبة ❖

(وأما المراقبة) فعليك بتحصيل ما أمرت به في ظاهرك فإذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة وخذ بالتخليص في باطنك حتى لا يبقى فيه شئ مما نهاك عنه واعط الجد حقه وقلل النظر إلي ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك فمكر وردت عليك من خطرات تصدك

عن مرادك فاعلم أولاً قرب ربك منك علماً يباشر قلبك بتكرار النظر في جلب منافعك ودفع مضارك وانظر ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾، فإن من الأرض نفسك ومن السماء قلبك فإذا نزل من السماء إلى الأرض شيء فمن ذالذي يصرفه عنك غير الله ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أيما كنتم ﴾، فأعط المعية حقها بلزوم العبودية له في أحكامه، ودع عنك منازعة الربوبية في أفعاله فإن من ينازعه يغلب ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾.

نعم الحق ما أقول لك ما من نفس من أنفاسك إلا والله متوليه، مستسلماً كنت أو منازعاً لأنك تريد الإستسلام في وقت وتأبى النزاع وتريد النزاع في وقت آخر وتأبى الإستسلام فدلت هذه على ربوبيته في جميع أفعاله لا سيما عند من اشتغل بمراعاة قلبه لتحصيل حقائقه فإذا كان الأمر بهذا الوصف فأعط الأدب حقه فيما يرد عليك بأن لا تشهد لشيء منك أولية إلا بأوليته ولا آخرية إلا بآخريته ولا ظاهرية إلا بظاهريته ولا باطنية إلا بباطنيته فإذا تنبهت لمؤول الأول نظرت لما يؤول فيما يؤوله فإن صدر عليك خاطر من محبوب يوافق النفس أو مكروه لا يلائمها مما يحرمه الشرع فانظر لما يخلقه الله فيك بأثر ما يخطر ببالك فإن وجدت تنبيهاً على الله تعالى فعليك بالتحقق به فذلك أدب الوقت عليك ولا ترجع إلى غير ذلك فإن لم تجد السبيل إلى التحقق به فعرس بين يديه فهو أدب الوقت عليك ومهما رجعت إلى غيره فقد أخطأت سبيلك فإن لم يكن ذلك منك، فعليك بالتوكل والرضا بشرط الإستسلام والتفويض واحذرك من الإختيار فإنه شر عند أولى الأبصار، فإذن هي أربعة آداب : أدب التحقيق، وأدب التعريس، وأدب التوكل، وأدب الدعاء. فمن تحقق به حفظ منه، ومن عرس عنده كفي من غيره بربه، ومن توكل عليه كفي من اختيار نفسه باختيار ربه، ومن دعاه بشرط الإقبال والمحبة أجابه ان شاء فيما يصلح له أو منعه ان شاء فيما لا يصلح له.

ولكل أدب بساط (الأول) بساط التحقيق إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن صفاته فكن هنالك بسرك، وحرام عليك أن تشهد غيره. (الثاني) بساط التعريس، فإذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن أفعاله فعرس هناك بسرك، وحرام عليك أن تشهد غير صفاته شاهداً ومشهوداً. وفي الأول فني الشاهد وبقي المشهود. (الثالث) بساط التوكل فإذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف عن غيوبه جلست على بساط محبته متوكلاً عليه راضياً بما يبدو لك من آثار فعله في أنوار حجبه. (الرابع) بساط الدعاء فإن ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك من فقرك إليه فقد دلك على غناه واتخذ الفقر بساطاً واحذر أن تنزل عن هذه الدرجة إلى غيرها فتقع في مكر الله من حيث لا تعلم وأقل ما يكون منك إذا

نزلت عنها أن ترجع إلى نفسك مدبرا لها ومختارا بما نعوذ بالله من دعاوى الشرك وتعطيل النفس عن المجاهدات ومن خلو القلب عن المشاهدات.

وقالوا : إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله فعليك برفض الناس جملة واحدة الا من يدلك على الله بإشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك بل كن في ذلك عبد الله أمرك أن ترفض عدوه فإن كنت في هاتين الخصلتين الإعراض عن الدنيا والزهد في الناس فأقم مع الله في المراقبة والزم التوبة بالرعاية والإستغفار بالإنابة والخضوع للأحكام بالإستقامة وتفسير هذه الأربعة أن تكون عبد الله فيما تأتي وتراقب قلبك أن لا ترى في المملكة شيئا غيره فإذا أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العز أنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام بالمراقبة وأنت تسمع ﴿ وكان الله على كل شئ رقيبا ﴾. فهنالك يبدولك من الحياء ما يحملك على التوبة بما ظننته انه قربة فالزم التوبة بالرعاية لقلبك ولا تشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت فإن صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق أليس بالتوبة منه بدأت والإنابة تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهناك تنظر أوصافك فتستعيذ بالله منها فتأخذ في الإستغفار والإنابة فالإستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه وإن كنت بهذه الصفة ناداك من قريب : اخضع لأحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع إرادتي برفض إرادتك وإنما هي ربوبية تولت عبودية فكن عبدا مملوكا لا يقدر على شئ فمتى رأيت منك قدرة وكلتك إليها وأنا بكل شئ عليم. فإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرقت من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من العالمين.

◆ بيان المعرفة ◆

(وأما المعرفة) فهي ما قطعك عن غير الله وردك إلى الله، وخصلتان يسهلان الطرق إلى الله : المعرفة والمحبة، حبك الشئ يعمي ويصم عن غيره واعرف الله ثم استرزقه من حيث شئت غير مكب على حرام ولا راغب في حلال وانصح الله في عباده ولا تخنه في أمانته واعبد الله باليقين تكن إماما من أئمة الدين. وانتقل عن علم الجهلة إلى الخاصة تكن من الوارثين ولك أسوة من المرسلين ومتحقق من النبيين ومن نسب أو أضاف أو أحب أو أبغض أو تحبب أو تقرب أو خاف أو رجا أو سكن أو أمن لشئ أو بشئ غير الله أو تعدى حدا من حدود الله فهو ظالم والظالم لا يكون اماما. قال الله تعالى ﴿ إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ ومن صدق الله في نفسه فهو إمام قلت روايته أو كثرت ومن كان إماما فلا يضره أن يكون أمة واحدة وإن قلت أتباعه. وقيل : حقيقة المعرفة الغنى بالله

جميع الأنام فإنْ قيل كيف وقد أحوج الله نبيّه إلى عدوه فنقول إذ ذاك: انظر إلى غناك عن السموات والأرض مع الحاجة إليهما وكل مَنْ يحتاج إليه قطعه عنهما والذي رفع السماء أن تقع عليك ومَنع الأرض أن تبتلعك وهو الذي دفع ضررهما عنك وأرسل النفع منهما إليك أحوجك إليه لتعبده بكل شيء حتى يغنيك به عن كل شيء، وهو معنى قوله تعالى ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾، وهو العيان فيغنيك به عن البرهان يمحق عنك الغفلة والنسيان ﴿ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾.

وقيل: كيف أعبد الله في كل شيء قيل لتعطى التسليم حقه من غير عوج والثناء حقه من غير عوج والإستشهاد حقه من غير كدر وهو معنى قوله تعالى ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾. فالتسليم حق الأبدان، والثناء حق اللسان، والإستهداء حق الجنان ﴿ وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾.

وقال الشاذلي: حقيقة المعرفة استغناء العارف بوصف معرفة عن كل شيء دون الحق تعالى وقال: كنت مريضًا فرأيت النبي عليه السلام، فقال لي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس فقلت وما ثيابي يا رسول الله فقال إن الله كساك حلة المعرفة ثم حلة المحبة ثم حلة التوحيد ثم حلة الإيمان ثم حلة الإسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن أحبه هان عليه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً ومن آمن بالله امن من كل شيء ومن أسلم لله قلما يعصيه وإن عصاه اعتذر إليه وإذا اعتذر إليه قبل عذره قال ففهمت منه معنى قوله ﴿ وثيابك فطهر ﴾.

❖ بيان البصيرة ❖

(وأما البصيرة) فتأديب وتعليم، يقول الله: فهما شيئان، شيء قسمته لك وشيء صرفته عنك. فمن اشتغل بهما أو بواحدة منهما فقد قل فهمه وعظم جهله وذهب عقله واتسعت غفلته وقلما يتنبه لمن يوقظه فإن جاءك محبوب بالشرع أو بالطبع أو بهما أو حثته أنت فهو من القسم الأول فكن بي ولي فيما قسمته لك أكن لك بالرحمـــة فيما صرفته عنك وفيما يساق من المكروه إليك فاشغلك بما هو أولى بك عما هو مصروف عنك وأذيقك حلاوة الرضا بقضائي حتى يكون المكروه أحب إليك من كل محبوب بالطبع هو لك وان لم تكن بي ولا لي قسمته لك ووكلتك إلى نفسك فيما هو مصروف عنك وفيما يساق من المكروه إليك وإن الله ليعجب لعبد يجتهد في صرف ما هو مصروف عنه وفي دفع ما لا بد له منه فاعمل لله باليقين وأثبت الأمر حيث أثبته والنهى حيث أثبته والتمر بالأمر حيث أمرك وانته عن النهى حيث نهاك على البصيرة في اليقين ولا تكن من الغافلين.

وقالوا : إذا أردتَ أن تنظر إلى الله ببصيرةِ الإيمان والإيقان دائماً فكُنْ لأنعمِ الله شاكراً وبقضائه راضياً ﴿ وَمَا بكم من نعمةٍ فمِنَ الله ثمَّ إذا مسّكم الضرّ فإليه تجأرون ﴾. فإن أردتَ النيابة عنكَ أو منك فاعبدْ الله على المحبة لا على الأجرة وعلى المعرفة بالتعظيم والصيانة.

وقالوا : البصيرة كالبصر انْ يقعْ فيه أدنى شيءٍ تعطّل النظر وإنْ لم ينتهي الأمر به إلى العمى، فالخطر من الشرّ تشوّش النظر وتكدّر الفكر والإرادة له تذهب الخير رأساً والعمل به يذهب بصاحبه عن سهم من الإسلام فيما هو فيه ويأتي بضده فإن استمرّ على الشرّ قلّ منه الإسلام شيئاً فشيئاً، فإذا انتهى إلى الوقيعة في الأئمة وموالاة الظلمة حباً في الجاهِ والمنزلة وحبّاً في الدنيا على الآخرة ذهب منه الإسلام كله، ولا يغرنك مما توسم به ظاهراً، فإنه لا روح له وروح الإسلام حبّ الله ورسوله وحبّ الآخرة وحب الصالحين.

وقال الشاذلي : اركُزْ الأشياء في الصفات ركزها قبل وجودها ثمَّ انظرْ هل ترى للعين أين، أو ترى للكون كانٍ، أو ترى الأمر شان، وكذلك بعد وجودها.

وقال : عمى البصيرة في ثلاثة : ارسال الجوارح في معاصى الله، والتصنّع بطاعةِ الله، والطمع في خلق الله. فمن ادعى البصيرة مع واحدةٍ من هذه تغـلبه هواتف ظنون النفس ووساوس الشيطان.

❖ بيان الحقائق ❖

(وأما الحقائق) فقالوا الحقائق هي المعاني القائمة بالقلوب وما اتضح لها وانكشف من الغيوب وهي منح من الله وكرامات وبها وصلوا إلى البرّ والطاعاتِ ودليلها قول النبي عليه السلام لحارث «كيف أصبحتَ؟ قال أصبحتُ مؤمناً حقاً» الحديث.

وقال الشاذلي : هي ما يستقرّ في قلبك أنه لا ضارٍ ولا نافعٍ ولا معطى ولا مانع إلا الله ثُمَّ لا تضطرب ولا تسكن ولا تنسب إلى الخلق شيئاً ولو قرضت بالمقارض ونشرت بالمناشر أكتبك صدّيقاً عزيزاً. فقلتُ : كيف لي بما أثبتَ من الثواب والعـقاب وأفعال العباد ولا يضرك الإثبات لما أثبتَ وإنما يضرك الإثبات بهم ومنهم.

وقال : أثبتْ لي ما هو حق لي أثبتْ لك ما هو حق لك، ثُمَّ آخذك عما هو حق لك وأبقيك بما هو حق لي وقل : "يا موجود قبل كُل موجودٍ وهو الآنَ على ما هو عليه موجود يا سميع يا قريب يا مريد يا قدير يا الله يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا أوّل يا آخِر يا ظاهِر يا باطِن يا متكبّر يا غفور يا غفار يا توّاب يا غني يا كريم يا واسِع يا عليم يا ذا الفضل العظيم".

وقال : يقول الله إنْ أردتَ رضاي فمني وإليّ لا من اسمي ولا من اسمك إليك قال كيف ذلك قال سبقتْ أسمائي عطائي، وأسمائي من صفاتي، وصفاتي قائمة بذاتي، ولا يتحقق ذاتي

غير ذاتي للعبد أسماء دنية وأسماء علية فأسمائه العلية قد وصفه الله بها بقوله ﴿ التائبون العابدون ﴾ الآية بقوله ﴿ إن المسلمين والمسلمات ﴾ الآية. وأسماؤه الدنية وكالعاصي والمذنب والفاسق والظالم وغيرها فكما يمحق أسماؤه الدنية بأسمائه العلية، كذلك يمحق أسماءك بأسمائه وصفاتك بصفاته، لأن الحادث إذا قورن بالقديم فلا بقاء له فإذا ناديته باسمه كقولك يا غفور يا تواب يا قريب يا وهاب فاستدعيت بها العطاء لنفسك فقد تنزلت من أسمائه إلى نفسك وكذلك إذا لاحظت أسماءك الدنية من المعاصي والظلم والفسق فسألت سترها ومغفرتها فأنت باق مع نفسك فإذا ناديته باسمه العلي ولاحظت صفته العلية قائمة بذاته محقت أسماؤك كلها وانعدم وجودك فصرت محواً لا وجود لك البتة فذلك محل الفناء والبقاء بعد الفناء يؤتيه الله من يشاء.

وقال: حق التوكل صرف القلب عن كل شيء سوى الله. وقيل: حقيقة التوكل أن تدع التدبير من خلفك. وقيل: حقيقته نسيان كل شيء سواه وسره وجود الحق كون كل شيء يلقاه وسر سره ملك وتمليك لما يحبه ويرضاه. وقال: حقيقة الزهد فراغ القلب عما سوى الله. وقيل: حقيقة الزهد أن تترك نفسك ودنياك وروحك وعقباك فيبقى سرك مع مولاك.

وقال: حقيقة الخشوع ذبول القلب بين يدى الرب. وقال: حقيقة السجود إذعان القلب تحت أحكام الرب. وقال: حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها. وقال: حقيقة الهجران نسيان المهجور. وقال: حقيقة الهمة تعلق القلب بالشيء المهتم به وكمالها اتصال القلب بالكلية بالله بالإنفصال عن كل شيء سواه.

وقال: حقيقة القرب الغيبة بالقرب عن القرب لعظيم القرب. وقيل: حقيقته شغل القلب بالله. وقيل إزالة كل معترض. وقال: حقيقة المزيد فقدان المزيد لعظيم المزيد. وقال: حقيقة الإستقامة وجود الإقامة على بساط المشاهدة. وقيل: حقيقة الإستقامة هي الثبات على الحق بعون الحق.

◆ وحقيقة التوبة التحول من الحركات المذمومة إلى الحركات المحمودة ◆ وحقيقة الإنابة الرجوع منه إليه لا من غيره ◆ وحقيقة العبودية: اسقاط إرادتك عند إرادته ◆ وحقيقة المجاهدة خلع الراحة وترك الرجوع إلى الرخصة ◆ وحقيقة الورع إمساك العين عن التلذذ بالزهرات والنفس عن الشهوات والقلب عن الغفلات والروح عن العثرات والسر عن الإلتفات ◆ وحقيقة التقوى أن يتقي الحلال خوفاً أن يشغله عن الله ◆ وحقيقة اليقين مشاهدة الغيوب بكشف القلوب وملاحظة الأسرار بمخاطبة الأفكار ◆ وحقيقة الخوف أن لا يخاف مع الله غير الله ◆ وحقيقة الرجاء سكون القلب مما كان يخاف، وحقيقة الصبر حبس النفس في مقام العبودية بنفي الجزع ◆ وحقيقة الشكر هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم ◆ وحقيقة الرضا سرور

القلب بمرّ القضاء ✤ وحقيقة الحياء أن يأتي شيئًا في ظاهره وباطنه لا يلام عليه ✤ وحقيقة الصدق موافقة الحق في السرّ والعلانية ✤ وحقيقة الإخلاص نسيان كل مذكور سوى المعبود ✤ وحقيقة الحلم هو الرفق، بأن يكون رفيقًا في قوله وفعله وبمن تحت يده ✤ وحقيقة الأدب مصاحبة الخلق بالشفقة واجتناب المنّ في النفقة ✤ وحقيقة القناعة غنى القلوب وثمرتها رضا علّام الغيوب ✤ وحقيقة الفقر أن لا يرى في الدارين مع الله غير الله ✤ وحقيقة العافية بقاء العبد مع الله ✤ وحقيقة البلاء على وجهين بلاء رحمة وبلاء عقوبة، فبلاء الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله، وبلاء العقوبة يكل صاحبه على اختياره وتدبيره ✤ وحقيقة الطمأنينة الرضا بقضاء الله والصبر على بلائه ✤ وحقيقة الإعتصام هو الثقة في شدائد الأهوال بمن هو محوّل الأحوال ✤ وحقيقة الشوق جمرة تتوقد في القلب فتصير أحوال القلب على القلب ✤ وحقيقة الأنس نور لا ظلمة فيه وحصن لا ثلمة فيه ✤ وحقيقة المعرفة هي أن تعرف الله بدليل وجوده وما يجوز عليه وما هو مستحيل عليه ✤ وحقيقة المشاهدة أطلاع القلوب عما أخبر الله عن الغيوب ✤ وحقيقة الفكر التأمل في آياته ليصل بذلك إلى معرفة ربه ✤ وحقيقة الذكر طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلة فأنت ذاكر وإن سكتّ. وقيل: حقيقته الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الحبّ والخوف ✤ وحقيقة السماع استرواح من تعب الوقت وتنفس من أرباب الأحوال واستحضار الأسرار لذوي الأشغال. وقيل: حقيقته كالريح يخرج من كل قلب ما هو ثابت فيه ✤ وحقيقة الوجد نار تتوقد في الأسرار فتحترق به الأغيار ✤ وحقيقة الولاية محبة الحق للعبد ✤ وحقيقة النفس هي ظلمة مودعة في هذا القلب وهي محل الأخلاق المذمومة أمارة بالسوء جاحدة ظالمة عن الهدى ذات أجزاء ✤ وحقيقة القلب لطيفة مضيئة مودعة في القلب وهو محل الأخلاق المحمودة آمر بالخير عارف بالله ✤ وحقيقة الروح جسم لطيف بل هي الروح بعينها التي تتردد في تجاويف أعضاء الإنسان ✤ وحقيقة السرّ لطيفة نور الله موعدة في القلب هي محل المشاهدة كما أن الأرواح محل للمحبّة والقلوب محل للمحبّة والقلوب محل المعارف، والسرّ ما لك عليه إشراف، وسرّ السرّ ما لا اطلاع عليه لأحد غير الحق.

✤ بيان العاقل ✤

(وأما العاقل) فقالوا العاقل من عقل عن الله ما أراد به ومنه شرعًا والذي يريد الله بالعبد ومنه أربعة إما نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية فإذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضي منك الشكر شرعًا، وإذا كنت بالبلية فالله يقتضي منك الصبر، وإذا كنت بالطاعة فالله يقتضي من شهود السنة والتوفيق منه شرعًا، وإذا كنت بالمعصية فالله يقتضي منك التوبة والانابة شرعًا فمن عقل هذه الأربعة عن الله وكان قريبًا بما أحبه الله منه شرعًا فهو عبد على الحقيقة بدليل قوله

عليه السلام «مَنْ أُعطي فشكر وابتلى فصبر وظلم فاستغفر وظُلم فغفر» ثمّ سكت، قالوا: ما له يا رسول الله؟ قال: «أولئك له الأمن وهم مهتدون».

وقال الشاذلي: العاقل مَن عقل عن الله آياته وشغله بالفكر والذكر في آلائه وفتح له السبيل باللجا والافتقار إليه والدعاء والسؤال منه والإعتصام فاستجاب لله واستجاب الله منه فليس يعلم أحد ما يريد الله أن يعطيه بقوله ﴿إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ... إلى ... إنك لا تخلف الميعاد﴾. وقال: العاقل عن الله مَن عرف في شدائد الزمان الألطاف الجارية عليه من الله وعرف إساءة نفسه في إحسان الله إليه ﴿فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾.

◆ بيان المدبّر ◆

(وأما المدبر) فقالوا: مَنْ انقطع عن تدبيره الى تدبير الله، وعن اختياره الى اختيار الله، وعن نظره إلى نظر الله، وعن مصالحه إلى علم الله، فقد آتاه الله حسن اللب وعليه يترتب الذكر والفكر وما وراء ذلك من الخصائص.

وقال الشاذلي رحمه الله لبعض أصحابه: رأيتك تكابد نفسك وتجاذب أمرك في مجاهدة نفسك. فقلت: {يا لكع بن لكع} أعني بذلك نفسي في الأبوة وأعنيك في البنوة محقك التدبير حتى في اللقمة تأكلها وفي الشربة تشربها وفي الكلمة تقولها أو تتركها أين أنت من المدبر العليم السميع البصير الحكيم الخبير مَن يشاركه غيره، إن أردت أمراً تفعله أو تتركه فاهرب إلى الله من ذلك هروبك من النار ولا تستنن في شيء واصرخ الى الله وعوّد نفسك فإن ربك يخلق ما يشاء ويختار ولكن يثبت لك إلا صدّيق أو ولي، فالصديق مَنْ له الحكم، والولي مَن لاحكم له. فالصديق يتقي بحكم الله، والولي يفني عن كل شيء بالله. والعلماء يريدون ويختارون وينظرون ويقيسون، وهم مع عقولهم وأوصافهم دائمون، والشهداء يكابدون ويجاهدون ويقاتلون فيقتلون ويقتلون ويحيون ويموتون فقد ثبت لهم الرد معنى وإن لم يثبت لهم حساً وحسماً.

◆ بيان الصالحين ◆

(وأما الصالحون) فأجسادهم مقدّسة وفي أسرارهم الكرازة والمنازعة ولا يصلح لشرح حالهم إلا صديق في ابتداء أمره أو ولي في نهايته، فحسبك ما ظهر من صلاحهم واكتف عن شرح ما بطـن من حالهم وإذا أردت أمراً تفعله أو تتركه فاهرب إلى الله كما قلت لك واستصرخ بالله وعوّد نفسك، وقل: يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن أسألك أن تمحق أسمائي بأسمـائك وصفاتي بصفاتك وتدبيري بتدبيرك واختياري باختيارك، وكن لي بما كنت به لأوليـائك وأدخلني في الأمور مُدخل صِدقٍ وأخرجني مخرجَ صِدْقٍ واجعلْ لي من لدنك

سلطاناً نصيراً واحذر من سوء الظن بالله، وتوكل على الله ﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾.

وقال: أشقى الناس من يعترض على مولاه وأركس في تدبير دنياه ونسي المبدأ والمنتهى والعمل لأخراه واتبع هواه.

❖ بيان العموم والخصوص ❖

(وأما العموم والخصوص) فاعلم أن العموم التي وقع الثناء على أربابها وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات وغموض الصفات فكانوا هناك بلاهم وهم الخاصة العليا الذين شاركوا الأنبياء والرسل في مراتبهم وان حلت مراتبهم فلهم منها نصيب إذ ما من نبي ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارث وكل وارث على قدر إرثه من مورثه. قال عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء» ولا يكون وارث إلا وله نصيب معلوم من مورثه يقوم مقامه على سبيل إرث العلم والحكمة، لا على سبيل التحقق بالمقام والحال فإن مقامات الأنبياء قد حلت أن يلمح حقائقها غيرهم، وكل وارث في المنزلة بقدر مورثه، إذ يقول الله ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾، كذلك فضل بعض الأولياء على بعض، إذ الأنبياء بعين الحق وكل عين مستمد منها على قدرها وكل ولي له مادة مخصوصة، فانقسم الأولياء على ضربين: ضرب منهم أبدال الأنبياء، وضرب منهم أبدال الرسل. فأبدال الأنبياء الصالحون، وأبدال الرسل الصديقون. فبين الصالحين والصديقين في التفضيل كما بين الأنبياء والرسل غير أن منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله ﷺ يشهدونها عين اليقين لكنهم قليلون وهم في التحقيق كثيرون، وكل نبي وولي مادته من رسول الله ﷺ. فمن الأولياء من يشهد عينه ومنهم من يخفى عليه عينه ومادته فيفنى فيما يرد عليه ولا يشتغل بطلب مادته، بل هو مستغرق بحاله لا يرى غير وقته ومنهم الذين مكنوا بالنور الالهي فنظروا به حتى عرفوا من هم على التحقيق وتلك كرامة لهم لا ينكرها إلا من ينكر كرامات الأولياء، فنعوذ بالله من النكر بعد العرفان وهم الذين أخذوا طريقين طريقاً خاصة وطريقاً عامة فأعني بالعامة طريق المحبين الذين هم أبدال الأنبياء.

فأما الطريق الخاصة فهي طريق عليا تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها ولكن عليك بمعرفة العامة وهي طريق التراقي من منزل إلى منزل إلى أن ينتهي منزل هو ﴿ مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾، فأول طريق يطوه المحب للترقي منه إلى العلى فهو النفس فيشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن ينتهي إلى معرفتها فإذا عرفها وتحقق بها فهناك تشرق عليه أنوار المنزل الثاني وهو القلب فيشتغل بسياسة معرفته، فإذا صح له ذلك ولم يبق عليه منه شيء ترقى إلى المنزل الثالث وهو الروح فيشتغل بسياسته ومعرفته به، فإذا تمت له المعرفة هبت

عليه أنوار اليقين شيئاً فشيئاً حتى إذا أنست بصيرته بترادف الأنوار عليها برز اليقين عليه بروزاً لا يعقل معه شيئاً مما تقدم له من أمور المنازل الثلاثة، فهناك يهيم ما شاء الله ثم يمده الله تعالى بنور العقل الأصلي في أنوار اليقين فيشهد موجوداً لا حدّ ولا غاية له بالإضافة إلى هذا العبد، وتضمحل جميع الكائنات فيه فتارة يشهدها فيه كما يشهد الأنابيب في الهوى بواسطة نور الشمس فإذا انحرف نور الشمس عن الكوة لا يشهد للأنابيب أثراً فالشمس التي يبصر بها هو العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين فإذا اضمحل هذا النور ذهبت الكائنات كلها وبقي هذا الموجود فتارة يبقى وتارة يفنى حتى إذا أريد به الكمال نودي منه نداء خفيا لا صوت له فيمد بالفهم عنه الا ان الذي يشهد غير الله ليس من الله في شيء فهناك ينتبه من سكوته فيقول: "أي ربي أغثني فإني هالك" فيعلم يقيناً أن هذا البحر لا ينجيه منه إلا الله فحينئذ يقال ان هذا الموجود هو العقل الذي فيه خبر رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل». وفي خبر آخر «قال له اقبل فأقبل». الحديث، فأعطى هذا العبد الذل والإنقياد لنور هذا الموجود، إذ لا يقدر علي حده وغايته فعجز عن معرفته فقيل له هيهات لا تعرفه بغيره فأمده الله بنور أسمائه فقطع ذلك كلمح البصر أو كما شاء الله ﴿نرفع درجات من نشاء﴾، فأمده الله بنور الروح الرباني فعرف به هذا الموجود فرقي إلى ميدان الروح الرباني فذهب جميع ما تحلى به هذا العبد وتخلى عنه بالضرورة وبقي كلا شيء موجود ثم أحياه الله بنور صفاته فادرجه هذه الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني فلما استنشق من مبادئ صفاته كاد أن يقول: هو الله فلحقته العناية الأزلية فنادته: ألا إن هذا الموجود هو الذي لا يجوز لأحد أن يصفه ولا أن يعبر عنه بشيء من صفاته لغير أهله لكن بنور غيره يعرفه فأمده الله بنور سر الروح فإذا هو قاعد على باب ميدان السر فرفع همته ليعرف هذا الموجود الذي هو السر فعجز عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشيء ثم أمده الله بنور ذاته فأحياه به حياة باقية لا غاية لها فنظر جميع الموجودات بنور هذه الحياة فصار أهل الموجودات نوراً شائعا في كل شيء لا يشهد غيره فنودي من قريب لا تغتر بالله فإن المحجوب من حجب عن الله بالله إذ محال أن يحجبه غيره فحيي بحياة استودعها الله فيه فقال أي رب بك منك حتى لا أري غيرك فهذا هو سبيل الترقي إلى حضرة العلي الأعلى وهو طريق المحبين من أبدال الأنبياء والذين يعطى أحدهم شيئاً بعد هذا لا يقدر احد أن يصف مما أعطوه ذرة والحمد لله على نعمائه والصلاة على خاتم أنبيائه.

❖ بيان الطريق المخصوص بالمحبوبين ❖

(وأما الطريق المخصوص بالمحبوبين) فهو منه وإليه إذ محال أن يتوصل إليه بغيره فأول قدم

لهم بلا قدم إذ ألقى عليهم من نور ذاته فغيبهم عن عباده وحبب إليهم الخلوات وصغرت لديهم الأعمال الصالحات وعظم عندهم رب الأرضين والسموات، فبينما هم كذلك إذا ألبسهم ثوب العلم فنظروا فإذا هم لا هم ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم بل صاروا عدمًا لا علة له فأطمست جميع العلل وزال كل حادث بلا حادث ولا وجود بل ليس إلا العدم المحض الذي لا علة له، وما لا علة له فلا معرفة تتعلق به واضمحلت المعلومات وزالت المرسومات زوالًا لا علة فيه وبقي من أشير إليه لا اسم له ولا صفة له ولا ذات له فاضمحلت النعوت والأسماء والصفات فلا اسم ولا صفة ولا ذات فهناك ظهر من لم يزل ظهورًا لا علة فيه بل أظهر سره لذاته في ذاته ظهورًا لا أولية له بل نظر من ذاته لذاته بذاته في ذاته فحي هذا العبد بظهوره حياة لا علة فيها فظهر بأوصاف جميلة كلها لا علة لها فصار أولًا في الظهور لا ظاهر قبله فوجدت الأشياء بأوصافه وظهرت بنوره في نوره، فأول ما ظهر سره فظهر به كله، ثم ظهر أمره بسره في سره وظهر بأمره الذوات في نور القلم بنور القلم، ثم ظهر عقله بأمره في أمره وظهر به عرشه في نور لوحه بنور لوحه، ثم ظهر روحه بعقله وظهر بروحه كرسيه في نور عرشه بنور عرشه، ثم ظهر قلبه بروحه في روحه فظهر بقلبه حجبه في نور كرسيه بنور كرسيه، ثم ظهر نفسه بقلبه في قلبه فظهر بنفسه فلك للخير والشر في نور حجبه بنور حجبه، ثم ظهر جسمه بنفسه في نفسه فظهر بجسمه أجسام العالم الكثيف من أرض وسماء وعلى الجملة كل كثيف في نور الفلك بنور الفلك، فأول ما قدم هذا المحبوب الفرد طرح النفس عدمًا فهو طرح لا علة فيه، وهو استقبال العدم بسقوط الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، فيكون استقبال صفة معلومة لمعلوم ومعناه انتهى العبد بدليل العلة وهو شهود الحق كلا شهادة متصلة غير منفصلة شهادة لا غفلة فيها قام عليه دليل لا علة فيه ولا له وهو شهود العدم المحض ومعنى قيام الدليل الذي لا علة فيه ضرورة عدم المخلوقات المشهودات أي هو ذلك فترادف فيه ذلك العدم المحض وهو سكرة النسيان الدائم أبدًا والحياء السابق، فهذه طريق عليا أول ما طرح العبد هنا في بحر الذات نعم وأحيي حياة طيبة فنقل منه إلى بحر الصفات ثم البحر الرباني ثم بحر الستر ثم بحر القلم الأصلي ثم بحر الروح ثم بحر القلب ثم بحر النفس ثم بحر الحسن ثم لقيه بحر السر فطرحه في بحر القلمية ثم بحر اللوحية ثم بحر العرشية ثم بحر الكرسية ثم بحر الحجبية ثم بحر العلقية فلقيه بحر السر المحيط فطرحه في بحر الملكية ثم بحر الأبالسة ثم بحر الجنية ثم بحر الإنسية فلقي هناك بحر السر فطرحه في بحر الجنات ثم بحر النيران ثم طرحه في بحر الاحاطة وهو بحر السر فغرق هناك غرقًا لا خروج له أبدًا إلا بإذن الله فإن شاء بعثه بدلًا من النبي يحيى به عباده وإن شاء ستره ويفعل في ملكه ما يشاء وكل بحر من هذه الأبحر قد انطوت فيه أبحر شتى لو دخل الصالح

الذى هو بدل النبي في أقل بحر من هذه الأبحر لغرق فيه غرقا لا نجاة له منه فهذه عبرة من بيان طريق الخصوص والعموم والحمد لله كاشف الغموم والصلاة والسلام على منبع العلوم.

❖ بيان الشريعةِ والطريقة والحقيقة والمعرفة ❖

(وأما الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة) فاعلمْ أنّ الحقيقة أنْ ترى اللهَ هو المتصرف في خلقه، يهدي ويضل، ويعزّ ويذلّ، ويوفق ويخذل، ويولي ويعزل وينصب، والخير والشر، والنفع والضر، والإيمان والكفر، والتصديق والشكر، والفوز والخسران، والزيادة والنقصان، والطاعة والعصيان، والجهل والعرفان بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا يخرج من مشيئته لفظة وخطرة وذرة في العالم، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه وقدره، ولا مهرب من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة على طاعته إلا بإرادته ومعونته ومحبته، فعرفنا أن هذه الصفات التي صدرت بالقضاءِ والقدرِ حقيقة، ثمَّ أن الله تعالى جعل للعبيد كسباً واختياراً، ميّزهم به عن الجمادات والبهائم، فجعل العبدَ قادرًا على الفِعل، وجعل له نية وقصداً، يختار بها الفِعل ليمتاز بها عن المكرَه والمضطر، ثمَّ أنه تعـالى أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأمرَ بالإيمانِ والطاعةِ، ونهى عن الكفْر والمعصية، وأخفى عن العباد ما علمه من أحوالهم، وما أراد من أفعـالهم، فمن كانَ في علم اللهِ القديم ومشيئته السابقة سعيداً يسّر له الطاعة، ومن كانَ شقيّاً عسّر عليه الطاعة فالإعتبار بالخاتمة وهي السابقة، وله الحجة البالغة، وسطوة قهرة دامغة، ﴿ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾.

فإنْ قيل : ما الفرق بين الشريعة والحقيقة؟ قلتُ : الشريعة ما ورد به التكليف، والحقيقة ما وَرَد به التعريف. فالشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة، فمن كل وجهٍ كل شريعةٍ حقيقة وكل حقيقة شريعة. وفي عرف القوم فرق بينهما، فالشريعة بواسطة الرسل، والحقيقة تقريب بغير واسطة. وربما يشار بالشريعة إلى الواجبات بالأمر والزجر، وبالحقيقة إلى المكاشفات بالسرّ. والشريعة وجود الأفعال، والحقيقة شهود الأحوالِ. والشريعة القيام بشروط الفرقِ، والحقيقة الكون بحقوق الجمعِ. والشريعة القيام بشروطِ العِـلم، والحقيقة الإستعلام لغلباتِ الحكمِ. والشريعة خطابه لعباده وكلامه الذي وصله إلى خلقه بأمره ونهيه، ليوضح لهم المحجة، ويقيم به الحجة. والحقيقة تصرفه في خلقه وإرادته ومشيئته التي يخص بها من اختار من احبابه، ويقضي بها على من أبعـده من بابه. وقيل : الشريعة أوامر الله ونواهيه، والحقيقة تصرفه فيما يقضيه. وقيـل : الشريعة خطابه وكلامه، والحقيقة تصريفه وأحكامه. وقيـل : الشريعة الأمر والنهي والحقيقة ما قضى وما أخفى وما أظهر. وقيل : الشريعة أنْ تعبده والحقيقة أنْ تشهده. وقيل : الشريعة دعوته، والحقيقة تقربه ومودته ومحبته.

وقيل: الشريعة الكتاب والسنة، والحقيقة مشاهدة القهر والمنة.

وقد جمع الله تعالى بين الشريعة والحقيقة في آيات كثيرة، فمنها قوله ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ فهذه شريعة ﴿ وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله ﴾ فهذه حقيقة. ومنها قوله ﴿فمن شاء ذكره ﴾ فهذه شريعة ﴿ وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله ﴾ فهذه حقيقة. ومنها قوله تعليماً لنا ﴿ إياك نعبد ﴾ حفظاً للشريعة ﴿ وإياك نستعين ﴾ إقراراً بالحقيقة ﴿ إياك نعبد ﴾ فيه إثبات الكسب للعبد وإضافة العبادة إليه؛ ﴿ وإياك نستعين ﴾ فيه رد الأمر إلى الله، وأن العبادة بعونه وتسخيره. وقيل: ﴿ إياك نعبد ﴾ أي لا نعبد إلا إياك، ولا نشرك في عبادتك غيرك، فهذا مقام الشريعة. ﴿ وإياك نستعين ﴾ أي لا نستعين إلا بك، لا بأنفسنا وحولنا؛ وهذا مقام الحقيقة فإياك نعبد مقام الأبرار، وإياك نستعين مقام المقربين، فالأبرار قائمون لله والمقربون قائمون بالله. فالعمل الأول هو العمل لله، والعمل الثاني هو العمل بالله، فالعمل لله يوجب المثوبة، والعمل بالله يوجب القربة، والعمل لله يوجب تحقيق العبادة، والعمل بالله يوجب تصحيح الإرادة. والعمل لله نعت كل عابد، والعمل بالله نعت كل قاصد. والعمل لله القيام بالأحكام الظواهر والعمل بالله القيام بالضمائر، فمن زعم أن التمسك بالحقيقة يغني عن اتباع الشريعة فهو ضال مضل.

وقد تبين بأن الحكم بالأسباب ومراعاة الأمر والنهي فرق وعبودية وشريعة، والنظر إلى تصريف الله في خلقه جمع وتوحيد وحقيقة، فالحقيقة إذن باطن الشريعة ولا يغني ظاهر عن باطن ولا باطن عن ظاهر، والمعرفة تحقق هذه الثلاثة ولزومها ودركها.

(واعلم) أن الحقيقة نتيجة الطريقة، والطريقة نتيجة الشريعة، كأنك إذا صفيت الشريعة يعني إذا عملت بما هو أقرب إلى الورع والتقوى غير ملاحظ إلى الرخصة تظهر منه الطريقة وإذا نقحت الطريقة يظهر منها أسرار الحقيقة وليس المراد بالرخصة ههنا ما هو كقصر الصلاة والجمع والفطر وغيرها بل المراد مثل مداراة الناس والإقبال على الأسباب من الوجه الحلال وادخار الأموال بعد إخراج زكاتها وإعداد النوائب فهذا كله مباح في الشرع إلا أنه نزول عند القوم عن درجة الزهد والتوكل. وقيل عن الشريعة والطريقة والحقيقة فإذا أكل الصائم عمداً بطل صومه في الشريعة وإذا اغتاب أفطر في الطريقة وإذا خطر بباله ما سوى الله أفطر في الحقيقة فلا يمكن الوقوف على أسرار الحقيقة إلاّ بإثبات الأعمال المبينة ببيان صاحب الشرع لأن كل طريقة تخالف الشريعة فهي كفر وكل حقيقة لا يشهد لها الكتاب والسنة فهي إلحاد وزندقة.

(قال) الشيخ نجم الدين الكبرى: الشريعة كالسفينة والطريقة كالبحر والحقيقة كالدر فمن أراد الدر ركب في السفينة ثم شرع في البحر ثم وصل الى الدر فمن ترك هذا الترتيب

لا يصل الى الدر فأول شيء وجب على الشخص من المطالب فهو الشريعة، والمراد منها أوامر الله ورسوله من الغسل والوضوء والصوم والصلاة وغير ذلك من الأوامر والنواهي. والطريقة هي الأخذ بالتقوى وما يقربك إلى الله زلفى من قطع المنازل والمقامات. وأما الحقيقة فهي الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي، كما قيل: في الصلاة خدمة وقربة ووصلة فالخدمة في الشريعة، والقربة في الطريقة، والوصلة في الحقيقة. والصلاة جامعة لهذه الخصال الثلاثة، كما قيل: الشريعة أن تعبد الله والطريقة أن تحضره والحقيقة أن تشهده.

(وقال) عليه السلام: الشريعة أقوال والطريقة أفعال والحقيقة أحوال والمعرفة رأس المال.

وطهارة الشريعة بالماء والتراب وطهارة الطريقة بالتخلية عن الهوى وطهارة الحقيقة خلو القلب عما سوى الله تعالى فمن زعم أن العبور من حجب البشر والوقوف على أسرار الطريقة والحقيقة مما يخالف الشريعة فقد طغى وغلبت عليه الضلالة والنسيان واستهوته الشياطين في الأرض حيران حتى أوبقته في أودية الهجران وأهلكته في قيعان الخسران إلا من تاب وآمن وتاب عليه الرحمن.

❖ بيان أقسام التصوف ومراتبها ❖

(وأما أقسام التصوف ومراتبها) ❖ فالتوبة وهي على ثلاثة أقسام: توبة العام وهي من الذنوب والسيئات، وتوبة الخاص وهي أن يخلي قلبه من معرفة ما سوى الله، وتوبة الأخص وهي أن تستغرق روحه بمحبة الله لا بمحبة غير الله ❖ والعبودية وهي على ثلاثة أقسام: عبودية العام وهي الإتيان بالطاعة، وعبودية الخاص وهي الإخلاص في الطاعة، وعبودية أخص الخاص وهي الغيبة عن رؤية الإخلاص في الطاعة ❖ والمجاهدة وهي على ثلاثة أقسام: مجاهدة العام وهو مع الكافر الظاهر، ومجاهدة الخاص مع الكافر الباطن، ومجاهدة الأخص مع النفس ❖ والزهد وهو على ثلاثة أقسام: فزهد العام ترك الحرام، وزهد الخاص ترك الفضول من الحلال، وزهد الأخص ترك ما يشغله عن الله تعالى ❖ والورع وهو على ثلاثة أقسام: ورع العام وهو أن لا يتكلم إلا بالله ساخطاً أو راضياً، وورع الخاص وهو أن يحفظ كل جارحة عن سخط الله وورع الأخص وهو أن يكون جميع شغله يرضى الله به ❖ والتقوى وهي على ثلاثة أقسام: تقوى العام باللسان وهو إيثار ذكر من لم يزل ولا يزال على ذكر من لم يكن فكان، وتقوى الخاص بالأركان وهي إيثار خدمة من لم يزل ولا يزال على خدمة من لم يكن فكان، وتقوى الأخص بالجنان وهي إيثار محبة من لم يزل ولا يزال على محبة من لم يكن فكان ❖ والتوكل وهو على ثلاثة أقسام: توكل العام وهو على الشفاعة، وتوكل الخاص وهو على الطاعة، وتوكل الأخص وهو على العناية ❖ واليقين وهو على ثلاثة أقسام: يقين العام وهو علم اليقين، ويقين الخاص وهو عين اليقين، ويقين الأخص وهو حق اليقين ❖ والخوف وهو على ثلاثة أقسام: خوف

العام وهو من عقوبة الله، وخوف الخاص وهو من فراق الله، وخوف الأخص وهو من الله ❖ والرجاء وهو على ثلاثة أقسام: رجاء العام وهو أن يرجو عفوه ويخاف أخذه، ورجاء الخاص وهو أن يرجو فضله ويخاف عدله، ورجاء الأخص وهو أن يرجو فضله ويخاف هجره ❖ والصبر وهو على ثلاثة أقسام: صبر العام وهو عن المعصية، وصبر الخاص وهو على الطاعة، وصبر الأخص مع الحق مع المعية ❖ والشكر وهو على ثلاثة أقسام: شكر العام بالقول وهو الحمد، وشكر الخاص بالفعل وهو البذل، وشكر الأخص وهو معرفة النعم من المنعم ❖ والرضا وهو على ثلاثة أقسام: رضا العام بدين الله وهو موافقته في الدين، ورضا الخاص بثواب الله وهو أن يعمل لوجه الله رجاء ثوابه، ورضا الأخص وهو لله بالله ❖ والحياء وهو على ثلاثة اقسام: حياء العام وهو من التقصير، وحياء الخاص وهو من الإسراف، وحياء الأخص وهو من الحلال ❖ والصدق وهو على ثلاثة أقسام: صدق العـــام وهو في الأقوال، وصدق الخاص وهو في الأفعال، وصدق الأخص وهو في الأحوال ❖ والإخلاص وهو على ثلاثـــة أقسام: إخلاص العام وهو تصفية العمل من الكدورات، وإخلاص الخاص وهو إخراج الخلق من المعاملات، وإخلاص الأخص وهو نسيان رؤية الخلق بدوام رؤية القلب إلى عالم الخفيات ❖ والحلم وهو على ثلاثة أقسام: حلم العام وهو العفو عن الجاني مع إضمار الحنق باطناً، وحلم الخاص وهو العفو عن الجاني مع إضمار الخير له باطناً، وحلم الأخص وهو العفو عن الجاني مقروناً بالبر إليه ❖ والأدب وهو على ثلاثة أقسام: أدب العام وهو ترك ما لا يعني وإن كان صادقاً، وأدب الخاص وهو أن يعرف الخير فيحث نفسه عليه ويعرف الشر فيزجرها عنه، وأدب الأخص وهو المعرفة في النعم والنقم ❖ والقناعة وهي على ثلاثة أقسام: قناعة العام وهي بالقوت، وقناعة الخاص وهي بالذكر، وقناعة الأخص وهي برؤية الله ❖ والفقر وهو على ثلاثة أقسام: فقر العام وهو أن لا يطلب المعلوم حتى يفقد الموجود، وفقر الخاص وهو السكوت عند العدم، وفقر الأخص وهو البذل والإيثار عند الوجود ❖ والعافية وهي على ثلاثة أقسام: عافية العام وهي أن يكون لسانه رطبا بذكر الله ولا يشغله بذكر غير الله، وعافية الخاص وهي أن تكون أركانه مشغولة بخدمة الله عن خدمة غير الله، وعافية الأخص وهي أن لا تكون همته إلى غير الله ❖ والبلاء وهو على ثلاثة أقسام: بلاء العام وهو للتأديب، وبلاء الخاص وهو للتهذيب، وبلاء الأخص وهو للتقريب ❖ والطمأنينة وهي على ثلاثة أقسام: طمأنينة العام وهي لذكر الله، وطمأنينة الخاص وهي بذكر الله، وطمأنينة الأخص وهي بالله ❖ والإعتصام وهو على ثلاثة أقسام: اعتصام العام وهو بدين الله، واعتصام الخاص وهو بحبل الله، واعتصام الأخص وهو بالله ❖ والإستقامة وهي على ثلاثة أقسام: إستقامة العام وهي بالخدمة، واستقامة الخاص

وهي بصدق الهمةِ، واستقامة الأخصّ وهي بتعظيم الجهةِ أي الحرمةِ ❖ والشوق وهو على ثلاثة أقسام: شوق العام وهو إلى الدنيا، وشوق الخاصّ وهو إلى العقبى، وشوق الأخص وهو إلى المولى فمن اشتاق إلى الدنيا اشتاقت النار إليه ومن اشتاق إلى العقبى اشتاقت الجنة إليه ومن اشتاق إلى المولى اشتاق المولى إليه ❖ والأنس وهو على ثلاثة أقسام: أنس العام وهو بالخلق، وأنس الخاص وهو بذكر الله، وأنس الأخص وهو بالحق فالأنس بالخلق هَمّ واقع، والأنس بذكر الله شيء نافع، والأنس بالحق نور ساطع ❖ والمعرفة وهي على ثلاثة أقسام: معرفة العام وهي المعرفة بأفعال الله، ومعرفة الخاص وهي المعرفة بصفاتِ الله، ومعرفة الأخص وهي المعرفة بذات الله فالمعرفة بأفعال الله مقام عوام المؤمنين وبالصفات مقام خواصّ المؤمنين وبالذات مقام الأولياء والأنبياء والمرسلين ❖ والمشاهدة وهي على ثلاثة أقسام: مشاهدة العام وهي بالحق، ومشاهدة الخاصّ وهي للحق، ومشاهدة الأخص وهي الحق. فالمشاهدة بالحق رؤية الأشياء بالدلائل والمشاهدة للحق رؤية الحق في الأشياء ومشاهدة الحق شهود الحق بلا أشياء ❖ والقرب وهو على ثلاثة أقسام: قرب العام وهو فقد حسن الأشياء من القلب، وقرب الخاصّ وهو سكون الضمير مع عالم الغيب، وقرب الأخص وهو رفع الحجاب بينه وبين الرب ❖ والفكر وهو على ثلاثة أقسام: فكر العـــام وهو في آلاء الله فيحصل منه المعرفة، وفكر الخاصّ وهو في وعد الله وثوابه فيحصل منه الرغبة إلى ثواب الله، وفكر الأخص وهو في وعيده وعقابه فيحصل منه الرهبة من عقابه ❖ والذكر وهو على ثلاثة أقسام: ذكر العام وهو باللسان وقلبه غافل وذكر الخاص وهو باللسان وقلبه حاضر وذكر الأخص وهو بالقلب الحاضر ❖ والسماع وهو على ثلاثة أقسام: سماع العام وهو يستمع بنفسه، وسماع الخاص وهو يستمع بقلبه، وسماع الأخص وهو يستمع بروحه. فالسماع على العـــوام حرام لبقاء نفوسهم وعلى الخواصّ مُباح لحصول مشاهدتهم وعلى الأخصّ مستحب لتحقق شهودهم ❖ والوجد وهو على ثلاثة أقسام: وجد العام وهو غشيان الروح من استلذاذ الذكر، ووجد الخاصّ وهو من عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حالة الذكر، ووجد الأخصّ وهو من عجز خشوع الروح عند مطالعة الحق على السِتر ❖ والولاية وهي على ثلاثة أقسام: ولاية العام وهي الخروج من العداوة، وولاية الخاصّ وهي الإختصاص بالمحبة، وولاية الأخص وهي الإصطفاء بالولاية ❖ والنفس وهي على ثلاثة أقسام: نفس العام وهي الأمارة، ونفس الخاص وهي اللوامة ونفس الأخص وهي المطمئنة بالإيمان ❖ والقلب وهو على ثلاثة أقسام: قلب العـــام وهو يطير في الدنيا حول الطاعات، وقلب الخاصّ وهو يطير في العقبى حول الكرامات، وقلب الأخص وهو يطير في سدرة المنتهى حول الأنس والمناجاتِ ❖ والروح

وهو على ثلاثة أقسام: أرواح الأعداء وهي في الجحيم معذبة، وأرواح الأولياء وهي في النعيم منعمة، وأرواح الأنبياء وهي عند الكريم مكرمة ♦ والسر وهو على ثلاثة أقسام: سر الإنسان وهو المودع فيه ألطف من الروح والروح من القلب، وسر الأشياء وهو وجه مظهر الأسماء، وسر الله وهو ما لا يطلع عليه إلا الأنبياء وأخص الأولياء.

(وأما اللطائف) فاعلم أن المجدد الإمام الرباني وأتباعه حققوا أن الإنسان مركب من عشر لطائف، خمسة من عالم الأمر وخمسة من عالم الخلق فالخمسة الأولى القلب والروح والسر والخفاء والأخفى والخمسة الثانية لطيفة النفس والعناصر الأربعة ويطلقون عالم الأمر على ما ظهر بمجرد أمر "كن" وعالم الخلق على ما خلق بالتدريج ودائرة الإمكان متضمنة لهذين العالمين نصفها السافل من العرش إلى الثرى ونصفها العالي فوق العرش وهو عالم الأمر وعالم الخلق تحت العرش ولما خلق الله تعالى الهيكل الجسماني الإنساني أودع هذه اللطائف الأمرية بالمواضع المذكورة من جسم الإنسان بالتعلق والتعشق له وإذا اشتملت عناية الحق بحال العبد يوصله إلى خدمة ولي من أوليائه وذلك الولي يأمره بالرياضات والمجاهدات لتزكية الباطن وتصفيته ويوجه لطائفه إلى أصوله بيمن كثرة الأذكار والأفكار، ففي هذه الطريق ثلاثة أشغال:

(الأول) الذكر سواء اسم الذات أو النفي والإثبات كما سبق.

(والثاني) المراقبة وهي عبارة عن انتظار الفيض من المبدا الفياض وملاحظة وروده على مورده وهي لطيفة من لطائف السالك وهذه اللطيفة يقال لها مورد الفيض ولهذا عينوا لكل مقام مراقبة من المراقبات فعينوا الدائرة الامكان مراقبة الأحدية وهي عبارة عن مراقبة الذات الجامع لجميع صفات الكمال المنزه عن جميع صفات النقصان وهو مسمى الاسم المبارك الله فيلاحظ ورود الفيض من تلك الذات على لطيفة القلب وفي بعض الأحيان يشتغل بهذه المراقبات بلا ذكر ولا يفيد الذكر بلا مراقبة.

(والثالث) الرابطة وهي عبارة عن حفظ السالك صورة شيخه في مدركه أو في قلبه أو يتصور صورته بأنها صورة شيخه فإذا غلبت الرابطة على السالك يرى صورة شيخه في كل شيء ويقولون لهذا الفناء في الشيخ فالطريق الرابطة هي أقرب الطرق ومنشأ ظهور العجائب والغرائب فالذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ ليس موصلا. وأما الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة فكافية في الإتصال.

❖ بيان الفناء والبقاء ❖

(وأما الفناء والبقاء) فاعلم أن أكابر النقشبندية جعلوا أصل الفائدة في الجمعية والحضور

وأنهم لا يُعلمون أيديهم إلى كل رطب ويابس ولا يتوجهون إلى الصور والأشكال الغيبية ولا يعتبرون الكشف والأنوار ويرغبون بحصول أمور أربعة: الجمعية والحضور والجذبات والواردات. فالجذبات عبارة عن انجذاب اللطائف إلى جهة الفوق، والواردات عبارة عن ورود حال من جهة الفوق على القلب بحيث لا يطيق تحمله إلا بتعسر ويقولون لهذه الواردات في هذه الطريقة الإعدام والوجودات وهذا الوارد يرد على السالك في ابتداء حاله أحيانًا بل يرد في كل شهر مرة ثم يكثر وروده فيرد في كل أسبوع مرة وفي كل يوم مرة بل في يوم مرات إلى أن يصل من التواتر إلى التوالي فيحصل اتصال الواردات وهذا العدم والوجود هو الفناء والبقاء في جهة الجذبة ولكن متى تحقق فناء القلب زال من ساحة الصدر التعلق العلمي والإلتحاء لما سواه و لم يظهر خطور السوى أصلاً وفناء القلب يصير في تجليات الأفعال الإلهية يعني رؤية أفعال ما سوى الحق آثار فعله تعالى وإذا غلبت هذه الرؤية على السالك يرى أيضا صفات الممكنات وذواتها مظهر صفات الحق وذاته ويترنم بالتوحيد الوجودي وهو عبارة عن رؤية وجود الممكنات أمواج وجوده ويرى ذاته تموجه في بحر وجود حضرة الحق ويقولون لهذا أرباب التوحيد الوجودي الفناء في الله وإذا استغرق السالك في هذا البحر لم يجد لبصيرته مشهودًا سوى البحر وكلما نظر إلى كل جانب لا يرى غير البحر وأمواجه بل يجد ذاته قطرة من هذا البحر ويرتفع من نظره امتياز القطرة أيضًا لكمال استغراقه.

◆ بيان وحدة الوجود والشهود ◆

(وحدة الوجود والشهود) فقال الإمام جعفر: إن الله تعالى أول الأول وآخر الآخر وأظهر الظاهر وأبطن الباطن فسقطت هذه المعاني وبقي هو إنتهى. وهذا معنى قولهم: التوحيد إسقاط الإضافات.

(واعلم) أن التوحيد الوجودي هو الذوق والشوق والوارد ووضوح أسرار المعية والصيحة والغيبة والإستغراق والرقص والسماع والوجد والتواجد، وكلها في سير لطيفة القلب فإن سيرها أولاً في دائرة الإمكان ومن أحوال هذه الدائرة الجذب والحضور والجمعية والواردات والكشف الكوني وكشف الأرواح وكشف عالم المثال وسير عالم الملك وهو عبارة عن تحت الأفلاك وسير عالم الملكوت وهو عبارة عن عالم الملائكة والأرواح والجنة وما فوق السموات وكلها داخلة في دائرة الإمكان بل تشاهد أمثال هذه الشعبذات في نصفها السافل ويقولون لهذا السير الآفاقي بل كمال الحضور والجمعية والجذبات القوية يحصل في الدائرة الثانية التي هي عبارة عن سير تجليات الأفعال الإلهية وسير ظلال الأسماء والصفات وهي المسماة بدائرة الولاية الصغرى وعلامة وصول القلب إلى دائرة الولاية الصغرى اضمحلال توجهه إلى الفوق

وإحاطته بالجهات الست وأن يرى معيته تعالى اللامثلية بالإدراك اللامثلي بسيطة بالوجود وبجميع العالم وينكشف أسرار التوحيد الوجودي ومنشأ ذلك أنه يظهر للسالك بسبب كثرة العبادات والمجاهدات وترك المألوفات والمرغوب ودوام الذكر والفكر غلبة العشق والمحبة للمحبوب الحقيقي وينجذب قلبه ويتوجه إلى جناب القدس وهذه المجاهدات والترك إذا وقعت منه موافقة لاتباعه عليه السلام تصفي باطنه من علائق السوى وتخلي قلبه من وسخ الغفلة إلى حد يكون باطنه مرآياً عكوس ظلال الأسماء والصفات الواجبة وحيث لم ير السالك العاشق المسكين محبوبه وقد وصل إليه تعشقه بتصور الصفات وعكوس الظلال عين المحبوب فيتكلم بالشطحيات ويرى صورة محبوبه مرآة باطنه ويكون غائباً ومدهوشاً ويقع في سره خيال الوصال ولا يفرق لغاية عشقه بين الظل والأصيل فلا جرم يتفوه ويجهر بالإتحاد والعينية وتصل غلبة هذه الرؤية عليه إلى حد يرتفع عن نظره تعينه وتشخصه أيضاً ويقول جهرا: سبحاني وأنا الحق. وحيث ورد في الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي يعاملونه بموافقة ظنه ولما في صاحب هذه الحالة عن نفسه وعن حظوظه فهو بعيد عن الطعن والملام وداخل في زمرة الأولياء والمجذوبين للحق سبحانه.

(واعلم) أن التكلم بكلمات التوحيد ووحدة الوجود قبل وصول القلب إلى الدائرة الثانية التي هي مقام انكشاف التوحيد خلاف الشريعة فتخيل العوام مراقبة التوحيد لا يزيدهم غير خسارة الدنيا والآخرة.

❖ بيان الولاية الصغرى ❖

(وأما الولاية الصغرى) وهي عبارة عن سير تجليات الأفعال الإلهية وسير ظلال الأسماء والصفات فاعلم أن دائرة ظلال الأسماء والصفات مبدأ لتعينات جميع الممكنات سوى الأنبياء والملائكة عليهم السلام وأن كل فرد من أفراد العالم يصل إليه الفيوضات بتوسط الصفات والظلال التي هي وسائط بين المخلوقات وذات حضرة الحق ولو لم تكن هذه الأسماء والصفات لم يوجد العالم الذي كان عدماً محضاً لأن الحضرة الموصوفة بالإستغناء ليس لها مناسبة بالعالم إن الله لغني عن العالمين، فكل شخص من أفراد العالم يصل إليه فيوض وكمالات بواسطة يقولون لها مبدأ تعين هذا الشخص وحقيقته ويسمونه أيضاً العين الثابتة، وما قالته الصوفية من أن الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق، إشارة إلى هذه الظلال، وإذا دخلت هذه اللطيفة في دائرة الولاية الصغرى تفنى وتستهلك في أصل أصله وحقيقته وتبقى بحقيقته هذه فناء لطيفة القلب يصير في التجلي الفعلي، ففي هذا الوقت يختفي عن نظر السالك أفعاله وأفعال جميع المخلوقات، ولا يرى في نظره غير فعل الفاعل الحقيقي، ويسمون ولاية هذه اللطيفة ولاية

آدم عليه السلام ويقولون للسالك الواصل إلى مقصوده من طريق هذه الولاية آدمي المشرب ◆ وفناء لطيفة الروح يصير في الصفات الثبوتية لحضرة الحق سبحانه وفي هذا الوقت يرى السالك صفاته وصفات جميع المخلوقات مسلوبة عنهم ويرى أن كلها منسوبة إلى الله تعالى. ولما كان وجود الأصل أصلا لجميع الصفات فلا جرم ينفي السالك وجوده ووجود الممكنات ويثبته لله تعالى وحده بالتوحيد الوجودي ويقولون لولاية هذه ولاية نوح وإبراهيم عليهما السلام ويقولون للسالك الواصل من هذه إبراهيمي المشرب ◆ وفناء لطيفة السر يصير في شئونات ذات الله تعالى وفي هذا المقام يجد السالك ذاته مضمحلة في ذات الحق سبحانه، ويقولون لولاية هذه اللطيفة ولاية موسى عليه السلام والسالك الواصل من هذه موسوي المشرب ◆ وفناء لطيفة الخفاء يصير في الصفات السلبية له تعالى، وفي هذا المقام يفرد السالك جناب كبريائه تعالى عن جميع المظاهر، ويقولون لولاية هذه اللطيفة ولاية عيسى عليه السلام. والسالك الواصل من هذه عيسوي المشرب ◆ وفناء لطيفة الأخفى يصير في مرتبة الشأن الإلهي الجامع لهذه المراتب كلها وفي هذا المقام يصير السالك متخلقا بالأخلاق الإلهية.

(واعلم) أن ولاية هذه اللطائف كلها تكون في ولاية الدائرة الصغرى وأنهم كما يأمرون في دائرة الإمكان بمراقبة الأحدية كذلك يأمرون في الولاية الصغرى بمراقبة المعية التي هي مفهوم الآية ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾. وتمام سير دائرة الإمكان يعرفه السالك إن كان له كشف أو يخبره الشيخ إن كان صاحب كشف وإن لم يكن لهما كشف فينبغي أن يلاحظ السالك جمعية قلبه فإن بلغ انتفاء الخواطر أوقاتها إلى أربع ساعات كاملات فحينئذ يشرع في مراقبة المعية بأن يلاحظ معيته تعالى به وبجميع لطائفه وعناصره بل بكل ذرة من ذرات الممكنات حتى تدرك معيته تعالى اللامثلية بالإدراك اللامثلي وتحيط بالجهات الست ويضمحل التوجه والحضور الذي كان قد ظهر ففي ذلك الوقت يشرع في سير الولاية الكبرى.

◆ بيان الولاية الكبرى ◆

(وأما الولاية الكبرى) وهي عبارة عن سير دائرة الأسماء والصفات وشئونات الذات له تعالى فاعلم أنه لما ورد على السالك أسرار التوحيد الوجودي وسر المعية كان يرى في وجدانه نورا من العرش المجيد بل فوقه إلى الثرى محيطا به وبكل ذرة من الممكنات وكون ذلك النور لكونه لا لونيا كان مناسبا للسواد وكان مصداق كان الله في عماء وقد رأى أنه طلع مثل الشمس من المطلع وانمحى ذلك النور الأسود الذي كان يظنه ذات الله تعالى ولم يبق له أثر ورأى أنه عاد وجود الممكنات الذي كان يوجد مضمحلا في ذلك النور الأسود إلى الظهور كوجود النجوم في شعشعان نور الشمس ولكن لعدم كون حدة البصر في السير القلبي بقدر

يقتدر على التمييز بين وجود الممكن والواجب كان يقال بالإتحاد ولما وهبوا له من عنايتهم حذقة النظر في سير الولاية الكبرى التي هي ولاية الأنبياء ومقام الصحو والإنتباه رأى أن لوجود الممكنات ثبوتا واستقرارا البتة ولكن يجد وجود الأشياء ظليا أثرا من الوجود الإلهي وقع على الاعدام وجعلها موجودة وكذلك يشاهد أن صفات الممكنات كصفاته تعالى لا عينها وهذا هو معنى التوحيد الشهودي الذي يشاهد في لطيفة النفس ومن هنا يجد معنى أقربيته تعالى والفرق بين المعية والأقربية أن غاية المعية هي الإتحاد وكتمان الإثنينية فإنه وإن كان وجود الممكن مشهودا لكنه تستفاد من حضرة الحق لا ذات الممكن وكذلك صفاته وإن كانت ظاهرة، فهي أيضا من ذلك الجناب سبحانه وحقيقته عدم لا يمكن الإشارة إليه أصلا فعلم من هذا التحقيق أن وجود الأصل بالنسبة إلى وجود الظل أقرب إلى الظل فإن ما ظهر من الأصل لا من غيره إذا نظر إلى وجوده يجده أثرا من الأصل، وإذا نظر إلى صفاته يراها أثرا من صفات الأصل فلا جرم يعترف بأقربية الأصل كيف والقرب الذي ظهر الظل مع ذاته هو من وجود الأصل فجاء الأصل أقرب إلى الظل من وجوده وبيان الأقربية لا يسعه التقرير إذ العقل الناقص عاجز عن درك أقرب إليه من ذاته، فإن هذه المعاملة وراء العقل وموقوفة على الإنكشاف.

(واعلم) أن دائرة الولاية الكبرى متضمنة للدوائر ثلاثة وقوس، يعني أن نصف الدائرة الأولى من الدوائر الثلاثة للولاية الكبرى ينكشف فيه سر الأقربية والتوحيد الشهودي والنصف السافل لهذه الدائرة للأسماء والصفات الزائدتين والنصف العالي مشتمل على الشئونات الذاتية وإلى الدائرة يكون للطائف الخمسة الأمرية العروج ومورد فيض هذه الدائرة لطيفة النفس مع شركة اللطائف المذكورة ويتخيلون في هذه الدائرة الأقربية يعني مفهوم الآية ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾. وإذا تيسر العروج من دائرة الأقربية يقع السير في دائرة الأصل ومنها يترقى إلى دائرة أصل الأصل ومنها إلى الأصل الثالث الذي هو عبارة عن القوس وفي هاتين الدائرتين وفي النصف يحصل كمال الإستهلاك والإضمحلال وفي هذه الدائرة حقيقة الفناء وفي الولاية السابقة صورة الفناء ويعملون في هاتين الدائرتين وفي النصف مراقبة المحبة يعني مفهوم الآية ﴿يحبهم ويحبونه﴾، ومورد الفيض فيها لطيفة النفس.

(واعلم) أن طريق المراقبة في هذه الدوائر أن يخيل السالك ذاته في داخلها ويلاحظ أن فيض المحبة من دائرة أصل الأسماء والصفات يرد على لطيفة إنائيته وكذلك في دائرة أصل الأصل أن فيض المحبة منها يرد على لطيفة إنائيته، وكذلك في القوس الذي هو الأصل الثالث أن فيض المحبة منه يرد على لطيفة إنائيته، وفي هذه الدوائر يفيد التوحيد بتهليل اللسان مع ملاحظة المعنى وعلامة قطع بعض الدائرة وتمامها هي أن الدائرة تنكشف للسالك كقرص الشمس وكلما

قطع من الدائرة شيء فعلى قدره يكون لها الظهور بالنورانية بكمال الشعشعان ومقدارها الذي لم يقطع يعلم فإنه يرى بلا نور كالشمس في وقت الكسوف. وعلامة تمام دائرة الولاية الكبرى أن معاملة فيض الباطن التي كانت تتعلق بالدماغ هي تتعلق بالصدر. وحينئذ يحصل شرح للصدر وتكون سعة الصدر بقدر خارج عن البيان، وإن كانت سعة الصدر في السير القلبي بقدر خارج عنه رأى في قلبه سماوات متعددة وشاهد فيه قلوبا كثيرة وتكون هذه السعة في القلب فقط.

❖ بيان سعة الصدر التي تحصل في الولاية الكبرى ❖

(سعة الصدر التي تحصل في الولاية الكبرى) فتكون شاملة لتمام الصدر عمومًا وتكون في محل لطيفة الأخفى خصوصًا وعلامة شرح الصدر بطريق الوجدان هي أن يرتفع الإعتراض على أحكام القضاء وفي هذا المقام يصير مطمئنا ويحصل له الإرتقاء على مقام الرضا ويكون راضياً بالقضاء في جميع الأحوال والأفعال.

❖ بيان الولاية العليا ❖

(الولاية العليا) فاعلم أنه لما كان لسوى الأنبياء والملائكة مبادي التعينات وهي ظلال الأسماء والصفات وقد سموا سير هذه المرتبة بالولاية الصغرى وللأنبياء الكرام مبادي التعينات وهي الأسماء والصفات والشئونات وقد سموا سير هذه المرتبة بالولاية الكبرى كذلك للملائكة العظام مبادي التعينات المسماة بالولاية العليا وسير العناصر سوى العنصر الترابي. ولما تفضل وتعطف الشيخ على السالك بتوجه في دائرة الولاية الكبرى فاضت عليه أحوال كل دائرة وكيفياتها وإذا تفضل أيضا بتوجه لأجل شرح الصدر رأى أن معاملة الدماغ تعلقت بالصدر ووجد سعة وأدركت لعناصره الجذبات الإلهية ووقع لها العروج وورد عليها أحوال اللطيفة اللونية وتيسر فناءها الذي في ذات مسمى الباطن وحصل لها الإضمحلال وتيسر بقاؤها بتلك المرتبة المتعالية وحصلت المناسبة بالملائكة الكرام.

(واعلم) أن سير الولاية الكبرى كان في اسم الظاهر وسير الولاية العليا كان في اسم الباطن لأن سير اسم الظاهر يرد فيه التجليات الصفاتية من غير ملاحظة الذات. وأما سير اسم الباطن فإنه وإن كان يرد فيه أيضا تجليات الأسماء والصفات ولكنه أحيانا يشاهد فيه الذات، وقد كشف الصورة المثالية لحضرة زائدة فرأى أنها ظهرت ولكن قد أحاطت بها الأسماء والصفات لحضرة الحق كالخطوط الشعاعية للشمس، وقد تشاهد من غير خطوط ولكنها تظهر وهي في كمال اللالونية وتعود الخطوط الشعاعية إلى الإستتار.

(واعلم) أن الولاية العليا كاللب والولاية الكبرى كالقشر بل كل دائرة تحتانية بالنسبة

إلى دائرة فوقانية لهذه المناسبة الا كمالات النبوة فإنها بالنسبة إلى الولاية لا تتصور فيها تلك المناسبة ويعلمون في هذه الدائرة مراقبة ذات هي مسمى الباطن ومورد الفيض في هذه الولاية العناصر الثلاثة سوى العنصر الترابي والتهليل اللساني وصلاة التطوع مع طول القيام يفيد الترقي في هذا المقام، ولا يحسن ارتكاب الرخصة الشرعية، بل العمل بالعزيمة يفيد الترقي فيه. وسر ذلك أن العمل بالرخصة يجذب الإنسان إلى طرف البشرية، والعمل بالعزيمة يظهر المناسبة بالملكية فكلما زادت المناسبة بالملكية تيسر سرعة الترقي في هذه الولاية.

(وأما) الأسرار التي تحصل في هذه الولاية فإنها ليست كالتوحيد الوجودي والشهودي حتى يأتي شيء منها بالبيان فالأسرار في هذه الولاية التي بالإستتار وليست بقابلة للكشف والاظهار بوجه من وجوه القال.

(وأما بيان الكمالات الثلاثة) كمال النبوة والرسالة وأولي العزم، فلما تفضل وترحم الشيخ وتوجه إلى العنصر الترابي للسالك ورد على لطائفه فيض من كمال النبوة التي هي عبارة عن التجلي الذاتي الدائمي ومعارف هذا المقام فقدان جميع المعارف وتصير هنا نكارة حالات الباطن واللالونية واللاكيفية نقود الوقت. وههنا تظهر قوة في الإيمانيات والعقائد وينقلب الإستدلالي إلى البديهي ومعارف هذا المقام شرائع الأنبياء عليهم السلام. وههنا يكون في نسبة الباطن سعة بحيث تصير سعة الولايات كلها من الولاية الصغرى والكبرى والعليا لا شيئاً محضاً وضيقا صرفا في جنب تلك النسبة ويوجد في الولايات مناسبة كل منها مع الأخرى صورية أو حقيقية.

(وأما هنا) فتنفذ تلك المناسبة وههنا تحصل حقيقة الوصل العرياني مع وجود الفقداني ونكارة حالات الباطن وحصول اليأس ورؤية القصور بحيث يرى نفسه أقبح من كافر الأفرنج (وأما كل وصل كان قبل هذا) فقد كان داخلا في دائرة الوهم والخيال وسرابا يحسبه ماء ظمآن الوصال ولم يكن هناك بيده شيء غير الحسرة والندامة. ولما انكشف هذا المقام حين توجه الشيخ تيسر له معاملة شبيهة بالرؤية وإن لم تكن هي الرؤية الموعودة في الأخرة التي آمنا بها ولكن المعاملة التي تتيسر هنا كالرؤية بالنسبة إلى ما في الولايات من المشاهدات وكما أن الرؤية الأخروية مخصوصة بعالم الخلق فكذلك المعاملة هنا تصيب عالم الخلق وكما يصير لطائف عالم الأمر هنا لا شيئاً محضاً كذلك لطيفة النفس ولطائف العناصر، كلها تصير هنا لا شيئاً وهذه المعاملة مخصوصة بالعنصر الترابي وإن كان للعناصر الأخرى نصيب من هذه الدولة فتبعية هذا العنصر الترابي وههنا أحكام الشرائع وأخبار الغيب من وجود الحق وصفاته تعالى ومعاملة القبر والحشر وما فيه والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر به المخبر الصادق كلها

يصير بديهياً وعين اليقين فإن هنا يكون وجود الحق كالمرآة وتكون الأشياء كالصورة المرئية في المرآة التي وجود الصور فيها وهمي وخيالي ووجودها واقعي لكن في المرآة الصورية تشاهد أولاً الصورة ثم المرآة. وأما ههنا فبخلاف ذلك لأن وجود المرآة ههنا مرئي في أول النظر ووجود الأشياء بعد تدقيق. وهذا يصير وجود الحق سبحانه بديهيا، ووجود الأشياء نظريا يحصل بعد دقة النظر. وهذه معاملة عجيبة لأنه مع علو هذا المقام وبساطته ولالونيته إذا حصل الإنكشاف التام في هذا المقام علم أنه كان مقابلا للنظر وتزايد حيرة وأعجب منها أنها لا تفيد أصلا لحصول هذا المقام أذكار الصوفية المعمولة لهم.

(وأما تلاوة القرآن مع الترتيل) وأداء الصلاة بآدابها والأذكار الثابتة في الحديث فكلها يفيد الترقي في هذا المقام وكذا الاشتغال بعلم الحديث والإتباع للسنة يقوي وينور في هذا المقام وههنا تنكشف حقيقة سر قاب قوسين أو أدنى.

(إعلم) أنهم قرروا التجلي الذاتي الدائمي على ثلاثة مراتب: المرتبة الأولى كمال النبوة وفيها يعملون مراقبة ذات وهي منشأ كمال النبوة. والمرتبة الثانية كمال الرسالة وههنا يعملون مراقبة ذات هي منشأ كمالات الرسالة ويرد فيض هذا المقام على الهيئة الوحدانية الحاصلة للسالك في هذا المقام والهيئة الوحدانية عبارة عن مجموع عالم الأمر وعالم الخلق، فإنه تحصل لكل منهما بعد التصفية والتذكية هيئة أخرى. مثلاً إذا أراد شخص أن يركب معجوناً من أدوية مختلفة التأثير فإنه يدق ويسحق كل واحد منها فرادى ثم يجمعها في قوام الفند والعسل فيحصل للأدوية المذكورة هيئة أخرى وينشأ لها اسم المعجون فكذلك اللطائف العشر يحصل لها هيئة أخرى ويقع لها عروجات كثيرة في هذا المقام وفيما بعده من الفوقانية وأنواره وسعته ولالونيته أكثر من المقام السابق ونسبة كل مقام سابق بالنسبة إليه كاللب مع القشر. والمرتبة الثالثة التي هي عبارة عن كمالات أولى العزم تورد على هيئة الوحدانية فيض هذا المقام في كمال العلوم وكثرة الأنوار. وههنا يعملون مراقبة ذات هي منشأ كمالات أولى العزم. وفي هذا المقام ينكشف أسرار المقطعات القرآنية والمتشابهات وههنا يجعلون بعض الأكابر صاحب سر يقع بين المحب والمحبوب يعطونه بواسطة الاتباع لرسول الله عليه السلام نصيبا من الفضيلة الخاصة بذلك الجناب.

(واعلم) أنه إذا وقعت معاملة الباطن على الهيئة الوحدانية، يعني من كمالات الرسالة يكون الترقي الباطن بمحض الفضل ولا يبقى للعقل ولا للعمل دخل في ذلك أصلاً وإن كان الترقي في جميع المقام بالفضل الإلهي لا بالعمل لكن لما كانت الأعمال هنالك كالأسباب. أما في هذا المقام فلا دخل لتلك الأسباب وإن للذكر في إزالة الكدورة البشرية أثرا تاما، لكنه

لترقي هذه المقامات لا ينتج. مثلا لو اشتغل بذكر اسم الذات أو النفي والإثبات أو التهليل اللساني يرى أن هذه الأذكار لا تصل إلى هذا المقام، بل تقف في الطريق، إلا إذا ضم إلى التهليل اللساني لفظ محمد رسول الله والصلاة عليه ﷺ فتحصل حينئذ قوة في هذه المقامات الفوقانية بل تفهم السعة بلفظ محمد رسول الله أزيد من التهليل. ويحصل ترقيات في هذه المقامات بواسطة القرآن المجيد وكل مرتبة يصل إليها السالك فبواسطة الكلام المجيد.

❖ بيان الحقائق الالهية ❖

(وأما الحقائق الالهية) فاعلم أنه بعد كمالات أولى العزم يقع السلوك إلى طرفين. وذلك باختيار المرشد فأيهما شاء يسلك الطالب إليه (أحدهما) طرف الحقائق الإلهية وهي عبارة عن حقيقة الكعبة وحقيقة القرآن وحقيقة الصلاة (وثانيهما) طرف الحقائق الأنبيائية وهي عبارة عن الحقيقة الإبراهيمية والحقيقة الموسوية والحقيقة المحمدية ولما توجه المرشد في حقيقة الكعبة شاهد في هذا المقام عظمة الحق وكبرياءه واستولت هيبته على الباطن وههنا يعملون مراقبة ذات هي مسجود للممكنات وكم شخص حصل له الفناء والبقاء في هذه المرتبة المقدسة فوجد نفسه متصفا بهذا الشأن وعلم توجه الممكنات إلى جانبه وإن كان في الكمالات حصول لالونيات كثيرة ليس في هذه المقامات بهذا القدر لكن علو النسبة الباطنة وسعتها في هذه المقامات زيادة على الزيادة واللالونية في الحقائق الأنبيائية مع هذا العلو والسعة أقل منها في الحقائق الإلهية. وسر ذلك أن السالك إذا حصل له الفناء والبقاء في مرتبة الذات البحت وتخلق بأخلاق تلك المرتبة فلا جرم يحصل في مدركه قوة يدرك بها النسبة الفوقانية وكذا لا يجد لالونيات تلك المقامات فإنه يعلم أن نسبة الكمالات مع النسب الفوقانية من جنس واحد ولو مناسبة صورية وسبب تمييز اللالونية في نسبة الكمالات أن السالك كانت قوة إدراكه بقدر ما حصل له قبل في الولايات بسبب الفنـاء والبقاء في مرتبة الصفات والشئونات ولهذا يعسر إدراك مرتبة الذات فإن كمالات الولايات كانت حاصلة من مرتبة أخرى وكمال النبوة من باب آخر فلا مناسبة بينهما أصلا ولو مناسبة صورية.

وأما ما قاله بعض الأكابر من أن مرتبة الولاية ظل مرتبة النبوة فغير ثابت بل لا مناسبة بينهما في أمر ما أصلا. وأما مرتبة الكمالات فلها مناسبة مع هذه الحقائق، بل قال المحققون: إن الحقائق بالنسبة إلى الكمالات مثل الأمواج. ومعنى هذا أن الكمالات لما كانت فوقانية مواطن التجليات الذاتية الدائمية فلا جرم أن كل نسبة إذا كانت فوقانية لا تخرج عن مرتبة الذات فإطـلاق لفظ الأمواج عليها سديد فتظهر في نسبة الحقائق أشياء لا تظهر في نسبة الكمالات، مثلا يظهر في حقيقة الكعبة المعظمة عظمة وكبرياء ومسجودية للممكنات على

نحو يعجز العقل عن إدراك ذلك حتى ان حصول هذه المراتب بدون توجه المرشد متعذر. ولما توجه المرشد في حقيقة القرآن المجيد عاين أسرارا في سرادقات العظمة والكبرياء ورأى في عالم المثال حقيقة الكعبة وكيفيتها حتى عرج منها ودخل حقيقة القرآن وهي عبارة عن مبدإ سعة حضرة الذات ويكون شروع سعة حضرة الذات من هذا المقام ويظهر هنا أحوال شبيهة بالسعة وإلا فاطلاق لفظ السعة هنا من ضيق ميدان العبارة وفي هذا المقام تظهر بواطن كلام الله. وفيه وجدت كل حرف من حروف القرآن المجيد بحرا لا نهاية له موصلا إلى كعبة المقصود. [وهنا نكتة عجيبة] وهي أنه لما كان في قراءة القرآن مع هذه القصص المختلفة والأوامر المتغايرة والنواهي المتباينة ظهور اشياء وأسرار وأنوار تلوح على قدرته تعالى وحكمته البالغة، ذكر الله القصص وحكايات الأنبياء عليهم السلام لأجل تعليم العوام وتفهيمهم وأرشد الناس إلى أحكام الشريعة لهدايتهم. ومع هذا يظهر في بطون تلك الحروف كيفيات عجيبة ومعاملات غريبة تزيد حيرة على حيرة ويكون في كل حرف ظهور شأن خاص يصاد به قلوب أهل الإختصاص وفي وقت قراءة القرآن يكون لسان القارئ كالشجرة الموسوية ويكون القلب كله لسانا وعلو النسبة هنا بحيث أن نسبة الكمالات مع علوها وسعتها، بل نسبة حقيقة الكعبة المعظمة مع عظمتها وكبريائها تشاهد تحته. وهنا يعملون مراقبة مبدا سعة لا مثلية حضرة الذات ومورد فيض هذا المقام هو الهيئة الوحدانية.

[وبعد هذا] يتوجه المرشد في دائرة حقيقة الصلاة فيشاهد هنا كمال سعة لا مثلية حضرة الذات وأي شيء أظهر من السعة والعلو في هذا المقام الذي أحد جزأيه حقيقة القرآن والآخر حقيقة الكعبة، وههنا يعملون مراقبة كمال سعة لا مثلية حضرة الذات. وإذا وجد السالك حظا من هذه الحقيقة الطيبة يخرج حين أداء الصلاة من هذا النشئ الدنيوي ويدخل في النشأ الأخروي ويحصل له حالة شبيهة بالرؤية الأخروية. وإذا رفع يديه للتحريمة يغسلهما من الكونين وينبذ وراء ظهره كلتا الدارين ويقف قائلا " الله أكبر" في حضرة الملك الجليل ويرى نفسه حقيرا مبتذلا ولا شيئا محضا في جنب عظمة الله ويفدي كله للمحبوب الحقيقي وحين القراءة يكون موجودا بوجود موهوب لائق بتلك المرتبة المقدسة ويصير متكلما مع حضرة الحق ومخاطبا ذلك الجناب المقدس، ويكون لسانه كالشجرة الموسوية كما سبق في حقيقة القرآن، وإذا ذهب إلى الركوع وأتى بغاية الخشوع يمتاز بمزيد القرب ويتشرف حين قراءته التسبيح بكيفية أخرى فلا جرم يحمد على هذه النعمة رافعا رأسه من الركوع ويقف أيضا في حضرة الحق والكبير في أداء القومة أنه إذا أريد السجود فالذهاب من القيام إلى السجود أبلغ في مزيد التذلل والإنكسار وأي شيء أبين من التوقي الذي يحصل حين أداء السجود

حيث يعجز العقل عن إدراك ذلك والذي يفهم أن خلاصة الصلاة هي السجود وإلى هذا يشير قوله تعالى ﴿واسجدْ واقتربْ﴾ وقوله عليه السلام: «الساجد يسجد على قدمي الله».

ولما توهم في هذا القرب أن العنقاء اصطيدت كبّر رافعاً رأسه من السجدة وقوله "الله أكبر" أي أكبر من أن أعبده حق عبادته وأقرب إليه حق قربه وسؤال المغفرة في الجلسة نشأ من جريمة ذلك التوهم ثم يسجد ثانياً لطلب مزيد القرب ثم يقعد للتشهد ويأتي بشكر الجناب الإلهي وتحياته على إحسانه بهذا القرب والإتيان بكلمتي الشهادة، لأن هذه الدولة القربية بدون التصديق والإقرار بالتوحيد والرسالة محال؛ وقراءة الصلاة على النبي عليه السلام، لأن حصول هذه النعمة بواسطة تبعيته عليه السلام؛ واختار الصلاة الإبراهيمية؛ لأن في الصلاة خلوة مع المحبوب الحقيقي ومنادمة مخصوصة ومصاحبة منصوصة عن مقام الخلة التي هي منصب الخليل عليه السلام فكأنه يطلب بتبركة هذه الصلاة الإبراهيمية تلك المنادمة فيكون نعم الحق، فافهم.

(واعلم) أنه إذا أدى الصلاة مع سننها وآدابها على ما ينبغي كأن ينظر المصلي إلى موضع سجوده في القيام وإلى قدميه في الركوع وإلى مارن أنفه في السجود وإلى فخذيه في القعود وكذا سائر الآداب بأن روعيت جميعاً فلا بد وأن تظهر حقيقة الصلاة وأما ما يفعلونه في القيام من غمض العين مع التوجه لأجل الحضور والجمعية فلا بد وأن يحصل حضور اللطائف لكن لا حاجة لأجل ظهور النسب الفوقانية لغمض العين بل الحضور هنا كله للقالب وحضور القالب إنما يحصل مع رعاية الآداب الموافقة للسنة وغمض العين في القيام بدعة وإن جوّزوه لأجل الحضور وكذلك في استماع القرآن المجيد إن استمع من شخص حسن الصوت يظهر نسبة الولايات وإن استمع من شخص مجود يظهر نسب الحقائق الفوقانية فإن الصوت الحسن له مناسبة مع القلب فلا جرم يظهر نسبة الولاية وإذا قرئ القرآن بصحة الألفاظ وأداء الحروف من مخارجها والترتيل ولو بغير صوت حسن فلا بد من ظهور الحقائق.

[وبعد هذا] توجه الشيخ في المرتبة المقدسة المعبودية الصرف وههنا لا يبقى للقدم مجال وقد تم السير القدمي الذي كان في مقامات العابدية لكن من عناية الله تعالى أنهم ما أوقفوا النظر فيكون ههنا السير النظري ولما توجه المرشد في هذا المقام رأى في المعاملة نفسه في مقام عال نوراني لا لوني جداً وكلما أراد أن يذهب إلى ذلك المقام لم يتيسر له ذلك فعلم حينئذ أن ذلك مقام للعبودية الصرف الذي لا مجال للقدم فيه إلا للنظر الذي يسير حيث شاء. وههنا ينكشف سر معنى الكلمة الطيبة لا معبود إلا الله، ويظهر أنه لا يستحق العبادة حقيقة بأي نوع كانت أحد غير حضرة الأحدية المجردة ولو أسماء وصفات فأين الممكنات، ولا يبقى هنا حقيقة الشرك وينزع من أصله وقد انتهى سير الحقائق الإلهية هنا.

(وأما الحقائق الأنبيائية) وهي عبارة عن الحقيقة الإبراهيمية والحقيقة الموسوية والحقيقة المحمدية والحقيقة الأحمدية فاعلم أنه كما أن الترقي في الحقائق الإلهية موقوف على التفضل كذلك الترقي في الحقائق الأنبيائية موقوف على المحبة ولما توجه المرشد في الحقيقة الإبراهيمية إليه بمراقبة ذات هي منشأ الحقيقة الإبراهيمية أفاض عليه ببركة التوجه كيفية عظيمة وأسرار فخيمة في هذا المقام.

[وبعد هذا] وردت عليه الأنوار من هذا المقام الذي هو عبارة عن خلة حضرة الحق وههنا يظهر أنس خاص وخلوة ذات اختصاص مع حضرة الذات. وقد فهم أن هذه المعاملة والكيفية التي تحصل في هذا المقـــام لا تظهر بهذه الخصوصية في سائر المقامات العالية ولو من قسم الفضل الجزئي. فإن في هذا المقام تظهر المحبوبية الصفاتية وفي الحقيقة المحمدية والأحمدية تظهر المحبوبية الذاتية. ومعنى هذه العبارة أن الذات المتعالي كما يحب ذاته يحب صفاته فالأول يقال له الحقيقة المحمدية والأحمدية والثاني نشأ له اسم الخلة وإن كان هو الحقيقة الإبراهيمية. وفي هذا المقام يحصل للسالك أنس مع الذات حتى لا يتوجه إلى غير حضرة الذات ولو أسماء وصفات ولا إلى مزايات الشيخ ولا يطيب له الإستمداد والإستعانة من غيره تعالى ولو أرواحا وملائكة وههنا تكرار الصلاة الإبراهيمية مفيد للترقي.

[وبعد هذا] يتوجه المرشد في دائرة المحبة الذاتية الصرف وأمره هنا بمراقبة ذات هي منشأ الحقيقة الموسوية والمحبة الذاتية للذات فترد عليه كيفية هذا المقام بالقوة التامة وتظهر محبة ذاته تعالى لذاته والحقيقة الموسوية عبارة عن تلك المحبة.

(وأما ما ذهب إليه بعض الأكابر) من إثبات المحبوبية لموسى عليه السلام فإن كان مراده بذلك أنه عليه السلام محبوب للحضرة سلمنا فإن مرتبة النبوة والرسالة وأولى العزم لا تحصل بدون المحبوبية وأن الأنبياء الكرام كلهم محبوبون ومرادون لحضرة الحق، وطريقهم طريق الأحباب، فليس هذا الكلام منافيا لمطلبنا وإن كان مراده بذلك أن الحقيقة الموسوية عبارة عن المحبوبية الذاتية في الحقيقة الأحمدية فذلك محل تأمل وقد تحمل كيفية في هذا المقام حتى جرى من لسانه من غير اختيار ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ وهو خصوص هذا المقام. والعجب أن هذا المقام مع ظهور المحبة الذاتية فيه يظهر فيه شأن الإستغناء والدلال وهذا من اجتماع الضدين ومن هنا يعلم سر ما صدر في بعض المواضع من حضرة الكليم عليه السلام من بعض كلمات تفهم الدلال مثل ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ ﴿وأخاف أن يقتلون﴾. وهنا تفيد الترقي أيضا هذه الصلاة، وهي: اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، خصوصا على كليمك موسى عليه السلام.

[وبعد هنا] يتوجه المرشد في حقيقة الحقائق التي هي عبارة عن الحقيقة المحمدية عليها السلام وأمره هنا بمراقبة ذات هو محب ذاته ومحبوب ذاته ومنشأ الحقيقة المحمدية فتظهر له المحبة الممتزجة مع المحبوبية واجتماع هاتين النشأتين له كيفية لا يستقيم بيانها بالتحرير، ويحصل له فناء وبقاء في هذه المرتبة المقدسة، ويتيسر له فيها إتحاد بالنبي عليه السلام خاص، ويصل بتبعيته ﷺ إلى هذه المرتبة، ويكشف له في البين عن أسرار ظاهرها موجب لألفاظ الفتنة. وههنا يظهر معنى ما قال بعض الأكابر من ارتفاع التوسطة وشوهد أنه وقع لهذا الشخص مع ذلك الجناب معاملة المعية في العتاب والتوسد بحبيب واحد. ومع ذلك كله يحصل مع حبيب الله محبة خاصة يتضح منها إمام الطريقة حضرة المجددي أحب الله تعالى لأنه رب محمد ﷺ. وههنا تطيب المشابهة والمناسبة بحبيب الله ﷺ في جميع الأمور جزئية وكلية دنيوية ودينية خصوصاً العمل بكتاب الله والسنة والقوة فيهما، فتبصر.

[وبعد هذا] يتوجه المرشد في الحقيقة الأحمدية وأمره هنا بمراقبة ذات هو محبوب ذاته ومنشأ الحقيقة. وههنا يظهر علو النسبة مع شعشعان الأنوار وتبدو في البين أسرار وفي هذا المقام تنكشف المحبوبية الذاتية كما كان في الخلة انكشاف المحبوبية الصفاتية ومعنى المحبوبية الذاتية أن في ذات المحبوب مع قطع النظر عن صفاته الجميلة التي هي عبارة عن مثل الخط والخال وهما من موجبات المحبة يكون الشيء موجباً للتعشق. وههنا تفيد الترقي أيضاً هذه الصلاة، وهي: اللهمّ صل على سيدنا محمد وعلى آلـه وأصحابه أفضل صلواتك عدد معلوماتك وبارك وسلم كذلك.

[وبعد هذا] يتوجه المرشد إليه في الحب الصرف الذاتي وأمره ههنا بمراقبة الحب الصرف الذاتي ويظهر ههنا كمال العلو واللالونية ونسبة الباطن فإن هذه المرتبة أقرب إلى حضرة الإطلاق واللاتعين ومن المقامات المخصوصة بالنبي عليه السلام وحقائق سائر الأنبياء عليهم السلام لا تثبت في هذا المقام فإن عند الإمام الرباني أول معنى الحق بحضرة اللاتعين هو التعين الحبي وقرره ﷺ بأن هذا التعين الأول في الحقيقة المحمدية.

[وبعد هذا] يتوجه المرشد في مرتبة اللاتعين وهذا المقام أيضاً من المقامات الخاصة بحضرة الرسالة صلى الله عليها وسلم ولا يكون هنا السير القدمي وأما السير النظري فلا بد من أن يكون لكن إلى أين يقع النظر. (وبعد هذا) قد يتوجه المرشد في دائرة السيف القاطع.

[واعلم] أن هذه الدائرة وقعت حذاء دائرة الولاية الكبرى ووجه تسميتها بهذا الإسم أن السالك إذا وضع قدمه في هذه فإنها تقطع وجوده مثل السيف القاطع وتعلمه ولا تترك منه إسماً ولا أثراً ولهذا سموها بذلك.

[وبعد هذا] يتوجه المرشد في دائرة القيومية، وهي ناشئة من دائرة كمالات أولي العزم وسر ذلك أن القيومية منصب الأنبياء من أولي العزم وخص الله بهذا المنصب العظيم من هذه الأمة حضرة المجددي وأولاده وخلفائه كما أن عبد الله الدهلوي قدس الله سره اتخذ هذا المقام فكان قيوم الزمان وقطب الدوران فكل أحد تعلقت المشيئة الإلهية بهذا المنصب أن يختص به فلا حاجة له بالتوجه ويظهر له في البين أحوال وأسرار لا يستقيم بيانها باللسان ويتشرف بفيض خاص من هذه الدائرة العالية الشأن التي قصرت عن كيفية علوها الأذهان [وبعد هذا] يتوجه المرشد في دائرة حقيقة الصوم التي وقعت حذاء حقيقة القرآن. وإذا ترحم وتفضل المرشد بالتوجه في هذا المقام ورد على السالك الذرة اللامقدارية وآثار هذه الحقيقة العالية وأنوارها وعجائبها وأحوالها خارجة عن التعقل وظهر له عدم خاص وصمدية ذات اختصاص وحصل له حظ وافر وبحر عميق وأسرار لا يمكن إظهارها وهذه بيان السلوك لمقامات هذه الطريقة منحها الله بلطفه العميق إلى السالك الصديق. ولو صرف تمام عمره في شكر هذا الإحسان ولم يبق من نفسه إسماً ولا أثراً وجعل ذاته وشأنه كتراب الذل والهوان، لما أدى واحداً من الوف إلا بلطف المنان بل لو كان على كل شعرة لسان لما أدى شكر شيء الآن الأمان الأمان أسئلك حق الإيمان يا عزيز يا لطيف يا حنان بحرمة سورة الرحمن والحمد لله على ذلك تماماً ودواماً والصلاة والسلام على أسعد المخلوقات سراً وظهوراً وكمالاً.

تم

كتاب جامع الأصول

في الأولياء وأنواعهم

ويليه

متمماته

متممات جامع الأصول

بسم الله الرحمن الرحيم

قد شرعتُ بعد تميم كتاب جامع الأصول في هذه المتممات، وبدأتُ بكلمات الصوفية وجميع اصطلاحاتهم على حروف الهجاء ومراتب العباد وتعلقهم ومظهريتهم لجميع الأسماء الإلهية. ومقاماتهم تتفرع ألف مقام، وأخرتُ تعريفاتها في آخر الكتاب، وبينت كثيرًا من الشروط والآداب والمسائل البديعة والمهمات في الشريعة والحقيقة والمعرفة. وهذا علم المثل والوجود وهو زبدة الحقائق والكمالات وحياة القلوب والطاعات وروح العلويات والسفليات، وفيه عرفان أهل الأرض والسموات، وحكم الدارين والكائنات. اللهم سلّم إيمان كل من يطالع هذا الكتاب، أو يعلم أو يتعلم أو يكون سببًا لها، وأعطنا تمام مغفرتك وتمام معرفتك وتمام توفيقك وتمام رضوانك.

باب الألف

الألف : يشار به إلى الذات الأحدية أي الحق، من حيث هو أول الأشياء في أزل الآزال.

الاتحاد : هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كونه موجودًا به، معدومًا بنفسه، لا من حيث إن له وجودًا خاصًا اتحد به، فإنه محال. وإنما يتحقق شهود الواحد إذا كان مطلقًا بهذا الوجه، أي باتحاد الكل به لا غير، وذلك لأن الواحد المطلق لا يكون وراءه شيء خارج عنه، غير محاط به. وإلا لا يكون واحدًا لتحقق الاثنينية ولا مطلقًا لظهور القيد باعتبار ذلك الخارج. فإذا شوهد الواحد المطلق فإنما يتحقق هذا في قرب النوافل.

الاتصال : هو ملاحظة العبد عينه متصلاً بالوجود الأحدي، بقطع النظر عن تقييد وجوده بعينه، وإسقاط إضافته إليه فيرى اتصال مدد الوجود ونفس الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع، حتى يبقى موجودًا به.

الأحد : هو اسم الذات باعتبار انتفاء تعدد الصفات والأسماء والنسب والتعينات عنها.

الأحدية : هو الاسم باعتبار الصفة مع إسقاط الجميع من الصفات والأسماء والنسب والتعينات.

أحدية الجمع : اعتبارها من حيث هي بلا إسقاطها بحيث يندرج فيها النسب فإن تلك الحيثية كما تطلق على الذات بهذا الاعتبار تطلق أيضًا باعتبار إسقاط النسب، وإنما

سميت بها لجمعها الأحدية والواحدية.

إحصاء الأسماء الإلهية : هو التحقق بها في الحضرة الواحدية، بالفناء عن رسوم الخلقية، والبقاء ببقاء الحضرة الأحدية. وأما إحصاؤها بالتخلق بها، فهو موجب دخول الجنة بالوراثة بصحة المتابعة وهو المشار إليها بقوله تعالى: ﴿أولئك الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾. وأما إحصاؤها بتيقن معانيها والعمل بها وبفحاويها، فإنه يستلزم دخول جنة الأفعال بصحة التوكل في مقام المجازاة.

الأحوال : هي المواهب الفائضة على العبد من ربه، إما واردة عليه ميراثاً للعمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب، وإما نازلة من الحق امتناناً محضاً. وإنما سميت أحوالاً، لتحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات العبد إلى صفاء الحقيقة ودرجات القرب. وذلك هو معنى الترقي.

الإحسان : هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أي رؤية الحق موصوفاً بصفاته بعين صفته، فهو يراه يقيناً ولا يراه حقيقة. ولهذا قال ﷺ : «كأنك تراه» لأنه يراه وراء حجب صفاته بعين صفاته، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة أي لا تبقى حصة العبد في رؤية الحقيقة بسلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) والمراد الأوصاف العينية في رؤية الحقيقة بالحقيقة. إنما يكون الرائي هو الحق، ولا يكون للعبد أثر، وهذا غير مقام المشاهدة، إذ الرائي فيها هو العبد، أي رؤية الحق حقيقة بحقيقته إنما تكون في مقام الروح، والإحسان في مقام المشاهدة، وهي حق اليقين.

الإرادة : هي مبادى المحبة، وقيل: جمرة من نار المحبة في القلب مقتضية لإجابة دواعى الحقيقة.

أرائك التوحيد : هي الأسماء الذاتية لكونها مظاهر الذات أولاً في الحضرة الواحدية.

الإسم : باصطلاحهم ليس هو اللفظ، بل ذات المسمى باعتبار صفة وجودية كالعليم والقدير، وعدمية كالقدوس والسلام لأن القدوس الطاهر المبرأ المتنزه.

الأسماء الذاتية: هي التي لا يتوقف وجودها على وجود الغير، وإن توقف على اعتباره وتعلقه كالعليم، وتسمى الأسماء الأولية ومفاتيح الغيب وأئمة الأسماء،

الإسم الأعظم : هو الإسم الجامع لجميع الأسماء، وقيل: هو الله، لأنه اسم الذات الموصوفة بجميع الصفات، أي المسماة بجميع الأسماء. ولهذا يطلقون الحضرة الإلهية على حضرة الذات مع الأسماء، وعندنا هو اسم الذات الإلهية من حيث هي هي، أى

المطلقة الصادقة عليها مع جميعها، أو مع بعضها، أو لا مع واحد منها لقوله تعالى ﴿ قل هو الله أحد ﴾.

الإصطلام : هو الوله على القلب، وهو قريب من الهيمان، وهو أنزل منه رتبة وكمالا.

الأعراف : هو المطلع، وهو مقام شهود الحق في كل شيء متجليا بصفاته التي ذالك الشيء مظهرها، وهو مقام الأشراف على الأطراف. قال الله تعالى ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾، وقال النبي عليه السلام: « إن لكل آية ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ».

الأعيان الثابتة: هي أعيان الممكنات في علم الحق تعالى.

الأفراد : هم الرجال الخارجون عن نظر القطب.

الأفق المبين: هو نهاية مقام القلب.

الأفق الأعلى: هو نهاية مقام الروح، وهي الحضرة الواحدية والحضرة الألوهية.

الآلية : كل اسم إلهي مضاف إلى ملك أو روحاني.

الأمناء : هم الملامتية، وهم الذين لم يظهروا مما في بواطنهم أثرا على ظواهرهم، وتلامذتهم يتقلبون في مقام الفتوة.

الإمامان : هما الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث أي القطب ونظره في الملكوت؛ والآخر عن يساره ونظره في الملك وهو أعلى من صاحبه وهو الذي يخلف القطب.

أم الكتاب : هو العقل الأول.

الآن الدائم: هو امتداد الحضرة الإلهية الذي يندرج فيه الأزل في الأبد وكلاهما في الوقت الحاضر لظهورها في الأزل على أحايين الأبد، وكون كل حين منها مجمع الأزل والأبد فيتحد فيه الأزل والأبد والوقت الحاضر. فلذلك يقال لباطن الزمن وأصل الزمن سرمد الآن الآنات الزمانية نقوش عليه وتغييرات يظهر بها أحكامه وصوره، وهو ثابت على حاله دائما سرمدا وقد يضاف للحضرة العندية لقوله عليه السلام: ليس عند ربك صباح ومساء. (واعلم) أن حقيقة الذات الإلهية من حيث هي هي امتدادها، أعني مدة بقائها غير مضبوط لأنها من حيث هي كذلك لا وصف لها ولا رسم، فهي في العماء كما في الحديث، إذ لا يمكن معرفتها بوجه من الوجوه ما لم تتعين بصفته ثم أول التعينات علمها بذاتها، فهذه الصفة تنزل لها من الحضرة الإلهية الذاتية التي لا نعت لها إلى الحضرة الواحدية التي هي حضرة الأسماء والصفات، وتسمى الحضرة

الإلهية. وهذه أثبتت للحضرة الأولى أزلية الآزال لهذه النسبة إلا بعد اعتبارية من الذات الأحدية وصفاتها، إذ لا تعقل النسبة إلا بعد اعتبار الإثنينية، وسميت تلك النسبة النسبة السرمدية، وقد تحققت أزلية الآزال أعني تقدم الأحدية على الواحدية، فالواحدية هي الحضرة التي لأزليتها أول، وهي أزلية الآزال، وذلك ابتداء النسبة السرمدية، وقد اقتضت الحضرة الإلهية بهذه النسبة حقائق الإعتبار بحكم العالمية، فتحدث بحدوث الأعيان بحكم حقيقة الأولى، وتلك الأعيان كقادريته على إيجادها ومشيئته لها والتكليم لها بخطاب كن، والسمعية ورعايتها بطلب الإيجاد على الوجه الذي عينته المشيئة المسماة بالعناية الأزلية، والبصرية لشهودها على تلك الصفات المتباينة، والعالمية بحكم على الذات بالحياة، فجعلت هذه السبعة مع الذات أئمة الأسماء، لأنها أسماء أولية متقدمة على سائرها، وفي الحقيقة صفة العالمية تقتضي أن يكون اسم العالم إمام الأئمة السبعة، لتحقق تقدم العلم على الإرادة. ولما كانت هذه الصفات أمورًا اعتبارية مقتضية لربوبية الرب المطلق لجميع الأشياء بواسطتها، كانت أزليات هذه الأسماء متقدمة، تبصّر.

الأنانية : هي الحقيقة التي يضاف إليها كل شيء من العبد، كقوله : روحي ونفسي وقلبي ويدي ومالي.

الآنية : تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية.

الإنزعاج : تحرك القلب إلى الله بتأثير الوعظ والسماع فيه.

انصداع الجمع : هو الفرق بعد الجمع بظهور الكثرة في الوحدة واعتبارها فيها.

الأوتاد : هم الرجال الأربعة الذين على منازل الجهات الأربع من العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب، بهم يحفظ الله تلك الجهات، لكونهم محل نظره تعالى.

أئمة الأسماء : هي الأسماء السبعة الأول المسماة بالأسماء الإلهية، وهي الحي والعالم والمريد والقادر والسميع والبصير والمتكلم، وهي أصول الأسماء كلها، وبعضهم أورد مكان السميع والبصير، الجواد والمقسط. وعندي أنهما من الأسماء الثانية، لإحتياج الجواد والمقسط إلى العلم والإرادة والقدرة، بل إلى الجميع لتوقفهما على رؤية استعداد المحل الذي يفيض عليه الجواد الفيض بالقسط، وعلى سماع دعاء السائل بلسان الإستعداد، وعلى إجابة دعائه بكلمة "كن" على الوجه الذي يقتضيه استعداد السائل من الأعيان الثابتة، فهي كالموجد والخالق والرزاق التي هي من أسماء الربوبية، وجعلوا الحي إمام الأئمة لتقدمه على العالم الذاتي، لأن الحياة شرط العلم، والشرط مقدم على

المشروط طبعا. وعندنا أن العالم بذلك أولى، لأن الإمامة أمر نسبي تقتضي مأموما وإماما، وكونه أشرف من المأموم والعلم يقتضي بعد الذي قام به معلوما، والحياة لا تقتضي غير الحي، فهي عين الذات غير مقتضية للنسبة. وأما كون العلم أشرف منها فظاهر، ولهذا قالوا: إن العالم هو أول ما تتعين به الذات دون الحي لأنه غير مقتض للنسبة، كالموجود والواجب، ولا يلزم من التقدم بالطبع الإمامة. ألا ترى أن المزاج المعتدل للبدن شرط الحياة، ولا شك أن الحياة متقدمة عليه بالشرط.

باب الباء

الباء : يشار به إلى أول الموجودات الممكنة، وهي المرتبة الثانية من الوجود.

باب الأبواب : هو التوبة، لأنها أول ما يدخل به العبد حضرات القرب من جناب الرب.

البارقة : هي لائحة ترد من الجناب الأقدس وتنطفئ سريعا، وهي من أوائل الكشف ومباديه.

الباطل : هو ما سوى الحق، وهو العدم، إذ لا وجود في الحقيقة إلا للحق، لقوله عليه السلام : أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد (أي من بحر الطويل):

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ۝ وكل نعيم لا محالة زائل

البدلاء : هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسدا على صورته فيه، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، وذلك معنى البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.

البدنة : هي كناية عن النفس الآخذة في السير، القاطعة لمنازل السائرين ومراحل السالكين.

البرق : هو أول ما يبدو للعبد من اللامع النوري، فيدعوه إلى الدخول في حضرة القرب من الرب للسير في الله.

البرزخ : هو الحائل بين شيئين، ويعبر به عن عالم المثال الحاجز بين الأجساد الكثيفة وعالم الأرواح المجردة، أعني الدنيا والآخرة، ومنه الكشف الصوري.

البرزخ الجامع : هو الحضرة الأحدية والتعين الأول الذي هو أصل البرازخ كلها، ولهذا يسمى البرزخ الأول والأعظم والأكبر.

البسط : في مقام القلب بمثابة الرجاء في مقام النفس، وهو وارد يقتضيه إشارة إلى قبول ولطف ورحمة وأنس يقابله القبض، كالخوف في مقابلة الرجاء في مقام النفس، والبسط في مقام الخفاء هو أن يبسط الله العبد مع الخلق ظاهرا ويقبضه إليه باطنا رحمة للخلق، فهو يسع الأشياء ولا يسعه شيء، ويؤثر في كل شيء ولا يؤثر فيه شيء.

البصيرة : قوة للقلب منورة بنور القدس، يرى بها حقائق الأشياء، وبواطنها بمثابة البصر للنفس الذي ترى به صور الأشياء وظواهرها، وهي القوة التي تسميها الحكماء

(العاقلة النظرية). أما إذا تنورت بنور القدس وانكشف حجابها بهداية الحق، فيسميها الحكيم (القوة القدسية).

البقرة : كناية عن النفس إذا استعدت للرياضة وبدت فيها صلاحية قمع الهوى الذى هو حياتها، كما يكنى عنها بالكبش قبل ذلك، وبالبدنة بعد الأخذ فى السلوك.

البواده : جمع بادهة، وهى ما يفجأ القلب من الغيب، فيوجب بسطا أو قبضا.

بيت الحكمة : هو القلب الغالب فيه الإخلاص.

بيت القدس : هو القلب الطاهر من التعلق بالغير.

بيت المحرم : قلب الإنسان الكامل الذي حرم على غير الحق.

بيت العزة : هو القلب الواصل إلى مقام الجمع حال الفناء فى الحق.

باب التاء

يكنى بالتاء عن التاء باعتبار التعينات والتعددات.

التأنيس : هو التجلي فى الظاهرة الحسية، تأنيسا للمريد المبتدئ بالتزكية والتصفية، ويسمى التجلي الفعلي، لظهوره فى صور الأسباب.

التجلي : هو ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب، والتجلي الأول هو التجلي الذاتي، وهو تجلى الذات وحدها لذاتها، وهى الحضرة الأحدية التي لا نعت فيها ولا رسم، إذ الذات وجود الحق المحض، لأن ما سوى الوجود من حيث هو وجود الحق ليس إلا العدم المطلق، وهو اللاشيء المحض، فلا يحتاج فى أحديته إلى وحدة وتعين يمتاز به عن شيء، أى وحدته عينه لا عين غيره، فوحدته عين ذاته، وهذه الوحـــدة منشأ الأحدية والواحدية، لأنها عين الذات من حيث هى، أعني لا بشرط شيء، أي المطلق الذى يشتمل كونه بشرط أن لا شيء معه هو الأحدية، وكونه بشرط أن يكون معه شيء هو الواحدية، والحقائق فى الذات الأحدية كالشجرة فى النواة، وهى غيب الغيوب.

والتجلي الثانى وهو الذى يظهر به أعيان الممكنات الثابتة التى هى شئون الذات لذاته تعـــالى، وهو التعين الأول بصفة العالمية والقابلية، لأن الأعيان معلوماته، والذاتيـــة القابلية للتجلي الشهودي، وللحق بهـــذا التجلي نزول عن الحضرة الأحدية إلى الحضرة الواحدية بالنسب الأسمائية.

التجلي الشهودي : هو ظهور الوجود المسمى باسم النور، وهو ظهور الحق بصور أسمائه فى الأكوان التى من صورها، وذلك الظهور مدد هو نفس الرحمن الذى يوجد به الكل.

التحقيق : هو شهود الحقّ في صور أسمائه التي هي الأكوان، فلا يحجب المحقق بالخلق عن الحقّ، ولا بالحقّ عن الحقّ.

التصوف : هو التخلق بالأخلاق الإلهية.

التلوين : هو الإحتجاب عن أحكام حالٍ أو مقامٍ سنيٍ بآثار حالٍ أو مقام دنيٍ وعدمه على التعاقب، وآخره التلوين في مقام الجمع بالتجليات الأسمائية في حال البقاء بعد الفنـاء. وإنما قال الشيخ الأكبر قدّس سرّه، "إنما عندنا أكمل المقامات" وعند أكثرين ناقص، لأنّه أراد بالتلوين الفرق بعد الجمع، إذا لم تكن كثرة الفرق حاجبة عن وحدة الجمع، وهو مقام أحدية الفرق في الجمع وانكشاف حقيقة عن قوله تعالى : ﴿ كُلَّ يوم هو في شأن ﴾. ولا شك أنه أعلى المقامات، وعند هذه الطائفة ذلك نهاية التمكن. وأما التلوين الذي هو آخر التلوينات، فهو عند مبادئ الفرق بعد الجمع، بحيث يحجب الموحِّد بظهور آثار الكثرة عن حكم الوحدة.

باب الثاء

الثاء : يشار به إلى ثواب الدارين، وإلى أوّل ما تعلّق في الأزل من اللطف والإحسان والجزاء والكرم، وهو في المرتبة الثانية.

الثقة : هو تصديق الخبر جزماً والإعتماد على ذاهب القوى والقدر والوثوق بقول النبي ﷺ.

باب الجيم

الجذبة : هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طيّ المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه وجهد وتكلف.

الجرس : إجمال الخطاب بضرب من القهر.

الجسد : هو ما ظهر من الأرواح، وتمثّل في جسم ناري أو نوري.

الجلاء : ظهور الذات المقدّسة لذاته في ذاته، والإستجلاء ظهورها لذاته في تعيناته.

الجلال : هو احتجاب الحقّ سبحانه عنا بعزته أن نعرفه بحقيقته وهويته، كما يعرف هو ذاته، فإن ذاته سبحانه لا يراها أحد على ما هي عليه إلا هو.

الجمال : هو تجليه لوجهه لذاته فلجماله المطلق جلال هو قهاريته للكل عند تجليه لوجهه، فلم يبق أحد حتى يراه هو الجمال، وله دنو يدنو به منا، وهو ظهوره في الكل، كما قال العارف :

جمالك في كلّ الحقائق سافر ۞ وليس له إلا جمالك ساتر
تجليت للأكوان خلف ستورها ۞ فنمت بما تخفى عليه السرائر

ولهذا الجمال جلال هو احتجابه بتعينات الأكوان، فلكل جمال جلال، ووراء كل جلال جمال. ولما كان في الجلال ونعوته معنى الإحتجاب والعزة، لزمه العلو والقهر من الحضرة الإلهية والخضوع والهيبة منا. ولما كان في الجلال ونعوته معنى الدنو والسفور، لزمه اللطف والرحمة والعطف من الحضرة الإلهية، والأنس منا.

الجمعية : هو اجتماع الهمم في التوجه إلى الله والإشتغال به عما سواه، وبإزائها التفرقة، وهي توزع الخاطر للإشتغال بالخلق.

الجمع : شهود الحق بلا خلاف.

جمع الجمع : شهود الخلق قائمًا بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع.

جنة الأفعال : هي الجنة الصورية من جنس المطاعم اللذيذة، والمشارب الهنيئة، والمناكح البهية، ثوابًا للأعمال الصالحة وتسمى جنة الأفعال وجنة النفس.

جنة الوراثة : هي جنة الأفلاك الحاصلة بحسن متابعة النبي ﷺ.

جنة الصفات : هي الجنة المعنوية من تجليات الصفات والأسماء الإلهية، وهي جنة القلب.

جنة الذات : هي مشاهدة الجمال الأحدي، وهي جنة الروح.

الجنائب : هم السائرون إلى الله في منازل النفوس، حاملين لزاد التقوى والطاعة، ما لم يصلوا إلى مناهل القلب ومقامات القرب، حتى يكون سيرهم في الله.

جهتا الضيق والسعة : هما اعتباران للذات، إما بحسب تنزيهها عن كل ما يفهم ويعقل، وهو اعتبار الوحدة الحقيقية التي لا اتساع معها إلى الغير، لا وجودًا ولا تعقلًا، وهو الضيق، كقولهم : لا يعرف الله إلا الله، وإما بحسب ظهورها في جميع المراتب باعتبار الأسماء والصفات المقتضية للمظاهر الغير المتناهية، وهو السعة كما قيل :

لا تقل دارها بشرقي نجد ۞ كل نجد للعامرية دار

ولها منزل على كل ماء ۞ وعلى كل دمنة آثار

جهتا الطلب : هما جهتا الوجوبية والإمكانية، وهما طلب الأسماء الربوبية ظهورها بالأعيان الثابتة. وطلب الأعيان، ظهورها بالأسماء وظهورها في شئونه إجابة السؤالين، وحضرتهما حضرة التعين الأول.

جواهر العلوم والأنباء والمعارف : هي الحقائق التي لا تتغير ولا تتبدل باختلاف الشرائع والأمم والأزمنة، كما قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا، والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾.

باب الحاء

الحال : ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل واجتلاب، كحزن أو خوف أو بسط أو قبض أو ذوق، ويزول بظهور صفات النفس، سواء تعقبه المثل أو لا، فإذا دام وصار ملكا سمي مقاما.

حجة الحق على الخلق : هو الإنسان الكامل كآدم ﷺ، حيث كان حجة على الملائكة في قوله ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ... إلى ... تكتمون ﴾.

الحجاب : هو انطباع الصور الكونية في القلب، المانعة لقبول تجلي الحقائق.

الحروف : هي الحقائق البسيطة من الأعيان.

الحروف العاليات : هي الشئون الذاتية الكائنة في غيب الغيوب كالشجرة في النواة. وإليه أشار بقوله :

كنا حروفاً عاليات لم نقل ⊙ متعلقات في ذرى أعلى القلل

أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو ⊙ والكل في هو هو فسل عمن وصل

الحرية : هي الإنطلاق عن رق الأغيار، وهي على مراتب : حرية العامة عن رق الشهوات، وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم في إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار، لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار.

الحرق : هو أوسط التجليات الجاذبة إلى الفناء التي أوائلها البرق وأواخرها الطمس في الذات.

حفظ العهد : هو الوقوف عند ما حده الله تعالى لعباده، فلا يفقد حيثما أمر الله، ولا يوجد حيثما نهى.

حفظ عهد الربوبية والعبودية : هو أن لا تجد كمالاً إلا إلى الرب، ولا نقصاً إلا إلى العبد.

حقيقة الحقائق : هي الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق، وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود.

الحقيقة المحمدية : هي الذات مع التعين الأول، فله الأسماء الحسنى كلها، وهو الإسم الأعظم.

حقائق الأسماء : هي تعينات الذات ونسبها، لأنها صفات تتميز بها الأسماء بعضها عن بعض.

حق اليقين : هو شهود الحق حقيقة في مقام عين الجمع الأحدية.

الحكمة : هي العلم بحقائق الأشياء وأوصافها وخواصها وأحكامها، وارتباط الأسباب بالمسببات، وأسرار انضباط نظام الموجودات، والعمل بمقتضاه، ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾.

الحكمة المنطوق بها : هي علوم الشريعة والطريقة.

الحكمة المسكوت عنها: هي أسرار الحقيقة التي لا يفهمها علماء الرسوم والعوام على ما ينبغي، فيضرهم أو يهلكهم، كما روي أن رسول الله ﷺ كان يجتاز في بعض سكك المدينة ومعه أصحابه، فأقسمت عليه امرأة أن يدخلوا منزلها، فدخلوا فرأوا ناراً مضرمة، وأولاد المرأة يلعبون حولها، فقالت: يا نبي الله، الله أرحم بعباده أم أنا بأولادي؟ فقال: الله أرحم، فإنه أرحم الراحمين، فقالت: يا رسول الله، أتراني أحب أن ألقي ولدي في النار؟ قال: لا، قالت: فكيف يلقي الله عباده فيها وهو أرحم الراحمين بهم؟ فبكى رسول الله ﷺ وقال: هكذا أوحى الله إلي.

الحكمة المجهولة عندنا: هي سر ما خفي علينا وجه الحكمة في إيجاده، كإيلام بعض العباد، وموت الأطفال، والخلود في النار، فيجب الإيمان به، والرضا بوقوعه، واعتقاد كونه عدلاً وحقا.

الحكمة الجامعة: معرفة الحق والعمل به، ومعرفة الباطل والإجتناب عنه، قال ﷺ: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه».

باب الخاء

الخاطر : ما يرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذي لا عمل للعبد فيه. وما كان خطابا، فهو على أربعة أقسام: ❖ رباني، وهو أول الخواطر، ويسميه سهل السبب الأول، وهو لا يخطئ أبدًا، ويعرف بالقوة والتسليط وعدم الإندفاع بالدفع ❖ وملكي، وهو الباعث على مندوب أو مفروض أو كل ما فيه صلاح، ويسمى إلهاما ❖ ونفساني، وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجسا ❖ وشيطاني، وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق. قال الله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾، وقال النبي ﷺ «الشيطان تكذيب بالحق وإيعاد بالشر»، ويسمى وسواسا ويوزن بميزان الشرع، فما فيه قربة فهو من الأولين، وما فيه كراهة أو مخالفة شرع فهو من الآخرين، والعارف الصافي القلب الحاضر مع الحق، يسهل عليه الفرق بينها بتيسير الله وتوفيقه.

الخاتم : هو الذي ختم به النبوة، فلا يكون إلا واحداً، وهو نبينا. وكذا خاتم الولاية، وهو الذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة نهاية الكمال، ويختل بموته نظام العالم، وهو المهدي الموعود به في آخر الزمان.

خرقة التصوف: هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأمور ❖ منها التزيي بزي المراد ليلتبس بصفاته كما يلبس ظاهره بلباسه، وهو لباس

التقوى ظاهرًا وباطنًا. قال تعالى ﴿ قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا، ولباس التقوى ذلك خير ﴾ ❁ ومنها وصول بركة الشيخ الذى ألبسه من يده المباركة إليه ❁ ومنها نيل ما يغلب على الشيخ فى وقت الإلباس من الحال، فيرى الشيخ ببصيرته النافـذة المنورة بنور القدس، أنه يحتاج إليه برفع حجبه العائقة وبصفة استعداده، فإذا وقف على حال من يتوب على يده علم بنور الحق ما يحتاج إليه، فيتنزل من الله ذلك حتى يتصف قلبه به، فيسري من باطنه إلى باطن المريد ❁ ومنها المواصلة بينه وبين الشيخ فيبقى بينهما الإتصال القلبى والمحبة دائمًا ويذكره الإتباع على الأوقات فى طريقته وسيرته وأخلاقه وأحواله حتى يبلغ مبلغ الرجال، فإنه أب حقيقى كما قال عليه السلام: «الآباء ثلاثة: أب ولدك، وأب علمك، وأب رباك».

الخضر : كناية عن البسط واليأس عن القبض. وأما كون الخضر عليه السلام شخصا إنسانيا باقيا من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد أو روحانيا يتمثل بصورته، فلم يرشد إليه نقل وغير محقق عقلا، بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل، وهو روح ذلك أو روح القدس، هذا عند العامة. وأما عند المحققين وجوده ثابت.

الخطرة : داعية تدعو العبد إلى ربه بحيث لا يتمالك دفعها.

الحلة : تحقق العبد بصفات الحق، بحيث يتخلله الحق ولا يخلى منه ما يظهر عليه شيء من صفاته فيكون مرآة للحق.

الخلوة : محـادثة السر مع الحق بحيث لا يـرى غيره. وهـذه حقيقة الخلـوة ومعناها. وأما صورتها فهي ما يتوسل به إلى هذا المعنى مثل التبتل إلى الله.

خلع العادات : هو التحقق بالعبودية موافقة لأمر الحق، بحيث لا تدعوه داعية إلى مقتضى طبعه وعادته.

الخلق الجديد : هو اتصال إمداد الوجود من نفس الرحمن إلى كل ممكن لانعدامه بذاته مع قطع النظر عن موجده وفيضان الوجود عليه منه على التوالي، حتى يكون كل آن خلقا جديدا لإختلاف نسب الوجود إليه مع الآنات واستمرار عدمه فى ذاته.

باب الدال

الدبور : هو صولة داعية النفس واستيلاؤها، شبهت بريح الدبور التى تأتي من جهة المغرب لانتشائها من جهـة الطبيعة الجسمانية التى هي مغرب النور ويقابلها القبول، وهي ريح الصبا التى تأتى من جـهة المشرق، وهى صولة داعية الروح واستيلاؤها. ولهذا قال عليه السلام : « نصرت بالصبا وأهلـكت عاد بالدبور ».

الدرة البيضاء : هي العقل الأول، لقوله عليه السلام «أول ما خلق الله درة بيضاء» الحديث. وأول ما خلق الله العقل.

باب الذال

ذخائر الله : قوم من أوليائه تعالى يدفع بهم البلاء عن عباده كما يدفع بالذخيرة بلاء الفاقة.

الذوق : هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي، فإذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود يسمى مشربا، فإذا بلغ النهاية يسمى ريا، وكذلك بحسب صفاء السر عن لحظ الغير.

ذو العقل : هو الذي يرى الخلق ظاهرا والحق باطنا، فيكون الحق عنده مرآة الخلق لاحتجاب المرآة بالصورة الظاهرة احتجاب المطلق بالمقيد.

ذو العين : هو الذي يرى الحق ظاهرا والخلق باطنا، فيكون الخلق عنده مرآة الحق لظهور الحق واختفاء الخلق فيه اختفاء المرآة بالصورة.

ذو العقل والعين : هو الذي يرى الحق في الخلق والخلق في الحق، ولا يحتجب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الوجود الواحد بعينه حقا من وجه وخلقا من وجه، فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد، ولا تزاحم في شهود كثرة المظاهر أحدية الذات التي تتجلى فيها، ولا يحتجب بأحدية وجه الحق عن شهود الكثرة الخلقية، ولا تزاحم في شهود أحدية الذات المتجلية في المحالي كثرتها، وإلى المراتب الثلاث أشار الشيخ محي الدين قدس سره، فقال :

وفي الخلق عين الحق إن كنت ذا عين ⊙ وفي الحق عين الخلق إن كنت ذا عقل
وإن كنت ذا عين وعقل فما ترى ⊙ سوى عين شيء واحد فيه بالشكل

باب الراء

الراعي : هو المتحقق بمعرفة العلوم السياسية المتمكن من تدبير النظام الموجب إصلاح العالم.

الران : هو الحجاب الحائل بين القلب وبين العالم القدسي باستيلاء الهيئات النفسانية عليه ورسوخ الظلمات الجسمانية فيه بحيث يحتجب عن أنوار الهوية بالكلية.

الرب : اسم للحق عز اسمه باعتبار نسب الذات إلى الأعيان الثابتة من منشأ الأسماء الربوبية كالرزاق والخالق، فالرب اسم خاص يقتضي وجوب المربوب وتحققه، والإله يقتضي ثبوت المألوه وتعينه. وكل ما ظهر في الأكوان فهو اسم رباني يربه الحق، به يأخذ ما يأخذ، وبه يفعل ما يفعل، وإليه يرجع فيما يحتاج إليه، وهو المعطي إياه ما يطلب منه.

رب الأرباب : هو الحق باعتبار الإسم الأعظم والتعين الأول الذي هو منشأ جميع الأسماء وغاية الغايات، إليه تتوجه الرغبات كلها، وهو الحاوي لجميع المطالب، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾ لأنه عليه مظهر التعين الأول. فالربوبية المختصة به هي الربوبية العظمى.

(واعلم) أن أسماء الرب ثلاثة : ذاتية ووصفية وفعلية، لأن الإسم إما أن يطلق على الذات باعتبار نسبة وتعين. وذلك الإعتبار إما أمر عدمي نسبي محض كالغني والأول والآخر، أو غير نسبي كالقدوس والسلام. وتسمى هذه الأسماء أسماء الذات، أو معنى وجودي يعتبره العقل من غير أن يكون زائدا على الذات خارج العقل. وهو إما أن لا يتوقف على تعقل الغير كالحي والواجب، وإما أن يتوقف على تعقل الغير دون وجوده كالعالم والقادر وتسمى هذه الأسماء أسماء الصفات، وإما أن يتوقف على وجود الغير كالخالق والرزاق وتسمى هذه الأسماء أسماء الأفعال لأنها مصادر الأفعال.

الرتق : إجمال المادة الوحدانية المسماة بالعنصر الأعظم المطلق المرتوق قبل خلق السموات والأرض المفتوق بعد تعينها بالخلق. وقد يطلق على نسب الحضرة الواحدية باعتبار ظهورها وعلى كل بطون وغيبة كالحقائق المكنونة في الذات الأحدية قبل تفاصيلها في الحضرة الواحدية مثل الشجرة في النواة.

الرحمن : اسم الحق باعتبار الجمعية الأسمائية التي في الحضرة الإلهية الفائض منها الوجود وبقية الكمالات على جميع الممكنات.

الرحيم : اسم له باعتبار فيضان الكمالات المعنوية على أهل الإيمان كالمعرفة والتوحيد.

الرحمة الإمتنانية : هي المقتضية للنعم السابقة على العمل، وهي التي وسعت كل شيء.

الرحمة الوجودية : هي الرحمة الموعودة للمتقين في آية ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ﴾ وفي ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ وهي داخلة في الإمتنانية لأن الوعد بها على العمل محض المنة.

الرداء : بكسر الراء هو ظهور صفات الحق على العبد.

الردى : بفتح الراء هو إظهار صفات الحق بالباطل، كما قال تعالى ﴿ سأصرف عن آيتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ منقول عن الردى الذي هو الهلاك. قال الله تعالى : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قصمته ».

الرسم : هو الخلق وصفاته، لأن الرسوم هي الآثار، وكل ما سوى الله آثاره الناشئة من أفعاله، وإياه عني من قال : إن الرسم نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل، لأن الخليقة وصفاتها كلها بقدرة الله تعالى.

رسوم العلوم ورقوم العلوم : هي مشاعر الإنسان، لأنها رسوم الأشياء الإلهية كالعليم والسميع والبصير، ظهرت على شئون الهياكل البدنية المرخاة على باب دار القرار بين الحق والخلق، فمن عرف تشبه وصفاته كلها بأنها آثار الحق وصفاته ورسوم أسمائه فقد عرف الحق.

الرعونة : الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها.

الرقيقة : هي اللطيفة الروحانية، وقد تطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين، كالمدد الواصل من الحق إلى العبد، ويقال لها رقيقة النزول، وكالوسيلة التي يتقرب بها العبد إلى الحق من العلوم والأعمال والأخلاق السنية والمقامات الرفيعة، ويقال لها رقيقة العروج ورقيقة الإرتقاء. وقد تطلق الرقائق على علوم الطريقة والسلوك، وكل ما يتلطف به سر العبد ونزول كثافات النفس.

الروح : في اصطلاح القوم : هي اللطيفة الإنسانية المجردة، وفي اصطلاح الأطباء : هو البخار اللطيف المتولد في القلب القابل لقوة الحياة والحس والحركة، وهذا يسمى في اصطلاحهم "النفس". والمتوسط بينهما المدرك للكيفيات والجزئيات القلب. ولا يفرق الحكماء بين القلب والروح الأول ويسمونها النفس الناطقة.

الروح الأعظم والأقدم والأول والأحد : هو العقل الأول.

روح الإلقاء : هو الملقي إلى القلوب من علم الغيوب، وهو جبريل عليه السلام. وقد يطلق على القرآن، وهو المشار إليه بقوله تعالى ﴿ ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾.

باب الزاي

الزاجر : واعظ الله في قلب المؤمن، وهو النور المقذوف فيه، الداعي له الى الحق.

الزجاجة (المشار إليها في آية النور) : هي القلب، والمصباح هو الروح، والشجرة التي توقد منها الزجاجة المشبهة بالكوكب الدري هي النفس، والمشكاة البدن.

الزمردة : هي النفس الكلية.

الزمان المضاف إلى الحضرة العندية : هو الآن الدائم المذكور في باب الألف.

زواهر الأنباء وزواهر العلوم وزواهر الوصلة : هي علوم الطريقة، لكونها أشرف العلوم

وأنوارها، وكون الوصلة إلى الحق متوقفة عليها.

الزيتونة : هي النفس المستعدة للإشتغال بنور القدس لقوة الفكر.

والزيت : نور استعدادها الأصلى، والله الموفق.

باب السين

السابقة : هى العناية الأزلية، المشار إليها فى التنزيل بقوله تعالى ﴿ وَبَشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم قدَمَ صِدقٍ عند ربهم ﴾.

السالك : هو السائر إلى الله المتوسط بين المريد والمنتهى، ما دام فى السير.

السبخة : هى الهباء المسمى بالهيولى لكونها غبرا وأصحة ولا موجودة إلا بالصور لا بنفسها.

الستر : هو كل ما يحجبك عما يعنيك كغطاء الكون والوقوف مع العادات والأعمال.

الستائر : هى صور الأكوان لأنها مظاهر الأسماء الإلهية تعرف من خلفها كما قال الشيباني:

تجليت للأكوان خلف ستورها ⊙ فنمت بما ضمت عليه الستائر

الستور : هي تخص بالهيا كل البدنية الإنسانية المرخاة بين عالم الغيب والشهادة والحق والخلق.

سجود القلب : هو فناؤه فى الحق عند شهوده إياه، بحيث لا يشغله ولا يصرفه عنه استعمال الجوارح.

السحق : هو ذهاب تركيب العبد تحت القهر عند عظمة سلطان الحقيقة.

سدرة المنتهى : هى البرزخية الكبرى التى ينتهى إليها سير الكل وأعمالهم وعلومهم، وهى نهاية المراتب الأسمائية التى لا تعلوها رتبة.

السر : هو ما يخص كل شيء من الحق عند التوجه الإيجادى إليه، المشار إليه بقوله ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾. ولهذا قيل : لا يعرف الحق إلا الحق، ولا يحب الحق إلا الحق، ولا يطلب الحق إلا الحق، لأن ذلك السر هو الطالب للحق والمحب له والعارف به، كما قال النبى ﷺ « عرفت ربى بربى ».

سر العلم : هو حقيقة العالم به، لأن العلم عين الحق فى الحقيقة غيره بالإعتبار.

سر الحال : هو ما يعرف به من مراد الله فيها.

سر الحقيقة : هو ما لا يفشى من حقيقة الحق فى كل شيء.

سر التجليات : هو شهود كل شيء فى كل شيء، وذلك بانكشاف التجلى الأول للقلب، فيشهد الأحدية الجمعية بين الأسماء كلها، لاتصاف كل اسم بجميع الأسماء، لاتحادها بالذات الأحدية وامتيازها بالتعينات التى تظهر فى الأكوان التى هى

صورتها، فيشهد كل شيء فى كل شيء.

سرّ القدر : هو ما علمه الله من كل عين فى الأزل، مما انطبع فيها من أحوالها التى تظهر عليها عند وجودها، فلا يحكم على شيء إلا بما علمه من عينه فى حال ثبوتها.

سر الربوبية : هو توقفها على المربوب، لكونها نسبة لا بد لها من المنتسبين وأحد المنتسبين هو المربوب، وليس إلا الأعيان الثابتة فى العدم، والموقوف على المعدوم معدوم، ولهذا قال سهل : "للربوبية سرّ، لو ظهر لبطلت الربوبية"، وذلك لبطلان ما يتوقف عليه.

سر سر الربوبية : هو ظهور الربّ بصور الأعيان، فهى من حيث مظهريتها للربّ، القائم بذاته، الظاهر بتعيناته، قائمة موجودة بوجوده، فهي عبيد مربوبون من هذه الحيثية، والحق ربّ لها، فما حصلت الربوبية فى الحقيقة إلا بالحق، والأعيان معلومة بحالها فى الأزل، فلسرّ الربوبية سرّ به ظهرت ولم تبطل.

سرائر الآثار : هى الأسماء الإلهية التى هى بواطن الأكوان.

السرائر : امحاق السالك فى الحق عند الوصول التام، وإليه الإشارة بقوله ﷺ : «لي مع الله وقت». الحديث وقوله «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري».

سعة القلب : هى تحقق الإنسان الكامل بحقيقة البرزخية الجامعة للإمكان والوجوب، فإن قلب الكامل هو هذا البرزخ. ولهذا قال تعالى : «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن».

السفر : هو توجه القلب إلى الحق، والأسفار أربعة، الأول : هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، وهو نهاية مقام القلب، ومبدأ التجليات الأسمائية. الثانى : هو السير فى الله بالإتصاف بصفاته، والتحقق بأسمائه إلى الأفق الأعلى، وهو نهاية الحضرة الواحدية. الثالث: هو الترقي إلى عين الجمع والحضرة الأحدية، وهو مقام "قاب قوسين" ما بقيت الإثنينية. فإذا ارتفعت فهو مقام "أو أدنى"، وهو نهاية الولاية. السفر الرابع : هو السير بالله عن الله للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء، والفرق بعد الجمع.

سقوط الإعتبارات : هو اعتبار أحدية الذات.

السمسمة : هى معرفة تدق عن العبارة.

سؤال الحضرتين : هو السؤال الصادر عن حضرة الوجوب بلسان الأسماء الإلهية، الطالب من نفس الرحمن، ظهورها بصور الأعيان، وعن حضرة الإمكان بلسان الأعيان،

ظهورها بالأسماء وإمداد النفس على الإتصال إجابة سؤالهما أبدًا.

سواد الوجه في الدارين : هو الفناء في الله بالكلية، بحيث لا وجود لصاحبه ظاهرًا وباطنًا دنيا وأخرى، وهو الفقر الحقيقي والرجوع إلى العدم الأصلي ولهذا قالوا : إذا تم الفقر فهو الله، والله الهادي.

باب الشين

المشاهد : هو ما يحضر القلب من أثر المشاهدة، وهو الذى يشهد له بصحة كونه محيطا من مشاهدة شهوده، إما بعلم لدني لم يكن له مكان أو وجد أو حال أو تجلى أو شهود.

شعب الصدع : هو جمع الفرق بالتراقي عن الحضرة الواحدية إلى الحضرة الأحدية ويقابله صدع الشعب وهو النزول عن الأحدية إلى الواحدية حال الفناء بعد البقاء للدعوة والتكميل.

الشفع : هو الخلق وإنما أقسم بالشفع والوتر لأن الأسماء الإلهية انما تتحقق بالخلق فما لم تنضم شفعية الحضرة الواحدية إلى وتر الحضرة الأحدية لم تظهر الأسماء الإلهية

الشهود : هو رؤية الحق بالحق.

شهود المفصل في المجمل :هو رؤية الكثرة في الذات الأحدية.

شهود المجمل في المفصل :هو رؤية الأحدية في الكثرة.

شواهد الحق :هي حقائق الأكوان فإنها تشهد بالكون.

شواهد التوحيد :هي تعينات الأشياء فإن كل شيء له أحدية بتعين خاص يمتاز بها عن كل ما عداه كما قيل (في الشعر) : ففي كل شيء له آية ⊙ تدل على أنه واحد

شواهد الاسماء : هي اختلاف الأكوان بالأحوال والأوصاف والافعال كالمرزوق على الرزاق والحي على المحي والميت على المميت وأمثالها.

الشؤن: الافعال

والشؤن الذاتية : هي اعتبار نفوس الأعيان والحقائق في الذات الأحدية كالشجرة وأغصانها وأوراقها وثمارها إلى النواة وهي التي تظهر في الواحدية وتنفصل بالعلم

الشيخ : هو الانسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد التكميل فيها، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لإهتدائها.

باب الصاد

صاحب الزمان وصاحب الوقت والحال: هو المتحقق بجمعية البرزخية الأولى المطلع على حقائق الأشياء الخارج عن حكم الزمان وتصرفات ماضيه ومستقبله إلى الآن الدائم فهو ظرف أحواله وصفاته فلذلك يتصرف في الزمان بالطي والنشر وفي المكان بالبسط والقبض لأنه المتحقق بالحقائق والطبائع في القليل والكثير والطويل والقصير والعظيم والصغير سواء إذ الوحدة والكثرة والمقادير كلها عوارض، فكما تصرف في الوهم فيها كذلك في العقل، فصدق وافهم تصرفه فيها في الشهود والكشف الصريح فإن المتحقق بالحق المتصرف بالحقائق ويفعل ما يفعل في طور وراء طور الحس والوهم والعقل ويتسلط على العوارض بالتغيير والتبديل.

صبيح الوجه: هو المتحقق بحقيقة اسم الجواد ومظهريته ولتحققه ﷺ به. روى جابر أنه ما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا ومن استشفع به إلى الله لم يرد سؤاله كما أشار إليه أمير المؤمنين علي، فقال: إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ المسئلة بالصلاة على النبي ﷺ ثم اسأل حاجتك. فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الاخرى والمتحقق بوراثته في جوده عليه السلام هو الاشعث من الاخفياء الذي قال فيه رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره. وإنما سمي صبيح الوجه لقوله عليه السلام اطلبوا الحوائج عند صباح الوجوه.

الصبا: هي النفحات الرحمانية الآتية من جهة مشرق الروحانية والدواعي الباعثة على الخير.

الصديق: هو المبالغ في الصدق وهو الذي كمل في تصديق كل ما جاءت به رسل الله علما وقولا وفعلا لصفاء باطنه وقربه لباطن النبي ﷺ لشدة مناسبته، ولهذا لم تتخلل بينهما في كتاب الله تعالى مرتبة في قوله تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين وقال عليه السلام أنا وأبو بكر كفرسي رهان فلو سبقني لآمنت به ولكن سبقته فآمن بي.

صدق النور: هو الكشف الذي لا استتار بعده شبه بالبرق الذي أمطر فسمى صادقا إذ الذي لم يمطر يسمى كاذبا، فإن السالك إذا تعاقب عليه التجلي والاستتار اشتبه حاله فإذا بلغ الكشف بمقام الجمع يسمى صدق النور إذ لا استتار به ولا اختفاء.

الصدأ: هو ما يعلو وجه القلب من ظلمة سيآت النفس وصور الاكوان فيحجبه عن قبول الحقائق وتجليات الأنوار، ما لم يبلغ غاية الرسوخ. فإذا بلغ غساية حد الحرمان والحجاب الكلي سمي رينا ورانا كما ذكر.

الصعق : هو الفناء لا الحق بالتجلي الذاتي.

الصفوة : هم المتحققون بالصفاء عن كدر الغيرية.

صور الحق : هو محمد ﷺ لتحقـقه بالحقيقة الأحدية والواحدية ويعبر عنه بص كما لوح إليه ابن عباس رضي الله عنهما حين سئل عن معنى "ص" فقال جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن.

صور الاله : هو الانسان الكامل لتحققه بحقائق الأسماء الإلهية.

صوامع الذكر : هي الأحوال والمواطن المعنوية تصون الذاكر عن التفرق عن مذكوره وتجمع همه عليه بالكلية

صور الارادة : هو الانقطاع عن رؤية وقوع شيء بإرادة غير الله وشهود وقوع جميع الأشياء بإرادة الحق.

باب الضاد

الضنائن : هم الخصائص من أهل الله الذين يضن بهم لنفاستهم عنده كما قال ﷺ : إن لله ضنائن من خلقه ألبسهم النور الساطع، يحييهم في عافية ويميتهم في عافية.

الضياء : هو رؤية الأغيار بعين الحق.

باب الطاء

الطويل : أول ما يبدو من تجليات الأسماء الإلهية على باطن العبد فيحسن أخلاقه وصفاته بتنوير باطنه.

الطاهر : هو من عصمة الله عن المخالفات.

طاهر الظاهر : هو من عصمه الله عن المعاصي.

طاهر الباطن : هو من عصمه الله عن الوساوس والهواجس والتعلق بالأغيار.

طاهر السر : هو من لا يذهل عن الله طرفة عين.

طاهر السر والعلانية : هو من قام بتوفية حقوق الحق والخلق جميعاً لسعته برعاية الجانبين

الطب الروحاني : هو العلم بكمالات القلوب وآفاتها وأمراضها وأدوائها وبكيفية حفظ صحتها واعتدالها ورد أمراضها.

الطبيب الروحاني : هو الشيخ العارف بذلك الطب القادر على الارشاد والتكميل.

الطريقة : هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات.

الطمس : هو ذهاب رسوم السيار بالكلية في صفات نور الأنوار.

باب الظاء

ظاهر الممكنات : هو تجلي الحق بصور أعيانها وصفاتها، وهو المسمى بالوجود الإضافي. وقد يطلق عليه ظاهر الوجود.

الظل : هو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الاعيان الممكنة وأحكامها التي هي معدومات ظهرت باسم النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها فيستتر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلاً لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه. قال الله تعالى ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ أي بسط الوجود الإضافي على الممكنات فالظلمة بازاء هذا النور هي العدم وكل ظلمة فهي عبارة عن عدم النور عما من شأنه أن يتنور ولهذا سمي الكفر ظلمة لعدم نور الايمان عن قلب الانسان الذي من شأنه أن يتنور به قال الله تعالى ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور. الآية﴾.

الظل الأول : هو العقل الأول لأنه أول عين ظهرت بنوره تعالى وقبلت صورة الكثرة التي هي شئون الوحدة الذاتية.

ظل الاله : هو الانسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية.

باب العين

العالم : هو الظل الثاني وليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها فلظهوره بتعيناتها سمي باسم السوى والغير باعتبار إضافته إلى الممكنات، إذ لا وجود للممكن إلا بمجرد هذه النسبة. وإلا فالوجود عين الحق والممكنات ثابتة على عدميتها في علم الحق وهي شئونها الذاتية فالعالم صورة الحق والحق هوية العالم وروحه وهذه التعينات في الوجود الواحد أحكام اسمه الظاهر الذي هو مجلى لاسمه الباطن.

عالم الجبروت : هو عالم الاسماء والصفات الالهية

عالم الامر وعالم الملكوت وعالم الغيب : هو عالم الأرواح والروحانيات لأنها وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ومدة.

عالم الخلق وعالم الملك والشهادة : هو عالم الأجسام والجسمانيات وهو ما وجد بعد الأمر بمادة ومدة.

العارف : هو من أشهده الله ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله فالمعرفة حال تحدث من شهوده.

العالم : هو من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود بل عن يقين.

العامة : هم الذين اقتصروا على الشريعة وتسمى علماؤهم علماء الرسوم.

العار العظيم والمقت الكبير : هو نقض العهد إما بأن يقول ما لا يفعل أو يعد ما لا يفي قال الله تعالى ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾، وقال ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ وفي تجهيلهم بقوله ﴿أفلا تعقلون﴾ عار عظيم.

العبادة : هي غاية التذلل للعامة و

العبودية : للخاصة الذين صححوا النسبة إلى الله والصدق إليه في سلوك طريقه و

العبودة : لخاصة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة به في عبودته فهم يعبدونه به في مقام أحدية الفرق والجمع.

العبادلة : هم أرباب التجليات الأسمائية إذا تحققوا بحقيقة اسم ما من أسمائه واتصفوا بالصفة التي هي حقيقة ذلك الإسم ونسبوا إليه بالعبودية لشهودهم ربوبية ذلك الإسم وعبوديتهم للحق من حيث ربوبيته لهم بكمال ذلك الإسم خاصة. فقيل لأحدهم عبد الرزاق وللآخر عبد العزيز وكذا عبد المنعم وغيره.

العبرة : ما يعبر به عن ظواهر أحوال الناس في الخير والشر وما جرى عليهم في الدنيا وما انتقلوا عليه منها إلى الآخرة دار الجزاء أي ما يئول إليه حال بواطن الأمور وخفياتها حتى تتبين له عواقب الأمور ومعرفة الخفايا وما يجب عليه القيام به والعمل له ٥ قال النبي ﷺ أمرت أن يكون نطقي ذكرا وهمي فكرا ونظري عبرة ويدخل فيها العبور من رؤية الحكمة في ظاهر الخليقة إلى رؤية الحكيم ومن ظاهر الوجود إلى باطنه حتى يرى الحق وصفاته في كل شيء.

العقاب : ما يعبر به عندهم عن العقل الأول تارة، وعن الطبيعة الكلية أخرى. وذلك أنهم يعبرون عن النفس الناطقة بالورقاء، والعقل الأول يختطفها من العالم السفلي، والحضيض الجسماني إلى العالم العلوي وأوج القضاء القدسي كالعقاب. وقد تختطفها الطبيعة وتصطادها وتهوى بها إلى الحضيض السفلي كثيرا. فلذا يطلق عليهما، والفرق بينهما في الاستعمال بالقرائن.

العلة : عبارة عن بقاء حظ العبد في عمل أو حال أو بقاء رسم له وصفة.

العماء : الحضرة الأحدية عندنا لأنه لا يعرفها أحد غيره فهو حجاب الجلال. وقيل: هو الحضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات، لأن العماء هو الغيم الرقيق والغيم هو الحائل بين السماء والأرض. وهذه الحضرة هي الحائلة بين سماء الأحدية وبين أرض الكثرة الخلقية، ولا يساعده الحديث النبوي لأنه سئل النبي ﷺ أين

كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال: كان في عماء. وهذه الحضرة تتعين بالتعين الأول لأنها محل الكثرة وظهور الحقائق والنسب الأسمائية، وكل ما تعين فهو مخلوق فهي العقل. قال ﷺ «أول ما خلق الله العقل» فإذن لم يكن فيه قبل أن يخلق الخلق الأول بل بعده. والدليل على ذلك أن القائل بهذا القول يسمي هذه الحضرة حضـرة الإمكان وحضـرة الجمع بين الوجوب والإمكان والحقيقة الانسانية وكل ذلك من قبيل المخلوقات ويعترف بأن الحق في هذه الحضرة متجل بصفات الخلق، اللهم إلا أن يكون مراد السائل بالخلق العالم الأسمائي، فيكون العماء الحضرة الإلهية منشأ الربوبية.

العمد المعنوية : هي التي تستمسك بها السموات المشار إليها بقوله ﴿ بغير عمد ترونها ﴾ فإنه تلويح إلى عمد لا ترونها، وهي روح العـالم وقلبه ونفسه، وهي حقيقة الإنسان الكامل الذي لا يعرفه إلا الله كما قال تعالى : «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري».

العنقاء : كناية عن الهيولي لأنها لا ترى كالعنقاء، ولا توجد إلا مع الصورة، فهي مقبولة وتسمى الهيولي المطلقة المشتركة بين الأجسام كلها العنصر الأعظم.

عوالم اللبس : هي جميع المراتب النازلة عن الحضـرة الأحدية، لأن الذات الأقدسية تتنزل بتعيناتها فيها إلى الحسية وتتصف بالصفات الروحانية والمثالية، فتلتبس.

العين الثابتة : هي حقيقة في الحضرة العلمية ليست بموجودة بل معلومة ثابتة في علم الله، والمرتبة الثانية من الوجود الخفي.

عين الشيء : هو الحق.

عين الله وعين العالم : هو الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبري، لأن الله ينظر بنظره إلى العالم فيرحمه بالوجود كما قال تعـالى : «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك»، والإنسان المتحقق بالإسم البصير، لأن كل ما يبصر في العـالم من الأشياء فإنما يبصر بهذا الإسم.

عين الحياة : هو باطن الاسم الحي الذي من تحقق به شرب من ماء عين الحياة الذي من شربه لا يموت أبداً، لكونه حيا بحياة الحق، وكل حي في العالم يحي بحياة هذا الإنسان لكون حياته حياة الحق.

العيد : ما يعود على القلب من التخلي أو التحلي كيف كان.

باب الغين

الغراب : هو كناية عن الجسم الكلي لكونه في غاية البعد من عالم القدس والحضرة الأحدية ولخلوه عن الإدراك والنورانية سُمّي بالغراب الذي هو مثل في البعد والسواد.

الغشاء والغشاوة : هما ما تركب على وجه مرآة القلب من الصدأ ويكلّ عين البصيرة ويعلو وجه مرآتها.

الغنيّ : هو الملك التام، فالغني بالذات ليس إلا الحق، إذ له ذات كل شيء. والغني من العباد من استغنى بالحق عن كل ما سواه، لأنه إذا فاز بوجوده فاز بكل شيء، بل لا يرى لشيء وجوداً وتأثيراً، وظفر بالمطلوب واستتر بشهود المحبوب.

الغوث : هو القطب حين يلتجى إليه ولا يسمّى بغير ذلك الوقت غوثاً.

غيب الهوية والغيب المطلق : هو ذات الحق باعتبار اللاتعين.

الغيب المكنون والغيب المصون : هو السرّ الذاتي وكنهه الذي لا يعرفه إلا هو. ولهذا كان مصونا عن الأغيار مكنونا عن العقول والأبصار.

الغين : دون الرين وهو الصدأ، فإن الصدأ حجاب رقيق ينجلي بالتصفية ويزول بنور التجلي لبقـاء الإيمان معه. وأما الرين فهو الحجاب الكثيف الحائل بين القلب والإيمان بالحق. والغين ذهول عن الشهود واحتجاب عنه مع صحة الاعتقاد.

باب الفاء

الفتق : هو ما يقابل الرتق من تفصيل المادة المطلقة بصورها النوعية، أو ظهور كل ما بطن في الحضرة الواحدية من النسب الأسمائية، وبروز كل مما كمن في الذات الأحدية من الشئون الذاتية، كالحقائق الكونية بعد تعينها في الخارج.

الفتوح : هو كل ما يفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقا عليه من النعم الظاهرة والباطنة والأرزاق والعبادة والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك.

الفتح القريب : هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس، وهو المشار إليه بقوله تعالى ﴿ نصرٌ من الله وفتحٌ قريب ﴾.

الفتح المبين : هو ما انفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات أنوار الأسماء الإلهية المعيّنة بصفات القلب وكمالاته. وهو المشار إليه بقوله تعالى ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ يعني من الصفات النفسية والقلبية.

الفتح المطلق : هو أعلى الفتوحات وأكملها وهو ما انفتح على العبد من تجلي الذات الأحدية والاستغراق في عين الفتح بفناء الرسوم الخلقية كلها. وهو المشار إليه بقوله تعالى

﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾

الفترة : خمود حرارة الطلب اللازمة للبداية.

الفرق الاول : هو الإحتجاب بالخلق عن الحق، وبقاء الرسوم الخلقية بحالها.

الفرق الثاني : هو شهود قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر.

الفرقان : هو العلم التفصيلي الفارق بين الحق والباطل، والقرآن هو العلم اللدني الاجمالي الجامع لكلها.

فرق الجمع : هو تكثر الوحدة بظهورها في المراتب التي هي ظهور شون الذات الأحدية. وتلك الشون في الحقيقة اعتبارات محضة لا تحقق لها إلا عند بروز الوحدة بصورها.

فرق الوصف : هو ظهور الذات الأحدية بأوصافها في الحضرة الواحدية.

الفرق بين المتخلق والمتحقق : هو أن المتخلق هو الذي يكتسب فضائل الأخلاق والأوصاف الحميدة تكلفا وتعملاً، ويجتنب الرذائل والذمائم فله من الأسماء الإلهية آثارها. والمتحقق هو الذي جعله الله مظهر الأسمائه وأوصافه وتجلى فيه بها فمحا رسوم أخلاقه وأوصافه.

الفرق بين الكمال والشرف والنقص والخسة : هو أن الكمال عبارة عن حصول الجميعة الإلهية والحقائق الكونية في الإنسان. فكلما كانت الجمعية الإلهية بجميع أسمائه وصفاته فيه أكثر وأوفر وظهوره بها أتم كان أكمل. وكلما كان حظه منها أقل كان أنقص، وعن مرتبة الخلافة الإلهية أبعد. وأما الشرف فهو عبارة عن ارتفاع الوسائط بين الشئ وموجده أو قلتها. فكلما كانت الوسائط بين الحق والخلق أقـــل، والأحكام الوجوب على أحكام الإمكان أغلب فيه كان أشرف. وكلما كانت الوسائط بينه وبين الحق أكثر كان أخس. فعلى هذا يكون العقل الأول والملائكة المقربون أشرف من الانسان الكامل وذلك الإنسان أكمل.

الفطور : هو تمييز الخلق عن الحق بالتوابع وتوابعه بالأحوال والأشكال.

الفهوانية : خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال.

باب القاف

القابلية الأولى : هي أصل الأصول وهي التعين الأول.

قابلية الظهور : هي المحبة الأولى المشار إليها بقوله تعالى « أحببت أن أعرف ».

قاب قوسين : هو مقام القرب الأسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي المسمى

بدائرة الوجود كالإبداء والإعادة والنزول والعروج والفاعلية والقابلية، وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التميز والاثنينية الاعتبارية هناك الفناء المحض والطمس الكلي للرسوم كلها.

القيام لله : هو الاستيقاظ من نوم الغفلة والنهوض عن سِنة الفترة عند الأخذ في السير إلى الله.

القيام بالله : هو الاستقامة عند البقاء بعد الفناء والعبور على المنازل كلها والسير عن الله بالله في الله بالانخلاع عن الرسوم الكلية.

القبض : هو أخذ الوقت بوارد يشير إلى ما يوحشه من الصد والهجران وأمثال ذلك، وقد مر ذكره فيما يقابله من البسط وأكثر ما يقع عقيب البسط لسوء أدب يصدر من السالك في حال البسط. والفرق بينهما وبين الخوف والرجاء أن تعلق الخوف والرجاء بالمكروه والمرغوب المتوقع في مقام النفس. والقبض والبسط إنما يتعلقان بالوقت الحاضر لا تعلق لهما بالآجل.

القدم : هو السابقة التي حكم الحق بها للعبد أزلاً، ويخص بما يكمل ويتم به الاستعداد من الموهبة الأخيرة بالنسبة إلى العبد لقوله عليه السلام: «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قطني قطني». وانما يكنى عنها بالقدم لأن القدم آخر شئ من الصورة، وهي آخر ما يقرب به الحق إلى العبد من اسمه الذي إذا اتصل به وتحقق كمل.

قدم الصدق : هي السابقة الجميلة والموهبة الجزيلة التي حكم بها الحق تعالى لعباده الصالحين المخلصين في قوله تعالى: ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ والصدق هو الخيار من كل شيء.

القرب : هو عبارة عن الفناء بما سبق في الأزل من العهد الذي بين الحق والعبد في قوله تعالى ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ وقد يخص بمقام قاب قوسين.

القشر : هو كل علم ظاهر يصان به العلم الباطن الذي هو لبه عن الفساد كالشريعة للطريقة، والطريقة للحقيقة فان لم يصن حاله وطريقته بالشريعة. فسد حاله وآلت طريقته هوى وهوساً ووسوسة. ومن لم يتوسل بالطريقة إلى الحقيقة ولم يحفظها بها فسدت حقيقته وآلت إلى الزندقة والإلحاد.

القطب : هو الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قلب اسرافيل عليه السلام.

القطبية الكبرى : هي مرتبة قطب الأقطاب، وهو باطن محمد عليه السلام. فلا يكون إلا لورثته

لاختصاصه ﷺ بالأكملية، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة.

القلب : هو جوهر نوراني مجرد يتوسط بين الروح والنفس وهو الذي تتحقق به الإنسانية ويسميه الحكيم النفس الناطقة، والروح باطنه والنفس الحيوانية مركبه وظاهره المتوسطة بينه وبين الجسد، كما مثله في القرآن بالزجاجة والكوكب الدري والروح المصباح في قوله تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾. والشجرة هي النفس والمشكاة البدن، وهو الوسط في الوجود ومراتب التنزلات بمثابة اللوح المحفوظ في العالم.

القوامع : هي كل ما يقمع الإنسان عن مقتضيات الطبع والنفس والهوى وينزعه منها وهي الأمداد الأسمائية والتأييدات الإلهية لأهل العناية في السير إلى الله والتوجه نحوه.

باب الكاف

الكتاب المبين : هو اللوح المحفوظ المراد بقوله تعالى ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾

الكل : هو اسم للحق تعالى باعتبار الحضرة الواحدية الإلهية الجامعة للأسماء كلها. ولهذا يقال أحد بالذات كل بالأسماء.

الكلمة : يكنى بها عن كل واحد من الماهية والأعيان والحقائق والموجودات الخارجية، وفي الجملة عن كل متعين، وقد تخص المعقولات من الماهيات والحقائق والأعيان بالكلمة المعنوية أو الغيبية والخارجيات بالكلمة الوجودية والمجردات المفرقات بالكلمة التامة.

كلمة الحضرة : هي إشارة إلى قوله تعالى كن لقوله تعالى : ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فهي صورة الإرادة الكلية.

الكنز المخفي : هو الهوية الأحدية المكنونة في الغيب وهو أبطن كل باطن.

الكنود : هو في الشريعة تارك الفرائض وفي الطريقة تارك الفضائل، وفي الحقيقة من أراد شيئا لم يرده الله لأنه ينازع الله في مشيئته فلم يعرف حق نعمته.

كون الفطور غير مشتت للشمل : معناه أن تكثر الواحد الحق بتمييز التعينات لا يوجب تفرق الجمعية الإلهية والأحدية الذاتية.

كوكب الصبح : هو أول ما يبدو من التجليات وقد يطلق بمظهرية النفس الكلية من قوله تعالى ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا﴾.

الكيمياء : هي القناعة بالموجود وترك التشوف إلى المفقود قال أمير المؤمنين على ﷺ القناعة كنز لا ينفد.

كيمياء السعادة: هي تهذيب النفس باجتناب الرذائل وتزكيتها عنها واكتساب الفضائل وتحليتها بها.

كيمياء العوام : هي استبدال المتاع الأخروى الباقي بالحطام الدنيوى الفانى.

كيمياء الخواص : هي تخليص القلب عن الكون باستئثار المكون.

باب اللام

اللائحة : هي ما تلوح من نور التجلي ثم تروح وتسمى أيضاً بارقة وخطرة.

اللب : هو العقل المنور بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام والتخيلات.

لب اللب : هو مادة النور الإلهي القدسي الذي يتأيد به العقل فيصفو عن القشور المذكورة ويدرك العلوم المتعالية عن إدراك القلب المتعلق بالكون المصونة عن الفهم المحجوب بالعلم الرسمي. وذلك من حسن السابقة المقتضي لخير الخاتمة.

اللبس :هو الصورة العنصرية التي تلبس الحقائق الروحانية قال الله تعالى ﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ ومنه لبس الحقيقة الحقانية بالصور الإنسانية كما أشير إليه في الحديث القدسي: أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري

اللسن : هو ما يقع به الإفصاح الإلهي للآذان الواعية عما يريد أن يعلمهم به إما على سبيل التعريف الإلهي، وإما على لسان نبي أو ولي أو صديق.

لسان الحق : هو الإنسان المتحقق بمظهرية الإسم المتكلم.

اللطيفة : هي كل إشارة دقيقة المعنى يلوح منها في الفهم معنى لا تسعه العبارة.

اللطيفة الانسانية : هي النفس الناطقة المسماة عندهم بالقلب. وهي في الحقيقة تنزل للروح إلى رتبة قريبة من النفس مناسبة، إما بوجه مناسبة للروح أو بوجه آخر، ويسمى الوجه الأول الصدر والثاني الفؤاد.

اللوح : هو الكتاب المبين والنفس الكلية.

اللوائح : هي جمع لائحة وقد تطلق على ما يلوح للحس من عالم المثال كحال سارية رحمه الله لأمير المؤمنين عمر ﷺ وهو من الكشف الصورى وبالمعنى الأول من الكشف المعنوى الحاصل من الجناب الأقدس.

اللوامع : هي أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات من أرباب النفوس الضعيفة الطاهرة فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك، فتصير مشاهدة بالحواس الظاهرة فيتراءى لهم أنوار كأنوار الشهب والقمر والشمس فتضيء ما حولهم، وهي إما من غلبة

أنوار القهر والوعيد على النفس فتضرب إلى الحمرة، وإما من غلبة أنوار اللطف والوعد فتضرب إلى الخضرة والنصوع.

ليلة القدر : هي ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص، يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه، وهو وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين في المعرفة.

باب الميم

الماسك والممسوك به والممسوك لأجله: هي العمد المعنوية وهي حقيقة الإنسان كما قال: لولاك لو لاك لما خلقت الأفلاك. قال الشيخ أبو طالب المكي قدس سره في قوت القلوب: إن الأفلاك تدور بأنفاس بني آدم. وقال محيي الدين قدس سره في استفتاح كتاب نسخة الحق: الحمد لله الذي جعل الإنسان الكامل معلم الملك وأدار سبحانه وتعالى تشريفًا وتنويهًا بأنفاسه الفلك كل ذلك إشارة إلى ما ذكر. ومن أهل هذا المقام يعلم أن الموجودات كلها على اختلاف ضروبها صور أعمال الخلق في مراتبه المختلفة بإرادات مختلفة هي في الحقيقة: احكام إرادته الواحدة الأصلية المتعلقة بإيجاد الإنسان الكامل المراد بعينه وما سواه إنما هو مراد لقصد ثان فظاهر الإرادات المتعددة التي قلنا إنها أحكام الإرادات الأصلية وعدد المراتب الإنسانية على عدد مراتب الموجودات والتفاوت بالشأن والكمال لبعض معانيها علة لتفاوت مراتب الموجودات فافهم فهذه تذكرة كلية.

ماء القدس: هو العلم الذي يطهر النفس من دنس الطباع ونجس الرذائل والشهود الحقيقي بالتجلي القديم الرافع للحدث فإن الحدث نجس.

المبدئية : هي إضافة محضة تلي الأحدية باعتبار تقدم الذات الأحدية على الحضرة الواحدية التي هي منشأ التعينات والصفات والإضافة إعتبارات عقلية.

مبادي النهايات : هي فرض العبادات أي الصلاة والصوم والزكاة والحج، وذلك أن بداية الصلاة. ونهايتها هي كمال القرب والمواصلة الحقيقية. ونهاية الزكاة هي بذل ما سوى الله بخلوص محبة الحق. ونهاية الصوم الإمساك عن الرسوم الخلقية وما يقويها بالفناء في الله ولهذا قال في الكلمات القدسية "والصوم لي وأنا أجزى به". ونهاية الحج الوصول إلى المعرفة والتحقق بالبقاء بعد الفناء لأن المناسك كلها وضعت بازاء منازل السالك إلى النهاية ومقام أحدية الجمع والفرق.

مبنى التصوف : هو الخصال الثلاث التي ذكرها أبو محمد رويم، وهي التمسك بالفقر والإفتقار والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والإختيار.

المتحقق بالحقّ : هو من يشاهد الله تعالى في كل متعين بلا تقيد به فإنه تعالى وإن كان مشهودًا في كل مقيد باسم أو صفة أو اعتبار أو تعين أو حيثية فإنه لا ينحصر فيه ولا يتقيد به فهو المطلق المقيد والمقيد المطلق المنزه عن التقيد واللاتقيد والإطلاق واللا إطلاق، فافهم.

المتحقق بالحقّ والخلْق : هو من يرى أن كل مطلق في الوجود له وجه إلى التقييد، وكل قيد له وجه إلى الإطلاق، بل يرى كل الوجود حقيقة واحدة له وجه مطلق ووجه مقيد بكل قيد ومن شاهد هذا المشهد ذوقًا كان متحققا بالحق والخلق والفناء والبقاء.

المجذوب : من اصطنعه الحقّ تعالى لنفسه واصطفاه لحضرة أنسه وطهره بماء قدسه فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب.

المجالي الكلية والمطالع والمنصات : هي مظاهر مفاتح الغيوب التي انفتحت بها مغالق الأبواب المسدودة بين ظاهر الوجود وباطنه وهي خمسة: الأول هو مجلي الذات الأحدية وعين الجمع ومقام أو أدنى والطامة الكبرى ومجلي حقيقة الحقائق وهو غاية الغايات ونهاية النهايات. الثاني مجلي البرزخية الأولى ومجمع البحرين ومقام قاب قوسين وحضرة جمعية الأسماء الإلهية. الثالث مجلي عالم الجبروت وانكشاف الأرواح القدسية. الرابع مجلي عالم الملكوت والمدبرات السماوية والقائمين بالأمر الإلهي في عالم الربوبية. الخامس مجلي عالم الملك بالكشف الصوري وعجائب عالم المثال ولمدبرات الكونية في العالم السفلي.

مجلي الأسماء الفعلية : هي المراتب الكونية التي هي أجزاء العالم وآثار الأفعال.

مجمع البحرين : هو حضرة قاب قوسين لاجتماع بحري الوجود والإمكان فيها. وقيل هو حضرة جمع الوجود باعتبار اجتماع الأسماء الإلهية والحقائق الكونية فيها.

مجمع الأهواء : هو حضرة الجمال المطلق فإنه لا يتعلق هوى إلا برشحة، ولذلك قيل :

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ◎ ما الحبّ إلا للحبيب الأول

وقال الشيباني:

كل الجمال غدا لوجهك مجملا ◎ لكنه للعالمين مفصلا

مجمع الأضداد : هي الهوية المطلقة التي هي حضرة تعانق الأطراف.

المحبة الأصلية : هي محبة الذات عينها لذاتها لا باعتبار أمر زائد، لأنها أصل جميع أنواع المحبة فكل ما بين اثنين فهي إما لمناسبة في ذاتهما أو لاتحاد في وصف أو مرتبة أو حال أو فعل.

المحفوظ : هو الذي يحفظه الله تعالى عن المخالفات في القول والفعل والإرادة، فلا يقول ولا يفعل إلا ما يرضي الله به ولا يريد إلا ما يريده الله ولا يقصد إلا ما أمر الله به، تدبر.

محو أرباب الظاهر: هو رفع أوصاف العادات والخصال الذميمة ويقابله الإثبات الذي هو إقامة أحكام العبادة واكتساب الأخلاق الحميدة.

محو أرباب السرائر: هو إزالة العلل والآفات ويقابله إثبات المواصلات وذلك برفع أوصاف العبد ورسوم أخلاقه وأفعاله بتجليات صفات الحق وأخلاقه وأفعاله كما قال: "كنت سمعه الذي يسمع به" الحديث.

محو الجمع والمحق الحقيقي: هو فناء الكثرة في الوحدة.

محو العبودية ومحو عين العبد: هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان، فإن الأعيان شئون ذاته ظهرت في الحضرة الواحدية بحكم العالمية فهي معدومات العين أبدا إلا أن الوجود الحق ظهر فيها فهي مع كونها ممكنات معلومة لها آثار في الوجود الظاهر بها وبصورها المعلومات والوجود ليس إلا عين الحق تعالى، والإضافة نسبة ليس لها وجود في الخارج، والأفعال والتأثيرات ليست إلا تابعة للوجود، إذ المعلوم لا يؤثر فلا فاعل ولا موجود إلا الحق سبحانه وحده فهو العابد باعتبار تعينه وتقيده بصورة العبد التي هي شأن من شئونه الذاتية والمعبود باعتبار إطلاقه، وعين العبد باقية على عدمها، فالعبد محو والعبودية محوة كما قال تعالى: ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ وقوله ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾، فأثبت أنه رابع ثلاثة ونفي أنه ثالث ثلاثة لأنه لو كان أحدهم لكان ممكنا مثلهم، تعالى عن ذلك وتقدس. أما إذا كان رابعهم فكان غيرهم باعتبار الحقيقة عينهم باعتبار الوجود أو غيرهم باعتبار تعيناتهم عينهم باعتبار حقيقتهم.

المحق : هو فناء وجود العبد في ذات الحق كما أن المحو فناء أفعاله في فعل الحق والطمس فناء الصفات في صفات الحق فالأول لا يرى في الوجود وجود الشيء إلا للحق والثاني لا يرى لشيء فعلا إلا للحق والثالث لا يرى صفة إلا للحق.

المحاضرة : هي حضور القلب مع الحق في الإستفاضة من أسمائه تعالى.

المحاداة : هي حضوره مع وجهه بمراقبة تذهله عما سواه حتى لا يرى غيره لغيبته عن كلهم.

المحادثة : هي خطاب الحق للعبد في صورة من عالم الملك، كالنداء لموسى عليه السلام من الشجرة.

المخدع : هو موضع ستر القطب عن الأفراد الواصلين.

المدد الوجودي : هو وصول كل ما يحتاج إليه الممكن في وجوده على الولاء حتى يبقى فإن الحق يمده من النفس الرحماني بالوجود حتى يترجح وجوده على عدمه الذي هو مقتضى ذاته بدون موجده وذلك في التحلل وبدله من الغذاء والتنفس ومدده من الهواء ظاهر محسوس. وأما في الجمادات والأفلاك والروحانيات فالعقل يحكم بدوام رجحان وجودها من مرجحه. والشهود يحكم بكون كل ممكن في كل آن خلقاً جديداً كما يأتي.

المراتب الكلية : هي ست مراتب مرتبة الذات الأحدية ومرتبة الحضرة الإلهية وهي الحضرة الواحدية ومرتبة الأرواح المجردة ومرتبة النفوس العاملة وهي عالم المثال وعالم الملكوت ومرتبة عالم الملك وهو عالم الشهادة ومرتبة الكون الجامع وهو الإنسان الكامل الذي هو مجلى الجميع وصورة جمعيته. وإنما قلنا إن المجالي خمسة والمراتب ست لأن المجلي هو المظهر الذي تظهر فيه هذه المراتب والذات الأحدية ليست مجلى لشيء، إذ لا اعتبار للتعدد فيها حتى العالمية والمعلومية، فهي مراتب أصلية تترتب هذه المراتب بتنزلاتها، وما عداها كلها مجال باطنة أو ظاهرة ولا مجلي لأحدية الذات إلا الإنسان الكامل. وقيل المراتب ثمان وهي مرتبة عالم الملك وعالم الملكوت وعـالم الجبروت والأعيان الثابتـة والأسماء الإلهية والصفات السبحانية يعني بهما الواحدية والأحدية ووحدة الذات والذات الحق وهو بحث الذات وهوية مطلقة وهو الغاية ولا فهم ولا إدراك لما وراءه تبصر ويقال مظاهر الهية كلية لأن الثامن مظهر السابع والسابع مظهر السادس وهكذا تنتهي وسيأتي تفصيل ذلك.

مرآة الكون : هي الوجود المضاف الوحداني لأن الأكوان وأوصافها وأحكامها لم تظهر إلا فيه وهو يخفي بظهورها كما يخفي وجه المرآة بظهور الصور فيه.

مرآة الحضرة: هي التعينات المنسوبة إلى الشؤون الباطنة التي صورها الأكوان فإن الشؤون باطنة والوجود المتعـين بتعيناتها ظاهر. فمن هذا الوجه كانت الشؤون مرايا للوجود الواحد المتعين بصورها.

مرآة الحضرتين: أعني حضرة الوجوب والإمكان هي الإنسان الكامل وكذا مرآة الحضرة الإلهية لأنه مظهر الذات مع جميع الأسماء.

المسامرة : هي محادثة الحق للعبد في سره لأنها في العرف هي محادثة ليلاً.

مسالك جوامع الأثنية: هي ذكر الذات بالأسماء الذاتية دون الوصفية مع الفعلية مع المعرفة بها وشهودها. وذلك أن الذات المطلقة أصل جميع أسمائه تعالى فأجل وجوه تعظيمه تعالى وأعظمها التعظيم المطلق المثني بجميع أوصافها، فإن الذاكر إذا أثنى عليه بعلمه أو وجوده أو قدرته فقد قيد تعظيمه بذلك الوصف. أما إذا أثنى عليه بأسمائه الذاتية كالقدوس والسبوح والسلام والعلي والحق وأمثالها التي هي أثنية جميع الأسماء فقد عمم التعظيم بجميع كمالاته.

مستوى الإسم الأعظم: هو البيت المحرم الذي وسع الحق أعني قلب الكامل.

مستند المعرفة: هو الحضرة الواحدية التي هي جميع الأسماء.

المستهلك: هو الفاني في الذات الأحدية بحيث لا يبقي منه رسم.

المسئلة الغامضة: هي بقاء الأعيان الثابتة على عدمها مع تجلي الحق بأسم النور أي وجود الظاهر في صورها وظهوره بأحكامها وبروزه في صورة الخلق الجديد على الآنات بإضافة وجوده إليها وتعينه بها مع بقائها على العدم الأصلي إذ لا دوام يرجح وجودها بالإضافة إليها ولو لا التعين بها لما ظهرت قط وهذا أمر كشفي ذوقي ينبو عنه الفهم ويأباه العقل.

المستريح: هو من العباد من أطلعه الله على سر القدر، لأنه لا يرى أن كل مقدور يجب وقوعه في وقته المعلوم، وكل ما ليس بمقدور يمتنع وقوعه فاستراح من الطلب والإنتظار، لما لم يقع والحزن والتحسر على ما فات كما قال تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾. الآية. ولهذا قال أنس ﷺ: خدمته يعني النبي ﷺ عشر سنين، فلم يقل لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء تركته "لم تركته؟" ولم يجد هذا الإنسان إلا الملائم فانصف.

مشارق الصبح: هي التجليات الأسمائية لأنها مفاتح أسرار الغيب وتجلي الذات.

مشارق شمس الحقيقة: هي تجليات الذات قبل الفناء التام في عين أحدية الجمع.

مشرق الضمائر: هو من أطلعه الله على ضمائر الناس وتجلي له اسمه الباطن فيشرف على الباطن.

المضاهاة بين الشون والحقائق: هي رتبة الحقائق الكونية على الحقائق الإلهية التي هي الأسماء على الشون الذاتية فالأكوان ظلال الأسماء وصورها والأسماء ظلال الشون.

المضاهاة بين الحضرات والأكوان: هي أنتساب الأكوان إلى الحضرات الثلاث أعني حضرة الوجوب وحضرة الإمكان وحضرة الجمع بينهما. فكل ما كان من الأكوان

نسبته إلى الوجود أقوى كان أشرف وأعلى فكانت حقيقته علوية روحية أو ملكية أو بسيطة فلكية، وكل ما كان نسبته إلى الإمكان أقوى كان أخس وأدنى فكانت حقيقته سفلية عنصرية بسيطة أو مركبة، وكل ما كان نسبته إلى الجمع أشد كانت حقيقته إنسانية، وكل إنسان كان إلى الإمكان أميل وكانت أحكام الكثرة الإمكانية فيه أغلب كان من المردودين الكفار، وكل من كان إلى الوجوب أميل وأحكام الوجوب فيه أغلب كان من السابقين الأنبياء والأولياء، وكل من تساوت فيه الجهات كان مقتصداً من المؤمنين. وبحسب اختلاف الميل إلى إحدى الجانبين، اختلف المؤمنون في قوة الإيمان وضعفه.

المطالعة : توقيفات الحق للعارفين ابتداء وعن سؤال منهم فيما يرجع إلى الحوادث وقد يطلق على استشراف المشاهدة عند طوالعها ومبادي بروقها.

المطلع : هو مقام شهود المتكلم عند تلاوة آية من كلامه متجليا بالصفة التي هي مصدر تلك الآية كما قال الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون وكان ذات يوم في الصلاة فخر مغشيا عليه، فسئل عن ذلك، فقال لما زلت أكرر آية حتى سمعتها من المتكلم. وقال الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي قدس سره كان لسان جعفر في ذلك الوقت كشجرة موسى عليه السلام عند ندائه منها باني أنا الله ولعمري إن المطلع أعم من ذلك وهو مقام شهود الحق في كل شيء متجليا بصفاته التي ذلك الشيء مظهرها لكن لما ورد في الحديث النبوي: ما من آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع خصوه بذلك.

معالم أعلام الصفات : هي الأعضاء كالعين والأذن واليد فإنها التي يظهر بها معالم في الصفات وأصولها والمعلم محل الظهور كمعالم الدين ومعالم الطريق.

المعلم الأول ومعلم الملك : هو آدم عليه السلام لقوله تعالى ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾.

مغرب الشمس : هو استتار الحق بتعيناته والروح بالجسد.

مفتاح سر القدر: هو اختلاف استعدادات الأعيان الممكنة في الأزل.

المفتاح الأول : هو اندراج الأشياء كلها على ما هي عليه في غيب الغيوب الذي هو أحدية الذات كالشجرة في النواة وتسمى بالحروف الأصلية.

مفرح الأحزان ومفرج الكروب : هو الإيمان بالقدر.

المفيض : هو اسم من أسماء النبي عليه السلام، لأنه المتحقق بأسماء الله ومظهر إفاضة نور الهداية على الخلق وواسطتها

المقام : هو استيفاء حقوق المراسم، فإن من لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقي إلى ما فوقه، كما أن من لم يتحقق بالقناعة حتى تكون له ملكة، لم يصح له التوكل. ومن لم يتحقق بحقيقة التوكل لم يصح له التسليم وهلم جرا في جميعها. وليس المراد من هذا الإستيفاء أنه لم يبق عليه بقية من درجات المقام السافل حتى يمكنه الترقي إلى العالي، فإن أكثر بقايا السافل ودرجاته الرفيعة إنما تستدرك في العالي، بل المراد تملكه على المقام بالتثبت فيه بحيث لا يحول فيكون حالا وصدق اسمه عليه بحصول معناه بأن يسمى قانعا ومتوكلا، وكذا في الجميع فإنه إنما سمي مقاما لإقامة السالك فيه.

مقام التنزل الرباني : هو النفس الرحماني، أعني ظهور وجود الحقائق في مراتب التعينات.

المكانة : هي منزلة التي هي أرفع المنازل عند الله وقد تطلق على المكان وهو المشار إليه بقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

المكر : هو إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الآيات والكرامات من غير أمر ولا حد.

الملك : هو عالم الشهادة.

الملكوت : هو عالم الغيب.

ملك الملك : هو الحق في حال المجازاة للعبد على ما كان منه مما أمر به.

ممد الهمم : هو النبي ﷺ لأنه واسطة في إفاضة الحق الهداية على من يشاء من عباده وإمدادهم بالنور والأيد.

المناصفة : هي الإتصاف أعني حسن المعاملة مع الحق والخلق.

المنهج الأول : هو انتشاء الواحدية عن الوحدة الذاتية وكيفية انتشاء جميع الصفات والأسماء في ترتيب الذات. ومن أطلعه الله على ترتب الأسماء والصفات في جميع مراتب الذات فقد دله على أقرب السبل من المنهج الأول.

المنقطع الوحداني : هو حضرة الجمع التي ليس للغير فيها عين ولا أثر فهي محل انقطاع غير الأغيار وعين الجمع الأحدية وتسمى منقطع الإشارة وحضرة الوجود وحضرة الجمع.

منتهى المعرفة : هي الحضرة الواحدية، وتسمى منشأ السوي باعتبار انتشاء النفس الرحماني الذي منه تظهر صور المعاني فإنها تظهر بالوجود ومنزل التدلي لتنزل الحق فيه إلى صورة الخلق ومنزلة التداني لدنو الخلق من الحق ومنبعث الجود لابتداء فيضان جود الحق إلى غير ذلك من الأسماء.

المناسبة الذاتية: بين الحق وعبده من وجهين إما بأن لا تؤثر أحكام تعين العبد وصفات كثرته في أحكام وجوب الحق ووحدته بل تتأثر منها ويضيع ظلمة كثرته بنور وحدته وإما أن يتصف العبد بصفات الحق ويتحقق بأسمائه كلها فإن اتفق الأمران فذلك العبد هو الكامل المقصود بعينه، وإن اتفق الأول بدون الثاني فهو المحبوب المقرب وحصول الثاني بدون الأول محال وفي كلا الأمرين مراتب كثيرة. أما في الأمر الأول فبحسب شدة غلبة نور الوحدة على الكثرة وضعفها وقوة استيلاء أحكام الوجوب على أحكام الإمكان وضعفه وأما في الأمر الثاني فبحسب استيعاب تحققه بالأسماء كلها وعدمه بالتحقق ببعضها دون بعض.

المهيمون: هم الملائكة المهيمة في شهود جمال الحق الذين لم يعلموا أن الله خلق آدم لشدة اشتغالهم بمشاهدة الحق وهيمانهم وهم العالون الذين لم يكلفوا بالسجود لغيبتهم عما سوى الحق وولههم بنور الجمال فلا يسعون شيئاً مما سواه وهم الكروبيون.

الموت: هو في اصطلاحهم قمع هوى النفس فإن حياتها به ولا تميل إلى لذاتها وشهواتها ومقتضيات الطبيعة البدنية إلا به فإذا مالت إلى الجهة السفلية جذبت القلب الذي هو النفس الناطقة إلى مركزها فيموت من الحياة الحقيقية العلمية له بالجهل فإذا ماتت النفس عن هواها بقمعه انصرف القلب بالطبع والمحبة الأصلية إلى عالمه عالم القدس والنور والحياة الذاتية التي لا تقبل الموت أصلاً وإلى هذا الموت أشار أفلاطون بقوله: مت بالإرادة تحيا بالطبيعة. قال الإمام جعفر: الموت هو التوبة. قال الله تعالى ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾، فمن تاب فقد قتل نفسه. ولهذا إذا صنفوا الموت أصنافاً خصوا مخالفة النفس بالموت الأحمر * ولما رجع رسول الله ﷺ من جهاد الكفار، قال: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: مخالفة النفس * وفي حديث آخر: المجاهد من جاهد النفس فمن مات عن هواه فقد حي بهدا عن الضلالة وبمعرفته عن الجهالة. قال الله تعالى: أومن كان ميتاً فأحييناه. يعني ميتاً بالجهل فأحييناه بالعلم فقد سموا أيضا هذا الموت بالموت الجامع لجميع أنواع الموتات.

الموت الأبيض: هو الجوع لأنه ينور الباطن ويبيض وجه القلب فإذا لم يشبع السالك بل لا يزال جائعاً مات الموت الأبيض فحينئذ تحيا فطنته لأن البطنة تميت الفطنة فمن ماتت بطنته حييت فطنته، فاعمل.

الموت الأخضر: هو لبس المرقع من الخرق الملقاة التي لا قيمة لها فإذا قنع عن اللباس الجميل

بذلك واقتصر على ما يستر العورة وتصح فيه الصلاة فقد مات الموت الأخضر لاخضرار عيشه بالقناعة ونضارة وجهه بنضرة الجمال الذاتي الذي حي به واستغنى عن التجمل العارضي كما قيل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ⊙ فكل رداء يرتديه جميل

ولما رؤى الشافعي في ثوب خلق لا قيمة له فعابه بعض الجهال بذلك، قال:

فلي فيه نفس دون قيمتها الإنس ⊙ لئن كان ثوبي فوق قيمته الفلس

فثوبك شمس تحت أنوارها الدجي ⊙ وثوبي ليل تحت ظلمته الشمس

الموت الأسود : هو احتمال أذى الخلق لأنه إذا لم يجد في نفسه حرجا من أذاهم ولم تتألم نفسه بل يلتذ به لكونه يراه من محبوبه كما قيل:

أجد الملامة في هواك لذيذة ⊙ حبا لذكرك فليلمني اللوام

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ⊙ إذ كان حظى منك حظى منهم

فأهنتني فأهنت نفسي عامدا ⊙ ما من يهون عليك ممن يكرم

وقف الهوى بي حيث أنت فليس بي ⊙ متأخر عنه ولا متقدم

فقد مات الموت الأسود وهو الفناء في الله لشهوده الأذى منه برؤية فناء الأفعال في فعل محبوبه بل برؤية نفسه وأنفسهم فانين في المحبوب يحيا بوجود الحق من أضداد حضرة الوجود المطلق.

الميزان : هو ما به يتوسل الإنسان إلى معرفة الإرادات الصائبة والأقوال السديدة والأفعال الجميلة ويميزها من أضدادها وهي العدالة التي هي ظل الوحدة الحقيقية المشتملة على علم الشريعة والطريقة والحقيقة لأنها لم يتحقق بها صاحبها إلا عند تحققه بمقام أحدية الجمع والفرق فإن ميزان أهل الظاهر هو الشرع، وميزان أهل الباطن هو العقل المنور بنور القدس، وميزان الخاصة هو علم الطريقة، وميزان خاصة الخاصة هو العدل الإلهي الذي لا يتحقق به إلا الإنسان الكامل.

باب النون

النبوة : هي الإخبار عن الحقائق الإلهيـة أي عن معرفة ذات الحق وأسماءه وصفاته وأحكامه وهي على قسمين: نبوة التعريف ونبوة التشريع، فالأولى هي الإنباء عن معرفة الذات والصفات والأسماء. والثانية هي جميع ذلك مع تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة وتخص هذه بالرسالة.

النجباء : هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق

الخلق لا غير.

النفس : هو ترويح القلوب بلطائف الغيوب وهو للمحب الإنس بالمحبوب فاعرف.

النفس الرحماني : هو الوجود الإضافي الوحداني بحقيقته المتكثر بصور المعاني التي هي الأعيان وأحوالها في الحضرة الواحدية سمي به تشبيهاً بنفس الإنسان المختلف بصور الحروف مع كونه هواء ساذجاً في نفسه ونظراً إلى الغاية التي هي ترويح الأسماء الداخلة تحت خيط اسم الرحمن عن كربها وهو كون الأشياء فيها وكونها بالقوة كلزوم الإنسان بالتنفس.

النفس : هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم الروح الحيوانية وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة وبين البدن المشار إليها في القرآن بالشجرة الزيتونة الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية لازدياد رتبة الإنسان وبركته بها لكونها ليست من شرق عالم الأرواح المجردة ولا من غرب عالم الأجساد الكثيفة.

النفس الأمارة : هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشر ومنبع الأخلاق الذميمة والأفعال السيئة قال الله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء.

النفس اللوامة : هي التي تنورت بنور القلب تنوراً ما قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة فتيقظت وبدأت باصلاح حالها مترددة بين جهتي الربوبية والخلقية فكلما صدرت سيئة منها بحكم جبلتها الظلمانية وسجيتها تداركها نور التنبيه الإلهي فأخذت تلوم نفسها وتتوب عنها مستغفرة راجعة إلى باب الغفار الرحيم ولهذا نوه الله بذكرها بالأقسام بها في قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة.

النفس المطمئنة : هي التي تم تنورها بنور القلب حتى إن خلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة وتوجهت إلى جهة القلب بالكلية متابعة له في الترقي إلى جناب عالم القدس متنزهة عن جانب الرجس مواظبة على الطاعات مساكنة إلى حضرة رفيع الدجات حتى خاطبها ربها بقوله : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ للتجرد.

النقباء : هم الذين تحققوا باسم الباطن فاشرفوا على بواطن الناس واستخرجوا خفايا ضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر وهم ثلثمائة.

النكاح الساري في جميع الذرارى : هو التوجه الحبي المشار إليه بقوله تعالى «كنت كنزاً مخفياً

فأحببت أن أعرف ». فإن قوله "كنت كنزا مخفيا" يشير إلى سبق الخفاء والغيبة والإطلاق على الظهور والتعين سبقا أزليا ذاتيا وقوله "فأحببت أن أعرف" يشير إلى ميل أصلي وحب ذاتي هو الوصلة بين الخفاء المشار إليه بقوله "كنت كنزا مخفيا" وبين الظهور المشار إليه بأن أعرف فتلك الوصلة هي النكاح الساري في جميع الذراري. فإن الوحدة المقتضية لحب ظهور شؤون الأحدية تسري في جميع مراتب التعينات المرتبة. وتفصيل كلياتها بحيث لا يخلو منها شيء، وهي الحافظة لشمل الكثرة في جميع الصور عن الشتات والتفرقة فاقتران تلك الوحدة بالكثرة هو وصلة النكاح أولا في مرتبة الحضرة الواحدية بأحدية الذات في صور التعينات وبأحدية جميع الأسماء بأحدية الوجود الإضافي في جميع المراتب والأكوان بحسبها، حتى في حصول النتيجة من حدود القياس والتعلم والتعليم والقدوة والمقتدي والذكر والأنثى. فهذا الحب المقتضي للمحبة والمحبوبية بل العلم المقتضي للعالمية والمعلومية هو أول سريان الكثرة في الوحدة وظهور التثليث الموجب للإيجاد بالتأثير والفاعلية والمفعولية وكذلك هو النكاح الساري في جميع الذراري.

نهاية السفر الأول : هي رفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة.

نهاية السفر الثاني : هي رفع الوحدة عن وجود الكثرة العلمية الباطنة.

نهاية السفر الثالث: هي زوال التقيد بالضدين الظاهر والباطن بالحصول في أحدية عين الجمع.

نهاية السفر الرابع عند الرجوع عن الحق في الخلق : هي اضمحلال الخلق في الحق حتى يرى عين الوحدة في صورة الكثرة وصورة الكثرة في عين الوحدة.

النوال : هو كل ما ينيله الحق أهل القرب من خلع الرضا وقد يطلق على كل خلعة يخلعها الله على أحد وقد يخص بالإفراد.

ن : في قوله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ هو العلم الإجمالي في الحضرة الأحدية {القلم} هو الحضرة التفصيلية.

النور : هو اسم من أسماء الله تعالى وتجليه باسم الظاهر أعني الوجود الظاهر في صور الأكوان كلها، وقد يطلق على كل ما يكشف المستور من العلوم الذاتية والواردات الإلهية التي هي تطرد الكون عن القلب.

نور الأنوار : هو الحق تعالى.

باب الواو

الواو : هو الوجه المطلق في الكل.

الواحدية : هي اعتبار الذات من حيث انتشاء الأسماء منها وواحديتها بها مع تكثيرها بالصفات.

الواحد : هو اسم الذات بهذا الإعتبار.

الواردات : هي كل ما يرد على القلب من المعاني من غير تعمل من العبد.

الواقعة : هي ما يرد على القلب من عالم الغيب بأي طريق كان.

واسطة الفيض وواسطة المدد : هي الإنسان الكامل الذي هو الرابطة بين الحق والخلق بمناسبة الطرفين كما قال لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك.

الوتر : هو الذات باعتبار سقوط جميع الإعتبارات فإن الأحدية لا نسبة لها إلى شيء ولا نسبة لشيء إليها إذ لا شيء في تلك الحضرة أصلاً بخلاف الشفع الذي باعتباره تعينت الأعيان وحقائق الأسماء.

الوجود : هو وجدان الحق لذاته بذاته ولهذا تسمي حضرة الجمع حضرة الوجود.

وجها العناية : هما الجذبة والسلوك اللذان هما جهتا الهداية.

وجها الإطلاق والتقييد : هما جهتا اعتبار الذات بحسب سقوط جميع الإعتبارات أو بحسب إثباتها فإن ذات الحق هي الوجود من حيث هو وجود فإن اعتبرته كذلك فهو المطلق أي الحقيقة التي هي مع كل شيء لا بمقارنة فإن غير الوجود البحت هو العدم المحض فكيف يقارنه ما به موجود وبلونه معلوم وغير كل شيء لا بمزايله فإن ما عداه هي الأعيان المعلومة وهي غير الوجود فإن فارقها لم تكن شيئا فالكل به موجود وهو بذاته موجود فإن قيدته بالتجرد أي بقيد أن لا يكون معه شيء فهو الأحد الذي كان ولم يكن معه شيء ولهذا قال المحقق : والآن كما كان وإن قيدته بقيد أن يكون معه شيء فهو عين المقيد الذي هو به موجود وبدونه معــــلوم وقد تجلي في صورته فأضيف إليه الوجود. فإذا أسقطت الإضافة فهو معلوم في ذاته ولهذا معني قولهم : التوحيد إسقاط الإضافة، وقد صدق من قال : إن الوجود عين حقيقة الواجب غير حقيقة كل ممكن لأنه زائد على ماهية وعين إذ لا شك أن سوادية السواد وإنسانية الإنسان مثلاً شيء غير وجوده وهو بلون الوجود معلوم.

وجه الحق : هو ما به الشيء حقا إذ لا حقيقة لشيء إلا به تعالى وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثــم وجه الله ﴾، فهو عين الحق المقيم لجميع الأشياء فمن رأي قيومية الحق للأشياء فهو الذي يري وجه الحق في كل شيء، فتبصر.

وجهة جميع العابدين : هي الحضرة الألوهية.

الورقاء : هي النفس الكلية التي هي القلب العالم وهي اللوح المحفوظ والكتاب المبين.

وراء اللبس : هو الحق في الحضرة الأحدية فإنه في الحضرة الثانية وما بعدها يتلبس بمعاني الأسماء وحقائق الأعيان ثم بالصور الروحانية ثم بالصور المثالية ثم بالحسية.

الوصف الذي للحق : هو أحدية الجمع والوجوب الذاتي والغني عن العالمين.

الوصف الذي للخلق : هو الإمكان الذاتي والفقر الذاتي.

والوصل : هو الوحدة الحقيقية الواصلة بين البطون والظهور وقد يعبر به عن سبق الرحمة بالمحبة المشار إليها بقوله "فأحببت أن أعرف" فخلقت الخلق. وقد يعبر به عن قيومية الحق للأشياء فإنها تصل الكثرة بعضها ببعض حتى تتحد وبالفصل تتفرق وحدتها ❖ قال الإمام جعفر: من عرف الفصل من الوصل والحركة من السكون فقد بلغ القرار في التوحيد ويروى في المعرفة. والمراد بالحركة وبالسكون وبالقرار في عين أحدية الذات. وقد يعبر بالوصل عن فناء العبد بأوصافه في أوصاف الحق وهو التحقق بأسمائه تعالى المعبر عنه بإحصاء الأسماء كما قال عليه السلام : «من أحصاها دخل الجنة ».

وصل الفصل : هو شعب الصدع وجمع الفرق وهو ظهور الوحدة في الكثرة. فإن الوحدة واصلة لفصولها باتحاد الكثرة وجمعها لشتاتها، كما إن فصل الوصل ظهور الكثرة في الوحدة، فإن الكثرة فاصلة لوصل الوحدة مكثرة لها بالتعينات الموجبة لتنوع ظهور الوجدة في القوابل المختلفة اختلاف أشكال الوجه الواحد في المرايا المختلفة.

وصل الوصل : هو عود بعد الذهاب والعروج بعد النزول فإن كل أحد منا نزل من أعلى المراتب وهو عين الجمع الأحدية التي هي الوصل المطلق في الأزل إلى أدنى المهاوي وهو عالم العناصر المتضادة فمنا من أقام في غاية الحضيض حتى هبط أسفل سافلين، ومنا من رجع وعاد إلى مقام الجمع بالسلوك إلى الله بالإتصاف بصفاته والفناء بذاته حتى حصل الوصل الحقيقي في الله كما كان في الأزل.

الوفاء بالعهد : هو الخروج عن عهدة ما قيل عند الإقرار بالربوبية بقوله بلى حيث قال الله تعالى ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ وهو للعامة العبادة رغبة في الوعد ورهبة من الوعيد وللخاصة العبودية على الوقوف مع الأمر لنفس الآمر وقوفا عند ما حد ووفاء بما أخذ على العبد لا رغبة ولا رهبة ولا فرضا ولخاصة الخاصة العبودية

على التبري من الحول والقوة للمحب صون قلبه عن الإتساع لغير المحبوب ومن لوازم الوفاء بعهد العبودية أن ترى كل نقص يبدو منك راجعاً إليك ولا ترى كمالاً لغير ربك.

الوفاء بحفظ عهد التصرف : هو أن تذهل عن عبوديتك وعجزك في أوقات ما يمنحك من التصرفات وخرق العادات.

الوقت : ما حضرك في الحال فإن كان من تصرفات الحق فعليك الرضا والاستسلام حتى تكون بحكم الوقت لا يحضر ببالك غيره وإن كان مما يتعلق بكسبك فالزم ما أهمك لا تعلق لك بالماضي والمستقبل فإن تدارك الماضي تضييع للوقت وكذا فيما يستقبل فإنه عسى أن لا تشغله وقد فاتك الوقت. ولهذا قال الصوفي ابن الوقت.

الوقت الدائم : هو الآن الدائم.

الوقفة : هي التوقف بين المقامين لقضاء ما بقي عليه من حقوق الأول والتهيؤ لما يرتقي إليه بآداب الثاني.

والوقوف الصادق : هو الوقوف مع مراد الحق.

الولي : هو من تولى الحق أمره وحفظه من العصيان ولم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغ في الكمال مبلغ الرجال قال الله تعالى : ﴿وهو يتولى الصالحين﴾.

الولاية : هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وذلك يتولاه الحق حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين.

باب الهاء

الهاء : هو اعتبار الذات بحسب الظهور والوجود.

الهو : هو اعتبارها بحسب الغيبة والفقد.

الهباء : هو المادة التي فتح الله فيها صور العالم وهو العنقاء المسمى بالهيولى.

همة الإفاقة : هي أول درجات الهمة، وهي الباعثة على طلب الباقي وترك الفاني.

همة الأنفة : هي الدرجة الثانية وهي التي تورث صاحبها لأنفة من طلب الأجر على العمل حتى يأنف قلبه أن يشتغل بتوقع ما وعده الله من الثواب على العمل مع الفراغ عن مشاهدة الحق بل يعبد الله على الإحسان فلا ينزع من التوجه إلى الحق طلباً للقرب منه إلى طلب ما سواه.

همة أرباب الهمم العالية : هي الدرجة الثالثة وهي التي لا تتعلق إلا بالحق ولا تلتفت إلى غيره فهي أعلى الهمم حيث لا ترضى بالأحوال والمقامات ولا بالوقوف مع الأسماء

والصفات ولا تقصَدَ إلاّ عينَ الذات.

الهوى : هوَ ميل النفوس إلى مقتضيات الطَبْع والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهةِ السفلية.

الهواجس: هيَ الحضرةُ النفسانية.

الهواجم : هيَ ما يَرِدُ على القلب بقوة الوَقْتِ من غير تعمل من العَبْد وهيَ البوادِهُ المذكورة.

الهيولي : هوَ عندهم اسمُ الشيءِ بنسبتِهِ إلى ما يظهرُ فيه صورَةً.

باب الياء

الياقوتة الحمراء : هيَ النفْسُ الكلية لامتزاج نوريتها بظلمة التعلّق بالجسم، بخلاف العقل المفارق المعبر عنه بالدرةِ البيضاء.

اليدان : هما أسماء الله تعالى المقابلة كالفاعلية والقابلية. ولهذا وبخ إبليس بقوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجُدَ لما خلقتُ بيدِي ﴾، ولما كانت الحضرة الأسمائية مجمع حضرتي الوجوب والإمكان، قال بعضهم : إن اليدين هما حضرتا الوجوب والإمكانِ، والحقّ أن التقابلَ أعم من ذلك. فإن الفاعلية قدْ تتقابل كالجميل والجليل واللطيفِ والقهار والنافع والضار، وكذا القابلية كالأنيس والهائب والراجي والخائف والمنتفع والمتضرر.

يوم الجمعة : هوَ وقت اللقاء والوصول إلى عَيْن الجمع.

ترجمة السيد محمدٌ بهاء الدين النقشبندي

صَدر مسند إرشاد وهدايت * جامع النعوت وخصائص ولايت * ملاذ زمانٍ * وقطب أهلِ حقيقتْ وعرفان * مظهر صفات رباني * موردا خلاق سبحاني *

(بيت) : وعلى تفنن واصفيه بحسنه ⊙ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصَفِ

(بيت آخر) : أردتُ له مدحا فما من فضيلةٍ ⊙ تأملتُ الأجل عنها وقلتُ

أعني حضرة قدوة العارفين إنسان عيون المحققين وارث علوم الأنبياء والمرسلين شيخنا وسيدنا وسندنا الشيخ بهاء الحق والدين محمد بن محمد البخاري المعروف بشاه نقشبند وبخواجه مُشكل كشا قدس الله روحه وطيب مشهده ونوّر ضريحه ونفعنا بمحبته والإقتداء بسيرته والشرب بفيضه كذا في الرسالة القدسية لخواجه محمد بارسا قدس سره.

خاتم كنز ولايت واقف لوح قضا ◉ قطيب عالم شبهه سز خواجه بهاء الدينندر
طوندي آفاقي ولايتله بجيداي شهرتي ◉ برج احكام شرع يعتده ضياء الدينندر
فص قلبه نقش أسرار حقيقت ايلين ◉ نقشبند خواجكان شاه لواء الدينندر

(وأما طريقه ونسبته) فهو أخذ الطريق وآدابه بحسب الصورة من قطب العارفين سيدي أمير كلال وبحسب الحقيقة فهو أويسي لأن تربيته من روحانية سلطان الأولياء عبد الخالق الفجدواني وبحسب النظر والقبول من محمد بابا سماسي فهو شيخ أمير كلال لأن محمد بابا سماسي كان كلما مر بقصر عارفان، وهو قرية قريبة من بخارى، يقول لأصحابه تجيء من هذه ريح شخص من الرجال، وهذا قبل ولادة بهاء الدين ويوماً مر كذلك بحضرة محمد بابا سماسي وقال وتلك الرائحة الآن ازدادت ولا شك أن هذا الشخص الذي أخبرتكم به ولد وبعد قليل من الزمان يشرف هذه القرية بقدومه وكان قد ولد بهاء الدين قبل ثلاثة أيام من هذا الكلام وفي هذا اليوم أرسل جد حضرة بهاء الدين هدية إلى خواجه محمد بابا فلما نظر هدية جده، قال هذا ولدي وقبلها قبولاً تاماً وبعده قال بر الولد الذي أخذنا ريحه من هذه القرية لا يمضي زمان كثير إلا يكون قدوة لأهل زمانه ومشكل كشا أهل عصره وبعده خاطب أمير كلال وقال يا أمير كلال لا تبخل ولا تقصر في تربية ولدي بهاء الدين ولا في الشفقة عليه وأن تقصر في تربيته وشفقته لا أحل حقي لك. فلما سمع أمير كلال قام ووضع يديه على صدره وتضرع، وقال: إن قصرت في حقه وتربيته وشفقته إذا لست بإنسان كما في المقامات لبهاء الدين وسيأتي تفصيل السلسلة.

(وأما ولادته) ففي قصر عارفان ويقال هندوان في قريب بخاري قرية مفرحة كثيرة الرياض وولد سنة ثمان عشرة وسبعمائة وعمر وشرف العالم ثلاثة وسبعين. ومات إحدى وتسعين وسبعمائة. وظهرت عجائب وعلامات وأنوار وخوارق عادات عند ولادته وعند وفاته فارجع إلى المطولات.

ترجمة السيد عبد القادر الجيلاني

(وأما ذكر نسبة الشيخ عبد القادر وأوصافه) فهو القطب الأعظم والغوث الأكرم وقدوة العارفين وسر دار الواصلين ورهنماء العاشقين وهو العالم الفاضل الأكمل المحقق المجتهد المدقق والسير الساري والمدد الجاري في المشارق والمغارب وملجأ الأولياء والسالكين نفعنا الله به وبأستاذه.

قال المخبر: أخبرنا الفقيه العالم أبو المعالي أحمد بن الشيخ المحقق أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الرزاق بن عيسى الهلال قال أخبرنا والدي عبد الرزاق قال سألت والدي الشيخ محي الدين عبد القادر أبا محمد بن أبي صالح موسى حسكي دوست ابن أبي عبد الله بن يحي

الزاهدى ابن محمد بن داود بن موسى ابن عبد الله بن موسى الجوز بن عبد الله المحصن وينعت أيضاً بالمجد بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم سبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد وبه كان يعرف حيث كان بجيلان عن مولده، فقال: لا أعلم حقيقته، لكني قدمت بغداد في السنة التي مات فيها التميمي وعمري إذ ذاك ثمان عشرة سنة. قلتُ: والتميمي هذا هو أبو محمد رزقة الله قال: ذكر أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافعي الجيلي الحنبلي ﵀ أن مولد الشيخ محي الدين عبدَ القادر الجيلانى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة [٤٧١ هـ] بجيلان، وأنه دخل بغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة [٤٨٨ هـ] وله ثمان عشر سنة. قيل وهو منسوب إلى جيل بكسر الجيم وسكون الياء وآخر الحروف لام، وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان وبها وُلد في أنيف قصبة منها ويقال فيها أيضا جيلان وكيلان وكيل أيضاً قرية على شاطئ دجلة وأمه أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي وكان لها حظ وافر من الخير والصلاح قال كان شيخنا شيخ الإسلام محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلي رحمة الله عليه نحيف البدن ربع القامة عريض الصدر عريض اللحية طويلها أسمر مقرون الحاجبين خفيا ذا صوت جهوري وسمت بهي وقدر علي وعلم وفي رضي الله عنه.

(وقال) أخبرنا شيخنا أبو بكر بن هوار البطائحي ﵀ في مجلسه يوماً وهو يذكر لأصحابه أحوال الأولياء فقال: ظهر بالعراق رجل من العلماء عالي المنزلة عند الله وعند الناس اسمه عبد القادر ومسكنه بغداد، يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. وتدين له الأولياء في عصره وهو فريد في وقته. قال: وكنتُ سُئلتُ أن أجمع ما وقع لي في قول شيخنا شيخ الإسلام مقتدى الأولياء علم الهدى محي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلى الحنبلي قدس الله روحه ونور ضريحه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. إذ هي يتيمة عقد الزمان، وفريدة سلك البيان، وحلة مجد حلي فيها قائلها، ومنزلة عز انفرد بها نازلها، فاستخرت الله وأجبت السائل ابتغاء النفع العاجل والأجر الآجل.

❖ بيان أنواع الأولياء والمتصرفين ❖

(وأما أنواع الأولياء والمتصرفين) فمنها قطب الأقطاب وقطب الإرشاد وقطب البلاد وقطب المتصرفين وهم الكلمات الجامعة الإلهية وقدرتهم القدرة الذاتية: ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾

ومنها الأوتاد الأربعة، عبد الحي وعبد العليم وعبد المريد وعبد القادر وأصلهم إدريس والياس وخضر وعيسى وهم أقطاب العالم وهؤلاء الأوتاد نوابهم لا موت ولا عارض ولا صعق ولا تغير لهم.

ومنها الإمامان، أحدهما عن يمين القطب والآخر عن يساره بمنزلة الوزير والوزارة تُوارث من الأنبياء كما قال تعالى في حكاية موسى : ﴿ واجعل لي وزيرًا من أهلي هارون ﴾ وفي حق رسول الله ﷺ ﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾.

ومنها الأبدال السبعة، وهم في أقاليم سبعة على قدم الخليل وموسى وهارون وإدريس ويوسف وعيسى وآدم. فالأول للأول والثاني للثاني وأسمائهم أسماء الأوتاد الأربعة، فعبد السميع وعبد البصير وعبد الشكور وهذه الثلاثة تكمل الأربعة فتكون سبعة.

ومنها النقباء، وهم اثنا عشر كما ورد في القرآن في بني إسرائيل ﴿ وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ﴾، وهم عرفاء يفتشون أحوال الناس والعساكر وسر عددهم، هكذا كما في البروج فالاثنا عشر نقيبا مطلعون على تأثيرات الكواكب التي تنزل على البروج.

ومنها النجباء، وهم ثمانية عدد السموات مع الكرسي وهم واقفون على أحوال النجوم وسيرها على ثمانية أفلاك بالكشف لا بعلم النجوم والنقباء فوقهم لأنهم مطلعون على أحوال النجباء وأسرار النجوم والكرسي والعرش.

ومنها الحواريون، وهم الصافون الخالصون من التردد والتلون وهم سيوف الله وحججه على المنكرين والمضلين والمخالفين وحواري هذه الأمة الزبير، كما ورد : الزبير ابن عمي وحواري ومن على مشرب الزبير في كل عصر. والمعتمد أن الأنصار والخلفاء الأربعة وعثمان ابن مظعون وحمزة وجعفر من الحواريين لأنهم جمعوا خصلتين الشجاعة والبرهان، فافهم.

ومنها ختم الأولياء، وهم ثلاثة عيسى عليه السلام ختمت به الخلافة العامة والولاية الشاملة من آدم إلى آخر الأبد ففي حقه يحشران مع الأنبياء ومع أمة محمد في القيامة. ومحمد المهدي ختم به خاصة الخلافة المحمدية والشيخ الأكبر ختم به الولاية الخصوصية.

ومنها ثلثمائة رجل من الأولياء على قلب آدم ومشربه وعلمه ويدعون بدعائه ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾. الآية وسر عددهم أن آدم عليه السلام جامع الفردانية الإلهية الأولى وهي الذات والصفات والأفعال، والفردانية الثانية وهي الجسم والروح، والحقيقة باعتبار الظاهرية والمظهرية على حسب الأسماء الحسنى ثلثمائة وورثته كذلك.

ومنها أربعون على قلب نوح عليه السلام وعلمه ومشربه كما في الحديث : أن في أمتي أربعين شخصًا على قلب نوح غلب عليهم الجلال كما في صفة نوح عليه السلام ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا ﴾.

ومنها سبعة غير الأبدال السبعة على قلب إبراهيم عليه السلام وعلمه ومشربه ودعائه ﴿ رب هب لي حكمًا والحقني بالصالحين ﴾. ومقامهم كمال التمكين والاطمئنان في الجنة

الروحانية وورد في حقهم ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾.

ومنها خمسة على قلب جبريل، وهم ملوك تحت الأطمار ينفخون الفيوض والعلوم إلى القلوب بعدد قوى جبريل.

ومنها ثلاثة على قلب ميكائيل، علومهم بعدد قواه وغلب عليهم الصفات الفاضلة والبسط والتبسم ولين الجانب وفرط الشفقة بجميع الناس.

ومنها واحد على قلب إسرافيل، وعلمه علم إسرافيل جامع للفيض والبسط وعلى هذا المشرب أبو يزيد البسطامي وفضل هؤلاء الأولياء على ترتيب فضل أولى العزم.

ومنها رجال الغيب، وهم عشرة وهم على خشوع وصوت خفي وتجل رحمني دائم عليهم ومشربهم هذه الآية ﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا﴾، وقوله تعالى ﴿الذين يمشون على الأرض هونا﴾ الآية.

ومنها ثمانيــة عشر، وهم قائمون بحقوق الله وظاهرون بأمر الله ومأمرون من عند الله ويحكمون بما أراد الله، تظهر على أيديهم الخوارق والكرامات.

ومنها ثمانية، وهم رجال القوة ورجال القهرية ومشربهم أشداء على الكفار وأسمائهم ﴿ذو القوة المتين﴾. وصفاتهم لا تأخذهم في الله لومة لائم.

ومنها خمسة رجال، وهم مثل الثمانية في الكل وزادوا على النــاس رفقاً ولينًا بموجب ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾.

ومنها خمسة عشر رجلًا، وهم المسمون رجال الحنان والعطف الإلهي لما ورد في يحي عليه السلام ﴿وحنانا من لدنا﴾. ولهم شدة شفقة على الناس مؤمنا أو كافرا وهم يقبلون على من يعرض عنهم.

ومنها أربعة يسمون رجال الهيبة والجلال، وهم يمدون بالأوتاد الأربعة قالبهم روحاني وقلبهم سماوي معروفون في السماء مجهولون في الأرض وعلمهم مما لا يتناهى.

ومنها أربعــة وعشرون رجلًا، تسمي رجال الفتح وعلى أيديهم فتح الله قلوب أوليائه لأسراره ومعارفه وتعين كل واحد بساعة وما فتح الله فيها.

ومنها رجال المعارج العــلى، وهم سبعة وهم على معراج بكل نفس وساعة يحصلون علما خاصا وهم غير الأبدال والرجبيين.

ومنها رجال التحت الأسفل، ويوجد فيهم من النساء ويدخل فيهم في كل نفس فيض رباني ونفس رحماني من العلم الأعلى وهو عرش وقلم ولوح وكرسي وسموات على عددهم.

ومنها ثلاثة، وهم أصحاب أمداد ورحمة ولين ومقامات واستمدادات ويتمثلون على كل

صورة لغلبة روحانيتهم.

ومنها الإلهيون والرحمانيون، وهم ثلاثة أيضا وهم عند الوحي والحوادث يجلسون عرايا على حجر مليح ويسمعون الوحي ويفهمون المراد منه وهم على مشرب صفوان.

ومنها واحد يسمى رجل الاستطاعة ويعطيه الله قدرة كاملة على كل شيء فهو ذكي الفؤاد وشجاع ومقدام وكبير الدعوى بالحق لا بالنفس، ولذا يحكم بالعدل، وله كرامات وليس خاصا بالرجال وعلى هذا المقام عبد القادر الجيلاني.

ومنها الواحد الذي يشبه عيسى عليه السلام أي تولد من جنسين روح وبشر كما تولدت بلقيس من جن وإنس، لأن أباها جن ولو عكس لما صارت على صورة الإنسان. والحاصل أن هذا الرجل بشريته ليست معلومة بل هو مركب من جنسين مختلفين ويحفظ الله به البرزخ.

ومنها الواحد الذي له رقائق ممتدة واتصال معنوى إلى جميع العوالم ومرآة لها وهو ليس خاصا بالرجال وهو الشخص الغريب الذي لا يقف أحد على حاله ويظن أنه قطب وهو مظهر قول النبي عليه السلام فطوبى للغرباء.

ومنها الواحد الذي بحسب المقام، يقال له سقيط الرفرف ابن ساقط العرش كبير الشأن عظيم الحال، وإذا نظر إلى أحد أو نظر إليه أحد يتأثر ويزيد حاله حتى لو نظر إلى حيوان لنطق وهو شديد الحياء والإنكسار ولم قوة في المعارف الإلهية ولسانه فصيح.

ومنها رجلان يسميان رجال الغني يحفظ الله بهما مقام الغني. فكل غني في العالم فغناه بيدهما وغناهما كامل، وبدايتهما داخلة في نهايتهما أحدهما مضاف إلى الله وهو أكمل ويمد الملأ الأعلى والآخر مضاف إلى نفسه وهو أدنى ويمد عالم الملك وهما مستفيضان من روح علوي غناه غني الله.

ومنها الواحد الذي ليس في قلبه فتور أصلا ويتجدد له في كل نفس علم ويظهر في مكانين بلا فرق وليس أعجب وأكبر معرفة منه أحد ويتزلزل وجوده من خشية الله.

ومنها عشر يقال لهم رجال التحكيم والزوائد ومقامهم الدعاء بالرجاء والبسط ويظهرون غاية الذل والتضرع وحالهم قوة الإيمان بالغيب.

ومنها البدلاء الذين غير ما ذكر وهم اثنا عشر. ولا تظن أن البدلاء عين الأبدال بل غيرهم.

وقال الخطيب : النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد. ووجه تسميتهم بذلك أن من غاب منهم يقوم آخر مقامه، بل يقوم واحد منهم مقام الكل كما قيل :

ليس على الله بمستنكر ۞ أن يجمع العالم في واحد

ومنها رجال الاشتياق، وهم خمسة وهم في عين الشهود والاشتياق يطربهم ويحرق أكبادهم والاشتياق أبلغ من الشوق ولذا كانوا ملوك أهل الطريق ويقال لهم رجال الصلوات لأن كل واحد منهم مختص بصلاة من الخمس ويتعلقون بها كما يتعلق باقي الأولياء بشيء من الأفلاك والحقائق.

ومنها رجال الأيام الست، والمراد بها ما خلق الله فيها العالم وهي الأسبوع إلا يوم الجمعة لأن الله خلق فيه النشأة الإنسانية وهي علة غائية للعالم ولذا كان يوم الجمعة أفضل وهذه الأيام مقالة الصفات السبع: الأحد موجود من السمع والإثنين من الحياة والثلاثاء من البصر والأربعاء من الإرادة والخميس من القدرة والجمعة من العلم والسبت من الكلام، وكل واحد نال مظهرية صاحبه فافهم.

ومنها الملامية، وهم الذين يظهرون أحوالا وأسرارا بل يحفظون أسرارهم لكمال ذوقهم وغيرتهم وهم سادات الأئمة وسيد العالمين ﷺ جار على معاملة هذه الطائفة. ولذا لم يظهر معجزة إلا لضرورة ويكتفى بالرموز في الأكثر وفيهم ورد أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري.

ومنها رجال الماء، وهم غير منحصرين عددا ومكانا لأنهم يعبدون الله في قعر الماء من الأنهار والآبار والأبحار ولغلبة روحانيتهم لا تنحبس أنفاسهم في الماء وهم سالمون من الثقل والكدورات والسطوة والقهر والبلاء والفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين.

ومنها الأفراد وهم غير منحصرين أيضا ولهم كشف خاص وعلوم غريبة إلهية وترك تصرف واكتفاء بالفناء ويتكلمون بالأحكام الأسمائية قبل التعلم ويكتمون الأسرار ولا يظهرون السر والكمال أصلا، ولهم معراج روحاني، وفي كل منام معراج وليس لهم قدم غير قدم الرسول ﷺ وغيرهم إن كان من الأئمة له قدم قطب، وإن كان من الأوتاد له ثلاثة أقدام، وإن كان من الأبدال له أربعة أقدام وهكذا كلما تنزلت تدبر.

ومنها رجال محدثون، ومنهم الفاروق الأعظم كما ورد في الحديث إنه كان فيما مضي قبلكم من الأمم محدثون فإن كان في أمتي هذه فإنه عمر بن الخطاب وهم صنفان:

(الأول) محدثون ومتكلمون من وراء حجاب، كما كان موسي عليه السلام كليما من وراء شجرة كما في القرآن ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ﴾.

(والثاني) يلقنون فتحدث الملائكة بعضا في قلوبهم وبعضا في آذانهم ولذا كلما جاء على لسانهم شئ فهو صادق وهم غير منحصرين وكلما ذكر الحصر والعدد ههنا في الأولياء من هذه الأمة فهو لا يزيد ولا ينقص ﴿ فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾.

❖ بيان كيفية طريق النقشبندية ❖

(وأما كيفية طريق النقشبندية) فإنه قد اشتهر وتحقق بالتجربة والعيان لدى أساطين العلم والكشف والشهود أن الطريق النقشبندية أقرب الطرق وأسهلها على المريد للوصول إلى درجات التوحيد، لأن مبناها على التصرف وإلقاء الجذبة المقدمة على السلوك من المرشد الداخل تحت ورائه ﷺ في قوله: «ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر ﷺ». وهو واسطة هذا العقد ومؤسس هذا المجد على اتباع السنة واجتناب البدعة والأخذ بالعزائم والتخلي عن الرذائل والتحلي بمحاسن الأخلاق والفضائل فتلخص من هذا كله أن الجذب في هذه الطريقة مقدم على السلوك ومن تلبس بهذا الحال فلا شك يكون أقرب وصولاً من المتلبس بالعكس كما أنه شتان ما بين المجذوب السالك والسالك المجذوب، ومبني بقية الطرق على تقديم السلوك على الجذب في الأغلب. ولذا قالوا: بداية الطريقة النقشبندية نهاية سائر الطرق إلا من كان له قدم المحبوبية والمرادية كبعض الأولياء الذي تقدم فتحهم على السلوك.

[تنبيه] لا يظن من هذه البحث تفضيل الأولياء النقشبندية عموماً على أولياء بقية الطرق عموماً إذ البحث في بيان أقربية الطريق للوصول من حيث هي هي ولا يلزم من ذلك تفضيل سالكيها على سالكي غيرها مطلقاً، بل العموم والخصوص من وجه كما إذا قلنا جبر الرجل خير من المرأة مراداً بها الحقيقة [تدبر] فأول قدم يضعونه في الذكر القلب وهو المرتبة الثانية من مراتب الذكر في سائر الطرق وليس فيها كثرة الجوع وكثرة السهر بل الاعتدال يصحبها وخلوتهم في خلوتهم وكل المجامع لهم زاوية يحضرون في المجالس وقلوبهم حاضرة مع مولاهم ومن السوى خالية فيعتزلونهم بقلوبهم ويجالسونهم بأجسامهم ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾.

(واعلم) أن طريق النقشبندي قدس سره هي طريقة الصحابة على أصلها لم تزد ولم تنقص وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهراً وباطناً مع كمال الالتزام للسنة والعزيمة وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات في العادات والعبادات والمعاملات مع دوام الحضور بالله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك فهي طريق الانصباغ والانعكاس لكمال ارتباطهم بها مع هذه المجاهدة الزكية المستورة يستوي في استفاضتها الشيوخ والصبيان وفي افاضتها الأحياء والأموات، ويندرج انتهائها في الابتداء وابتداؤها انتهاء غيرها لما فيها من انجذاب المحبة الذاتية مما فضل به واسطتها الصديق الأكبر ﷺ فهذه أم الطرق ومعدن الأسرار الصديقية والحقائق ولا جرم أمرها كبير وشأنها خطير ترى منكري الأولياء مذعنين لها لاستقامتها واعتدالها، فضلاً عن الموقنين المعتقدين لتحريرها عن الشطح والرقص

وسفاسف السماع وسلامتها عن كلورات جهلة المتصوفة وزخارف الرقاع والإبتداع وتحليها من السنة السَّنية بالإتباع وغلبة العلم والإستماع له من الإتباع وهي مما جزي على قبوله الوفاق وأقر بفضله علماء الآفاق وبالجملة فهي الطريق الأقرب الأفضل الأقوى الأتم الأكمل الأحكم الأوضح والمشرب الأعذب المصون عن كلّ قادح.

(بيت) : لا يدرك الواصف المطري خصائصه ⊙ وإن يكن سابقاً في كل ما وصفا

سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم بطابع أنوار أسرار العلوم ❖ فمن السالكين فيها من وصل في لحظة، ومنهم من وصل في يوم، ومنهم من وصل في اسبوع، ومنهم من وصل في شهر، ومنهم من وصل في سنة، ومنهم من وصل في سنين كما في منهاج العابدين.

(وأما شرعيتها وتطبيقها على المذهب) فجميع أركانها وشروطها وآدابها محين الشرع ولب القرآن وحقيقة العرفان وفي حقها أدلة جملة وتفصيلاً كما سيأتي البيان.

قال الإمـــام أبو منصور الماتريدي رحمه الله : إن هذا الطريق ليس في طوله وقصره مثل المساحات التي تسلكها الأنفس فتقطعها بالأقدام على حسب قوة النفس وضعفها، بل هو طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالأفكار على حسب العقائد والبصائر. وأصله نور سماوي ونظر الهي يقع في قلب العبد فينظر به نظرة فيرى بها أمر الدارين بالحقيقة. ثم هذا النور ربما يطلبه الشخص مائة سنة ويصرخ فيها ويبكي، فلا يجده ولا أثر منه. ومنهم من وفق في ستين سنة، ومنهم من وفق في عشرين، ومنهم من وفق في سنة، ومنهم من في شهر، ومنهم من في جمعة، ومنهم من في ساعة، ومنهم من في لحظة، انتهى.

وقال الخادمي : هو علم المكاشفة الذي يظهر في القلب نوره ويشاهد به الغيب، وهو المعنى من قوله عليه السلام على ما في الجامع الصغير: علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكم من أحكام الله يقذفه في قلوب من يشاء من عباده. وقوله عليه السلام على ما في عين العلم إذا دخل النور في قلبه انشرح أي عاين الغيب.

وقال في التارخانية : وأما علم المكاشفة فلا يحصل بالتعليم والتعلم وإنما يحصل بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى مقدمة للهداية حيث قال ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾.

وقال التفتازاني في حقه في شرح المقاصد : إذا انتهى العبد في الســلوك إلى الله وفي الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تستمر ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سوى الله ولا يرى في الوجود إلا الله وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد وإليه الإشارة في الحديث القدسي : « لا يزال العبد يتقرب إلي » الخ. وبالجملة إنه طريق وعلم وعرفان وشأن وكمال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا عوج في بدايته ونهايته

وجميع العالم لو أرادوا أنّ يغيروا من أوضاعه شيأ ومن أسراره لم يجدوا إليه سبيلاً.

❖ بيان مبنى الطريق ❖

(وأما مبنى الطريق) فإذا سُئلتَ على أيّ شئ بنيَ الطريق. (فالجواب) على ستة أشياء: التوبة والعزلة والزهد والتقوى والقناعة والتسليم ❖ وإذا سُئِلتَ عن أركان الطريق (فالجواب) ستة: العلم والحلم والصبر والرضا والإخلاص والأخلاق الحسنة في الصبر على الأمر المقتضي ❖ وإذا سُئلتَ عن أحكام الطريق (فالجواب) ستة: المعرفة واليقين والسخاء والصدق والشكر والتفكر في مصنوعاته تعالى ❖ وإذا سئلتَ عن واجب الطريق (فالجواب) ستة: ذكر ربّ العالمين وترك الهوى والدنيا واتباع الدين والإحسان إلى المخلوقات وفعل الخيرات ❖ وإذا قيل لك ابن من أنتَ؟ (فالجواب) ابن الطريق ❖ فإن قيل الطريق ابن من؟ فقل ابن محمد المصطفى والصديق الأعظم وعلى الرضى ❖ وإذا قيل لك فما الربط والإرلام بمقابلة النكاح (فالجواب) المبايعة فتكون البيعة بمنزلة النكاح ليصير الولدا صحيحا لا عاهرا، فتقرأ عند ذلك البسملة والفاتحة والإخلاص والصلاة علي النبي ﷺ ثلاثا ثلاثا بلا انتقاص لتكون مهرا.

والتوكل لغةً تفويض الأمر إلى الغير، واصطلاحًا طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية في البداية والنهاية ❖ وقيل: التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى بالإعتماد عليه مع رعاية الأسباب لكن غلبه عليها، فلا تعول الأعلى عصمة الله كما قال عليه السلام قيدها وتوكل على الله وأمر الله نبيه بالمشاورة.

❖ بيان خلاصة طريق النقشبندية ❖

(وأما خلاصة طريق النقشبندية) فهي أن السالك يجعل عزيمة كل عمل وأحوطه كالواجب فلا يتركها بلا ضرورة ملجئة ورخصته كالحرام لا يرتكبها أو لا يقربها بلا داعية ضرورية ويأخذ بالأحوط، ولو عمل بالمذاهب الأربعة لكان أحسن وأفضل وأعظم في الأمور كلها من العبادات والعـادات والمعاملات والإجتناب عن المهلكات والصفات الذميمة والتخلق بالأخلاق الحميدة وتفصيلها في جامع المتون بلغ ألفا.

(وأما ماهيته) فدوام العبودية بأشرف الطاعات أعني ذكر الله على الإطلاق باتفاق أهل الطريق والحقيقة وأرباب السلوك وأهل التصوف إذ شرفه على قدر شرف مذكوره عز وجل فيستعين بالله ويعرض عمن تولي عن ذكر الله ويفر من دواعي النفس وما تريده من الشهوات والحظوظات وأهل الدنيا وأفعالهم منيبا إلى الله تعالى فإنه المنتهي ويقصر الرغبة عليه ويذكره ويقول الله ثم يذر الخلق ويترك ما سواه مستقيماً مستديماً عليه على وجه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإذا عرض نسيان أو ذهول عن الله واذكر ربك إذا نسيت فدم واستغرق

فيه إلى ان تنسي ما سوى المذكور وتبتل إليه تبتيلاً هذه الماهية سنة الله وطريقه المنزلة على رسوله ولن تجد لسنة الله تبديلاً أي لا تجد فيها زيادة ولا نقصاناً.

والتبتل قطع العلائق الظاهرة والباطنة وهو إما ظاهر وهو الإنقطاع إلى الله عن الخلق والدنيا وأمورها بالتوجه إليه تعالى والأنس معه واختيار الخلوات لعبادة الله في جميع الأوقات كما كان حاله عليه السلام في أوائل أمره لأنه كان ينقطع عن الخلق في غار حراء ليتحنث لله و لم يجتمع مع الخلق حتى جاءه الوحي ❖ وأما التبتل الباطني فهو الإنقطاع عما سوى الله إليه تعالى بالتوجه والمراقبة والحضور معه في كل حال وقطع كل قاطع ومنع كل مانع حتى يصل إليه وأشار إليه عليه السلام بقوله لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فتبصر.

❖ بيان كيفية طريقة الشيخ الأكبر ❖

(وأما كيفية طريقة الشيخ الأكبر) فهي أن يأمر المريد بالتوبة من جميع الصغائر والكبائر ثم يقابله شيخه ويضع يده بيده ويأمر أن يغمض عينيه ويقول لا إله إلا الله ثلاث مرات والمريد لا إله إلا الله ثلاث مرات والشيخ يسمع ثم يقرأ للتبرك قوله تعالى ﴿إن الذين يبايعونك ... إلى قوله ... أجرا عظيما﴾ ثم يقول في كل يوم الإستغفار مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة مع استحضار معناها وهو لا معبود بحق إلا الله ويقول الله مائة مرة بالقلب واللسان ويقصد بالذكر الذات العلية لا الإسم فقط، ثم يصلي على النبي ﷺ مائة مرة بهذا الصلاة، وهي: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي إمام الهدي وعلى آله وصحبه وسلم عدد كل ذرة ألف ألف كرة، وإذا استمر يذكر حتى يقوى الجنان يذكر بالقلب في جميع حركاته وسكناته دون حركة اللسان مع ملازمته على الورد المذكور.

(واعلم) أن الشيخ قدس سره صاحب طريقة بالإستقلال لدى أهل الحقائق كبقية الطرق. وسبب عدم اشتهارها عدم إظهار كتبها فقد تلقتها الأفراد من الرجال وأهل الخصوصية من الأبدال ولم يظهروا كتبها إلا للخواص ❖ ومبنى طريقته على أربعة خصال وهي الصمت والعزلة والجوع والسهر، والتفصيل في كتاب الحلية للشيخ الأكبر.

(واعلم) أن هذه الطريق العلية سلوكها وقطع عقباتها إنما هو بالذل والإنكسار والخوف الشديد سواء بسلوك أو غيره ومحبة الشيخ للمريد، فمتى مال إليه بقلبه نال مطلوبه ووصل إلى مشاهدة ربه وميل الشيخ غالباً لا يكون الا بعد تزكية النفس وتصفيتها بكثرة الأوراد والأذكار والإتباع لسنن المصطفي وهذه طريقة الصحابة.

(وسننها ثلاثة) روى عن علي ﷺ قال: من لم يكن عنده سنة الله وسنة رسوله وسنة أوليائه فليس في يده شيء. قيل له: ما سنة الله؟ قال كتمان السر، قيل: وما سنة رسوله؟

قال: المداراة للناس. قيل: وما سنة أوليائه؟ قال احتمال الأذى. (ولها ثلاثة أعمال) من عمل للآخرة كفاه الله تعالى أمر دنياه ومن أحسن سريرته أحسن الله علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس. (ولها ثلاث صفات) الصبر على البلاء والشكر على الرخاء والرضا بالقضاء. (ولها طهارة باطنة وطهارة ظاهرة) فالباطنة الطهارة من الحرص والحسد والحقد والكبر ونحوها والظاهرة طهارة البدن والثوب والمكان. (ولها حضور) وهو الحضور مع الله في سائر أعمالها، ويقصد الذاكر بها بذكره التعبد فقط لا طلب مقام آخر وذلك ليكون حال ذكره غير خال عن العبادة، فإن الخلوة والرياضة إنما شرعا للتفرغ عن الأكوان فالصادق من جعل أعماله كلها مقاصد لا وسائل. (ولها شرط) وهو أن يهرب كل مريد لها بنفسه من مواضع التهمة أكثر مما يخاف من وجود الألم فإن مواضع التهمة توجب السقم على القلب كما توجب الأغذية الفاسدة السقم على البدن سيما الأطباء قليل.

(وفي رسالة الخادمي) وللسادات النقشبندية طريقان اسم الذات والنفي والإثبات ❖ أما الأول وهو الأقـرب والأسهل في حصول المقصد فأن يلتصق اللسان بسقف الحلق والفم والأسنان بالأسنان والشفة بالشفة وينطلق النفس على حاله ويتخيل في القلب تحت الثدي اليسار لفظة الجلالة بمعناها أي الذات الإلهية وهي مسمى ذلك الاسم الشريف على ما آمن به أهل السنة بلا كيف ولا مثال وتفصيلها في أول جامع المتون لكن يلاحظه بغير واسطة عبارة عربية أو عبرانية أو فارسية حافظًا له في خياله وقلبه متوجها بجميع قواه ومداركه إليه مستديما ومستغرقًا بلا فتور لديه في تطهير قلبه عن خطور ما سواه به ولو من جنس سائر الذكر الصفاتي فضلًا عن سائر الأمور ولو ذهل وخطر به الغير استغفر الله على فوره ويتضرع إليه تعالى في الخلاص عما سواه ويداوم على هذه الحالة ويتكلف في هذا التخيل حتى تذهب الكلفة من البين ويصير هذا الأمر ملكة راسخة على وجه لو تكلف بإخطار الغير به لم يقدر ولم يخطر فلو تكلم عند الحاجة باللسان لا ينقطع خياله عنه فعند كينونة ظاهره مع الخلق يكون باطنه مع الحق فحينئذ يظهر فيه ما قالوا: الخلوة في الجلوة، وهي كناية عن اختلاط الباطن مع الحق من حيث المؤانسة مع كون الظاهر بين الخلق من حيث المعاملة، والعزلة في الخلطة وهي كناية عن اعتزال الباطن عن الخلق إلى الحق مع اختلاط الظاهر بالخلق.

والصوفي كائن بائن أي كائن مع الخلق من حيث الظاهر وبائن عنهم من حيث الباطن.

والصوفي غريب قريب أي غريب بين أهله وأصحابه من حيث توحش باطنه عنهم وقريب منهم من حيث تألف ظاهره معهم. والصوفي عرشي فرشي أي عرشي من حيث الباطن لأن المؤمن عرش، لأنه قال تعالى: {ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن} وفرشي

من حيث الظاهر والقالب كما قال تعالى: ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾، فلم يبق في مطاعته ومشاهدته غير ذاته تعالى فيضمحل الغير في جنبه عند الحضور ويفنى الغير ويبقى اسمه تعالى.

(وفي رسالة تاج الدين) عن الأكابر النقشبندية إن عسر على الذاكر تحصيل المعنى المقصود أي تخيل لفظة الجلالة بمعناها بلا كيف ولا مثال في الابتداء فليتخيل نوراً بسيطاً وحدانيا غير متعلق بشيء وغير منقسم لأقسام وغير مكيف بكيفية أصلا وغير ملون بلون من الألوان قطعا محيطاً بجميع الموجودات من الروحانية والجسمانية وليجعل ذلك في مقابلة البصيرة ومع ذلك يتوجه إلى القلب بجميع القوى إلى أن تتقوى البصيرة وتذهب الصورة، ويرتب على ذلك المعنى المقصود.

(وفيها) إذا عرض في أثناء الذكر تفرقة أو وسوسة أو قبض فليغتسل بالماء البارد أو الحار أو يتوضأ ويصلي في خلوته صلاة الحاجة ويقرأ التحيات ثلاثا، ثم يسلم ويخطو قدامه سبع خطوات ثم يقول يا حي يا قيوم سبعين مرة، ثم يسجد ويلاحظ روحانية شيخه ويستغفر ويدعو بدعاء الفرج وغيره ويتوجه إلى ذكره وإن لم يندفع فليتخيل صورة النبي عليه السلام أوصورة شيخه وإن لم يندفع فليقل يا فعال وإن كان ذلك لتعلق الطبيعة بشيء من نحو البيوع ولم يمكن إخراجه عن القلب فليفعله ويتركه بعد ولا تظن أن ذلك يحصل بسهولة، بل ذلك محتاج إلى ترك النفس ودواعها والقهر عليها في الأمور كلها. وكذلك لا يحصل إلا بصرف جميع الأوقات إلى ذلك التخيل وبذل كافة الجهد والجد لديه ولا يضيع دقيقة من وقته فإن الوقت سيف قاطع لا يمكن تداركه عند فوته.

(وأما كلام الأولياء) في بعض المحلات بلا انكار الظاهر ولا معارض له فتوجيه جائز مثل ما كان أبو العباس المرسي يقول صلينا الصبح ذات يوم مع سيدي أبي الحسن الشاذلي فقرأ سورة شورى فلما بلغ قوله تعالى ﴿ يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما ﴾ وقع في نفسي شئ من ذلك المعنى. فلما سلم الشيخ من الصلاة التفت إلي وقال: يا أبا العباس يهب لمن يشاء إناثا العبادات والمعاملات ويهب لمن يشاء الذكور الأحوال والعلوم والمقامات أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، يجمع ذلك فيمن يشاء من عباده ويجعل من يشاء عقيما بلا علم ولا عمل فتعجب من ذلك.

ترجمة السيد أبي الحسن علي الشاذلي

(وأما نسب الشاذلي) فهو الأستاذ العارف الشريف الحسيب النسيب إلى الحبيب المقصد لمن له قصد المملىء بالعلوم الربانية والأسرار اللدنية التي هو منها ممتلي سيدى أبو الحسن على الشاذلي ابن عبد الله ابن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن أبي بطال على بن أحمد بن محمد بن عيسي بن إدريس بن عمر بن إدريس المبايع له

ببلاد المغرب ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن سيد شباب أهل الجنة ومبسط خير البرية أبي محمد الحسن بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وهذا هو النسب الصحيح.

(وأما حليته) فقال ابن الصباغ صاحب درة الأسرار سمعت من الشيخ أبي العزائم يقول كانت صفته آدم اللون نحيف الجسم طويل القامة خفيف العارضين طويل أصابع اليدين كأنه حجازي وكان فصيح اللسان عذب الكلام كان يقول إذا استغرق في الكلام: ألا رجل من الأخيار، يعقل عنا هذه الأسرار، هلموا إلى رجل مصيره إلى بحر الأنوار. وكان يقول: أخذت ميراثي من رسول الله فمكنت من خزائن الأسماء فلو أن الجن والإنس يكتبون عني إلى يوم القيامة لكلوا أو ملوا.

(وأما موضع مولده) فإنه ولد بقرية عمان من قري أفريقية قرب مرسية، وهي من المغرب الأقصى ولد في نحو ثلاث وتسعين وخمسمائة من الهجرة.

(وأما سلسلته) فإنه لبس الخرقة من الشيخين الإمامين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ أبي الحسن المعروف بابن حرازم ومن الشيخ أبي عبد الله عبد السلام بن مشيش والأول منسوب إلى الصديق الأعظم. والثاني إلى علي بن أبي طالب من جهة الطريق والتفصيل في المفاخرة العلية في طريق الشاذلية وغيره.

بيان رحلته واجتماعه بالمشايخ وطريقته

(وأما رحلته واجتماعه بالمشايخ) فإنه انتقل إلى مدينة تونس وهو صبي صغير وتوجه إلى بلاد المشرق وحج حجات كثيرة ودخل العراق، قال: لما دخلت العراق اجتمعت بأبي الفتح الواسطي فما رأيت في العراق مثله وكان بالعراق شيوخ كثيرة وكنت أطلب القطب فقال لي: هو في بلادك، فرجعت إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمعت بأستاذي أبي محمد عبد السلام وهو ساكن مغارة برباط في رأس جبل فاغتسلت في عين أسفل الجبل وخرجت عن علمي وعملي وطلعت إليه فقيرا وإذا به هابط إلي فقال مرحبا يا علي وذكر نسبي إلى رسول الله.

(وأما طريقته) فجاء في طريق الله بالأسلوب العجيب، والمنهج الغريب، والمسلك العزيز القريب، وجمع في ذلك بين العلم والعمل والحال والمقام والهمة والمقال، واشتملت طريقته على الجذب والمجاهدة والعناية، واحتوت على الأدب والقرب والتسليم والرعاية، وشيدت بالعلمين الظاهر والباطن، وسائر الهداية والأسرار والكرامة والقرب، وكان مبنى طريقته على طلب العلم وكثرة الذكر والحضور، فكانت بهذا الاستحضار الذي هو الجمع أسهل الطرق وأقربها بعد النقشبندية، وليس فيها كثرة المجاهدة، لأن ما في النفس من النور الأصلي يتعاضد ويقوى بنور

العلم أو بنور الذكر، وبالغ سداد طريقهم وقوة يقينهم وكثرة عرفانهم وفتحهم وكثرة أنوارهم وذكاة قلوبهم مع غرق كثير هم فى الأسباب وتلبسهم ظاهرا بأحوال العوام، فتراهم أبدا محفوظين فى أحوالهم، محافظين على أعمالهم، وقد انفتق فى قلوبهم أسرار العلوم، ولاح لهم حقائق الحكم والفهوم؛ فترى أحدهم فى صورة العاصى، وهو يلهم بالحقائق، وينطق بالحكم ودقائق مما يعز وجودها لأرباب الانقطاع والخلوات وأهل التجلى والمشاهدات (رباعى فى مدحهم)

تمسك بحب الشاذلية تلق ما ۞ تروم فحقق ذاك منهم وحصل

ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم ۞ شموس هدى فى أعين المتأمل

وقال الشيخ قدس سره : قلت يا رب لم سميتنى بشاذلى ولست بشاذلى؟ فقيل لى : يا على ما سميتك بالشاذلى، إنما أنت الشاذلى بتشديد الذال المعجمة يعنى المفرط لخدمتى.

❖ بيان وصفه وكرامته ❖

(وأما وصفه) فقال محمد المغربى : أعطى الشاذلية ثلاثا لم تحصل لمن قبلهم ولا لمن بعدهم (الاول) أنهم مختارون فى اللوح المحفوظ (الثانى) أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو (الثالث) أن القطب منهم إلى يوم القيامة. وقال : أعطيت سجلا مد البصر فيه أصحابى وأصحاب أصحابى إلى يوم القيامة عتقاء من النار.

وقال : لقد جئت فى هذه الطريق بما لم يأت به أحد لأنه عين طريق النقشبندية، وهى سلطان الطريق. وقد اشتهر أنه قال لولا لجام الشريعة على لسانى لأخبرتكم بما يكون غد وبعد غد إلى يوم القيامة. وقد أخبر من بعده بسيدى شمس الدين الحنفى فقال يظهر بمصر رجل يعرف بمحمد يكون فاتحا لهذا البيت ويشتهر فى زمانه ويكون له شأن.

وقال : يظهر بمصر شاب يعرف بالشاب الأديب حنفى المذهب اسمه محمد بن الحسن وعلى خده الايمن خال وهو أبيض اللون مشرب بحمرة وبعينه حور ويتربى يتيما فقيرا ويكون خامس خليفة من بعدى ويشتهر فى زمانه ويكون له شأن عظيم وقد كان ذلك.

(وأما كرامته) فقال رأيت النبى ﷺ فى المنام، فقال : يا على، قلت : لبيك يا رسول الله، قال: انتقل إلى الديار المصرية فإنك تربى بها أربعين صديقا. وكان ذلك فى زمن الصيف وشدة الحر، فقلت: يا رسول الله الحر شديد، فقال لى : الغمام يظلكم، فقلت : أخاف العطش، فقال : إن السماء تمطركم فى كل يوم أمامكم. قال : ووعدنى فى طريقى بسبعين كرامة.

وقال : لما طلعت على أستاذى فقيرا، فقال يا على طلعت إلينا فقيرا من علمك وعملك فأنت من مشايخ الدنيا والآخرة فأخذنى منه الدهش فأقمت أياما إلى أن فتح الله على بصيرتى ورأيت خرق عادات من كرامات وغيرها.

وقال : كنت يوما جالسا بين يديه وفى حجره ولد صغير فخطر لى أن أسأله عن الإسم الأعظم فقام الولد إلىّ، وقال : يا أبا الحسن أردت أن تسأل الشيخ عن الإسم الأعظم إنما الشأن أن تكون أنت الإسم الأعظم، يعنى مودع فى قلبك. فتبسم الشيخ، وقال : أجابك فلان عنا وكان إذ ذاك قطب الزمان، ثم قال لى : يا على ارتحل إلى أفريقية واسكن بلدا بها تسمى شاذلة فإن الله يسميك شاذليا وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق وترث فيها القطبانية، فقلت : يا سيدى أوصنى، فقال : الله الله والناس، فنزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن الميل قبلهم وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض فقد تمت ولاية الله عليك ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك فقد تم ورعك (وكان) إذا ركب تمشى أكابر الفقراء وأكابر الأغنياء حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه ويأمر النقيب أن ينادى أمامه من أراد القطب فعليه بالشاذلى.

❖ بيان فصاحته وكمالاته ❖

(وأما فصاحته وكمالاته) فكان كلام الشاذلى فى العقل الأكبر والروح الأنور والمقام الأعلى والقدس الأبهى والإسم الأعظم والياقوت الأزهر والأسماء والحرف والدوائر، وهو المتكلم بنور البصيرة على السرائر وكان عالما عارفا بالعلوم الظاهرة والباطنة جامعا لدقائق فنونها ومفتض أبكار المعانى وعيونها من حديث وتفسير وفقه وأصوله ونحو وصرف ولغة ومعقول وحكمة وآداب بل محيط بل لكل فظهر بالخلافة الكبرى والولاية الكبرى والقطبية العظمى والغوثية الفردى، وخصه الله بعلوم الأسماء ومن عليه بأعلى مقامات الأولياء وخصوصيات الأصفياء وانفرد فى زمانه بالمقام الأكبر والمدد الأكثر والإعطاء الأنفع والنوال الأوسع وتصرف فى أحكام الأولياء ومددها بالإذن والتمكين، وانفرد بسوددها حق اليقين وأمد الأولياء أجمعين، وكذا الصديقين ونال مقام الفردانية الذى لا يجوز المشاركة فيه بين اثنين وأجمع على ذلك من عاصره من العلماء العارفين والأولياء المقربين وخواص الصديقين وشهد بقطبانيته وفردانيته الجم الكثير وأمر أن يقول بحضرة أكابرهم: قدمى على جبهة كل ولى لله. فقال ذلك ممتثلا للأمر معظما للقدرة مقرا بالعبودية لأفخر الفاخرين.

❖ بيان أستاذه وتفصيل سلسلته ❖

(وأما أستاذه) فهو أبو عبد الله عبد السلام بن مشيش، وهو أجل مشايخ الشيخ أبى الحسن الشاذلى، وعلى يديه كان فتحه وإليه كان ينتسب إذا سئل عن شيخه، وهو سيدى عبد السلام بن مشيش واشتهر فى الغرب ببشيش، وهو من إبدال الحرف بأخيه، فقد قال الشيخ محى الدين بن عبد القادر بن الحسين بن على الشاذلى فى كتابه الكواكب الزاهرة فى اجتماع الأولياء بسيد

الدنيا والآخرة ابن بَشيش بالباء الموحدة ابن منصور بن إبراهيم الحَسَني ثم الإدريسي المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين. ومقامة في الغرب كالشافعيّ في مصر وهو أخذ عن القطب الشريف السيد عبد الرحمن الحسني المدني العطار الزيات. والمدني نسبة لمدينته ﷺ، والزيات نسبة لحارة الزياتين واشتهر بالزيات و لم يقتد بغيره وهو صحب واقتدى بشيخه القطب الرباني الشيخ تقي الدين الفقير الصوفي لقب نفسه بتقي الدين الفقير بالتصغير تواضعاً، وهو بأرض العراق وهو صحب واقتدى بسيدي الشيخ فخر الدين، وهو صحب واقتدى بسيدي القطب نور الدين أبي الحسن علي، وهو صحب واقتدى بسيدي القطب تاج الدين محمد، وهو بسيدي القطب شمس الدين محمد بأرض الترك، وهو بالقطب الشيخ زين الدين القزويني، وهو بالقطب أبي إسحق إبرهيم البصري، وهو بالقطب أبي القاسم أحمد المرواني، وهو بالشيخ سعيد وهو بالقطب أبي محمد فتح السعودي، وهو بالقطب سعد الغزواني، وهو بالقطب أبي محمد جانو عن أول الأقطاب السيد الشريف الحسيب النسيب الصحابي الشهيد المسموم السبط أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو عن أبيه وهو عن رسول الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام. قال الشاذلي: سألت أستاذي عن السماع فأجابني بقوله تعالى: ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثرهم يهرعون﴾.

وقال: رأيت في المنام كأن بين يدي كتاب الفقيه ابن عبد السلام وأوراقا فيها شعر وإذا أنا بأستاذي واقفا، فتناول كتاب الفقيه بيمينه والأوراق بشماله وقال لي كالمستهزئ أتعدلون عن العلوم الزكية وأشار إلى كتاب الفقيه إلى هذه وأشار إلى أوراق الشعر ثم رماها في الأرض وقال: من أكثر من هذا فهو عبد مرقوق لهواه وأسير لشهواته ومناه يسترقون بها قلوب الغفلة والنسوان ولا إرادة لهم في عمل الخير واكتساب العرفان يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود ولم يحظ أحد منهم بما حظي به أهل الشهود لئن لم ينته الظالم ليقلبن الله أرضه سماء وسماءه أرضا. قال فأخذني حال بوجد وبكاء وأنا أقول: ألا إن النفس أرضية والروح سماوية، فقال: بلى إذا كانت الروح بأمطار العلوم دارة، والنفس بالأعمال الصالحات نباتة فقد ثبت الخير كله، وإذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة فقد حصل القحط والجذب وانقلب الأمر وجاء الشر كله، فعليك بكلام الله الهادي وبكلام رسوله الشافي، فلن تزال بخير ما آثرهما وقد أصاب الشر من عدل عنهما وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه ﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا﴾.

❁ بيان حقيقة الغيرة ❁

(وأما حقيقة الغيرة) ففي اللغة كراهة مشاركة الغير وكذلك هي في اصطلاح أهل الحقيقة.

وقال بعضهم: الغيرة وصف أهل البداية فأما المنتهى فإنه لا يرى الغير ولا يعرض فيما يجرى فى المملكة لفقد اختياره. والحق أن الغيرة لله تعالى حق وهى أن لا يجعل العبد شيأ من أحواله وأنفاسه لغير الله وهى توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له والغيرة من لوازم المحبة، ولهذا قال أبو على الدقاق فى قوله عليه السلام حبك الشئ يعمى ويصم: أى يعمى عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة. وأما الغيرة على الله تعالى فهى جهل وربما أفضت إلى الكفر. وغيرة الحق على العبد أن لا يجعله للخلق بل يخصه به ويحفظه من غيره.

وقال الشبلى: الغيرة غيرتان: غيرة البشرية على النفوس وغيرة الإلهية على القلوب وهى أن لا تشتغل بغير ذكره. وقال أيضا: غيرة الإلهية على الانفاس أن لا تضيع فيما سوى الله تعالى. قال القشيرى: مثالها آدم عليه السلام لما وطن نفسه على الخلود فى الجنة وطيابها أخرجه الله منها غيرة عليه، وإبراهيم لما أعجبه إسمعيل عليهما السلام أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه فلما أسلما وتله للجبين وصفا سره أمره بالفداء عنه.

قيل: مرضت رابعة العدوية فقيل لها: ما سبب علتك؟ فقالت: نظرت إلى الجنة بقلبي فغار على قلبى فأدبنى وقد آليت وحلفت لا أعود. وقيل لبعضهم: تريد أن تراه؟ فقال: لا، فقيل: لم؟ قال: أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى.

(وسئل الشبلى) متى تستريح؟ فقال: ما دمت له ذاكرا. وسمع النورى رجلا يؤذن فقال له طعنة وسم الموت غيرة لله كيف ذكره المؤذن بلسانه مع غفلة قلبه عنه. وأذن الشبلى مرة فلما انتهى إلى شهادة النبى عليه السلام قال: إلهى لولا أنك أمرتنى ما ذكرت معك غيرك. وكان أبو الحسن الخرقاني يقول لا إله إلا الله من داخل القلب ومحمد رسول الله من القرط.

قال القشيرى: ولا يتـــوهم منهما استخفاف بالنبى عليه السلام، بل مع عظمته تعالى كل مخلوق لا خطر له بالاضافة إليه.

٭ بيان وصية المريدين ٭

(وأما وصية المريدين) فاعلم ان أول قدم المريد فى هذه الطريق ينبغى أن يكون على الصدق ليصح البناء على أصل صحيح فإن المشايخ قالوا: إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول.

قال القشيرى: ويقبح بالمريد الانتساب إلى مذهب من ليس من أهل هذه الطريق لأن الناس إما أرباب النقل والأثر وإما أصحاب العقول والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذى للناس غيوب فهو لهم ظهور والذى لغيرهم من المعارف مقصود فلهم من الله موجود فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال كما قيل:

ليـــلى بوجهك مشرق ٭ وظلامه فى الناس سارى

فالناس في سدف الظلا م ونحن في ضوء النهار

ولم يكن في عصر من الأعصار شيخ من الشيوخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك العصر من العلماء يتواضعون له ويتبركون به ويقدمونه على أنفسهم، ولولا مزيته واختصاصه لكان الأمر بالعكس.

(وروي) أن أحمد بن حنبل كان جالسا عند الشافعي فجاء شيبان الراعي فقال أحمد : إني أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض، فقال له الشافعي : لا تفعل، فلم يقبل، وقال لشيبان : ما تقول فيمن نسي صلاة من الخمس في يوم وليلة ولا يدري أي الخمس هي، ما ذا يصنع ؟ فقال شيبان : يا أحمد قلب غفل عن الله تعالى فينبغي أن يؤدب حتى لا يعود إلى غفلته فغشي على أحمد، فلما أفاق قال له الشافعي : ألم أقل لك لا تتعرض له، وشيبان الراعي كان أميا، فإذا كان حال الأمي منهم هكذا، فما ظنك بأئمتهم. ويجب على المريد بعد صدق عزمه ونيته أن يحصل من علم الشرع بالتعلم والحفظ والسؤال ما يؤدي به فرضه فإن اختلف قول الفقهاء أخذ بالأحوط بقصد الخروج عن الخلاف ويحذر الرخص فإنها للضعفاء وأهل الحوائج والأشغال وأهل هذه الطائفة لا شغل لهم سوى القيام بحقه سبحانه أبدا. ويجب عليه أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ لا يفتح له أبدا.

قال أبو يزيد : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان وقالوا : من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان.

وقال أبو علي : الشجر إذا نبت بنفسه ولم ينبته أحد يورق ولا يثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتحير ولا يجيء منه شيء. وقال : أخذت هذه الطريقة عن النصراباذي وهو عن الشبلي، وهو عن الجنيد، وهو عن السري، وهو عن معروف الكرخي، وهو عن دواد الطائي. ثم إذا أراد السلوك بعد تحصيل هذه الشروط فليتب من كل زلة سرا وجهرا ويجتهد في إرضاء خصومه أولا ومن لم يرض خصومه لا يفتح له من هذه الطريقة بشيء هكذا طريق القوم، ثم بعد ذلك يسعى في قطع العلائق والشواغل فإن فراغ القلب أصل في الطريق وأولها الخروج عن المال فإنه هو الصاد عن الحق ولم يوجد مريد دخل في الطريقة ومعه علاقة من الدنيا إلا عاد عن قريب بسببها إلى ما كان فيه، وإذا خرج عن المال خرج بعده عن الجاه أيضا، فإنه قاطع عظيم، فما لم يستو عند المريد إقبال الخلق وإعراضهم لا يفلح أبدا، ومتى توقع إقبالهم عليه أو تبركهم به أو شهرته بالزهد لم يصح له إرادة ولا عهد ويلتزم مع الله تعالى أن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه به ولا يعترض عليه بقلبه في شيء ومتى خطر ببال المريد أن له قدرا وقيمة أو أنه أرفع قدرا من غيره لم تصح له إرادة، بل يكون اجتهاده أبدا ليعرف

ربه لا ليزيد قدره. وفرق بين من يريد الله وبين من يريد جاهاً في الدنيا أو في الآخرة. ثم يجب عليه حفظ سره عن غيره لا عن شيخه ولو نفساً من أنفاسه وإلا فقد خانه في صحبته وإن وقع في خاطره مخالفة شيخه فيما أشار به فينبغي أن يقر له بذلك في وقته ثم يمتثل لأمره في سفر أو حضر أو أمر شاق كل ذلك عقوبة له على خطور الخيانة والمخالفة بباله ولا يجوز للمشايخ التجاوز عن زلات المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله عز وجل ولا يجوز أن يلقن المريد شيئاً من الأسرار مما لم يتجرد عن كل علاقة ويشهد قلب الشيخ له بذلك فاذا شهد قلبه له بصحة العزم وقطع العلائق ورأى دلائل ذلك منه شرط عليه الرضا بما يجري عليه في هذا الطريق من تصاريف القضاء كالذل والضرر والفقر والأسقام والآلام وترك الرخص عند الفاقة والضرورة ومجانبة الراحة والكسل فإنهما سبب للوقفة والفترة. والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة خروجه عن الإرادة بالكلية، والوقفة سكونه عن السير باستطابة الراحة والكسل وكل مريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء فإذا جربه الشيخ وبدأ في تلقينه ما يختاره له من الأذكار يأمره بذكر ذلك الإسم بلسانه أو بقلبه أو بلسانه مع قلبه ويقول له إن أمكنك أن لا يجرى على لسانك أو قلبك غير هذا فافعل ويأمره بأن يكون أبداً على طهارة ولا يكون نومه إلا غلبة ويقلل غداءه بالتدريج شيئاً بعد شيء حتى يقوي على الجوع، ولا يترك عادته من أول مرة، ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة ويأمره باجتهاده في صرف خواطر السوء عنه في خلوته وجلوته فإنه قلما يخلو المريد في ابتدائه في حال خلوته من ذلك لاسيما إذا كان ذكيا يتوسوس في الإعتقاد كثيرا وان توسم فيه قوة وثباتا في الطريق يأمره بالصبر ودوام الذكر حتى تستطلع في قلبه أنوار القبول وتشرق شموس الوصول.

◆ بيان أحوال المريد ◆

(وأما أحوال المريد) فمن فرائض حال المريد الإقامة في موضع إرادته وترك السفر حتى يقوى في الطريق فإن السفر له قبل ذلك سم قاتل وهذا في حق المريد الذى يرجى له الوصول، فأما من لا يرجى له ذلك فالسفر أليق به بل هو واجب إن كان صاحب وسوسة وغرور وعجب لأن الإقامة ربما تريحهم فتعينهم على الشهوات والمعاصي وهؤلاء غايتهم حج يحصلونه أو زيارة مكان شريف أو شيخ يتبركون به أو يخدمونه خدمة ظاهرة وحصول هذه الغاية لهم في الأسفار أقرب. وينبغي للمريد في ابتداء حاله أن لا يكون في قيد إيصال الراحة ويكون هضماً للفقراء على نفسه لا هضماً لنفسه عليهم ويرى لكل واحد عليه حقاً ولا حق له على أحد. ويجب أن لا يخالف أحداً، وإن علم أن الحق معه سكت، ويطلب الموافقة لكل واحد. وكل مريد يكون فيه تحكك ومماراة فإنه لا يجيء منه شيء وإذا كان مع جمع في

سفَر أو حضَر فينبغي أن يوافقهم في الأكل والصَّوم والسكون والحركة بظاهِره، وأما باطنه فيكون مع الله محفوظًا على ما يجب وإذا كان صائماً وأشار عليه بالأكل يأكل لقمة أو لُقمتين ولا يطيع الشهوة في الأكل وليس من آداب المريد كثرة الأوراد بالظاهر فإنه مشغول بتبديل الأخلاق وهو نفي عن القلب بل يقتصر على الفرائض والسنن الراتبة فإذا فرغ من ذلك وأراد التنفل واستدامة الذكر بالقلب فهو أتم له من كل ذلك. ورأس مال المريد احتمال الأذى من كل أحدٍ بطيب نفس وتلقي ما يجري بالرضا والصبر على الفقر والضرر وترك الإعتراض في القليل والكثير والسؤال لما هو حظ له، ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق، فإذا أدام المريد الذكر ولازم الخلوة فوجد فيها شيئاً ناقضًا للعادة من خطاب يسمع أو معنى يشاهد فينبغي أن لا يشتغل بذلك البتة ولا يسكن إليه. ولا ينبغي أن ينظر حصول مثال، فان ذلك كله شاغل عن الحق تعالى، ولا بد له إذا رأى ذلك أن يصفه لشيخه ليفرغ قلبه منه، ويجب على شيخه أن يكتم سره ويصون عن غيره أمره ويصغر ذلك في عينه، فإن ذلك كله اختبار وامتحان، والسكون إليه مكر فليحذره المريد وليجعل همه فوق ذلك وأضر الأشياء بالمريد أن يقع في خاطره أن ذلك من تقريب الحق له واصطفائه وتخصيصه إياه بذلك. وتحقيق ذلك بأكثر مما ذكرناه يتعذر إيداعه في الكتب. ومن حكم المريد إذا لم يكن في موضعه من يؤدبه أن يهاجر إلى من نصب في وقته لإرشاد المريدين ثم يقيم عنده إلى وقت الإذن ومن حكم المريد إذا زار شيخا يدخل عليه بالحرمة والحشمة فإن أهله الشيخ لشيءٍ من الخدمة عد ذلك من جزيل النعمة. ولا ينبغي له أن يعتقد في المشايخ العصمة بل يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن ويراعى مع الله حدوده فيما يتوجه عليه وكل مريد بقي لشيء من عروض الدنيا في قلبه أثر فاسم الإرادة له مجاز وإذا بقى له اختيار فيما يريد أن يخرجه من ملكه فأراد أن يخص به نوعا من أنواع البر أو شخصا دون شخص فهو متكلف في حاله وربما عاد إلى الدنيا عن قريب. وينبغي أن يكون قصد المريد في حذف العلائق الخروج منها لا السعي في أعمال البر. وقبول قلوب المشايخ للمريد أدل شيءٍ على سعادته وأصدق شاهد ومن رده قلب شيخ من المشايخ، فإنه يرى غب ذلك ضرره لا محالة ولو بعد حين ومن ترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ ومن أصعب الآفات في هذه الطريق صحبة الأحداث. فمن ابتلاه الله تعالى بشيء من ذلك فهو بإجماع الشيوخ عبد أهانه الله تعالى وخذله وعن نفسه شغله ولو لألف أهله وأصعب من ذلك تهوين ذلك واعتقاد أنه يسير. قال الله تعالى: ﴿ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾.

قال الواطى: إذا أراد الله تعالى هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الأقذار والجيف.

وقال فتح الموصلي : صحبتُ ثلاثين شيخًا كانوا يُعدون من الأبدال كلهم أوصوني عند فراقي لهم، فقالوا : اتق الله ومعاشرةَ الأحداث. ومن ارتقى في هذا الباب عن حال الفسق إشارة إلى أن ذلك من بلاء الأرواح فإنه لا يضره مما قالوه من وساوس القائلين بالشاهد وما يروونه في ذلك من الحكايات عن الشيوخ مما كان الأولى بهم ستره وإخفاءه فهو نظير الشرك وقرين الكفر فليحذر المريد مجالسة الأحداث ومخالطتهم فإن اليسير من ذلك فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء.

❖ بيان حفظ حرمة المشايخ والتعظيم لهم وترك المخالفة ❖

(وأما حفظ حرمة المشايخ والتعظيم لهم وترك المخالفة) فقال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام "هل أتبعك" لما أراد الصحبة حفظ شروط الأدب فاستأذن فيها أولًا، فشرط عليه الخضر أنْ لا يعارضه في شيء بقوله : ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيءٍ ﴾، ولما خالفه تجاوز عنه في المرة الأولى والثانية، فلما انتهى إلى الثالثة وهي أولى مراتب الكثرة سامه الفرقة بقوله ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾. وقال النبي عليه السلام ما أكرم شابٌ شيخًا لسنه إلا قيض الله مَنْ يكرمه عند كِبَر سنه. وقال المشايخ : عقوق الأستاذين لا توبة له. وقال أبو سهل الصعلوكي من قال لأستاذه "لم" لا يفلح. وقيل : إن شقيقا البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد وعنده شاب يخدمه فحضر الطعام فقالا للشاب كل معنا، فقال : أنا صائم، فقال أبو تراب : كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال لهما أبو يزيد دعا من سقط من عين الله فأخذ ذلك في السرقة بعد سنة وقطعت يده. وقيل : ما استصغر أحد أحدًا إلا حرم فائدته. وقال القشيري : لم أدخل على الأستاذ أبي علي في ابتداء حالي إلا صائمًا مغتسلًا، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة وأرجع من الباب احتشامًا له وإذا تجاسرت مرة ودخلت كنت إذا وصلت المدرسة يصيبني شبه خدر حتى لو غرزت في إبرة لعلي كنت لا أحس بها فإذا قعدت لأسأله عن واقعة وقعت لي لم أحتج أن أسأله، بل كان هو يبدأ بشرح واقعتي كما أقعد وغير مرة جرى منه هذا عيانًا ولم يخطر ببالي مدة ترددي إليه اعتراض عليه في شيء إلى أن خرج من الدنيا.

❖ بيان الحيل والابتلاء بالمـــال والجاه ❖

(وأما الحيل والابتلاء بالمـــال والجاه) فمن تبرك بمريد فقد جارع لأنه يضره لقلة قوته وإن ابتلى مريد بجاه أو معلوم أو صحبة حدث أو ميل إلى امرأة أو اعتماد على معلوم وليس عنده شيخ يدله على حيلة يتخلص بها جاز له السفر تشوشا لتلك الحال. ولا شيء أضر بالمريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم.

◆ بيان آداب المريد ◆

(ومن آداب المريد) أن لا يسبق علمه منازلته ومعاملته. ولهذا قال المشايخ: إذا حدث العارف فجهلوه ومن غلب علمه على منازلته فهو صاحب علم لا صاحب سلوك. ومن شأنه إن كان طريقه خدمة الفقراء الصبر على جفاهم وأن يعتقد بذل روحه في خدمتهم ثم لا يحملون له فعلا فيعتذر أبدا من تقصيره ويقر على نفسه بالجناية وإن كان بريئا تطييبا لقلوبهم. قال القشيري: سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول: إذا لم تصبر على الطريقة لما صبرت سندانا وبناء هذه الطريقة وملاكها حفظ آداب الشريعة وصون النفس عن الحرام والشبهات وحفظ الحواس عنها وعد الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات، وأن لا يستحل سمسمة فيها شبهة عند الضرورة فكيف عند الاختيار. ومن شأنه دوام المجاهدة في ترك الشهوات. وأقبح الخصال رجوع المريد إلى شهوة تركها لله تعالى. ومن شأنه حفظ ما عاهد الله تعالى عليه فإن الرجوع عن ذلك كالردة عند القوم. ولا ينبغي له أن يعاهد الله تعالى على شيء اختيارا ثم لا يوفي، فإن من ذلك في لوازم الشرع ما يستنفد كل وسع وطاقة إذا حقق معرفة ذلك. قال الله تعالى في صفة قوم التزموا شيئا من عبادته ثم لم يوفوا بها ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ الآية. ومن شأنه قصر الأمل فإن الفقير ابن وقته ومتى كان له أمل لا يصل أبدا. ومن شأنه أن لا يكون معه معلوم وإن قل، لا سيما إذا كان بين الفقراء، فإن ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت. ومن شأنه ترك قبول بر النسوان ورفقهم لا محالة والتباعد عن أبناء الدنيا، فإن صحبتهم سم مجرد لأنهم ينتفعون به وهو يتضرر بهم. قال الله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ الآية. فالزهاد يخرجون المال من الكيس تقربا إلى الله تعالى، وأهل المعرفة يخرجون الخلق والمخلوقات اكتفاء بالله تعالى عما سواه. ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾.

◆ بيان بيان أن من آفات المريد الحسد الخفي للإخوان ◆

(ومن آفات المريد الحسد الخفي للإخوان) على ما خصهم الله تعالى به من المقامات والأحوال التي ليس له مثلها وإنما ترك ذلك باكتفائه بوجود الحق وقدمه عن جوده ونعمه وكل من رأى أن الحق رفع مرتبته يحمل غاشيته فإن الظرفاء من القاصدين على ذلك استمرت طريقتهم وسنتهم لعلمهم أن ذلك كله بقسمته. ومن حكمه إذا وقع في جمع آثر الكل بالكل فيقدم الجائع والشبعان على نفسه ويتلمذ لكل من ظهر عليه الشيخوخة وإن كان هو أعلم منه ولا يصل إلى ذلك إلا بتبريه عن حوله وقوته وتوصله إلى ذلك بطول الحق ومنته.

◆ بيان إرادته في السماع ◆

(وأما إرادته في السماع) فلا يتحرك فيه اختيارا إليه ومتى تحرك غلبة وقهرا ثم زال ذلك

القهر وحب عليه القعود والسكون لا محالة. وإن أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك بإشارته فلا بأس به إذا كان ممن يحكم على مثاله. وبالجملة فالحركة الاختيارية تنقص من حال كل متحرك مريدا أو شيخا فإن أشار عليه الفقراء بالمساعدة في الحركة يساعدهم بالقيام وبأدنى ما لا بد منه مراعاة لقلوبهم ودفعا لاستيحاشهم.

❖ بيان طرح الخرقة ❖

(وأما طرح الخرقة) فحق المريد أن لا يرجع فيما طرح عنه ألبتة إلا إن أشار عليه شيخ بالرجوع فيه فيأخذه بنية العارية، يقلبه ثم يخرج عنه بعد ذلك من غير إيحاش قلب ذلك الشيخ فإن حضر مع قوم عادتهم طرح الخرقة والرجوع فيها، فإن لم يفهمهم شيخ بحرمته وحشمته وكان هذا المريد مما لا يعود فالأحسن أن يساعدهم في الطرح ثم يؤثر بها القوال إذا رجعوا هم وله أن لا يطرح ولا يسلم للمريد ألبتة الاقتراح على القوال، لأنه إن كان صادقا فصدق حاله، يحمل القوال على التكرار، ويحمل غيره على طلب التكرار.

❖ بيان السفر ❖

(وأما السفر) فلما كان رأى كثير من أهل الحقيقة اختيار السفر والغربة جعل بابا مستقلا على حدة، وهو مختلف فيه، فمنهم من اختار الإقامة ولم يسافر إلا لحجة الاسلام كالجنيد وسهل بن عبدالله وأبي يزيد البسطامي وأبي جعفر وغيرهم، ومنهم من اختار السفر ولم يزل عليه حتى خرج من الدنيا كأبي عبد الله المغربي وإبراهم بن أدهم وغيرهما، ومنهم من سافر حال الشباب في ابتداء الحال وأقام في حال الشيخوخة كالشبلي وأبي عثمان الحيري وغيرهما، ولكل منهم أصول بني عليها طريقته.

(واعلم) أن الذين اختاروا السفر على الإقامة إنما اختاروه لما فيه من زيادة الرياضة وليكونوا مع الله تعالى بلا علاقة ولم يتركوا من أورادهم في السفر شيئا وقالوا: الرخص لمن فيه ضرورة ونحن نسافر اختيارا. وقيل: إنما سمي السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال أي يكشف عنها.

وعن مالك بن دينار أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ومسيحا في الارض فاطلب الآثار والعبر. وقيل لمحمد الكيابي "أوصني" فقال: اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد وأن لا تموت إلا بين المنزلين. وقال الحصري: جلسة خير من ألف حجة. أراد جلسة بجمع الهم بوصف الشهود خير من ألف حجة بوصف الغيبة.

وقال أبو عبد الله النصيبي: سافرت ثلاثين سنة ما خطت لي خرقة على مرقعي ولا عدلت إلى موضع علمت أن لي فيه رفقا ولا تركت أحدا يحمل لي شيا. والسفر نوعان سفر بالبدن وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة وهو كثير الوجود، وسفر بالقلب وهو الانتقال من صفة إلى

صفة، وكذلك قليل الوجود ويسمى الأول سفر الأرض والثاني سفر السماء. وكان النبي ﷺ إذا استوى على البعير خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. ثم يقول: اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى. اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده. اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال فإذا رجع من سفره قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون لربنا حامدون.

❖ بيان الهيبة والأنس ❖

(وأما الهيبة والأنس) فهما حالان فوق القبض والبسط كما أن القبض والبسط فوق الخوف والرجاء والهيبة مقتضاها الغيبة والدهشة فكل هائب غائب حتى لو قطع قطعاً لم يحضر من غيبة إلا بزوال الهيبة عنه والانس مقتضاه الصحو والإفاقة، ثم انهم يتفاوتون في الهيبة والأنس. وقيل: أدنى مراتب الأنس أنه لو ألقي في لظى لم يتكدر عليه أنسه.

وقال الجنيد: سمعت السري يقول: يبلغ العبد من الهيبة والأنس إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر وكان في قلبي من ذلك شيء حتى بان لي أن الأمر كذلك.

(واعلم) أن الأنس يتولد من السرور بالله ومن صح له الانس بالله استوحش من كل شيء سواه. وقيل لبعضهم: متى يذوق العبد حلاوة الأنس؟ فقال: اذا قطع العلائق ورفع الخلائق وغاص في الحقائق مطلعاً على الدقائق.

وقال الأصمعي: مررت بأعرابية في كوخ فقلت لها من يؤنسك هنا؟ فقالت: الذي يؤنس الموتى في قبورهم، قلت: فمن أين تأكلين؟ قالت: يطعمني مطعم الذرة وهي أصغر مني.

وقال الشبلي: من استأنس بالله استوحش من خلقه ومن استوحش من خلقه صار فرداً بين تربه. وحالتا الهيبة والأنس وإن جلتا فأهل الحقيقة يعدونهما نقصاً لتضمنهما تغير العبد فإن أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغير. فلهم كمال المحو في وجود العين فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس. وارتقاؤهم عن هذا المقام بالوجود وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وحكي عن أبي سعيد الخراز، أنه قال همت مرة فكنت أقول:

أتيه فلا يدري من التيه من أنا ⊙ سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
أتيه على جن البلاد وانسها ⊙ فان لم أجد شخصاً أتيه على نفسي

فهتف بي هاتف يقول:

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ⊙ ويفرح بالتيه الدني وبالأنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة ⊙ لغبت عن الاكوان والعرش والكرسي

وكنت بلا حالٍ مع الله واقفا ۞ خليا عن التذكار للجن والانس

❖ بيان التواجد والوجد والوجود ❖

(وأما التواجد والوجد والوجود) فالتواجد استدعاء الوجد تكلفا بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجود، لأن باب التفاعل أكثره لإظهار صفة ليست موجودة، كالتغافل والتجاهل ونحوهما وقد أنكره قوم لما فيه من التكلف والتصنع والبعد عن حقيقة الأمر وأجازه قوم لمريد تحصيل الوجود وهو مستعد له بحرقته ورقته وحزنه. وأصله قوله عليه السلام « إن لم تبكوا فتباكوا » وأراد به التباكي من مستعد للبكاء بما ذكرنا، لا تباكي الغافل اللاهي. والوجد ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف ولا تصنع. وقيل: هو السماع ممن هو فان عن أحوال البشرية. وقيل: هو بروق تلمع ثم تبدو ثم تخفى فما أحلاها لو بقيت على صاحبها طرفة عين، كما قيل:

خطرت في القلب منه خطرة ۞ خطرة البرق ابتدى ثم اضمحل

والوجود فقدان العبد بمحاق الأوصاف البشرية ووجود الحق لأنه لا بقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة. وهذا معنى قول أبي الحسين النوري: أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد، إذا وجدت ربي فقدت قلبي، وإذا وجدت قلبي فقدت ربي. وهو أيضا قول الجنيد: علم الموحد مباين لوجوده، ووجود الموحد مباين لعلمه. وأنشد:

وجودي أن أغيب عن الوجود ۞ بما يبدو علي من الشهود

فالتواجد بداية، والوجود نهاية، والوجد واسطة بينهما. وقال أبو علي الدقاق: التواجد يوجب استيعاب المريد، والوجد يوجب استغراقه، والوجود يوجب استهلاكه. فهو كمن شهد البحر ثم ركبه ثم غرق فيه وهلك. وترتيب هذا الأمر تصور ثم شهود ثم وجود ثم خمود. وبمقدار الوجود يكون الخمود، ولصاحب الوجود صحو ومحو، فحال صحوه بقاء بالحق وحال محوه فناء بالحق، وهاتان الحالتان أبدا متعاقبتان عليه، فإذا غلب عليه الصحو بالحق فيه يصول وبه يقول كما جاء في الخبر المشهور: فبي يسمع وبي يبصر.

وقال رجل للشبلي: هل تظهر آثار صحة الوجد على الواجدين؟ فقال: نعم نور يزهر مقارنا لنيران الاشتياق فتلوح على الهياكل آثاره كما قال ابن المعتز:

وأمطر الكأس ماء من أبارقه ۞ فأنبت الدر في أرض من الذهب

وسبح القوم لما أن رأوا عجبا ۞ نورا من الماء في نار من الذهب

وإذا غلب عليه المحو فلا علم ولا عقل ولا فهم ولا حس، كما روي مسندا أن أبا عقال المغربي أقام بمكة أربع سنين ولم يأكل ولم يشرب إلى أن مات وكان يسلم عليه خاص أصحابه

فلم يعرفه حتى يعرفه نفسه ثم يغيب عنه الشيخ حتى لو عاوده بالكلام لم يعرفه الشيخ ومنهم من يعود إلى حال أداء الفرائض فقط، وتسمى هذه الحالة الفرق الثاني وسبق ذكرها.

❖ بيان الانسان الكامل ❖

(الانسان الكامل) هو الجامع لكل المراتب الالهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود وتسمى بالمرتبة العمائية أيضا فهي مضاهية لمرتبة الالهية ولا فرق بينهما إلا بالربوبية والمربوبية. ولذلك صار خليفة الله ومرتبة الأحدية هي ما أخذت حقيقة الوجود بشرط أن لا يكون معها شيء فهي المرتبة المستهلكة جميع الاسماء والصفات فيها ويسمى جمع الجمع وحقيقة الحقائق والعماء أيضا ومرتبة الالهية ما أخذت حقيقة الوجود بشرط شيء فاما أن تأخذ بشرط جميع الاشياء اللازمة لها كليتها وجزئيتها المسماة بالاسماء والصفات فهي المرتبة الالهية المسماة عندهم بالواحدية ومقام الجمع وهذه المرتبة باعتبار الاتصال بمظاهر الاسماء التي هي الأعيان والحقائق إلى كمالاتها المناسبة لاستعداداتها في الخارج تسمى مرتبة الربوبية. وإذا أخذت بشرط كليات الاشياء تسمى مرتبة الاسم الرحمن رب العقل الاول المسمى بلوح القضاء وأم الكتاب والقلم الأعلى. وإذا أخذت بشرط أن يكون الكليات فيها جزئيات ثابتة من غير احتجابها عن كلياتها فهى مرتبة الرحيم رب النفس الكلية المسماة بلوح القدر وهو اللوح المحفوظ والكتاب المبين. وإذا أخذت بشرط أن تكون الصور المفصلة جزئيات متغيرة فهي مرتبة الاسم الماحى والمثبت والمحيى رب النفس المنطبعة فى الجسم الكلى المسماة بلوح المحو والاثبات، وإذا أخذت بشرط أن تكون قابلة للصور النوعية الروحانية فهى اسم القابل رب الهيولى الكلية المشار إليها بالكتاب المسطور والرق المنشور وإذا أخذت بشرط الصور الحسية الغيبية فهى مرتبة الاسم المصور رب عالم الخيال المطلق والمقيد وإذا أخذت بشرط الصور الحسية الشهادية فهي مرتبة الاسم الظاهر المطلق والآخر رب عالم الملك. والمراقبة استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه فى جميع أحواله.

❖ بيان فضل الذكر ودلائله وخواصه وحقائقه ❖

(وأما فضل الذكر ودلائله وخواصه وحقائقه) فاعلم أن الذكر هو العمدة فى هذه الطريق فلا يصل أحد إلى الله إلا بدوام ذكره وهو مأمور به وثابت بالأدلة الكثيرة وقال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا ﴾، وقال النبى عليه السلام: « قال الله تعالى : يا ابن آدم إذا ذكرتنى شكرتنى وإذا نسيتنى كفرتنى ». وقال عليه السلام : « خير الاعمال ذكر الله تعالى » وقال : لكل شئ صقال وصقال القلوب ذكر الله.

وقال : « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها ». قيل: يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ فقال : « مجالس الذكر ». وقال : « من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث نزله العبد من نفسه ».

وقال أبو على الدقاق : الذكر منشور الولاية، فمن وفق للذكر فقد أوتى المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل.

وقال ذوالنون : عقوبة العارف انقطاعه. وقيل : الذكر أفضل من الفكر، لأن الله تعالى يوصف به ولا يوصف بالفكر. ومن خصائص الذكر أن الله تعالى جعل فى مقابلته الذكر منه فقال ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾. وهذا من خصائص هذه الامة لم يعطه الله لأمة قبلها، كذا قال رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى. وقال عليه السلام فى قوله تعالى ولذكر الله أكبر معناه ذكره الذى وعدكم به فى قوله تعالى فاذكرونى أذكركم أكبر من ذكركم له.

(ومن خصائصه أيضا) أنه غير موقت بل العبد مأمور به فى كل وقت باللسان أو بالقلب إما فرضا أو ندبا قال الله تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾. وقال الإمام أبو بكر بن فورك معناه قياما نحو الذكر وقعودا خالين عن الدعوى فيه.

وقال القشيرى : قال السرى : مكتوب فى بعض الكتب المنزلة : إذا كان الغالب على عبدى ذكرى عشقنى وعشقته، وأوحى الله تعالى إلى دواد : بى فافرح وبذكرى فتنعم. وفى الانجيل : اذكرنى حين تغضب اذكرك حين أغضب.

❖ بيان أن الذكر ثلاثة أنواع ❖

(والذكر ثلاثة أنواع) ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالروح. فبالأول يتوصل إلى الثانى وبالثانى يتوصل إلى الثالث الذى هو الغاية القصوى. [وقيل] : هو ثلاثة أنواع :

❖ ذكر اللسان مع غفلة القلب ويسمى ذكر العادة وهو ذكر العوام وثمرته العقاب لأنه ذنب.

❖ وذكر باللسان مع حضور القلب ويسمى ذكر العبادة وهو ذكر الخواص وثمرته الثواب.

❖ وذكر بجميع الجوارح والاعضاء ويسمى ذكر المحبة والمعرفة وهو ذكر خواص الخواص. وثمرته لا يمكن التعبير عنها ولا يعلم قدر ذلك الذكر إلا الله.

وقيل : حقيقة الذكر أن تذكر الله تعالى وأنت ناس لكل شئ سواه. ولهذا قال ذو النون : من ذكر الله على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شئ وحفظ الله تعالى عليه كل شئ. وأفضل الذكر لا إله إلا الله لقوله عليه السلام « أفضل الذكر لا إله إلا الله ». والذكر الخفى أفضل لقوله تعالى : ﴿ واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية ﴾ الآية وقوله : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا

وخفية ﴾. وقوله عليه السلام: «خير الذكر الخفي». والمعنى فيه أنه أخلص لله وأبعد عن الرياء وأكثر فائدة وأفيد ثمرة بالتجربة وأعظم وأقوم وأسعد أجرًا وذخرًا وأتم درجة وأقرب زلفى وأكمل مقامًا وأزكى طهارة وأسرع نجاة وأسبغ رضا وأجزل معرفة وأبلغ وصلًا. وعن حمان المكي أنه قال: ذكر القلب يضاعف بسبعين ضعفًا على ذكر اللسان وقال عليه السلام: «الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفًا» أخرجه البيهقي عن عائشة. وقيل: ذكر الله بالقلب سيف الخواص وذكره باللسان سيف العوام.

وقال محمد الكتاني: لولا أن ذكره تعالى فرض لما ذكرته إجلالًا له كيف يذكره مثلي ولا يغسل فمه قبل ذكره بألف توبة مقبولة. وقيل لراهب: أنت صائم؟ فقال: نعم أنا صائم بذكر الله، فإذا ذكرت غيره أفطرت.

وقال الجريري كان بين أصحابنا رجل يكثر قوله الله الله فوقع عليه في بعض الايام جذع فشج رأسه فجرى منه الدم فكتب على الارض الله الله وكان الشبلي ينشد شعرًا:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة ۞ وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
فلما أراني الوجد أنك حاضري ۞ شهدتك موجودًا بكل مكانِ
فخاطبت موجودا بغير تكلمٍ ۞ ولاحظت معلوما بغير عيانِ

❖ بيان بعض شروط المرشد الأمين ❖

(واعلم) أنه يشترط في المرشد أن يكون عالمًا بما يحتاج إليه المريدون من الفقه وعقائد التوحيد بقدر ما يزيل به الشبهة التي تعرض للمريد في البداية، وأن يكون عالمًا بكمالات القلوب وآدابها وآفات النفوس وأمراضها وكيفية حفظ صحتها واعتدالها، وأن يكون رؤوفا رحيمًا بالمسلمين خصوصًا بالمريدين، وأن يكون ناصحا لهم فينظر في حال من يصحبه منهم إن رآه قابلًا للسلوك سلكه وحسن له الطريق وعلى ترك الأسباب أعانه. ولكل ما أمكنه إعطاؤه من المال وغيره ملكه، وإن رآه غير قابل لذلك رده إلى حرفته أو إلى تعاطي شيء من الأسباب هنالك فإن الله تعالى لا يحب العبد البطال.

❖ بيان بعض علامة المرشد الأمين ❖

(ومن علامة المرشد الأمين) أن يستر ما اطلع عليه من عيوب المريدين، وأن يكون في الحالة الوسطى في جميع أحواله من جوع وشبع ونوم وسهر وقبض وبسط. والحالة الوسطى هي ما بين الإفراط والتفريط ولا يقدر عليها إلا الكمل من الرجال ولذا كان من اتصف بها صالحا للإرشاد بلا محال، وأن يكون قد استوى عنده جميع المآكل والملابس، وأن يكون غني النفس وحسن الخلق لا يغضب إلا لله وإذا جاءه أحد يريد الإرشاد لا يكون في وجهه عابسا.

وينبغي أن يكون جلاله ممزوجا بجماله، وغضبه ممزوجا برضاه، وقهره ممزوجا بلطفه، وصّلنا الله بمنه وكرمه إلى تلك الصفات.

فإذا سئلت عما يجب على الشيخ فى حق المريد وعما يجب على المريد فى حق الشيخ (فالجواب) يجب على الشيخ للمريد ثلاثة أشياء: التسليك في البداية، والتبليغ في النهاية، والحفظ في الرعاية. ويجب على المريد للشيخ ثلاثة أشياء: امتثال أمره، وكتمان سره، وتعظيم قدره. وإذا سئلت عن الادب على كم قسم (فالجواب) على ثلاثة: أدب مع الله الذى هو مولاك، وأدب مع شيخك الذى رباك، وأدب مع العلماء والصالحين. وذلك من علامات المخلصين.

وقال الشيخ الأكبر قدس سره: يجب على الشيخ إذا رأى شيخا آخر فوقه أن ينصح نفسه ويلزم خدمة ذلك الشيخ الآخر هو وتلامذته، فإنه صلاح وسعادة فى حقه وحق أصحابه. ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصف وناصح نفسه ولا صاحب همة، بل هو ساقط الهمة وضعيفها، بل ربما يكون محبا للرياسة والتقدم. وهذا فى طريق الله نقص. ألا ترى قوله عليه السلام: «لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي والياس وعيسى». بل كل الأنبياء تحت حكم شريعة رسول الله ﷺ فى الدنيا وفى الآخرة تحت لوائه. فهكذا ينبغي أن تكون شيوخ الطريق.

وقال الشعراني قدس سره: ثم إني إذا رأيت أحدهم أعرف مني بالطريق تلمذت له ولو كنت مأذونا لى قبل ذلك من شيخ آخر، لأن المقامات ليس لها حد يقف عليه العبد. قلت: فإذا وجب على الشيخ لزوم خدمة الشيخ الأكمل منه، وكان حال الشيوخ التلمذ لمن هو أعرف منهم بالطـريق ولو كانوا مأذونين من شيخ آخر كحال موسى مع الخضر عليهما السلام، فما تقول فيمن لم يشم رائحة من أسرار الطريق أو شم وهو ناقص منحط عن ذروة التحقيق، فتبصر وأنصف.

❖ بيان كيفية أخذ الذكر ❖

(وأما كيفية أخذ الذكر فهو أن يستخير المريد والشيخ أو أحدهما فقط، لحديث «ما خاب من استخار». فان وافقت استخارتهما فذلك هو المطلوب أو صحت من أحدهما فيستدل به على الإذن من حضرة علام الغيوب. وحينئذ يجلس الشيخ المريد بين يديه بعد أن تكون الطهارة كاملة لديه ويلصق ركبتيه إلى ركبتيه، كما فعل جبريل عليه السلام مع النبى عليه السلام، ثم يأخذ بيده اليمنى يد المريد اليمنى كالمصافح ثم يستتيبه عن جميع المخالفات والمعاصى والقبائح، ويأمره بالإستحلال مع أرباب الحقوق ورد المظالم وترك البدعة والعمل بالسنة واجتناب الرخص والأخذ بالعزائم، ثم يقرآن معا هاتين الآيتين بنية التوبة من جميع ما يخالف رضا الله، كما قال موسى ويونس: ﴿سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾

﴿ لا إله إلا أنتَ سبحانك إني كنتُ من الظالمين ﴾، ثمّ يغمض المريد عينيه والشيخ يتكلم بالتهليل ثلاثًا كما فعل النبي عليه السلام مع عليّ، ثمّ يقرأ قوله تعالى ﴿ إنّ الذين يبايعونك ﴾ الآية للتبرك وللاشارة إلى أنه كأنما يبايع الرسول عليه السلام، ثم يضع الشيخ والمريد أيديهما على ركبتيهما ويغمضان أعينهما ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات على نية التلقين والتعليم لقلب المريد ثلاثا بالمد والحضور كأنه يشاهد الملك الغفور، ثم يأمره بالاستغفار والفاتحة والاخلاص إلى السلسلة والرابطة لشيخه بشرط أن يعتقد أنه خليفته عليه السلام في الفيض والامداد، وأنه نائب عنه في تربية الخلق والارشاد.

ولذا قال عليه السلام «ذكر الله شفاء القلوب»، أخرجه الديلمي في الفردوس عن أنس. وقال عليه السلام : «ذكر الانبياء من العبادة، وذكر الصالحين كفارة وذكر الموت صدقة وذكر القبر يقربكم من الجنة»، أخرجه أيضا عن معاذ. وقال عليه السلام : «الذكر خير من الصدقة»، أخرجه أبو الشيخ عن أبي هريرة. وقال : «الذكر نعمة من الله فأدوا شكرها»، اخرجه الديلمي في الفردوس. وقال : «الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا»، أخرجه البيهقي في شعب الايمان.

وقال الله تعالى: ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾، وقال : ﴿ اذكروا الله ذكرًا كثيرًا ﴾، وقال: ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾، وقال : ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾، وقال: ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ﴾، وقال : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله ﴾، وقال في ذم المنافقين : ﴿ ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾، وقال : ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾، وقال : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾.

وقال فضيل : بلغنا أن الله عز وجل قال : «عبدي اذكرني بعد الصبح ساعةً وبعد العصر ساعةً أكفك ما بينهما». وقال عليه السلام : «غنيمة مجالس الذكر الجنة»، أخرجه أحمد والطبراني. وقال : «لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل»، أخرجه الطبراني في الأوسط. وقال : «ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها»، أخرجه الطبراني والبيهقي عن معاذ. وقال : «ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم وبدلت سيآتكم حسنات»، أخرجه البيهقي والطبراني عن سهل بن حنظلة. وقال : «ما صدقة أفضل من ذكر الله»، أخرجه الطبراني في الاوسط. وقال: «ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن

عنده »، عن أبي هريرة. وقال: « من أحب شيئاً أكثر ذكره »، أخرجه الديلمي. وقال: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »، أخرجه الأربعة. وقال: « من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله لم يذكره وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن »، طب عن واقد. وقال: « مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتحف بهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله على عرشه »، أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وأبي سعيد. وقال تعالى: ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾، وقال: ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾، وقال: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾، وقال: ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾، وقال: ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾، وغيرها.

وبالجملة فالذكر أشرف العبادات وأفضلها وأعظمها وأكملها من حيث تصفية القلوب وتحليتها وتزكية النفوس وتكميلها لأن العابدين لو اشتغلوا بجميع العبادات في جميع أوقات الليل والنهار قلما تحصل لهم تصفية قلوبهم وتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم. وأما الذاكرون فلما اشتغلوا بذكر الله مع الدوام لا يشذ منهم أحد إلا وقد حصل ذلك مع كثير من الأسرار وأنواع الوصلة لأن الذكر عمل جامع لأحوال القلوب وأسرار القرب من مقامات اليقين ومشاهد الشهود ومراتب كشف الغيوب، وهو حصن الله الأعظم ومن دخله كان آمنا من الآفات الظاهرة والباطنة كما قال الله تعالى: « لا إله إلا الله حصني ومن دخله كان آمنا »، وكما جاء في الحديث يقول الله تعالى لملائكته: « قربوا مني أهل لا إله إلا الله فإني أحبهم ». قال عليه السلام: « لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه ». وقال تعالى: ﴿ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾.

❖ بيان الآداب في خارج الذكر ❖

(وأما الآداب في خارج الذكر) فدوام الوضوء وصلاة سنة الوضوء. وقيل مستحب والإشراق وصلاة الضحى والاستغفار والأوابين والتهجد وملازمة الجمعة والرواتب وإحياء ما بين الطلوعين أعني الفجر والشمس قدر رمح بالذكر وإحياء ما بين العشاءين أيضاً بالذكر، فإن ضم إلى ذلك استغراق ما بعد العصر كله بالذكر كان أتم، وكذلك الرابطة والعمل في ذلك مهم وعليه اتباع الشرع والسنة وإماتة البدعة وحفظ الكسب من المحرمات، ولا ينقص ورده عن خمسة آلاف في اليوم والليلة وما زاد أتم وأنجى، والتجرد بكثرة البتة والاستغراق أوقاته في الاشتغال مهما أمكن والاعتزال عن المنكر مهما حصل إذ مخالطة المنكرين مع أهل الباطن تورث قسوة القلب والانكسار. والتصفية والوقوف دواماً والسكوت دواماً بغير موجب

الشرع وتقليل الطعام وإن كان حلالاً وإن كان غير الحيواني فهو أعلى، وتقليل النوم والعزلة عن أهل الغفلة ولو مريدا وترك المراد والمقصود وصرف همته إلى معرفة الله فقط والتواضع ونفي الوجود وحسن الظن بالله بمحض فضله وخوف مكره والمحبة لمرشده ومبالغة الاخلاص إليه وطلب رضاه دائمًا والأدب مع الحضور معه وضم القدمين إليه فهذا سبب الفتح، وأن لا يكون طعامه ولباسه بيد تارك صلاة ولا بيد منكر ولا منفوس ولا حائض ولا معيون ولا منحوس وكذلك طهارتهما ونحوهما ومراعاة كل المذاهب الأربعة بعد تصحيح الاعتقاد والتبرى عن الترهات وأهل الفساد وترك البدعة والاعراض عن متاع الدنيا والميل إلى نعيم الآخرة، وأن يكون بطهارة الظاهر والباطن، بأن يحفظ قلبه عن دخول الخواطر وأن يتجرد عن القيود والعلائق ويزكي نفسه عن الشهوات وحب الدنيا واتباع الهوى والسوى، وأن يذكر الله دائمًا مع الحضور والتوجه التام، وأن يستمد من شيخه للترقي إلى حقيقة الذكر وكل حاله، وأن يراعي نسبته في حال الذكر، وأن يحصر جميع وقته على الذكر بعد أداء الفرائض والسنن الرواتب، وأن لا يشتغل بشيء غير ما أمر به الشيخ، وأن يذكر بالمحبة والشوق والعشق لا لطلب الأحوال والكرامات والمقامات والأغراض.

(روى) في الأخبار: ثلاثة أشياء لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة: أحدها الصلاة بلا خشوع وخضوع، والثاني الذكر بالغفلة لأن الله لا يقبل دعاء وذكرا من قلب غافل، والثالث الصلاة على النبي عليه السلام من غير حرمة ونية، كما قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات». وقد جاء في تخصيص القلب بالإيمان والخشية والإنابة والذكر والتقوى والسلامة آيات، قال الله تعالى: ﴿ كتب في قلوبهم الإيمان ﴾، وقال: ﴿ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾، وقال: ﴿ حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾، وقال: ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾، وقال: ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾، وقال: ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾. وقال الحرث: بلية العبد شغل القلب عن الله تعالى، فحينئذ تحدث الغفلة في القلب كما قال تعالى: ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾. وقد كان السلف يجتهدون في قطع العلائق ورفع الشواغل والعوائق عن القلوب، ومتى تفرغ القلب عن عوائقه ينتهي بفطرته إلى محبة خالقه.

وقالت رابعة العلوية: شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله ولو تركوها لجالت في الملكوت ثم رجعت إليهم بطريف الفوائد. وعن خالد بن معدان: ما من عبد إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما في أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما في أمر الآخرة. فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عيني قلبه فأبصر بهما ما وعد الله بالله، وإن أراد الله به غير ذلك تركه على عمى قلبه،

ثم قرأ: ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾. وعن أحمد بن حضرويه، أنه قال: القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح. وقال أبو تراب: ليس من العبادات شيء أنفع من إخلاص القلب عن الخواطر. وقال سهل بن عبد الله: حرام على قلب يدخله النور وفيه شيء مما يكرهه الله. وقال ذو النون المصري: صلاح القلوب ساعة أفضل من عبادة الثقلين. ويقال لهذه الأربعة توحيد الآثار وتوحيد الافعال وتوحيد الصفات وتوحيد الذات عند الأكثر.

قال في كتب الشاذلية: ولم يشترط شيخنا في الطريق سوى ترك المعاصي كلها والمحافظات على الواجبات وما يتيسر من المندوبات وذكر الجلالة الشريفة ما أمكن وقدر عليه، وأقل ذلك ألف مرة في كل يوم، والاستغفار مائة والصلاة على النبي عليه السلام ما أمكن وأقل ذلك مائة. وكان يرغب في فضل الصلاة على النبي عليه السلام، ويحض عليها، ويحيل ذوي الحاجات والكرامات عليها، ويوصي بصلاة ركعتين في الليل بالكافرون والاخلاص، قال تعالى: ﴿ أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾، وقال: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ الآية. وقال عليه السلام: «الذكر يضعف فوق النفقة في سبيل الله سبعمائة»، أخرجه أحمد عن أنس. وقال الله تعالى: ﴿ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾، وقال الله تعالى: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» عن أبي هريرة. قالوا: الأذكار أربعة: ذكر تذكره وذكر تذكر به وذكر يذكرك وذكر يذكر بك. فالأول حظ العوام وهو الذي تطرد به الغفلة أو ما تخافه من الغفلة، والثاني تذكر به أي مذكور إما العذاب وإما القرب وإما غير ذلك وإما الله جل جلاله، والثالث ذكر يذكرك مذكورات أربعاً الحسنات من الله والسيآت من قبل النفس ومن قبل العدو وإن كان الله هو الخالق لها والعوارض التي تعرض لك من الله أو من نفسك، والرابع هو ذكر الله لعبده وليس للعبد فيه متعلق وإن كان يجري على لسانه وهو موضع الفناء بالذكر أو المذكور العلي، فإذا دخلت فيه صار الذاكر مذكوراً أو المذكور ذاكراً وهو حقيقة ما تنتهي إليه في السلوك، فعليك بالذكر الموجب للأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة، وتمسك به وداوم عليه، وهو أن تقول الحمد لله وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. فالحمد لله بإزاء المنن والاحسان من الله، وأستغفر الله بإزاء ما من قبل النفس أو من قبل العدو وإن كان من الله خلقاً وإرادة، ولا حول ولا قوة إلا بالله بإزاء عوارض ما يرد عليك من الله وما يصدر منك وتنبه، فان الشر قلما يقع في الذكر أو في الفكر أو في السكوت والصمت إلا على واحدة من هذه الأربع، فإن كانت الحسنة أو السيئة فقل الحمد لله وأستغفر الله، وإن عرض لك عارض من الله أو من نفسك لم يكن بعد

خير أو شر ولست بقادر على دفعه أو جلبه فقل لا حول ولا قوة إلا بالله واجمع بين هذه الأذكار في عموم الأوقات وداوم عليها تجد البركة والغنى واقرع باب الذكر بالالتجاء والافتقار إلى الله بملازمة الصمت عن الأمثال والأجناس ومراعاة السر عن محادثة النفس في جميع الأنفاس إن أردت الغنى.

وقال الشاذلي: هن ثلاثة: فرغ لسانك للذكر وقلبك للشكر وبدنك لمتابعة الأمر فأنت إذا من الصالحين.

وقال: إذا ثقل الذكر على لسانك وكثر اللغو من مقالك وانبسطت الجوارح في شهواتك وانسد باب الفكر عن مصالحك فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك أو لكون النفاق في قلبك، وليس لك طريق إلى التوبة إلا الإصلاح والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولـئك مع المؤمنين ﴾، ولم يقل من المؤمنين فتأمل هذا الأمر وابك وافزع إن كنت صادقا.

قال بعض شراح الحكم العطائية عند شرح قول المتن: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله إلى آخره: حقيقة الذكر هو طرد الغفلة وله مراتب: الأولى ذكر اللسان وله شواهد في الكتاب والسنة، فالزم ذكر اللسان حتى تتصل وتشرف بذكر الجنان، وهو المرتبة الثانية في بعض الطرق وأول مرتبة عند النقشبندية، فأول قدم يضعونه في ذكر القلب ولكن لا يعرف ذلك إلا منهم ولا يتمكن السالك من الرسوخ في هذا القدم إلا بهم فاقصدهم واستنشق روائح عرفهم الطيب لعلك تظفر بواحد منهم فتحوز هذا الجوهر النفيس وتشم من روائح الطريق ما لا يخطر لك ببال ويزول عنك التلبس، فإن طرقهم أسهل الطرق وأقربها، وليس فيها كثرة جوع ولا كثرة سهر، بل الاعتدال يصحبها وخلوتهم في جلوتهم وكل المجامع لهم زاوية يحضرون في المجالس وقلوبهم حاضرة مع مولاهم ومن السوى خالية.

(واعلم) أن تلقين الذكر في الطريقة المحمدية على وفق السنة النبوية كما روي عن علي ذي النفس الرضية، قال: يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها، فقال ﷺ: عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوة، فقال علي: كيف أذكر يا رسول الله، قال: غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات، فقال عليه السلام ثلاثا: لا إله إلا الله، وعلي يسمع، ثم قال علي ثلاثا كذلك والنبي ﷺ يسمع، فهذه نسبة علي كرم الله وجهه.

◆ بيان نسبته الباطنة في تلقين الأذكار القلبية ◆

(وأما نسبته الباطنية) في تلقين الأذكار القلبية يعني بالجنان من غير حركة اللسان فذلك بالإثبات من غير نفي بلفظ اسم الذات الذي أمر به نبيه عليه السلام بقوله: قل الله ثم ذرهم، وهي نسبة الصديق الأعظم التي أخذها باطنا عن المصطفى عليه السلام، وهذا هو الذكر الذي

وقر في قلبه رضي الله عنه وعنا به. قال ﷺ : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، بل بشيء وقر في قلبه ». وقد تفرعت جميع الطرق من هاتين النسبتين فهما أصلان وعليهما عون الرحمن كما سيجيء بالتمام.

(وفي شرح رسالة الخادمي) وكيفية التلقين بعد ثبوت صدق المريد أن يأمره الشيخ بالاستخارة، وأن يستخير هو أيضًا فإن وافقت استخارتهما يأمر الشيخ المريد أن يغتسل غسل التوبة ثم يصلي المريد صلاة التوبة ركعتين ثم يتصدق بصدقة ثم يجيء عند الشيخ فيجلسه بين يديه ويلصق ركبتيه بركبتيه، ثم يأخذ الشيخ بيده اليمنى يد المريد كالمصافح له، ثم يستتيبه عن جميع المعاصي والمخالفات التي أضاع عمره بها ويأخذ عليه العهد على الاستحلال مع أرباب الحقوق ورد المظالم واسترضاء الخصوم، ويأخذ العهد على التقيد بمتابعة السنة، والعمل بالعزيمة، والاجتناب عن كل رخصة، والتباعد عن كل بدعة، والإعراض عن جميع القبائح من المنكرات والصفات المذمومات، ثم يستغفر هو والمريد بهذا الاستغفار وهو "أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيت على نفسي وأتوب إليه". ثم يقرأ الشيخ هذه الآية ﴿إن الذين يبايعونك﴾، الآية ثم يضع الشيخ والمريد أيديهما على ركبتيهما ويغمضان عينيهما، ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات على نية التعليم والتلقين لقلب المريد ثلاث مرات، ثم يرفعان معًا أيديهما للدعاء فيدعو الشيخ له ويؤمن المريد، ثم يمسحان بأيديهما وجوههما وبعده يقبل المريد ركبة الشيخ ويقوم من محله ويستأذن الشيخ ويذهب ويشتغل بما أمره به الشيخ، ويحفظ نسبة الشيخ في كل حال ووقت، ويوفي العهد والميثاق ولا ينقضه إلى أن يموت.

(وفي كتب الشاذلية آداب كثيرة) ولكن يجمعها عشرون أدبًا: خمسة سابقة على التلفظ بالذكر، واثنا عشر في حالة الذكر، وثلاثة بعد الفراغ من الذكر.

فأما الخمسة فالتوبة وحقيقتها ترك العبد ما لا يعنيه قولاً وفعلاً وإرادة؛ ثانيها الغسل والوضوء؛ ثالثها السكوت والسكون ليحصل الصدق، بأن يشغل قلبه بالله بالفكر دون اللسان حتى لا يبقى فيه خاطر مع الله ثم يوافق اللسان القلب لا إله إلا الله؛ رابعها أن يشهد بقلبه عن شروعه بالذكر همة شيخه؛ خامسها أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه.

وأما اثنا عشر التي في حالة الذكر فالأول جلوسه على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة؛ الثاني أن يضع راحتيه على فخذيه؛ الثالث تطييب المجالس للذكر بالرائحة الطيبة وكذا ثيابه؛ الرابع لبس الثياب من الحلال الطيب؛ الخامس اختياره الموضع المظلم إن أمكنه؛ السادس

تغميض عينيه ليسد عليه طرق الحواس؛ السابع أن يجعل خيال شيخه بين عينيه وهذا عندهم آكد الآداب؛ الثامن الصدق في الذكر بأن يستوي عنده السر والعلانية؛ التاسع الإخلاص لأنه يصل به الذاكر إلى درجة الصديقية بشرط أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبح لشيخه، وإن لم يظهر ذلك كان خائنا وحرم الفتح، والله لا يحب الخائنين؛ العاشر أن يختار من صيغ الذكر لفظة لا إله إلا الله، فان لها أمرا عظيما عند القوم لا يوجد في غيرها من الأذكار الشرعية فيذكر بها جهرا بقوة تامة، بحيث لا يبقى فيه متسع ويحضر قلبه المعنوي مع معناها؛ الحادي عشر إحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف درجاته في الترقي ويعرض كل ما ترقى فيه من الأذواق على شيخه ليعلمه الأدب فيه؛ الثاني عشر نفي كل موجود من القلب سوى الله تعالى بلا إله إلا الله، ليكون تأثير "إلا الله" بالقلب ويسري إلى الأعضاء، كما قال الشاذلي: ينبغي للرجل إذا قال "الله" يهتز من فوق رأسه إلى أسفل قدميه. وهذه حالة يستدل بها على أنه سالك يرجى له القدم الأعلى منها إن شاء الله.

وأما التي بعد الفراغ فالأول أن يسكن إذا سكت ويخشع ويحضر مع قلبه مترقبا لوارد الذكر، قالوا: لعله يرد فيعمر وجوده في لحظة أعظم ما تعمره الرياضات والمجاهدات في ثلاثين سنة؛ والثاني يرد نفسه مرارا، قالوا: لأنه أسرع للتنوير في البصيرة وكشف الحجب وقطع الخواطر النفسانية والشيطانية؛ والثالث منع شرب الماء لأن الذكر يورث حرارة في قلب الذاكر وشوقا وتهييجا إلى المذكور وهو الأعظم من الذكر، وشرب الماء عقيب الذكر يطفئ ذلك. وقال الشيوخ: فليحرص الذاكر على هذه الآداب الثلاثة، فان نتيجة الذكر إنما تظهر بها، والله الموفق.

❖ بيان أن اسم الجلالة والعظمة والهيبة هو لفظة الله ❖

(واعلم) أن اسم الجلالة والعظمة والهيبة، ويقال اسم الذات هو لفظة الله، وهذا الاسم الشريف موضوع للذات الإلهية باعتبار اتصافها بجميع صفات الألوهية وأسماء الربوبية والجلال والجمال والكمال، وعند بعض العارفين هو اسم موضوع للذات البحت من حيث هي لا باعتبار الاتصاف بشيء، لقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾. وبهذا الوضع كان أعلى من اسم الأحد ومن سائر الأسماء الإلهية من حيث الرتب، وقيل مشتق، وقيل لا، وقيل عربي، وقيل لا، وقيل موضوع لمعين، وقيل لا، وقيل مستعمل بجميع الألسنة، وقيل لا. والأصح أنه اسم الذات، وجميع الأسماء والصفات والكمال مندرجة تحته، وهو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة وعند العارفين من أهل الطريقة، وأن لكل نبي من الأنبياء اسما مخصوصا تجلى الله عليه، ولنبينا ﷺ هذا الاسم الشريف وبه تجلى الله عليه، فلذا كانت رتبة نبينا عليه السلام أعلى من جميع رتب الأنبياء عليهم السلام كما كانت رتبة هذا الاسم الشريف أعلى من رتب سائر الأسماء الإلهية وعند

الشاذلية طريق النفي والاثبات وقد وضع إبراهيم المواهبي الشاذلي في لا إله إلا الله رسالة وسماها كتاب التفريد لضبط قواعد التوحيد. قال في الجلوس للذكر التربع، ونتيجته التمكن، وسره دوام الوضوء هذا ظاهرا وأما باطنا فإشارة إلى التمكن بكمال اعتدال القابلية وإن أحب جلس كالمتشهد حيث لا ألم ثم يعتمد باليدين على الركبتين مع سدل الكمين ليتقوى على الحركة الجامعة للقلب المتشتت، هذا ظاهرا، وأما باطنا فالإعتماد بيد الصدق والإخلاص على حد مستند الكتاب والسنة لتجتمع فيك خصائص الخواص. ثم غمض العيون استعانة على خلو الباطن من تطرق المحسوسات هذا ظاهرا وأما باطنا فتغميض عين الظاهر والباطن عما سوى الله ثم الأخذ بلا إله من الجانب الأيسر الذي هو مشكاة فتيلة القلب النوراني المعنوى مارا بها من أسفل الصدر إلى الجانب الأيمن ثم إلى أعلاه راجعا حتى تصل بها إلى المأخذ وهو المحيط والمأخذ ما تضمنته كلمة النفي والموضع ما تضمنته كلمة الإثبات والنفي مصحوبك في ذهابك من أسفل الصدر وفي إيابك من أعلاه راجعا إلى المأخذ فتفارقه بالاثبات وسر ذلك أن القلب برزخ بين العالم العلوى والسفلى ففي أخذك منه إلى أسفل الصدر إشارة إلى استيعاب العالم السفلى بلا إله ثم في عودك إليه من أعلى الصدر استيعاب بها للعالم العلوى نافيا عن السوى معنى إلا الله، هذا سر النفي والاثبات.

❖ بيان أن الوقوف هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ❖

(واعلم) أن الوقوف هو أقرب الطرق إلى الله تعالى بعد طرق المراقبة قال مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي قدس سره متى لم يتأثر السالك في طريقتنا بسائر الاشتغالات نشغله بالوقوف وبعد ذلك يتأثر بالقربية ويصل إليه تعالى ثم اعلم أن الوقوف القلبي هو التوجه إلى حقيقة الروح الإنساني من جهة القلب لأن القلب باب الروح الإنساني لأن الروح الإنساني إنما يتعلق أولا بالبدن من طرف القلب وبعد ذلك أيضا إنما يتصرف الروح في البدن بواسطة القلب فمن يتوجه إلى حقيقة الروح من جهة القلب يطلع على حقيقة روحه ويعرف نفسه وتنكشف له أنوار روحه وكمالات نفسه وعند ذلك يعرف حقيقته وبمعرفة نفسه يهتدي إلى معرفة ربه تعالى ويشاهد أسرار أحدية ذاته تعالى ويكاشف آثار صفاته وأسمائه تعالى في المظاهر كلها على مضمون من عرف نفسه فقد عرف ربه بمعنى من كشف أنوار نفسه كشف أنوار ربه لأن النفس الناطقة الإنسانية يعني الروح الإنساني محيطة بجميع ما في الحضرة الربوبية تقدست أسماؤها إحاطة انطباعية مطابقة للوجود في نفس الأمر فمن توجه إلى روحه من قلبه فقد ينكشف له في روحه ما في الحضرة الربوبية من الأسرار فيعرف بعد ذلك ربه تعالى بالمعرفة الشهودية لأن حقيقة الروح الإنساني كالمرآة لتلك الحضرة لقوله تعالى في التوراة

إن الإنسان مثال له تعالى وصورته ولقوله تعالى أيضا فيها أن الله تعالى خلق الإنسان مثاله وصورته لما فيه من القوة العقلية التي هي جوهر إلهي فمن كشف ذلك الجوهر رأى فيه جميع صفات الله وأسمائه وذاته تعالى بالانطباع الظلي، ورأى فيه أيضا جميع الموجودات العقلية والحسية لأن الروح الإنساني محيط بجميع الموجودات لأن من عرف روحه حق المعرفة عرف جميع العقلية والحسية فلذلك كان الروح الإنساني خليفة في العالم العلوي والسفلي كما قال تعالى ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ولذلك كان خليفة الله في العالم العلوي لأن الله تعالى بواسطة الروح الإنساني خلق الأفلاك وما تحتها كما أشار إليه عليه الصلاة والسلام: أول ما خلق الله روحي كنت نبيا وإن آدم لمنجدل في طينته، وأيضا قال تعالى: « لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك ». ثم اعلم أن كيفية الاشتغال بالوقوف القلبي أن يجرد السالك أولا عقله عن جميع الإدراكات ثم يعطل جميع قواه وحواسه عن أحكامها ثم ينسلخ بنفسه عن الهيكل الجسماني، وبعد ذلك يتوجه بالبصيرة إلى حقيقة القلب على طريق الاستغراق والاستهلاك ويداوم على ذلك فكلما يزداد توجهه إلى حقيقة القلب تزداد معرفته بربه تعالى فتحصل بمعرفة نفسه معرفة ربه، كما قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: طريق السالك إلى الله نفسه ومنازله معرفة أحواله لأن سفر السالكين ينتهي إلى الظفر بنفوسهم، وإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا. وقال أيضا: شاقوا أنفسكم تجدوها يعني تعرفوها.

والحاصل أنه لابد للسالك في معرفة حقيقة روحه بطريق الوقوف القلبي أن يتجرد عن المواد الجسمانية ولواحقها، وأن يمحو جميع العلوم الرسمية من التصورات والتصديقات وأن يلازم التوجه إلى حقيقة قلبه على الدوام وبعد ذلك لا يبقى فيه إلا الانجلاء الروحاني الغير المقيد بشيء من الأجسام وعوارضها ولا يرى حقيقة قلبه في تلك الحالة الأنوار بسيطا محتويا جميع ما كان وما يكون منتسبة إلى بارئها، لأن جهل النفوس بذواتها وبارئها إنما نشأ من الشواغل البدنية والعلوم الرسمية وغواشي أحكام القوى والحواس. فلذلك قال الشيخ الجنيد البغدادي قدس سره: التصوف هو أن يجلس ساعة متعطلا عن ملاحظة شيء.

◆ بيان حقيقة الفناء والبقاء ◆

(وأما حقيقة الفناء والبقاء) فالفناء سقوط الأوصاف المذمومة، والبقاء وجود الأوصاف المحمودة. فمتى بدل العبد أوصافه المذمومة فقد حصل له الفناء والبقاء. والفناء اثنان: (أحدهما) ما ذكرناه وهو بكثرة الرياضة. (والثاني) عدم الإحساس بعالم الملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق. وإليه أشار بعض المشايخ بقوله: الفقر سواد الوجه في الدارين يعني الفناء في الدارين.

❖ بيان ماهية النفي والإثبات ❖

(وأما ماهية النفي والإثبات) وهو المسلك الثاني وهو أنفع وأفضل وأشد تأثيرا فهما كلمة لا إله إلا الله وهذه الكلمة الطيبة كما تطهر الذاكر عن الشرك الجلي تطهره عن الشرك الخفي وتجعله خالصا مخلصا، وأيضا أن هذه الكلمة تجرد القلوب عن حجب العلائق العنصرية وتزكي النفوس عن رذائل الصفات الحيوانية وتكشف لذاكرها على الدوام والصدق والإخلاص والعلوم اللدنية والأسرار الغيبية، وتشهده أنواع التجليات الإلهية.

وكان ﷺ يلقن هذه الكلمة الطيبة للصحابة رضي الله عنهم لتصفية قلوبهم وتزكية نفوسهم وإيصالهم إلى الحضرة الإلهية والسعادة القدسية لكن لا تحصل تلك التصفية والتزكية من هذه الكلمة الطيبة ومن سائر الأسماء الإلهية إلا إذا تلقنها الذاكر عن شيخ عالم عامل كامل فاهم معنى القرآن والشريعة وماهر في الحديث والسنن وفطن في العقائد وعلم الكلام ملقن إياها عن شيخ آخر وهو أيضا ملقن عن شيخ آخر هكذا تسلسل ذلك التلقن في المشايخ كابرا عن كابر إلى رسول ﷺ.

❖ بيان بعض صور من الوقوف القلبي ❖

(واعلم) أن هناك صورة أخرى من الوقوف القلبي وهي أن يتوجه السالك إلى دائرة قلبه بعد تجريده عن الشواغل البدنية، ثم يلاحظ بدنه في وسط تلك الدائرة كالكرة ويتوهمه نافذا من أقطار السموات والأرض ويستغرق في تلك الملاحظة على الدوام ويرجع إليها كلما يذهل عنها إلى أن يفنى عن ملاحظة تلك الكرة المفروضة وتتعطل جميع قواه وحواسه عن أحكامها فعند حصول هذه الحالة يظهر لروحه لمعان نوراني حتى لا يبقى في الوجود نظره غير روحه الذي هو الروح الأمري إلا الحق. وبعد ذلك تستهلك نورانية روح أيضا في نور الحق سبحانه وتعالى لأن نور الحق غالب على جميع الأنوار. وجميع الأنوار متلاش عند ظهور نور الحق، كتلاشي سائر الأضواء عند ظهور ضوء الشمس فحينئذ لا يبقى في الظهور إلا نور الحق الذي هو الوجود المطلق تجلت عظمته وظهرت آياته في الآفاق وفي الأنفس كما قال تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾. وعند ذلك يظهر له معنى قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾. وعند ذلك التلاشي، وظهور الآيات وقع الاشتباه لبعض الصوفية فسها في سكراته وشطح في دهشاته فانطلق لسانه يقول: أنا الحق. ويقول: سبحاني ما أعظم شاني، وغيرهما من الكلمات المتشابهات، وصورة أخرى من الوقوف القلبي وهي أن يتوجه إلى قلبه الحقيقي ثم يتصور روحه في قلبه نورا محضا بلا نهاية وصفاء صرفا بلا غاية، ويتصور في جو روحه النوراني صورة بدنه وصور العالم كالطير في الهواء ويتصور روحه محيطا بتلك الصور محاطة بتلك الروح وهو ينظر إلى تلك الصور في جو الروح ويستغرق في النظر إليها حتى يتحد بتلك الصور في التصور

ويزداد في الإتحاد بتلك الصور بالتحنن والتشوق إليها حتى يتوهم أنه تلك الصور ويداوم على ذلك التصور بالتكرار فيه حتى يكون كأنه هو الحقيقة النوعية الكلية لجميع العالم التي لا نهاية ولا انقسام لها بل يكون وحدة صرفة لمجموع صور العالم فمن جعل روحه متكيفا بهذه الكيفية عرف حقيقة روحه لأن حقائق العالم كلها منطوية في الروح الإنساني والروح مشتمل عليها. كما قال علي رضي الله عنه : أتحسب أنك جرم صغير ۞ وفيك انطوى العالم الأكبر

فمن عرف به بتلك الجمعية لحقائق كلها فقد عرف ربه كما ورد فيما سبق من عرف نفسه فقد عرف ربه. وصورة أخرى من الوقوف القلبي، وهي أن يتوجه السالك إلى قلبه بعد تجريد نفسه عن الجسمانية ويتصور فيه نورا بسيطا وحدانيا مجردا عن الكيفيات كلها غير متعلق بشيء ظاهرا على العالم الجسماني كظهور الشمس على الجسمانية، بحيث يكون جميع العالم الجسماني بالنسبة إلى ذلك النور البسيط كالذرة في الشعاع. كما قال البسطامي : لو ألقي العرش وما تحته كله في زاوية من زوايا قلب العارف لا يحس به وذلك من كمال عظم القلب. وبعد ذلك يعلق نظر بصيرته بذلك النور البسيط ويداوم على ذلك النظر لذلك النور البسيط حتى يستغرق في ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعور بغير ذلك فعند ذلك يتجلى له نور الحق تعالى، لأن جميع الأنوار المجردة تنتهي إلى نور الحق تعالى. وصورة أخرى من الوقوف القلبي وهي أن يتوجه السالك إلى قلبه ويلاحظ فيه أن نظر الله تعالى محيط به من جميع الجهات ويجعل ذاته محاطة بنظره تعالى ويستمر على تلك الملاحظة وبالإستمرار على تلك الملاحظة تصغر ذاته تحت نظره حتى لا يبقى لها بالتدريج أثر في الوجود فعند ذلك يظهر له سر قوله تعالى : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ ويكون فانيا عن وجوده الإمكاني ولا يشاهد فيه ولا في الأشياء كلها إلا وجود الحق تعالى فيكون واصلا إليه تعالى. ثم اعلم أنه لا سبيل إلى معرفة الروح بالنظر العقلي، وترتيب المقدمات الفكري لكون النظر العقلي وترتيب المقدمات الفكري يحوج السالك إلى استعمال القوى البدنية العاجزة عن إدراك الأنوار المجردة التي لا سبيل إلى معرفتها إلا الكشف الروحاني مع العناية الإلهية وذلك لا يحصل إلا بقطع النظر عن الحواس الظاهرة، وترك العمل بالقوى الباطنة وتجريد القلب عن الشواغل البدنية والتوجه إلى القلب على الدوام والتفكر في الأمور المجردة الروحانية، وبهذا الطريق ينكشف له كنه حقيقة روحه وتحصل له معرفة نفسه وتظهر له ماهية ذاته التي هي النورانية المحضة والصفائية الصرفة، لأن الروح الإنساني أمر من الأمور الإلهية. فلذا قال تعالى ﴿قل الروح من أمر ربي﴾.

(قال في عوارف المعارف) الحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره، وقد يكون الشيء بعينه حالا يصير مقاما مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول

بغلبة النفس، ثم تعود ثم تزول. ولا يزال العبد هكذا إلى أن تتدارك المعونة من الله وتقهر النفس وتنضبط المحاسبة فتصير وطنه ومستقره ومقامه، وهكذا سائر المقام والحال. ولهما عقبات سبعة لا يصل أحد إلى هذه المقامات إلا بقطعها وهي الصفات السبعة للنفس وهي الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة. وقطع عقباتها بالأذكار السبعة:

الأول [لا إله إلا الله] مائة ألف مرة، وهو للنفس الأمارة. سميت بهذا لأنها تأمر صاحبها بالسوء، ولون نورها أزرق.

الثاني [الله] مائة ألف مرة، وهو للنفس اللوامة. سميت بهذا لأنها تلوم صاحبها بعد وقوع المعصية، ولون نورها أصفر.

الثالث [هو] تسعون ألفاً، وهو للنفس الملهمة، سميت به لأنها تلهم صاحبها فعل الخيرات، ولون نورها أحمر.

الرابع [حي] سبعون ألف مرة، وهو للنفس المطمئنة، سميت به لأنها اطمأنت وسكنت من اضطرابها وسلمت للأقدار، ولون نورها أبيض.

الخامس [قيوم] تسعون ألف مرة، وهو للنفس الراضية، سميت بهذا لكونها رضيت من الله بكل حال، ولون نورها أخضر.

السادس [رحمن] خمسة وتسعون ألف مرة، وهو للنفس المرضية، سميت بهذا لكونها صارت مرضية عند الحق والخلق، ولون نورها أسود.

السابع [رحيم] مائة ألف مرة، وهو للنفس الكاملة، سميت بهذا لكونها كملت أوصافها وصارت رحيمة لجميع الخلق، فتحب للكافر الإيمان وللعاصي التوبة من العصيان وللطائع الثبات على طاعة الرحمن، وليس لها نور مخصوص، فنورها يتموج بين هذه الأنوار الست وعالمها الخيرات ومحلها الخفاء، لأنها رجعت بحسبه إلى حال العوام. وسبب ذلك أنها أمرت بالرجوع إلى الخلق لأجل تكميلهم.

ولا بد من حصول النسبة بين المرشد والمسترشد. قال الله تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ ومتى وصلت النفس إلى هذا المقام صارت ريحانة الله في أرضه محبوبة لله وللخلق وبدلت بشريتها ملكية وعبوديتها سيادة وعقلها حساً وغيبها شهادة وباطنها ظاهراً وانقطعت إلى العلي الأعلى وهو السعادة الكبرى، وهذه المراتب والأذكار عند جميع الطرق إلا عند النقشبندية والشاذلية فإن عندهما يذكر الله في القلب واللطائف ويذكر لا إله إلا الله كذلك وكثرة التوجهات والمراقبات وكثرة الرياضات والخلوات كما سيجيء.

❖ بيان حقيقة تصفية القلب بطريق الذكر ❖

(واعلم) أن حقيقة تصفية القلب بطريق الذكر إنما هي ذكر اسم الذات وذكر النفي والإثبات وكيفيته في الطريق المجددي أن يتلفظ الذاكر بلسان القلب لفظة [الله]، لأن القلب كله لسان وكله سمع وكله بصر إذا تجرد عن القيود وذلك التلفظ إنما يكون بحيث لا يحرك القلب الصنوبري لأن تلفظ القلب الحقيقي الروحاني لا يحرك القلب الصنوبري، فإذا عسر على الذاكر التلفظ الروحاني باسم الذات فليذكره بالقلب الصنوبري بطريق العدد، كذكره باللسان ففائدته مثل فائدة ذكر اللسان. فإذا تمكن الذاكر في الذكر بالقلب الصنوبري يترقى بعد ذلك إلى الذكر بالقلب الحقيقي. فالذكر الصنوبري يوصل إلى الذكر بالقلب الحقيقي، والذكر بالقلب الحقيقي يوصل إلى مرتبة المراقبة. فلذلك قيل: إن ذكر القلب هو المراقبة. وقد ورد في فضيلة هذا الذكر حديث بقوله عليه السلام: «الذكر الذي لا تطلع عليه الحفظة يزيد على الذكر الذي تطلع عليه الحفظة سبعين ضعفاً»، وفيه رواية أخرى.

❖ بيان التوبة النصوح ❖

(واعلم) أن التوبة النصوح هي البالغة، وقيل هي أن يتوب ولا يعود إلى ما تاب عنه أبداً. قال الله تعالى ﴿ توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾: (وقال) ﷺ: «من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات. فقال: "استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه" غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف»، أخرجه ابن السني. وقال: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»، أخرجه الطبراني. وقال: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعاً وعشرين مرة، كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض»، أخرجه الطبراني. وقال: «الإستغفار ممحاة الذنوب»، أخرجه الديلمي. ولها شروط ثلاثة: الندم على ما مضى من العمر في غير طاعة الله وفي الاصرار على الشهوة المانعة عن التقربيات إلى الله تعالى، والإقلاع عن المعاصي والغفلات في الحال، والعزم على أن لا يضيع عمره بأمثال تلك التبعات في الإستقبال مع الثبات على تلك النية. وهذه التوبة هي مفتاح كل خير وأساس كل مقام إذ بها تنفتح أبواب جميع الأحوال وتنكشف بها وجوه الأسرار وعليها تبنى جميع المقامات والكرامات.

(واعلم) أن التوبة فرض عين، فمن قال إنها ليست بفرض فقد كفر، فليس شيء من الأشياء أوجب على الخلق من التوبة ولا عقوبة أشد عليهم من نسيان التوبة، فلا بد من التوبة والإنابة.

قالوا: ليكن همتك ثلاثاً التوبة والتقوى والحذر، وقومها بثلاث الذكر والإستغفار

والصمت عبودية لله وحصن هذه الستة بأربعة الحب والرضا والزهد والتوكل.

قالوا: إذا فاتتك التقوى في الاستقامة فلا تفوتنك في التوبة والإنابة. وقال الشاذلي: ألق بنفسك على باب الرضا وانخلع عن عزائمك وإرادتك حتى تولي بتوبة. قال الله تعالى: ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾. وقال: قلت يوماً اللهم إني تبت إليك فأعني وأيدني وقوني وانصرني وثبتني واعصمني واسترني بين خلقك ولا تفضحني عند رسولك، فقيل لي إنك مشرك، قلت: كيف؟ فقيل لي: إنك خفت الفضيحة عند الخلق، وإنما تخاف أن يفضحك الله بين الناس ويكون قلبك متعلقا بالله لا بالناس، وتعلم أن أحداً منهم لا ينفعك ولا يضرك فما دام قلبك متعلقا بعلمك وقدرتك وجدك واجتهادك فلست براج حتى تيأس من الكل متعلقا بالرجاء في الله في كل نفس فتجد الروح والمدد من الله وإن لم تصل إلى حاجتك ويقطعك بذلك عن النظر إلى غيره ويضيق عليك. وقالوا: الاستغفار أحصن الحصون وحقيقته أن لا يكون لك مع غير الله قرار. قال الله تعالى: ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾.

وقال الشاذلي: همت بلقاء ملك من الملائكة فعارضني ذنبي، فكلما استغفرت وتبت ضعفت، فقيل لي: قل اللهم إني أسألك الصلابة في الدين والعمل باليقين وأعوذ بك من لقاء ذنبي فإن ذلك مما يضعف قلبي وأشهدني إياك بإشهادك فإنه أقوى لسري ولبي. اللهم استرني بمغفرتك وارحمني برحمتك واقدرني بقدرتك وأمددني بمشيئتك وعلمني علما يوافق علمك وهب لي حكما يصادف حكمك وأوجد لي لسان الصدق في عبادك، وكن لي سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا، واعصمني من الخطأ والذنب والطغيان والكذب في الأقوال والأحوال والأفعال والعقود والعهود والأوهام والبصائر والاختيار والخواطر والأفكار وخفي الهواجس والوساوس والهم والفكر والقدرة والإرادة والحركات والسكنات وفيما علمت يا عالم الخفيات أنت ربي وعلمك حسبي لا أجمل ولا أفضل ﴿ إن ربي غني كريم ﴾.

وإنما هي عبودية تجري على ما تشاء من الدعاء والسؤال والتفصيل والإجمال والأقوال والأفعال والعقود والأحوال وغير ذلك مما تكتسب وتعطي بلا كسب ولا سؤال، إن ربي بكل شيء عليم. وبالجملة فلا بد من التوبة والإنابة لمن أراد رضا الله ومحبته والاطلاع على علم الغيب ولا بد أيضا من ترك المعاصي كلها لأن الله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين. (وروى) أن موسى عليه السلام سأل الخضر بأي شيء أطلعك الله تعالى على علم الغيب؟ فقال: بترك المعاصي.

❖ بيان شروط التوبة ❖

(وشروط التوبة) عند أهل السنة والجماعة ثلاثة: الندم على ما سلف، والترك في الحال،

والعزم على أن لا يعود إلى مثل ذلك في المستقبل. وأما قوله عليه السلام: الندم توبة، فمعناه معظم أركانها أو معظم شروطها، كقوله عليه السلام: الحج عرفة. وقال البعض إنه يجري على ظاهره وإن الندم كل التوبة والركنان الباقيان يتبعانه في الوجود لا محالة إذا كان ندما صادقا.

وقال بعضهم: شروط التوبة ثمانية، الثلاثة المذكورة، والرابع: أداء مظالم الناس وحقوقهم، والخامس: قضاء ما فوّت من الواجبات. والسادس: إذابة كل لحم نبت من الحرام بالرياضة والمجاهدة. والسابع: إصلاح المأكول والمشروب والملبوس بجعلها من جهة الحلال. والثامن: تطهير القلب من الغل والغش والمكر والحسد وطول الأمل وغيرها.

❖ بيان معنى التوبة والإنابة ❖

(وأما التوبة في اللغة فهي الرجوع عن الذنب وكذلك التوب. قال الله تعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾. وقيل: التوب جمع التوبة، والتوبة في الشرع الرجوع عن الأقوال والأفعال المذمومة إلى المحمودة، وهي واجبة على الفور عند عامة العلماء. أما الوجوب فلقوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون﴾. وأما الفورية فلما في تأخيرها من الإصرار المحرم.

(وأما الإنابة فهي قريبة من التوبة لغة وشرعا والتوبة عند أهل الحقيقة الندم على ما مضى والدوام على ما صفا. وقيل: الندم على ما فات وإصلاح ما هو آت. وقيل: التوبة أن ترجع عن كل شيء سوى الله عز وجل وتقطع كل علاقة بينك وبين غيره. كما قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾. (وروي) أن رجلا جاء إلى النبي عليه السلام، فقال له: إني أتصدق بصدقة فألتمس بها وجه الله وأحب أن يقال لي خير. فنزلت هذه الآية.

وقال ذو النون: حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت وتضيق عليك نفسك وتظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، والظن هنا بمعنى اليقين، كما قال الله تعالى ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم﴾.

وسئل السري عن التوبة، فقال: أن تنسى ذنبك. وسئل عنها الجنيد، فقال: أن لا تنسى ذنبك وكلاهما صحيح لأن السري أراد توبة الخواص فإنهم لا يذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره، والجنيد أراد توبة العوام في ابتداء السلوك. وقيل: التوبة ثلاثة: توبة من الزلات وهي توبة العوام، وتوبة من الغفلات وهي توبة الخواص، وتوبة من رؤية الحسنات وهي توبة خواص الخواص. وقيل: من تاب خوفا من العقاب فهو صاحب توبة، ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب إنابـة، ومن تاب مراعاة للأمر لا خوفا ولا

طمعًا فهو صاحب أوبة. وقيل: التوبة صفة المؤمنين. قال الله تعالى: ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون ﴾. والإنابة صفة الأولياء والمقرّبين، قال الله تعالى ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾. والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين. قال الله تعالى في حق أيوب عليه السلام ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾.

وأظهر الأقوال أن التوبة على قسمين: توبة العوام وهي الرجوع عن المعاصي إلى الطاعات طمعًا في الثواب ولا خوفًا من العقاب، ولهذا كانت توبة العوام ذنبًا من ذنوب الخواص. كما قال عليه السلام: «حسنات الأبرار سيآت المقرّبين». ثم الخواص على قسمين: العارفون والمقرّبون. فالمقربون خواص الخواص، ونسبة العارفين إلى المقرّبين كنسبة المبتدئين في السلوك إلى العارفين.

ثم اعلم أن القسم الأول من قسمي التوبة هو منازل السالك من مقامات الطالبين وقد حث الله على التوبة بقوله: ﴿ إن الله يحب التوابين ﴾. (وروى) أن النبي عليه السلام قال: «إذا أحب الله عبدًا لم يضره ذنب»، ثم تلا هذه الآية، والمعنى إن الله إذا أحب العبد وفقه للتوبة فيتوب فلا يضره الذنب الذي صدر منه قبل التوبة وحث عليها النبي عليه السلام أيضًا. فقال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» وقال: «ما من شيء أحب إلى الله تعالى من شاب تائب».

❖ بيان حقيقة الإستقامة ❖

(وأما حقيقة الإستقامة) ففي اللغة ضد الاعوجاج وفي إصطلاح أهل الحقيقة هي الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم. والصراط المستقيم رعاية حد التوسط والعدل في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس والنكاح وكل أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصراط المستقيم في الدنيا كالصراط المستقيم في الآخرة ومن هدي إلى معرفة الصراط المستقيم في الدنيا كان سببًا لنجاته عند مروره عليه في الآخرة. والهداية إلى معرفته من أعظم نعم الله تعالى على العبد. قال الله تعالى ﴿ ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾. وقال في حق النبي ﷺ ﴿ ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾. وقيل: الإستقامة أن لا تختار لنفسك غير ما يختاره الله تعالى لك ولا تدبر لها أمرًا.

وقال الشبلي: هي أن تشهد الدنيا قيامة وقد مدح الله المستقيمين بقوله: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ الآية. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لم يشركوا بالله شيئًا. وقال عمر رضي الله عنه: لم يروغوا روغان الثعلب أي لعبه. فقول الصديق محمول على مراعاة أصول التوحيد، وقول عمر محمول على ترك طلب التأويل. وقيل: معناه استقاموا بأفعالهم كما استقاموا بأقوالهم. وقال النبي عليه السلام: «استقيموا ولا تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة».

وقال أبو علي الدقاق: الإستقامة لها ثلاثة مدارج: أولها التقويم وهو تأديب النفس، وثانيها: الإقامة وهي تهذيب القلوب، وثالثها الإستقامة وهي تقريب الرب.

(واعلم) أن الإستقامة درجة بها تمام الأمر وكماله وهي مقام لا يطيقه إلا الأكابر، يؤيده ما حكي عن بعض المشايخ أنه رأي النبي عليه السلام في المنام. فقال له: يا رسول الله روي عنك أنك قلت: شيبتني سورة هود، فما الذي شيبك فيها قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا، ولكن قوله تعالى ﴿فاستقم كما أمرت﴾.

وقيل إن الإستقامة توجب دوام الكرامة، وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿وأن لو إستقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾.

❖ بيان الغيبة ❖

(وأما الغيبة) فقال الله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾، وأوحي الله تعالى إلى موسى عليه السلام: من مات وهو تائب من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات وهو مصر عليها فهو أول من يدخل النار. وقيل: مثل الذين يغتابون الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمي به حسناته شرقا وغربا.

وقيل: يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها، فيقال: هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر. (وسئل الثوري) عن قوله عليه السلام: أن يبغض أهل البيت اللحميين فقال هم الذين يغتابون الناس ويأكلون لحومهم. وذكرت الغيبة عند عبد الله ابن المبارك، فقال: لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدي لأنهما أحق الناس بحسناتي. (وقيل) للحسن البصري: إن فلانا اغتابك فأرسل إليه طبق حلوى وقال: بلغني أنك أهديت إلى حسناتك فكافأتك بقدر الإمكان. وقال عليه السلام: من ألقي جلباب الحياء فلا غيبة له. وقال عليه السلام: ليس للفاسق غيبة.

وقال الجنيد: رأيت فقيرا عليه عباءة وهو يسأل، فقلت في نفسي: لو أن هذا عمل عملا يصون به وجهه كان أحب إليه، فلما انصرفت إلى بيتي وشرعت في وردي ثقل علي جميع أنواعه فنمت عنها، فرأيت ذلك الفقير وقد جيء به على خوان، وقيل لي: كل لحمه فقد اغتبته، فقلت: إنما قلت ذلك في نفسي، فقيل لي: مثلك لا يليق به ذلك فاستحله. فلما أصبحت ذهبت ولم أزل أطوف حتى وجدته في موضع يلتقط من كناسة البقالين في النهر عروقا من البقل فسلمت عليه، فقال لي: يا أبا القاسم تعود، فقلت: لا، فقال: غفر الله لنا ولك. وفيه أحاديث لا تحصى.

(وفي رسالة الخادمي) والشرط السابع الاجتناب عن الملكات الذميمة والصفات النفسانية

الرذيلة وفي شرحه أي الخبيثة في الشريعة والطريقة والحقيقة وهي العقائد الفاسدة وارتكاب المعاصي وترك التوبة والجهل بالفرائض والواجبات والسنن والبطالة عن العمل والعجب والكبر والحسد والعداوة وحب الرياسة والرياء والسمعة والمفاخرة والخيلاء والمباهاة والمكر والحيلة والخيانة والمداهنة والبخل والحرص والطمع والميل مع الهوى عند كل شهوة من المحرمات والمباحات وسماع الملاهي وشهود المناكر واللعن والقذف والسب والشتم والغيبة والنميمة والكذب والبهتان وشهادة الزور والسخرية والتحقير والغضب والسخط واللمز والهمز والغمز والبغض والمقاطعة والجدال والمراء والإمتحان والهلع والجزع والأشر والبطر والإستهزاء والعنف والبغي والظلم وحب الدنيا والإسراف والفرح والمرح والمزاح والتزين والمصانعة وحب الفتن وحب الفواحش والتسويف والتمني وطول الأمل وقلة الحياء والجبن وعدم الغيرة والغل والغش فهذه الصفات الذمائم كلها نجاسات معنوية لا يمكن التقرب بها إلى حضرة القدس الإلهية كما لا يمكن التقرب بالنجاسات الصورية في العبادات الإلهية، فلا بد للسالك أن يزكي نفسه من جميعها بالإجتناب عنها حتى ينال الفوز والفلاح عند الله كما قال تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾.

❖ بيان الصمت ❖

(وأما الصمت) فقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴾. وقال عليه السلام : « البلاء موكل بالمنطق ». وقال عليه السلام : « إن أكثر خطأ ابن آدم في لسانه ». وقال عليه السلام : « من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ». وقال عليه السلام : « ليس شيء من الجسد إلا وهو يشكو حدة اللسان ». وقال عليه السلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ». وقال : « رحم الله امرأ سكت فسلم، أو قال خيرا فغنم ». وقال : « من صمت نجا ». وقيل لرسول الله ﷺ ما النجاة ؟ فقال : احفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ».

وقال أهل الحقيقة : الصمت سلامة وهو الأصل والنطق عارض واختلف الناس في تفضيل أحدهما على الآخر، والأصح أن كل واحد منهما أفضل من الآخر في بعض المواضع لكن الموفق من يعرف موضع الصمت وموضع النطق.

وقال بشر الحافي : إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم. وقال لقمان لابنه : لو كان النطق فضة، لكان الصمت ذهبا، لقد ندمت على الكلام مرارا و لم أندم على السكوت مرة. وقال أبو علي الدقاق : من صمت عن الحق فهو شيطان أخرس.

(واعلمْ) أن الصمتَ على نوعين: صَمْتِ العوام، وهو إمساكُ اللسان كفاً عن الكذب والغيبة، وصمتِ الخواص، وهو إمساكُ اللسان لاستيلاء سلطان الهيبة وذلك الصَمْتُ هو من آداب الحضرة وينقسم الصمت على قسمين: صَمْت العوام وهو كفُّ اللسان وحده وصمت الخواص وهو كف اللسان والقلب. فالمتكل صُمت قلبه عن طلب الرزق، والراضي صمت قلبه عن حركة الإعتراض.

(وسُئل) أبو بكر الفرسي عن صمت القلب فقال ترك الفكر في الماضي والمستقبل. وقد يكون سبب الفكر الحيرة بسبب ورود كشفٍ بغتة فتخرس العبارة عند ذلك ويكل النطق هنالك فلا علم ولا حس ولا نطق ولا فهم وقد آثر أرباب المجاهدة السكوت لما رأوا في الكلام من الآفات وحظ النفس وإظهار صفة المدح وميل الإنسان بالطبع إلى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق.

(وروى) عن داود الطائي أن سبب توبته إنه كان يجالس أبا حنيفة ﷺ، فقال أبو حنيفة يوما: يا أبا سليمان، أما الأداة فقد أحكمناها أي العلم، فقال له داود: أيّ شيء بقي؟ قال: الصمت، قال داود: فنازعتني نفسي إلى العزلة، فقلت: لا أعتزل حتى أجالسهم سنة ولا أتكلم في مسئلة، فجالستهم سنة ولم يتكلم في مسئلة، قال: وكانت المسئلة تمر بي وأنا إلى الكلام فيها أشد شوقًا من العطشان إلى الماء ولا أتكلم.

(وكان) عمر بن عبد العزيز إذا كتب كتاباً وأعجب به مزقه وكتب غيره. قيل: إذا نطق العبد فيما يعنيه وفيما لا بد منه فهو صامت. وقيل: إن أبا بكر الصديق أمسك في فمه حجراً كذا وكذا سنة ليقل كلامه. وقيل عن حمزة البغدادي كان يحسن الكلام فهتف به هاتف تكلمت فأحسنت بقي أن تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك حتى مات وربما يقع السكوت على الإنسان تأديبا له، لأنه قد يكون أساء الأدب في شيء من كلامه فيكون في المجلس من هو أحق منه بالكلام أو يكون في المجلس من الإنس والجن من لا يكون أهلاً لاستماع ذلك الكلام فيصونه الله تعالى عنه باسكات ذلك الشخص.

وقال بعض الحكماء: إنما خلق للإنسان لسان واحد وعينان وأذنان ليبصر ويسمع أكثر مما يقول؟ وقيل: لسان الإنسان مثل السبع إن لم يحبسه عدا عليه. وقيل: العارف إذا سكت ملك والمحب إذا سكت هلك.

❁ بيان الحسد ❁

(واعلم) أن الحسد حرام مذموم، قال الله تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾، ختم السورة التي جعلها معوذة بالتعوذ من الحسد. (وقال) عليه السلام: «ثلاث هن أصل كل

خطيئةٍ فاتقوهن واحذروهن : الكبر فإنه منع إبليس عن السجود لآدم، والحرص فإنه حمل آدم على أكل الشجرة، والحسد فإنه حمل قابيل على قتل هابيل ». وقيل : الحسود لا يسود. وقيل : الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد. وقيل في قوله تعالى ﴿ إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ هو الحسد. وقيل : اتق الحسد فإنه يؤثر فيك قبل أن يؤثر في المحسود.

وقال الأصمعي : رأيتُ أعرابيا له مائة وعشرون سنة، فقلتُ : ما أطول عمرك ؟ قال : تركتُ الحسدَ فبقيتُ. وقيل : إذا أردتَ أن لم تسلم من الحسد فلَبّسْ عليه أمرك. وقيل : جميع الآفاتِ فيه.

❖ بيان الأمل ❖

(وأما الأمل) فهو الرجاء وتعلق القلب بالبقاء، فمن طال أمله اشتغل بالجمع والتحصيل وغفل عن الموت وتركه النسيان منسيا حتى يصير كمن أيقن أنه يبقى إلى أقصى أوقات الآجال. وقال عليه السلام : « يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل ». (وقال) عليه السلام : « إنّ أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، أما الهوى فيصد عن الحق. وأما طول الأمل فينسي الآخرة ». (وقال) : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمني على الله ».

(واعلم) أن قصر الأمل من أعظم السعادات ويطهر قلب الإنسان من كل شيء ويرفع الدرجات والأجر...

❖ بيان الأخلاق الحميدة ❖

(وأما تفصيل الأخلاق الحميدة) فمذكور في كتابنا جامع المتون في بحث الحرام والمجمع عليها قريبة من ألف كالحلم والعلم والتواضع والرأفة واللين والبشاشة والعذوبة في الصحبة والعفو والإحسان سيما لمن ظلمه والوصلة سيما لمن قطعه والرحمة سيما على الضعفاء وتوقير المشايخ والإخوان سيما للصلحاء والعقائد الصحيحة والتوبة والإعراض عن المعصية والندم على فعلها والحياء من الله والإنابة إليه والطاعة والصبر والورع والزهد والقناعة والرضا والشكر والثناء وصدق الحديث والوفاء وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ حق الجوارح وإطعام الطعام وبذل السلام وحسن الكلام والعمل وحب الآخرة وبغض الدنيا والجزع من الحساب وخفض الجناح وكف الأذى واحتمال البلاء ومراقبة الحق والإعراض عن الخلق وطمأنينة القلب وكسر النفس عن هواها وحجرها عن لذاتها وشهواتها والخوف والرجاء والجود والصفح والتجاوز والمودة والغيرة والمواساة والمداراة والإيثار والنصيحة والعفة

والإحتساب والتسليم والتوكل والشجاعة والهمة والفتوة والمروءة ومحبة الله وأنبيائه وأوليائه والمؤمنين كافة لله ورجاء الوصول إلى الله وخوف الفراق منه والتأدب والتعقل والتأمل والتأني ومحاسبة النفس والإنصاف وحسن الظن والمجاهدة وترك المراء والجدال وذكر الموت وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن ونفي الخواطر وترك السؤال ودوام الإفتقار والإلتجاء إلى الله تعالى والإخلاص في كل حال فلا بد للسالك أن يكابد ويجاهد نفسه حتى يتخلق بهذه الأخلاق الحميدة وإذا تخلق بهذه الأخلاق يتقرب بها إلى الله ورسوله وتحصل له سعادة الدارين.

قال عليه السلام: «ان أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً».
وقال: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق». وقال: «ان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة». الخلق في اللغة بضم اللام وسكونها الطبيعة، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو ما اختاره الله تعالى لنبيه في قوله ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾. وقيل مجموع الخصال الحميدة والصفات الشريفة مما يتضمن اقتراب كل خير واجتناب كل شر. وقيل: هو قضاء الحق وقبول ما يرد عليك من جفاء الخلق بلا قلق ولا اضطراب ولا ضجر. وقيل: هو استقلال ما منك واستكثار ما إليك. وقيل: هو احتمال المكروه بحسن المداراة. وقيل: هو كف الأذى واحتمال المؤن. وقيل: هو كف الأذى واحتماله من الجنس وغير الجنس. وقيل: الخلق أفضل مناقب العبودية، به تظهر جواهر الرجال والإنسان مشهور بخلقه.

وقد خص الله نبينا عليه السلام بما خصه من الصفات الشريفة. ثم لم يثن عليه بشيء من صفاته كما أثنى عليه بالخلق، فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. قيل: إنما وصفه بالخلق لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله. وقيل لأنه لم يكن له هم إلا الله. وقيل في قوله تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ إن الظاهرة تسوية الخلق، وهو قوله تعالى: ﴿فإذا سويته﴾ والباطنة تسوية الخلق وهو قوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾. وقال الحسن في قوله تعالى ﴿وثيابك فطهر﴾، أي خلقك فحسن. وقال النبي عليه السلام: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم». وقال عليه السلام: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن». وقال: «أفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً». وقال: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق». وقيل: كان ابن عمر إذا رأى أحدا من عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه وكانوا يحسنون وكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا بالله انخدعنا.

وقال ذو النون: أكثر الناس هما أسوؤهم خلقا. وقيل: الخلق السيء يضيق صاحبه لأنه

لا يدعه يسع غير مراده. وقيل: من علامة حسن الخلق أن لا يتأثر الإنسان ممن يقف في الصف بجنبه ولا ممن يجلس أعلى منه في المجلس. ومن علامة سوء الخلق وقوع البصر على سوء خلق الغير. وقال: المحاسن بثلاثة أشياء عزيزة أو معلومة حسن الخلق مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الخلق مع الأمانة.

وقال بعضهم: التصوف خلق فمن زاد فيه زاد في التصوف. وقال وهب: ما تخلق عبد بخلق أربعين صباحا إلا جعل الله ذلك طبيعة له. وقيل للأحنف: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم، كنت مجالسا عنده فجاءت جارية له بسفود عليه شواء حار فسقط من يدها على ابن له فمات فدهشت الجارية من ذلك، فقال: لا روعة عليك أنت حرة لوجه الله.

(وقيل لإبراهيم بن أدهم): هل فرحت في الدنيا؟ قال: مرتين مرة كنت قاعدا فجاء إنسان وبال علي، ومرة كنت قاعدا فجاء إنسان وصفعني. (وحكي) عنه أنه كان في بعض البراري فمر به جندي، فقال: أين العمارة فأشار إبراهيم إلى المقابر فضرب الجندي رأسه فكسره لظنه أنه استهزاء ثم تركه ومضى، فقيل له بعد ذلك إنه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان، فعاد إليه يعتذر، فقال إبراهيم: إنك لما ضربتني سألت الجنة لك، فقال له الجندي: ولم ذلك؟ قال: لأنك سقت إلي ثوابا بضربك لي، فما رضيت أن يكون نصيبي منك الخير ونصيبك مني الشر.

وقيل لحاتم الأصم: حسن الخلق أن يحتمل الرجل من كل أحد، فقال: نعم إلا من نفسه. وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي، فقال لها: وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة. وقال لقمان لابنه: ثلاثة لا تعرف إلا عند ثلاثة: الحلم عند الغضب، والشجاعة عند الحرب، والصدقة عند الحاجة. وكان لبعضهم غلام سوء، فقيل له: لم تمسكه ولا تبيعه، فقال: لأتعلم عليه الحلم.

(وحكي) أن رجلا دعا أبا عثمان الحيرى فلما وصل معه إلى باب الدار، قال: يا شيخ ارجع فإني قد ندمت على طلبك، فرجع الشيخ، فلما وصل باب داره، جاء ذلك الرجل وقال له: يا سيدي ارجع معي فقد ندمت على ردك، فرجع معه، فلما وصل باب داره رده. وهكذا رده وطلبه فرجع أربعا أو خمسا، حتى قال في الأخير: والله يا سيدي ما قصدت إلا اختبارك، فلله در خلقك ما أحسنه، فقال الشيخ: لا تمدحني بخلق يوجد في الكلب، فإنه إذا دعي أقبل وإذا طرد انصرف. (وقيل) إنه مر يوما في بعض المحال فألقي عليه رماد من بعض البيوت فغضب أصحابه وبسطوا ألسنتهم بالقول فقال لهم لا تغضبوا بالقول فإن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب.

(وروى) أنه نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة و لم يكن يعرفه و كان جعفر يبالغ في خدمته والفقير يقول له كل ساعة نعم الرجل أنت لو لم تكن يهوديا، وجعفر يقول له: عقيدتي لا تضرك فيما تحتاج إليه من خدمتي فسل الله لنفسك الشفاء ولي الهداية و لم يعرفه نفسه فعليك أيها المريد بترك حظوظ نفسك من كل شيء تتنازع فيه أبناء الدنيا التي هي من الجيفة بل الجيفة قد تسلم لبعض الكلاب عمن ينازعه فيها، بخلاف الدنيا فإنها لا تسلم لأحد عن المنازع فكم من نفوس فنيت في حبها وأديان ذهبت في طلبها فمن أبغضها وترك حظوظه منها سلم من غائلة الحسد والمنازعة التي هي أصل كل داء وبلاء وفساد ومكر وغم وهم وفتنة.

❖ بيان القرب ❖

(قال السيد الشريف) القرب القيام بالطاعة والقرب المصطلح هو قرب العبد من الله تعالى بكل ما يعطيه السعادة لا قرب الحق من العبد فإنه من حيث دلالة ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ قرب عام سواء كان العبد سعيدا أو شقيا وقد يثبته الحق سبحانه بالتزام أصل طريقة من طلب مطلوبا واحدا فتخطى كل ما يتأتى إليه من صور الأكوان وحقائق الكشف مفضيا عنه متوجها إلى ما هو فيه غير أنه لا يخرج عمن وقف حتى يبدو له ما هو مقصوده باعتبار وقته وهو في كل ذلك خائف من مقته وبالجملة فكل مورد له فيه تنزلات ومقامات كلها خارجة عن مقصوده وإن كانت مصحوبة يكشف له ذلك منها عند فراغ مدده المودع فيها حتى إذا انتهى لطور القلب خوطبت عوالمه اللطيفة بالأشياء على سبيل الفيض بنوع من الإلهام وهو أعلى أنواعه، فافهم.

❖ بيان حقيقة الصحبة ❖

(وأما حقيقة الصحبة) ففي اللغة بمعنى المعاشرة وعند أهل الحقيقة على ثلاثة أقسام: صحبة مع من فوقك وهي في الحقيقة خدمة، وصحبة مع من دونك وهي تقتضي رحمة من المتبوع وشفقة عليه وتوجب على التابع الوفاء والحرمة، وصحبة الأكفاء والنظراء وهي مبنية على الإيثار والفتوة، فمن صحب شيخا فوقه في المرتبة فأدبه ترك الاعتراض عليه ظاهرا وباطنا وحمل ما يبدو منه على وجه جميل، ومن صحب مثله فسبيله التعامي عن عيوبه وتأويل ما ينكر منه بأحسن التأويلات مهما أمكن فإن لم يجد له وجها عاد إلى نفسه بالتهمة واللوم.

وقال أبو أحمد القلانسي، وكان من مشايخ الجنيد: صحبت أقواما فأكرموني فقلت لبعضهم مرة أين إزاري فسقطت من أعينهم. والمعنى أن الصحبة إذا حصلت لم يبق بينهما شيء يختص به أحدهما حتى يضيفه إلى نفسه ولهذا قال إبراهيم بن شيبان: كنا لا نصحب من يقول نعلي. وقال رجل لسهل ابن عبد الله: أريد أن أصحبك، فقال: إذا مات أحدنا فمن لصحبة الباقي منا؟ فقال: الله تعالى، قال سهل: فلنصحبه الآن. ومثله ما روى أن رجلا

سُئل ذا النون عمن يصحب، فقال : اصحبْ مَن لا تكتمه شيئًا يعلمه الله منك. وفي رواية أخرى عنه اصحبْ مَن إذا مرضتَ عادك، وإذا ذهبتَ ناب عنك. وقال ذو النون : الصحبة مع الله بالموافقة ومع الخلق بالمناصحة ومع النفس بالمخالفة ومع الشيطان بالعداوة وكان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه إنسان شرط عليه ثلاثا أن تكون الخدمة والآذان على إبراهيم وأن لا يختص عليه بشيء من الدنيا. وقيل كل صاحب تقول له : قم، فيقول : أين، فليس بصاحب. وينشد :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعائهم ● لأية حزب أو لأي مكانِ

(واعلم) أن ركن الصحبة شيء واحد، وهو أن يقصد كل واحد منهما أن يكون الربح مع الآخر في كل حال ويتفرع من ذلك النصح والشفقة والإيثار والجود بالنفس والمال إلى غير ذلك ولما أثبت الله تعالى للصديق ﷺ حق الصحبة مع النبي عليه السلام بين النبي عليه السلام ذلك بقوله : لا تحزن إن الله معنا، في قوله تعالى ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾.

(وحكي) عن الرباطي قال : صحبتُ عبد الله المروي وكان من عادته أن يدخل البادية بلا زاد فلما صحبته خيرني أن أكون أميرا أو مأمورا، فاخترتُ أن أكون مأمورًا ثم دخلنا البادية بلا زاد فأخذنا المطر ليلة فوقف إلى الصباح على رأسي وعليه كساء يمنع به عني المطر، وكلما سألته أن يقعد قال لي : أنا الأمير وعليك الطاعة، فما زلت أقول طول ليلي ليتني لم أفوض إليه الإمارة ولم يزل يخدمني في تلك السفرة، ثم قال لي عند مفارقته : إذا صحبت أحدا فاصحبه كما رأيتني صحبتك.

(واعلم) أن الداعي للصحبة بين اثنين وجود الجنسية والنسبة فلا يصحب شخص شخصاً إلا لوجود نسبة بينهما أي حالة موجودة في كل منهما. قال الشاذلي رحمه الله : لا تصحبْ مَنْ يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه لا يلوم، واصحبْ مَنْ إذا ذكر ذكر الله فالله يَنوب عنه إذا فقد، ويغني به إذا شهد، ذكره نور القلب وشهوده مفتاح الغيوب، وليكن قصدك الله وحب الموت مع كل قدم، ولا تطول أملك، ولا تصحب من هو بغير هذا الوصف وإن صحبته فلا تعول عليه وارفضه بأول قدم وعامله بالمعروف مدة الصحبة. وقال الصحبة مع الله برفض الشهوات والمشيآت ولن يصل العبد إليه ويبقى معه شهوة ولا مشيئة.

● بيان الطريق الثاني عند النقشبندية ●

(وأما الطريق الثاني عند النقشبندية) فهي طريق النفي والإثبات. وتفصيلها على ما في المعتبرات أن مَن يستعد لتقدم الجذبة لكونه من أهل الجذبة والعشق فله الأول أي اسم الذات

لأنه غير محتاج إلى النفي والإثبات ومن يستعد لتقدم السلوك لكونه من أهل السلوك لتقيده وتعلقه بالسوى فله الثاني أي النفي والإثبات لا إلهَ إلا اللهُ بالقلب للتخلص وكيفيته أن يلصق الذاكر لسانه بسقف الحلق ويضع الأسنان كما في الأول ثم يحبس النفس بعد أخذه في الجوف أو تحت السرة ويبتدئ بكلمة [لا] بالتخيل من تحت السرة ويمدها حتى ينتهي بها إلى الدماغ في الرأس ويبتدئ بعدها بهمزة إله من الدماغ بالتخيل وينزل بها حتى ينتهي إلى كتفه الأيمن ويبتدئ بعدها بهمزة [إلا الله] بالتخيل من الكتف الأيمن ويمدها بالنزول على كرسي الصدر حتى ينتهي إلى القلب الصنوبري في الجانب الأيسر تحت عظام الجنب والضلع فيضرب الجلالة بقوة النفس المحبوس على سويداء القلب حتى يتأثر بحرارته جميع البدن بحيث تحترق جميع الأجزاء الفاسدة في البدن ويتنور ما في البدن من الأجزاء الصالحة بنور الجلالة فيحيط على مجال اللطائف كلها ويلاحظ معنى التهليل أي لا مقصودَ إلا اللهُ ومن كلمة النفي ينفي جميع وجود المحدثات عن النظر والإعتبار وينظرها نظر الفناء ومن كلمة الإثبات يثبت في قلبه ونظره ذات الحق تعالى وينظر وجود ذاتِ الحق نظر البقاءِ وفي آخرها عند الوقوف على عدد الوتر يقول محمد رسول الله ويأخذ من القلب إلى الجانب الأيمن ويريد به كمال الإتباع والمحبة له ﷺ ويطلق النفس عند الإحتياج إليه على الوتر، ويقول باللسان : اللهمَّ أنت مقصودي ورضاك مطلوبي. ومن خاصيةِ هذا الكلام تأكيد معنى التوحيد وحفظ القلب ودفع التفرقة عنه ويكون ذلك الذكر كله بحيث لا يظهر على ظاهره حركة في أعضائه ولا يشعر به من كان في قربه لأن الذكر الخفي كما في الخبر لا يطلع عليه الحفظة فضلاً عن الغير فإذا استراح يشرع في نفس وذكر جديد كما سبق لكن يراعي ما بين النفسين بأن لا يغفل بل يبقى على حاله لئلا يخل بالإستمرار.

(قال التستري) من انتقل من نفس إلى نفس آخر من غير ذكر فقد ضيع حاله فإذا وصل عدد الوتر إلى أحدٍ وعشرين تظهر النتيجة من الذهول عن وجودِ البشرية والإستهلاك في الجذبة الإلهية الذاتية وهما إنما يحصلان من انتفاءِ المنفي أي السوي واثبات المثبت أي الحق يعني في حال النفي ينفي عنك وجود البشرية والخواطر اللونية وفي حال الإثبات يظهر فيك أثر في تصرفات الجذبة الإلهية والأثر متفاوت بحسب الإستعداد، وهو ما أعطاه الله أرواح عباده قبل تعلقها بالأبدان من القرب الذاتي الأزلي فبعضهم أول ما يحصل له الغيبة عما سوى الله تعالى وبعضهم أول ما يحصل له السكر والحيرة والغيبة والمحو وبعد ذلك يتحقق له وجود العدم وهو انتفاء وجود البشرية وبعده يتشرف بالفناءِ بالإستهلاك في الجذبة الإلهية وإن لم تظهر له النتيجة عند ذلك العدد فإنما هو من القصور في الشرط وهو صدق الإرادة والرابطة

للشيخ والمتابعة لأمره والتسليم إليه في جميع الأمور وسلب الإختيار عند اختياره وطلب رضاه في كل حال فبرعاية هذه الشروط يتوارد الفيض الإلهي من باطن الشيخ إلى باطن المريد على طريق الفيض والإمداد فلا بد أن يراعي شروطه ليتطابق الفعل والقول على مضموم الذكر عملاً واعتقادا واتباعاً فإنه إن نفي المقصودية الغيرية في شيء من عمل واعتقاد واتباع ولم يوجد الاتباع لزم الكذب في قوله لا اله إلا الله، كما قال عليه السلام: «مَنْ قال لا اله إلا الله ولم يعمل بمقتضاها قال الله تعالى: كذبتَ يا عبدي لم تقول ما لا تفعل» فليستأنف المجاهدة بأنَ يبدأ الذكر من أول الأمر مع المجاهدة في مراعاة الشروط والآداب وتجديد العهد مع الشيخ فإنّ كلمة الإيمان أي "لا اله إلا الله" لابد للذاكر من تطبيقها مع جمع الروابط والتعلقات من جميع الأعمال والإعتقادات، فإنّ وجد مقصودية الغير وعدم التبعية لزم أن يكون صادقاً في ذكره لأن معناها لا مقصودَ إلا الله ومن جملة الإتباع طلب الحلال ومحبة الصديقين وليراع في جانب النفي نفيّ لوازم البشرية من حبّ الدنيا والهوى والشهوات وغيرها وفي جانب الإثبات إثبات أحدية الذات وفي ضمن دوام الحضور وكمال الإتباع معنى دوام العبودية والنسبة الجامعة للقرب والمعارف كلها..

❖ بيان سند المؤلف في أخذ الطريق ❖

(واعلم) أن الفقير البالغ فى التقصير قد تشرف بأخذ الطريقة النقشبندية قدس الله أسرار طائفتها على شيخ الوقت وأعلم زمانه وفريد دهره سيّد الأولـياء الحاج أحمد بن سليمان الطرابلسى قدس سره، وهو قد أخذ بعد تكميل العلوم والكمال عن معدن الأسرار والحقيقة قطب دائرة الإرشاد غوث الثقلين ورحلة الأبدال وأوتاد ذى الجناحين المستضيء من الكتاب والسنة بمصباحين السائر فى الله الخاشع المجاهد حضرة مولانا ضياء الدين محمد خالد النقشبندى قدس سره، وهو قد أخذ بعد تكميل العلوم وتمام المعقول والمنقول والفروع والأصول بشد الرحل وقطع مسافة نحو سنة إلى دار سلطنة الهند بلدة دهلى المعروفة بجهان أباد عمّن هو فيها قطب الأولياء جامع الكمال الصورى والمعنوى الشيخ عبد الله شاه الدهلوى قدس سره، عن المعلى المزكى المصفى المطهر شمش الدين حبيب الله جان جانان المظهر قدس سره، عن المشرف بالتجلى الذاتى والصفاتى والشونى السيد نور الدين محمد البدونى قدس سره، عن المستغرق فى لجة بحر حق اليقين سلطان الأولياء الشيخ سيف الدين قدس سره، عن شيخه ووالده مظهر النور أمين السر المكتوم شيخ المشايخ العروة الوثقى محمد المعصوم قدس سره، عن شيخه ووالده مظهر العجائب ومنبع الأسرار والمعانى الشيخ أحمد الفاروقى السرهندى، المعروف بالإمام الربانى مجدد الألف الثانى قدس سره، عن القطب الذى لصهباء الحب الذاتى هو الساقى مؤيد

الدين الرضى الشيخ محمد الباقى قدس سره، عن المولى الكريم السنى مولانا خواجكى السمرقندى الأمكنى قدس سره، عن شيخه ووالده المكرم الممجد شيخ المشايخ مولانا الدرويش محمد قدس سره، عن شيخه وخاله الراكع الساجد شيخ المشايخ مولانا محمد الزاهد قدس سره، عن مروج الدين ومقوى المشرب النقشبندى قطب الأولياء المعروف بخواجه احرار الشيخ عبيد الله السمرقندى قدس سره، عن المورود لتوارد عنايات البارى مولانا يعقوب الجرخى الحصارى قدس سره عن مفتاح خزائن الاسرار قطب الأقطاب الشيخ محمد البخارى المعروف بعلاء الدين العطار قدس سره، عن إمام الطريقة وغوث الخليقة ذى الفيض الجارى والنور السارى المعروف بشاه نقشبند بهاء الدين محمد البخارى الأويسى قدس سره وعم بره، عن منبع المعارف والكمال رئيس السادات السيد أمير كلال قدس سره، عن المقبل على الله ولما سواه ناسى قطب الأتقياء الشيخ باب الشماسى قدس سره، عن الواله فى محبة مولاه الغنى المعروف بحضرة عزيزان على الرامتنى قدس سره، عن المعرض عن المراد الدنيوى والأخروى شيخ المشايخ الشيخ محمود الانجيرفغنوى قدس سره، عن المتسلق عن الحجاب البشرى قطب الأصفياء الشيخ العارف الريوكرى قدس سره، عن القطب الربانى غوث الخلائق عبد الخالق الفجدوانى قدس سره، عن الغوث الصمدانى الشيخ يوسف الهمدانى قدس سره، عن النشوان من رحيق الحب السرمدى قطب الواصلين على الفارمدى قدس سره، عن المحبوب السبحانى غوث السالكين أبى الحسن الخرقانى قدس سره، عن المؤيد بالتأييد الإلهى صاحب الفيض الإلهامى سلطان العارفين أبى يزيد البسطامى قدس سره، عن إمام الائمة الذى هو بالحق ناطق الإمام جعفر الصادق ، عن والد أمه أحد الفقهاء السبعة الإمام الهمام المؤيد بالتوفيق قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، عن الصحابى الغريب المعدود من آل بيت الرسول سلمان الفارسى المكرم المقبول ، عن أفضل الأئمة على التحقيق خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه فى الغار ومعينه الدائم ووزيره المكرم أبى بكر الصديق ، عن منبع الصدق والصفا أفضل الخلائق محمد المصطفى ﷺ، وتسمى هذه سلسلة الذهب.

(واعلم) أن النقشبندى قد أخذ أيضا عن روحانية الفجدوانى إلى آخر النسبة والفارمدى أيضا، عن الشيخ أبى القاسم الكركانى، عن الشيخ أبى عثمان الغربى، عن الشيخ أبى على الكاتب، عن الشيخ أبى على الروذبارى، عن الشيخ أبى القاسم الجنيد البغدادى، عن سرى السقطى، عن معروف الكرخى، عن الإمام على الرضى، عن والده الامام موسى الكاظم، عن والده الامام جعفر الصادق، عن والده الامام محمد البـاقر، عن والده الامام على زين العابدين، عن والده الامام الحسين ، عن والده أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله

وجهه عن سيد المرسلين محمد ﷺ. والكرخي أيضا عن داود الطائي، عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري، عن علي بن أبي طالب، عن سيد الكونين، وعلي أيضا عن الصديق الأعظم عن النبي عليه السلام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كما ذكره محمد بارسا في قدسيه.

(وقال) العارف عبد الوهاب الشعراني في المدارج : اعلم أيها الطالب المريد أن من لم يعلم أباه وأجداده في الطريق فهو أعمى وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله ﷺ : « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه ». وقال سيدي عمر بن الفارض :

نسب أقرب في شرع الهوى ۞ بيننا من نسب من أبوى

وذلك لان الروح الصق بك من حقيقتك فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده فكان بذلك أحق أن تنتسب إليه دون أبي الجسم. وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين في آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط في الطـــريق لا أب له. ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ثم يؤذن له صريحا بأن يرشد ويلقن ويلبس الخرقة على شروط ما كان عليه السلف رضي الله عنهم ثم بعد كلام يسير قال فيه أيضا : اعلم يا أخي أن السر في التلقين إنما هو لإرتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل. وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرك السلسلة تجاوبه أرواح الاولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل فمن لم يدخل في طريقهم بذلك فهو غير معدود منهم ولا يجيبه أحد إذا حرك السلسلة.

(واعلم) أن شيخنا قدس سره مأذون ومخلف بالخلافة التامة المطلقة من قبل شيخه المأذون كذلك وهكذا إلى مجمع الطرائق وأفضل الخلائق قطب العالم سيدنا محمد ﷺ بقية الطرق الأربعة القادرية والسهروردية والكبروية والجشتية، وزاد شيخنا أربعين طريقة كما عرفت في أول الكتاب ولولا خوف الإطالة لذكرنا سلاسلها مفصلة كاملة، فتتبع.

❖ بيان كلمة التوحيد ❖

(واعلم) أن كلمة التوحيد إنما هي اسم واحد تنزلت في مراتب الوجود الإمكاني نفيا وإثباتا ليمسح بالنفي غبار وجود البشرية الإمكاني عن وجه أحدية الذات الإلهية، ويظهر بالاثبات أنوار وجود الأحدية في الكائنات. فلذلك لا بد لمن ذكر كلمة التوحيد أن يلاحظ في طرف النفي نفي وجود البشرية. وفي طرف الاثبات إظهار أنوار وجود الذات الأحدية وفي ضمن دوام الحضور وكمال الاثبات يحصل معنى دوام العبودية على طريق الاستهلاك.

(واعلم) أن دوام العبودية على طريق الاستهلاك مشاهدة أنوار وجود أحدية الذات الإلهية

على الدوام مع أداء حق العبودية على ما اقتضاه الوقت. وتلك العبودية الدائمة إنما تحصل إذا ذكرت كلمة التوحيد بنفي لوازم البشرية وإثبات أحدية الذات الالهية فإذا ذكرت كلمة التوحيد بهذا الشرط غسلت بماء الفيض الإلهي عن الطبيعة البشرية جميع المخالفات وكنست بنفحات العناية عن القلب غبار التعلقات وأزيلت عن النفس بأنوار الهداية ظلمة الضلالة وحققت الظاهر والباطن بحقيقة الاخلاص. فعند حصول هذه الخصائص في الذاكر من ذكر كلمة التوحيد يستهلك في نظره الوجود الامكاني ويظهر له الوجود الحقاني في جميع الكائنات فيصير ذلك الذاكر عبدًا للحق لا عبدًا للشيطان ولا للنفس والهوى ويكون في العبودية على الدوام وفي جميع الاحكام ويستهلك في أنوار الاحدية من حيث الذات والصفات ويميز مرتبة العبودية عن مرتبة الربوبية في كل مقام ويعطي لكل حقها على حسب ما يقتضيه الوقت والآن. ومعنى دوام العبودية فيه ظهور النسبة والمعرفة اليقينية بين الربوبية والعبودية الجامع للقرب والوصل والمعارف كلها كما قيل من عرف الله عرف كل شيء ولا يخفى عليه شيء.

قال الشبلي قدس سره عند ما سئل بفتح طريق الافادة أي إفادة العلوم الشرعية حتى ينتفع بها أصحاب الافادة من الطالبين: والذي نفسي بيده لحضور قلبي وشهوده في استغراق نور ذاته خير من علوم الأولين والآخرين يعني علوم شرائع الانبياء الأولين والآخرين وهذا المعنى أي الحضور والشهود في استغراق نور الرب زبدة كلام الانبياء والمرسلين فهو المقصد الاقصى والمسند الأعلى والمقام الأسنى والحالة الحسنى الموجبة للزيادة في الدنيا والأخرى فهو الهداية العظمى واللطيفة الكبرى والسعادة العليا فكان قاب قوسين أو أدنى.

❖ بيان حقيقة التوحيد ❖

(وأما حقيقة التوحيد) فالتوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد أو العلم بأنه واحد يقال منه وحدته أي وصفته بالوحدانية كما يقال شجعته أي وصفته بالشجاعة وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو تجريد الذات الالهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الاوهام والاذهان ومعنى كون الله تعالى واحدًا نفي الانقسام في ذاته ونفي الشبه والشرك في ذاته وصفاته.

(وقال الجنيد) إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد انتهت إلى الحيرة. وقال أيضا: التوحيد معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرس العلوم ويبقى الله تعالى كما لم يزل. وقال: أفضل كلمة قيلت في التوحيد كلمة أبي بكر الصديق ﷺ: سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته. وقال القشيري: ليس مراد الصديق أنه لا يعرف بل يعرفه العبد لا بمعرفة من العبد كالمقعد كرها القعود موجود فيه وليس بفعل له كذلك العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه لأنها ضرورية له في الانتهاء. وقيل: التوحيد إسقاط الياآت ومعناه أن

لا تقول لى وبى ومنى.

وقال الشبلى : ما شمّ روائح التوحيد من تصوّر عنده. وقيل لأبى بكر التلمسانى : ما التوحيد؟ فقال : توحيد وموحِّد وموحَّد هذا تثليث أم توحيد. وقيل : من وقع فى بحار التوحيد لا يزداد على مرور الايام إلاّ عطشا. وقال الحصرى : أصولنا فى التوحيد خمسة أشياء رفع الحدث وإفراد القدم وهجر الأخوان ومفارقة الاوطان ونسيان ما علم.

(وللتوحيد) عبارة ومعنى فعبارته كلمة الاخلاص ومعناه الاخلاص فيها وهو التجرد عن الكونين وعن أوصاف البشرية عند ذكرها وذلك هو المراد بقوله عليه السلام لا إله إلا الله مفتاح الجنة وقد ورد ذلك مقيدًا فى قوله ﷺ « من قال لا إله إلا الله خالصا مخلصا دخل الجنة ». وقوله ﷺ فى كلمتى الشهادة "خفيفتان على اللسان" إشارة إلى لفظهما، وقوله "ثقيلتان فى الميزان" يعنى إذا قارن لفظهما الاخلاص. وقيل لصوفى: أين الله؟ فقال : أعماك الله، تطلب الأين مع العين، ليس فى الوجود غير الله، الوجود لسائر الموجودات مجاز ولله حقيقة.

❖ بيان فوائد كلمة التهليل ❖

(وأما فوائد كلمة التهليل) فمن واظب على ذكرها على الوجه الذى ذكرنا يحصل له بها فوائد كثيرة ومنافع عظيمة. فمنها ما يرجع إلى محاسن الاخلاص، ومنها ما يرجع إلى الكرامات. أما الأولى فمنها اتصافه بالزهد، ونعنى به خلو الباطن من الميل إلى كل فان. ومنها فراغ القلب من الثقة بزائل فان كانت اليد معمورة بمتاع حلال فعلى سبيل العارية المحضة وتصرفه فيه بالاذن الشرعى، يتصرف بوكالة خاصة ينتظر العزل عن ذلك التصرف بالموت أو بغيره مع كل نفس. ومنها نهى النفس عن التعلق بما لا بد من زواله ومنها التوكل وهو ثقة القلب بالوكيل الحق بحيث يسكن عن الاضطراب عند تعذر الأسباب ثقة بمسبب الإسباب ولا يقدح فى توكله تلبسه ظاهرة بالأسباب لأن وجوده وعدمه عنده سيان. ومنها الحياء من الله وعظمته بدوام ذكره والتزام امتثال أمره ونهيه والامساك عن الشكوى من الله والشفقة على العجزة والفقراء والمساكين. ومنها الغنى وهو غنى القلب بسلامته من فتن الأسباب فلا يعترض على الاحكام بلا ولا بلعل لعلمه أن ما صدر منه تعالى الخلق المقدر والتدبير كذلك. ومنها الفقر وهو نقض تعلق القلب من الدنيا حرصا واكتارا لقطعه بان حاجته ليست عند شىء منها وسكوت اللسان عنها بالكلية مدحا وذما. ومنها الايثار لغيره على نفسه إلا ما لا بد منه على حكم الشرع ومنها الفتوة وهو التحاقق عن مطالبة الخلق بالاحسان إليه ولو احسن إليهم لعلمه بان احسانه اليهم وإساءتهم له، كل ذلك مخلوق لله تعالى. قال الله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾، فلم ير لنفسه إحسانا حتى يطلب عليه جزاء و لم ير لهم إساءة

حتى يذمهم عليها اللهم إلا أن الشرع أمر بذمهم. ومنها الشكر وهو انفراد القلب بالثناء على الله ورؤية النعم فى طي النقم والفوائد كثيرة فمن أراد فليجتهد فى ذكرها وآدابها حتى يعرفها بالذوق. وأما الثانية فمنها وضع البركة فى الطعام ونحوه حتى يكثر القليل ويكفى اليسير. وهذا مشاهد لأولياء الله كثيرا ومنها تيسير دنانير ودراهم أو كليهما أو غير ذلك مما تدعو إليه الحاجة. وبعضهم لا ينتصب على سجادته لذكر وصلاة فى خلوته إلا وخلق الله على سجادته وتحتها دراهم. ومنها أن تكشف له حقيقة ما يريد استعماله من الطعـــام فيعرف حلاله وحرامه بأمارة من باطنه أو ظاهره وكرامات هذا الباب كثيرة إلا أن المؤمن ينبغى له أن لا يقصدها بشيء من طاعته وإلا دخل عليه الشرك الخفى ومكر به والعياذ بالله إذ هذه من جملة ما يجب أن يصفى منها القلب عند ذكر كلمة التوحيد فليقطع التفاته إليها بالكلية، وليكن قصده رضا مولاه الذى لا خلف له منه ولا غنى لمخلوق عنه فيكشف له الحجاب عن عين قلبه حتى يتنزه فى ذلك الجمال العديم المثال ويتوجه مولاه عز وجل بعجائب واسرار لا يمكن أن يعبر عنها المقال والواردات والسنوحات بلا قرار.

قال الشاذلى: التوحيد سر الله والصدق سيف الله ومدد السيف بسم الله وترجمته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقال: كان لى صاحب وكان كثيرا ما يأتينى بالتوحيد فرأيتنى فى المنام أقول له: يا عبد الله إذا أردت التوحيد الذى لا لوم فية فليكن الفرق فى لسانك موجودا والجمع فى سرك مشهودًا. وقال: أبواب الحق أربعـــة: التوحيد والمحبة والايمان والرضا. وقال رأيتنى فى المنام يقال لى من تعلق بأسماء الله من جهة المسميات فالشرك موطئه فكيف بمن تعلق بأسماء نفسه أين أنت من التوحيد الحق المجرد عن التعلق بالله وبالخلق وكل اسم يستدعى به نعمة أو يستكفى به نقمة فهو حجاب عن التوحيد بالذات وعن التوحيد بالصفات ومن حاطت به صفة من صفاته الجمته عن الاستعانة بالاسماء والصفات فلا تدع ما هو لك لما ليس لك ولا تتمن ما فضل الله به غيرك، ولتكن عبوديتك التسليم والقبول لما يأتى وحسن الظن بالله فيما تلقى والاشتغال بما هو أولى ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وهذه المخاطبات لأهل المراتب والمقامات والدرجات والأحوال. وأما أهل السعادات والفضائل والتكسب بالحركات والأقوال فهم عن ذلك معزولون وإلى حدودهم يرجعون ومن الاجور لا يبخسون. هذا أن سلموا من لقلقة الكلام وأخذ الرشا على الصلاة والصيام والتنعم بمصالح تلك الأبصار عند إطراق الرؤس والاشتغال بالأذكار فإن جناياتهم بالاضافات ورؤية الطاعة أكثر من جناياتهم بالمعاصى وكثرة المخالفات، وحسبهم ما يبدو لهم من الطاعات وإجابة الدعوة والمسارعة إلى الخيرات. وقال: من اتقى الشرك فى

التوحيد والمحبة في أوائل خطراته عجل الله له بالمدد العزيز في أواخر ما من به ثم لا يحجب عن الله ولا يدخل عليه الخلل في عزائمه، ومن أبطأ عنه الأمر في نفس الخطرات وأخذ في الميل إلى أشخاص الشهوات أبطأ عنه المدد على مقدار أوقات الفترات، هذا من الله لأهل التيقظ من الغفلات.

(قال) الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ فاتق الله في الشرك في التوحيد واجتمع ولا تتفرق بنقص ولا مزيد، وإياك والشرك في المحبة بالميل إلى الشهوة أي شهوة كانت ومن كان عند الله خائفا وجلا مشفقا من الله في نعمائه كان في امن من الله فيما يرد عليه من عظيم بلائه؟ ودليله قوله عليه السلام: من كان لله في الرخاء كان الله له في الشدة الحديث. وقال: يا أيها الناس اتجروا كي تربحوا، واحذروا إن تتجروا فتخسروا وتقبحوا. والتاجر من يعبد الله بحقائق التوحيد والايمان والرابح من ربح نفسه فخلصها من الشرك والكفر ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ لأهل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وأزواجه ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. والخاسر من أشرك بالله في توحيده ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، أو من أشرك بعبادة ربه شيئا أو واحداً من خلقه ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

(واعلم) أنك متى تخلقت بهذه الاخلاق الجميلة التي سبق ذكرها، فيجب عليك أن تخلص من الاخلاق الرذيلة والصفات النفسية الذميمة التي سبق ذكرها أيضا والعقائد الفاسدة الوخيمة ونحوها من خصال المفسدين ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ مع العزلة عن جميع المخلوقين فإنها تصحح القصد على الطلب وتجمع القلب على بلوغ الأرب وتقوي التوجه إلى حضرة الحق وتورث اليأس من الخلق وتسلم من آفات الدنيا والأشرار وتخلص قلبك من هجوم الخواطر والأغيار. فإن الخواطر تورث الهموم والأوهام وتنفي الحكمة عن القلب والإلهام وتجعل العيش في نكد. فقد قال أكمل المرشدين: إن الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلبا فيه هم غد، ومتى انتفى عنك هذا الهم صرت أشفق على مخلوقات الله من الأب والأم وانفتح لك باب معرفة علم اليقين وهو بتعريف الانبياء والمرسلين عليهم السلام وتلك معرفة الله وصفاته واسمائه بواسطة التعريف والتعليم من وراء حجب الفاظ فلا تفيد تلك المعرفة شهودا في القلب السقيم.

❖ بيان معرفة عين اليقين وحق اليقين ❖

(وأما معرفة عين اليقين) فهي المعرفة الحاصلة من الآيات بالنظر فى الآفاق والجهات المفهومة من قوله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والارض﴾ أى من بديع المصنوعات وعجائب المخلوقات، كرفع السماء بلا عمد وجبال وبسط الارض ونصب الجبال ودوران الشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار وخلق الدواب والاشجار وهذه المعرفة استدلالية وراء حجب المحسوسات فلا تفيد شهودا فى المغيبات.

(وأما معرفة حق اليقين) فهي انما تعرف بمعرفة النفس ومعرفتها انما تحصل بالاشراق النورانى الكاشف للبس. وذلك الإشراق لا يحصل إلا بتصفية الروح وتزكية النفس بالمجاهدات قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾. وذلك بتلطيف السر بالاذكار الموصلة لحضرة الملك الغفار لتستعد الروح بتلك المجاهدات والاذكار لنزول البارقات الالهية وظهور خطرات الانوار فبذلك تزول الشكوك من الصدور وتنزل السكينة والطمأنينة بتجلى العزيز الغفور لقول علام الغيوب ﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾، فمعرفة سياسة النفس أدى إلى معرفة الرب والوصول إلى حضرة القدس.

قال من طهر الله قلبه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» أى بأن تعرف النفس نفسها بذلها وعجزها، فتعرف ربها باتصافه بكل كمال وبقدرته على جميع الأفعال بها وبغيرها، وتلاحظ صفاءها الأول الحسى وعاملها الروحانى القدسى فتميل إلى مقامها الدانى بترك كل فانى، حتى تتجرد عن الأوصاف الخسيسة الجسمانية وتتصف بأوصافها الحميدة الروحانية.

وحجاب النفس عن كمالاتها العلمية إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية والقوى العنصرية فحينئذ لا بد لمن أراد أن يعرف نفسه ويشاهد أنوار ربه أن يجرد نفسه عن التعلق بالقوى البدنية والتقيد بالحواس الجسمانية، بأن يلطف نفسه بالعبادات ويخفف جسمه بالرياضات ويلازم الورع فى جميع أفعاله لقوله عليه السلام: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار وأجريتم من أعينكم الدموع مثل الأنهار. فما ينفعكم ذلك إلا بالورع» وهو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع فى المحرمات فقليل من الورع يجزى عن كثير من العمل.

قال عبد القادر الجيلى: عليكم بالورع والذكر إن أردتم أن تطوى لكم مقامات الطريق بسرعة وعليكم بالتواضع إن أردتم أن يرفعكم الله.

❖ بيان المقام ❖

(وأما المقام) بفتح الميم فهو ما يتحقق العبد بمنازله من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف

ويتحقق به بضرب تطلب أو مقاساة تكلف فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك وما هو مستعمل بالرياضة له وشرطه أن لا يرتقي منه إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام. فان من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم ومن لا توبة له لا تصح له الانابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد. وقيل: المقام هو حالة إقامة وظائف العبودية بكسب واختيار.

(واعلم) أنه لا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الله إياه في ذلك المقام ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة.

❖ بيان الحال ❖

(وأما الحال) فهي عندهم معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو شوق أو انزعاج أو هيبة. فالأحوال مواهب والمقامات والمكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود، فصاحب المقام ممكن في مقامه وصاحب الحال مرقى عن حاله.

وقال المشايخ: الأحوال كالبروق فإن بقيت فحديث نفس. وقالوا أيضا: الحال كاسمها يعنون أنها تحل في القلب ثم تحول، وأنشدوا في ذلك شعرا:

لو لم تحل ما سميت حالا ◎ وكل ما حال فقد زالا
انظر إلى الفيء إذا ما انتهى ◎ يأخذ في النقص إذا طالا

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها، وقالوا: إذا لم تبق ولم تدم فهي لوائح وبوادر، وإذا دامت كانت أحوالا. وهذا صحيح ويؤيده ما روى عن أبي عثمان الحيرى أنه قال: منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حالة فكرهتها. أشار بذلك إلى دوام الرضا والرضا من جملة الأحوال. فالأحوال وإن دامت لكن صاحبها أبدا يكون في الترقي من حالة الى حالة أعلى منها فالدوام باعتبار جنس الأحوال والزوال باعتبار عين الحال. وبذلك فسر أبو على قوله عليه السلام: «أنه ليغان على قلبي فأستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة»، لأنه عليه السلام كان في الترقي من أحواله، فإذا ارتقى من حالة إلى أعلى منها رأى في الأولى نقصا بالنسبة إلى الثانية، فاستغفر الله وهلم جرا. وعلى هذا المعنى يحمل قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(واعلم) أن قطع المقامات الثلاث في أثناء السلوك في الطريقة العلية النقشبندية أن يتوجه السالك إلى أهل السلسلة واحدا بعد واحد إلى حضرة الصديق الأعظم إلى حضرة المصطفى ﷺ إلى حضرة جبريل الأمين والمعين إلى مشاهدة الذات المنزه عن الشبيه والمثيل ويشتغل بذلك

حتى تتحرك السلسلة كلها بالتوجه اليه ثم يفنى عن ذلك التحرك والتوجه بمشاهدة الذات العلية فاذا قوى الحال وحصل له الفناء عما سوى المولى ووقع فى التوجه المحض وذهل عن وجود عالم الملك وعن وجود نفسه فهو المقام الثانى فاذا قوى هذا الحال ودخل فى البقاء فهو المقام الثالث وهو نتيجة الفناء فانه متى تم الفناء حصل البقاء بالقرب المعنوى من الملك المجيد إذ هو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ويعبر عن هذه المقامات الثلاثة بعبارات أخر وهى العلم الربانى والفتح الصمدانى والتجلى الإحسانى.

❖ بيان العلم الربانى ❖

(أما العلم الربانى) فهو علمك بأن الله تعالى معك أينما كنت، لقوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ﴾. ونظير ذلك فى الآيات والأحاديث كثير، وهو محل مزالق الأقدام لكن يلزم للمناسبة أن أتكلم فى هذا المقام، فأقول :

(اعلم) أن مدلول الإسم الكريم إنما هو الذات اللازمة لها الصفات المقتضية لتعلقها بجميع الممكنات وليست كمعية المتحيزين لعدم مماثلته تعالى لمـا سواه من المخلوقات المتحققة بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول فى الجهـة لا بد فيه من الإثنينية الزمانيـة والمكانية بل على ما يليق بشأنه لما له تعالى عن الشبيه والنظير : ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾.

(وأما المقام الثانى) وهو الفتح الصمدانى فهو غيبتك عن كل فانى لقول سيد الأكوان كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان وقول الملك الرحمن : ﴿ كل من عليها فان ﴾.

(وأما المقام الثالث) وهو التجلى الإحسانى فهو القرب من حضرة الحق والتدانى لقول الملك الحميد : ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾. ويعبر عن هذه المقامات أيضا بعبارات أخر :

الاول : الحضور مع الله بمشاهدة مصنوعاته.

الثانى : الحضور فى مقام مشاهدة صفاته.

الثالث : الحضور مع عدم شهود شىء من مخلوقاته، ويعبر عنها أيضا بالمعية والأحدية والأقربية فالمحمدى الكامل لا يستقر فى حضرة واحدة بل ينتقل إلى الحضرات الثلاث وليس له مقام مخصوص.

(ثم اعلم) أن القلب كما يتصف بالمراقبة والمشاهدة ونحوهما يتصف بالختم والقفل والران والربط لقوله تعالى: ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾، وقوله : ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾، وقوله :

﴿ كلا بل ران على قلوبهم ﴾، وقوله : ﴿ لولا أن ربطنا على قلبها ﴾. فالختم على القلوب حتى لا تسمع قول الحق من صفة قلوب المنافقين، والقفل عليها حتى تعرض عن الدين المتين من صفة قلوب الكافرين، والربط عليها من صفة قلوب العارفين، وتغطيتها بالران من صفة قلوب المسلمين العاصين. فإنه كلما أذنب ذنبا نزلت نقطة سوداء على القلب فتغطى مقدارها من نوره إلى أن تعمه الظلمات فلا يبقى إلا نور الإيمان كامنا فحينئذ يقع في المعاصي ولا يبالي معها أصلا فإذا أراد الله تعالى هدايته ألهمه التوبة فهي ملاك كل أمر لأنها تجب ما قبلها كما: أن الاسلام يجب ما قبله ولها ثلاثة شروط :

الاول : العزم على أن لا يعود إلى قبيح الأفعال.

الثاني : الندم على ما فات من مخالفة الملك المتعال.

الثالث : القيام في الحال على أحسن الأحوال، فإن أخل بشيء منها ففعله بطال، وهي على ثلاثة أقسام؛ أولها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة. فمن تاب خوف العقوبة فهو صاحب التوبة، ومن تاب رجاء المثوبة فهو صاحب الإنابة، ومن تاب حفظا وقياما بالعبودية لا رغبة في الثواب ولا خوفا من العقاب فهو صاحب الأوبة.

فالتوبة صفة المؤمنين العاصين، والإنابة صفة الأولياء المقربين، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين. قال الله تعالى: ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾، وقال : ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾، وقال: ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾. وفي هذه الآية إشارة خاصة وإشارة عامة. فأما العامة فقد عمت العصاة والطائعين والموافقين والمخالفين بلفظ الإيمان وسماهم المؤمنين لئلا تتمزق قلوبهم من خوف القطيعة. وأما الخاصة فقد أمر الطائعين بالتوبة لئلا يعجبوا بطاعتهم فيصير عجبهم حجبهم فيتساوى في هذا الأمر الطائع والعاصي وكما أمر الحق بالتوبة عموم المؤمنين فقد أمر بها سيد المرسلين. قال عليه السلام : « فإني أتوب إلى الله في اليوم والليلة مائة مرة ». فتوبة الرسول عليه السلام توبة خاص الخاص، وهي التوبة عن كل ما سوى الله، وتوبة الخاص من غفلة القلوب عن حضرة المحبوب، وتوبة العوام من الذنب فينمحي بها الران عن القلب ولكن يبقى أثره فالذكر يصقله حتى يصير كالقنديل فبوجود الانوار القلبية تنطبع في مرآته الافعال للطافته ويمتد نظره إلى الحضرة القدسية لأن القلب له مرآة ذات وجهين وجه صقيل ووجه كثيف فالصقيل مقابل لعالم الملك وهو عالم الشهادة، فكل شيء قابله انطبع به فيتقلب القلب من الشر إلى الخير وبالعكس، والكثيف مقابل لعالم الملكوت وهو عالم الغيب، فإذا غلبت أنواره على ظلمته وطاعته على معصيته مال إلى عالم الملكوت فيشتغل بالسلوك وقطع مقامات النفس، فكلما قطع مقاما انجلى ما

فأبله من الوجه الكثيف حتى تضيء كلها فحينئذ ينظر السالك بالعينين ويغترف من العلمين فيصير جسمه لطيفاً بين الأجسام كالأنبياء عليهم السلام لأنهم لما تحققوا أن الجسم لا يليق للتجلي من حضرة الحق اللطيف لطفوا أجسامهم الكثيفة بأنواع الرياضات والمجاهدات وترك الشهوات، ومخالفة النفس ذات الآفات حتى تلطفت أجسامهم الكثيفة فصارت مضاهية للاجسام اللطيفة لأن الحق تعالى خلق الانسان مركبا من جسم كثيف وهو الجسد، وجسم لطيف وهو السائر فى حالة النوم ومن روح وهو الواسطة بينهما لما روى عن ابن عباس: «فى جسد ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس بها العقل والتميز، والروح بها الحس والتحريك. فإذا نام العبد قبض تعالى نفسه و لم يأمر بقبض روحه».

وقال بعضهم: من يموت فى القتال تتوفاه الملائكة ومن يموت على الفراش يتوفاه ملك الموت ومن يموت فى المنام يتوفاه الله وفى ذلك نكتة لطيفة وهى ان كل شيء يضاف الى الله تعالى بغير واسطة مخلوق يحصل به راحة وبسط كالنوم وبالنسبة إلى أهل الظاهر بخلاف أهل الباطن فان جميع ما يجري عليهم من خير وشر وقبض وبسط تحصل لهم به الراحة التامة والرضا حيث إنه فعل الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ كما حكي أن إبليس تجلي لسيدى عبد القادر الجيلانى بأنوار وهيئة عرش ونداء وقال: يا عبدى قد رفعت عنك التكاليف، فقال قدس الله سره: اخسأ يا عدو الله. لو رفع التكاليف لرفعها عن حبيبه عليه السلام فقال منعك منى علمك وقد أضللت قبلك ألف عابد. ولذا قيل:

تفقه فان الفقه أفضل قائد ○ إلى البر والتقوى وأعدل قاصد ...

فإن فقيها واحدا متورعا ○ أشد على الشيطان من ألف عابد

وللشيطان وساوس كثيرة، فإنه يحسن لبعض الناس إظهار التواجد عند الذكر أو سماع القرآن ويدخل عليه بصورة نصيحة، وهو أنك إذا تشبهت بالواجدين تكون منهم ويتلو له البيت الذى قاله بعضهم:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ○ إن التشبه بالرجال فلاح

ثم إذا تواجد وتبع ما أمره به الشيطان تجلى له من المصراع السفلى فينفخ فيه فيحصل له حرارة فيسول له أن هذا من تجلى حضرة الحق فيصرخ فيحصل الانقباض لمن سمعه من أهل الباطن. وعلامة ذلك أنه لو كان وجده صحيحا لأثر فى جميع من كان حاضرا نعوذ بالله من اتباع الشيطان فانه عدو للانسان قال الله تعالى: ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾.

فإذا حسن لك شيئا من أفعال نفسك أو نزغك لتخاصم غيرك أو كرهك فى بعض إخوانك المسلمين فاستعذ بالله من هذا اللعين وأخف أعمالك ما استطعت فان الرياء يحبط العمل.

❖ بيان الخواطر ❖

(وأما الخواطر) فهي جمع خاطر، وهو خطاب يرد على الضمائر، ثم إنه قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء الشيطان، وقد يكون بأحاديث النفس، وقد يكون من الله. فالأول الإلهام، والثانى الوسواس، والثالث الهواجس، والرابع الخاطر الحق. فعلامة الإلهام موافقة العلم، وعلامة الوسواس ندبه إلى المعاصى، وعلامة الهواجس ندبها إلى اتباع الشهوات وحظوظ النفس. وأجمع المشايخ على أن من كان قوته من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسوسة، وأجمعوا على أن الخواطر المذمومة محلها النفس والخواطر المحمودة محلها القلب وأن النفس لا تصدق أبدًا.

وقال الجنيد: الفرق بين هواجس النفس ووساوس الشيطان أن النفس إذا طالبت بشىء الحت بطلبه حتى يوجد لا محالة، اللهم إلا أن يكون صاحبها صادق المجاهدة فيردها عن ذلك بصدق مجاهدته. وأما الشيطان إذا دعا إلى زلة فلم يوافق عليها تركها ودعا إلى أخرى، لأن الكل عنده سواء من حيث إنه معصية ومخالفة فإن ورد على الإنسان خاطران متغايران، قال الجنيد الاول أقوى، وقال ابن عطاء الثانى أقوى، وقال عبد الله بن خفيف هما سواء، لأن كلا منهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر.

❖ بيان الواردات ❖

(وأما الواردات) فهي جمع وارد وهو ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعلم العبد وقد يكون الوارد لا من قبل الخاطر بل من قبل العلم أو من الحق فالواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه والوارد أيضا ما يرد على القلب من سرور أو حزن أو قبض أو بسط أو نحوها.

(ثم اعلم) أن الصلاح على الله ليس بواجب، وقال المعتزلى واجب. ومن قال إن الأصلح والصلاح واجب على الإله، فهو عادل عن الجادة ومخالف للعـامة ومعترض لأهل السنة والجماعة. وقد وقعت مناظـرة بين سنى ومعتزلى، فقـال المعتزلى : سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال السنى : سبحان من لا يقع فى ملكه إلا ما يشاء، فقال المعتزلى : أرأيت إن منعنى الله من الهدى وحكم علىّ بالردى، أأحسن إلىّ أم أساء؟ فقال السنى : إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فالله يفعل فى ملكه ما يشاء، فقال المعتزلى : أيرضى ربنا أن يعصى؟ فقال السنى : أيعصى ربنا جبرًا؟ فألزمه وقطع حجته.

(والحاصل) أن مذهب أهـل السنة والجماعة أن الأصلح للعبد ليس بواجب على الله، وجمهور المعتزلة على أنه واجب، ورد كلامهم أولا بأن الألوهية تنـافى الوجوب المختص

بالعبودية ﴿ لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ﴾. وثانيا بأن الأصلح بحسب الظاهر أن يهدى الخلق جميعا وقد قال الله تعالى : ﴿ يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾، مع قوله : ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾. فأراد باختلاف العباد إظهار العدل وإيثار الفضل، وأيضا قال : ﴿ إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ﴾، مع أن الإملاء لزيادة الإثم ليس بصلاح عند العقلاء، ففيه الحجة البالغة والحكمة السابغة ثم هدايته تعالى تارة يراد بها خلق الله كقوله : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾، وتارة يراد بها مجرد البيان والدلالة، ومنه قوله تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾، وقوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾، وتارة مجرد الإرشاد ومنه قوله تعالى : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾. والمعتمد عند أهل السنة أنها الدلالة إلى المطلوب، سواء وصلت أم لا. وعند المعتزلة الدلالة الموصلة إلى المطلوب، فتتبع.

(واعلم) أن تفصيل هذا المقام أن يقال إذا أراد الله بعبد خيرا قلب قلبه إلى محله الأصلى الذى بدئ منه أى إلى العلو، فيصير قلبه عرشيا لا فرشيا فيكون انقلابه إلى الحق، وهو صرف وجه الهمة من العدوة الدنيا وهي الظواهر إلى العدوة القصوى وهي الحقائق وبواطن الامور ويصل إلى الفطرة التى خلقه الله عليها قال الله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾، لكنه لما نزل مع الطبيعة إلى حكم العادة واستولت عليه الشهوات النفسية وغلب عليه حكم البشرية صار كالثوب الأبيض الذى تدنس فإذا غسله بماء الخلوات والرياضات عاد إلى أصله، وإلا زاد تدنسه وقويت أوساخه وصار مملكة للشيطان. فإذا كان من أهل الطريق تجلى له الشيطان من مصراع قلبه السفلى لانسداد مصراع قلبه العلوى، فإن للقلب بابا بمصراعين مصراع يفتح إلى العلو ومصراع يفتح إلى السفل. فالمصراع العلوى لتجليات الرحمن والمصراع السفلى لتجليات الشيطان. وإذا انسد المصراع السفلى بكثرة الاذكار ونفى الخواطر والاغيار انفتح المصراع العلوى وترادف التجلى والواردات من حضرة الملك العلى وعلامة ذلك الورع والزهد فى الدنيا فاذا انتفى الورع والزهد من إنسان وادعى أنه يحصل له التجلى من حضرة الملك الديان فهو من الكاذبين. وتجليه هذا إنما هو من تجلى الشيطان لان الطمع فى الدنيا والرغبة فيها يسد المصراع العلوى ويفتح السفلى الذى يتجلى منه الشيطان، فإنه أضل خلقا كثيرا.

وقال الشاذلى : كل علم تسبق إليك فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل إليه النفس وتلتذ به الطبيعة فارم به واتركه وإن كان حقا وخذ بعلم الله الذى أنزل على رسوله واقتد بالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده وبهداة الأمة المبرئين من الهوى تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وماذا عليك ان تكون عبد الله ولا

علم ولا عمل، حسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل به محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ومحبة الصحابة والاعتقاد الحق للجماعة. قال رجل: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال عليه السلام: المرء مع من أحب.

وقال رحمه الله: قرأت سورة الاخلاص والمعوذتين ذات ليلة فلما انتهيت إلى قوله ﴿من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس﴾، قيل لي: شر الوسواس يدخل بينك وبين حبيبك وينسيك أفعالك الحسنة ويكثر عندك ذات الشمال بذكر أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ليعدو بك عن حسن الظـن بالله ورسوله إلى سوء الظن بالله ورسوله فأحذرك هذا، فقد أخذ منه خلق كثير من الزهاد والعباد وأهل الورع والاجتهاد وقال لي إذا أردت أن تسلم من ذلك فلا تدبر لغد ولا بعد غد.

(واعلم) أن لكل خاطر مقدمة وبساطا فمقدمة الرباني الاسلام وبساطه الصمت ومقدمة الملكي الذكر وبساطه العزلة، ومقدمة النفساني الجهل وبساطه الأماني، ومقدمة الشيطاني الكبر وبساطه الكفر وكل خاطر يدعو إلى ما يناسبه فهو بحر عميق، فافهم.

❖ بيان رؤية القوم ❖

(وأما رؤية القوم) فقال الله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾. قيل: هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له، كذا روى عن النبي ﷺ قال: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل عن يساره وليتعوذ، فإنها لن تضره»، وقال: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي».

(واعلم) أن الرؤيا الصادقة نوع من أنواع الكرامة، وحقيقتها خواطر ترد على القلب، تتصور في القلب والوهم، وهي تارة تكون من قبل الشيطان وتارة تعريفا من الله تعالى، يخلق تلك الاشياء في القلب بغير واسطة.

والنوم على أقسام: نوم لعنة وغفلة وعادة، وهو مذموم لأنه أخو الموت، كذا روى في بعض الأخبار وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾، وقوله: ﴿والتي لم تمت في منامها﴾. وقيل: لو كان في النوم خير لكان في الجنة نوم. وقيل: لما قال إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾، قال: يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه لو لم تنم لما أمرت بذلك.

وقيل: أوحى الله إلى داود عليه السلام كذب من ادعى محبتي ونام عني اذا جنه الليل.

وقال الشبلي: نعسة في ألف سنة فضيحة. وقال أيضا: اطلع الحق علي، فقال: من نام غفل ومن غفل حجب فكان بعد ذلك يكتحل بالملح حتى لا ينام. وقيل: إن كنت حاضرا

فلا تنم لأن النوم فى الحضرة سوء أدب وإن كنت غائبا فاتت من أهل الخسران فتكون مصابا والمصاب لا يأخذه النوم. وأما أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله تعالى عليهم وأن الله يباهي بالعبد إذا نام فى سجوده، فيقول: انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده بين يدي يعني روحه فى محل النجوى وبدنه على بساط العبادة. وقيل: كل من نام على طهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش وتسجد لله. وقيل: لا شيء أشد على إبليس من نوم العاصي، يقول: متى ينتبه حتى. وقيل: ألا يستحي العبد أن ينام ومولاه لا ينام.

وقال بعضهم: النوم أفضل من اليقظة، لأن النائم لا يعصي الله تعالى فى حال نومه وأنه محل الرؤيا للنبي والصحابة والأولياء وغيرهم وربما رأى الحق تعالى فى النوم وتلك منزلة عظيمة.

وقال الكتاني: رأيت النبي عليه السلام فى النوم فقلت ادع الله أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت.

ورأى الحسن عيسى عليه السلام فى النوم، فقال له: إني أريد أن أتخذ خاتما فما الذي أكتب عليه؟ قال: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، فإنه آخر الانجيل. وقيل: رأى أحمد بن حضرويه ربه فقال له يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فانه يطلبني. وقيل: دخل الحسن البصري ليصلي المغرب فوجد إمامهم حبيبا العجمي فلم يصل خلفه خوفا من اللحن فرأى تلك الليلة فى المنام قائلا يقول: لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك.

(ورؤى مالك بن أنس) فى المنام فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: غفر لى بكلمة حفظتها عن عثمان بن عفان ﷺ كان يقول عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذى لا يموت.

(ورؤى الجنيد) فى المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها.

وقال ابن الجلاء: دخلت المدينة وبى فاقة فرأيت النبى عليه السلام فى المنام فأعطاني رغيفا فاكلت نصفه وانتبهت وفى يدي نصفه. وقيل: رأى أبو أيوب السجستاني جنازة رجل عاص فدخل دهليز دار لئلا يصلى عليها، فرأى ذلك الميت فى المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى، وقال: قل لأبى أيوب ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾، الآية.

وقال القشيري: رأيت الأستاذ أبا على الدقاق فى المنام فقلت له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال ليس للمغفرة عنده كبير خطر، أقل من حضر هنا خطرا فلان أعطى كذا و كذا، قال القشيري: ووقع لى فى المنام أن ذلك الشخص الذى عناه الأستاذ قتل نفسا بغير حق. وقال أبو بكر الرشيد الفقيه: رأيت محمدا الطوسي فى المنام، فقلت له: ألك حاجة؟ فقال قل لأبى سعيد الصفار:

وكنا على أن لا نحول عن الهوى ◎ فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا

لعل الذي يقضي الامور بعلمه ◎ سيجمعنا بعد الممات كما كنا

قال فانتبهت وقلت لأبي سعيد ذلك، فقال : كنت أزور قبره كل يوم جمعة فلم أزره هذه الجمعة.

وقيل : رؤى الأوزاعي في المنام، فقال : ما رأيت هنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم المحزونين. وقيل : رؤي أبو سليمان الداراني في المنام، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما كان علي شيء أضر من إشارات القوم.

ورؤى الشبلي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ناقشني حتى أيست، فلما رأى يأسي تغمدني برحمته. وهذا كما قال بعضهم، وقد قيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا.

❖ بيان فضل الجوع والعطش والصبر عليهما ❖

(وأما فضل الجوع والعطش والصبر عليهما) فقال الله تعـالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ أي عليها. وقال : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾، وكان النبي عليه السلام يبقى أياما لا يأكل شيئا.

(واعلم) أن الجوع أحد أركان المجاهدة وبسببه تنفجر ينابيع الحكمة لأهل السلوك وهو من صفات أهل الحقيقة.

وكان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا كل خمسة عشر يوما، فإذا دخل رمضان لا يأكل حتى يرى هلال شوال، وإنما يفطر كل ليلة على الماء وحده، وكان يقول : جعل الله في الشبع الجهل والمعصية، وفي الجوع العلم والحكمة. وكان رحمه الله إذا أكل ضعف وإذا جاع قوى.

وكان عمر بن عبد العزيز أجاع صنفا من الطير أربعين صباحا ثم طاروا في الهواء ورجعوا ورائحة المسك تفوح منها. قال القشيري لا يبعد أنها وصلت إلى الجنة. وقال أبو سليمان الداراني : مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع. وقال يحيى بن معاذ الرازي : الجوع نور والشبع نار. وقال أبو بكر بن فورك هم العيال نتيجة متابعة شهوة الحلال فكيف تكون نتيجة متابعة الحرام.

وقال أبو على الروذباري : إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع الزموه السوق ومروه بالكسب. وقيل للربيع : قد غلا السعر، فقال : نحن أهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع

أولياءه. وقال أبو علي : قام فقير في مجلس يطلب شيئا، فقال : إني جائع منذ ثلاث فصاح عليه بعض المشايخ، وقال : كذبت إن الجوع سر الله وهو لا يضع سره عند من يحمله إلى من يريد.

وقال أبو تراب النخشبي : ما تمنت على نفسي إلا مرة واحدة تمنت على خبزا وبيضا وأنا مسافر فدخلت إلى قرية لطلب الخبز والبيض فوثب إلى رجل وتعلق بي وقال لقومه هذا كان معهم، فبطحوني وضربوني سبعين سوطا، فمر بي رجل فعرفني فخلصني منهم وعرفهم بي واعتذروا إلي وأدخلني رجل منهم إلى منزله وقدم إلي خبزا وبيضا، فقلت لنفسي كلي شهوتك بعد سبعين جلدة. وقيل : إن أبا تراب كان يأكل من البصرة إلى مكة أكلة واحدة. وروى عن النبي عليه السلام : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ». وأصل ترك المباح لابد للمريد منه ولا يتم أمره دونه ولا يستعلم إلا عليه ولا يملك زمام قلبه إلا به، وهو ملازمة الصمت ومكاومة الجوع والعطش. وروى عن النبي أنه قال : من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام. وقالوا: دواء القلب في خمسة قيام الليل وقراءة القرآن وخلو البطن وقلة الكلام والتضرع عند السحر.

(وروى) أن الله أوحي إلى داود عليه السلام : اسمع ما أقول والحق أقول من حفظ لسانه وغض بصره وصان فرجه فهو عندي مقرب محبوب. وأما الجوع فأصله في حديث زيد بن علي عن جده علي أنه قال قال رسول الله ﷺ : « لخلوف فم الصائم أطيب ريحا من المسك عند الله ». فلذلك قال الله تعالى : « الصوم لي وأنا أجزي به ». وقال النبي عليه السلام : « للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة يوم القيامة، ينادي مناد أين الظامئة أكبادهم، وعزتي وجلالي لأروينهم اليوم »، وروى « الصوم جنة من النار »، وروى « أن أطولكم جوعا وتذكرا أفضلكم عند الله ».

وقال ذو النون : من قوي على بطنه قوي على دينه ومن لا يعلم أن مضرته من قبل بطنه فذلك من العابدين أعمي وعن الصادق : ظهر إبليس ليحيى بن زكريا وإذا عليه معاليق، قال له يحيى عليه السلام: ما هذه المعاليق يا إبليس؟ فقال : هذه الشهوات التي أصبتها من بني آدم، فقال : هل فيها لي شيء؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة والذكر، فقال يحيى بن زكريا : لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبدا، فقال: لله علي أن لا أنصح مسلما أبدا.

❖ بيان الشاهد ❖

(وأما الشاهد) فهو في اللغة عبارة عن الحاضر وفي اصطلاح القوم عبارة عما كان حاضرا في قلب الانسان وغلب عليه ذكره حتى كانه يراه ويبصره فان كان الغالب على قلبه العلم

فهو شاهد العلم وإن كان الغالب عليه الرجاء فهو شاهد الرجاء وإن كان الغالب عليه الوجد فهو شاهد الوجد وان كان الغالب عليه الحق فهو شاهد الحق فكل ما غلب عليك ذكره فهو شاهدك وقيل مرادهم بالشاهد ما في القلب فالحبيب شاهد قلب المحب أي خاضر قلبه كأنه يراه عيانا ويشاهد ما فيه وإن كان غائبا عنه هو كالقول الأول في المعنى.

(وسئل) الشبلي عن المشاهدة فقال من أين لنا مشاهدة الحق، وإنما لنا شاهد الحق أراد بذلك ذكر الحق المستولي على هيئة الغالب عليه.

وقال بعضهم: إنما سمي الشاهد شاهدا لأنه من الشهادة فإذا تجلى للانسان جمال شخص فان كانت بشرية الرائي ساقطة عنه لم يشغله جمال ذلك المرئي عن حاله ولم تؤثر فيه صحبته شيئا بوجه من الوجوه، فيكون ذلك المرئي شاهدا للرائي على فناء نفسه وإن أثر فيه كان شاهدا عليه في بقاء نفسه وقيامه بأحكام بشريته، وعليه حمل قوله عليه السلام: رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة أي أحسن صورة رأيتها تلك الليلة ولم تشغلني رؤيته، بل رأيت المصور في الصورة والمنشئ في الانشاء قال القشيري أراد به رؤية العلم لا إدراكه بالبصر.

(واعلم) أن السير والسلوك في أربعين يوما يشتغل فيها المريد بالخلوة مع الإخلاص التام بما يلقنه المرشد من أسمائه تعالى، لقوله عليه السلام: من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وأحسنه أن يكون ابتداؤه في ليلة النصف من شعبان، ويكون خروجه في آخر ليلة عيد رمضان فإذا أراد الدخول فليغسل ثيابه وخلوته وبدنه ينوي بالغسل التوبة من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر وإذا كان عليه حق لأحد يدفعه له أو اغتابه يطلب منه السماح والرضا ممن له خلطة معه وليكن جلوسه في الخلوة مستقبلا للقبلة على الوضوء في جميع أوقاته وذلك بعد اتقانه لعلم الحال الذي لا بد له من معرفته في الفروض الخمسة من علم لا إله إلا الله وصومه وصلاته وحجه وزكاته وقد أمر الحق بذلك كله في كتابه: ﴿ فاعلم انه لا إله إلا الله ﴾، فعلمها ان تعلم بالمستحيل والجائز والواجب من صفاته.

❖ بيان الوصول إلى حضرة القُدُس ❖

(واعلم) أن الوصول إلى حضرة القدس بأربعين مقاما عشرة في الشريعة منها الخمسة المذكورة والباقي في التوبة والعلم والنكاح وحفظ اللسان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعشرة في الطريقة وعشرة في الحقيقة وعشرة في المعرفة كما سيأتي.

(واعلم) أن قطع عقبات الطريق بقطع صفات النفس التي تسمى بالأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة، فكلما اتصفت بصفة سميت بها لأجل اتصافها بها. فتسمى باسم من هذه الاسماء فاذا صادفت النفس الشهوانية ووافقتها ودخلت تحت حكمها

سميت أمارة وان سكنت تحت الامر وأذعنت لاتباع الشريعة لكن بقى فيها ميل للشهوات سميت لوامة فان زال هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانية وترقت إلى عالم القدس وتعلقت بالإلهامات سميت ملهمة فإن سكن اضطرابها ولم يبق فيها للنفس الشهوانية حكم أصلا ونسيت الشهوات سميت مطمئنة، فإن ترقت عن هذا وسقطت المقامات عن عينها وفنيت عن جميع مراداتها سميت راضية، فإن زاد هذا الحال عليها صارت مرضية عند الحق والخلق، فان أمرت بالرجوع إلى العباد لإرشادهم سميت كاملة والمقصود من طي هذه المنازل حصول الايمان الحقيقي الموقوف على كمال اطمئنان النفس ومرضيتها عند الحق الموصل إلى رتبة الكمال ولا تصل إلى تلك الرتبة ما لم تكن بسياسة القلب ولا تتيسر سياسة القلب ما لم تتفرغ عن العلائق والعوائق وتحصل السلامة من الابتلاء بما سوى المولى.

❖ بيان وعلامة السلامة ❖

(وعلامة السلامة) من ذلك نسيان السوى فما دام له شعور بالغير فبعيد عن السلامة وقريب من الوقوع في الضير فمن سلم أمره لمولاه فلا بد له من السعى حتى يتشرف بسلامة القلب المودي إلى اطمئنان النفس الموصل إلى الايمان الحقيقى والدخول في الرضوان، فإذا وصلت إلى هذا المقام أستحقيت أن تصير المرشد الكامل والكمال لك تحاصل وصرت موصلا واصلا فاحمد مولاك على ما هداك ولازم خدمته بالإشتغال بمشاهدته الذى هو مقام الاحسان والاتباع لسنة سيد الأكوان.

(واعلم) أن الله تعالى خلق الخلق لطاعته وعبادته وعرفانه كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾، وأفضل العبادات ما يوصل إلى الله وهو السلوك ولا بد لذلك من مرشد كامل وأستاذ فاضل لما أنه طريق غيب غير محسوس مبني على مخالفات النفوس ألا ترى أن كثيراً من الاطباء يعجزون عند تمرضهم عن علاج نفوسهم لخفائها على صاحبها وهي أعدى أعدائه في ثياب أصدق أصدقائه. ولهذا ورد المؤمن مرآة المؤمن فباستعانته بنافذ نظر أخيه المؤمن الحاذق يتسلط على دسائسها لكن مع التسليم الصادق. ولهذا قال الكمل: من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان. فإن طريق الله تعالى لما كان في غاية الشرف والعزة لكونه موصلا إلى أعز المطالب حف بالقواطع والمهلكات من كل جانب. فاذا عرفت هذه الورطات المهلكة، فلا جرم أن السالك يحتاج إلى المرشد الكامل والشيخ الفاضل ليحفظ المريدين عن المهالك ويرشدهم إلى المسالك، فلا يسلكه إلا مريد متقدم صادق بإرشاد دليل كامل فإذا توجه المريد إلى الله وصدق في قصده فانه سبحانه يوصله إلى شيخ كامل ناصح ينهضه حاله ولحظه وينفعه مقاله ولفظه كما هو في مولانا ضياء الدين خالد المحددي.

وقال نجم الدين الكبرى: كما أن المطرقة والسندان والمنفخ والفحم وغيرها من الآلات اجتمعت ولم يكن ثم أستاذ يضع الأشياء في محلها لا يتحقق وجود شيء كذلك لا تتصفى مرآة قلب المريد بدون ربط القلب مع الشيخ وترك الاعتراض ودوام الرضا بما قدر من القدر والفتح والقبض ملاحظا قوله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾، ومتحققا بأن الله تعالى أرحم بالعبد من الوالدة بولدها وأعلم بمصلحة العبد من نفسه والشيخ أعرف بمصالح المريد والانقياد إلى الشيخ والتسليم شرط أهم بكل وجه.

❖ بيان الجذب ❖

(واعلم) أن الجذب وحده من غير سلوك في الطريق المستقيم بامتثال أوامر الحق والاجتناب عن نواهيه لا نتيجة له أصلا غير الدخول في حيز البله والمجانين، فغايته السلامة من مواطن الهلاك لسقوط التكاليف به كما في المطالب الوفية وكذلك السلوك بامتثال الأوامر والاجتناب عن النواهي من غير جذب إلهي لا نتيجة له غير الدخول في حيز العلماء والعباد من أهل الظاهر القانعين بما يظهر عليهم من العلم والعبادة، فيراهم الناس فيحملونهم على ذلك فيرفعون أقدارهم ويكونون في باطن الأمر على رياء وعجب وكبر وحسد وغرور وغفلة وغيرها من أمراض القلب ويظهر صاحب هذه الواقعة شبيها بالحيوانات.

(وأما) السالك أولا المجذوب ثانيا أو بالعكس، فهذان الرجلان هما أهل الله وخاصته فالسالك المجذوب عالم عامل بعلمه يورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ والمجذوب السالك عامل عالم أخلص لله أربعين صباحا فتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه كما قال الله تعالى ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾.

(واعلم) أن الشريعة المحمدية لمن تأمل جميع الأحكام المشروعة فيها وعمل بها على الوجه المشروع داعية إلى تحصيل الجذب الإلهي. وأما العمل بها على طريق البدعة فهو مبعد عن الجذبة. ولذا قبحت البدعة وزاد قبحها على فعل المعصية والآيات والأحاديث وسير الأصحاب والتابعين والأولياء طافحة بذكر الجذب والصعق والخشية والبكاء.

قال الله تعالى: ﴿ وخر موسى صعقا ﴾، وقال: ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾. وقال: ﴿ مثاني تقشعر منه جلود الذين ﴾ الآية.

وقال عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع». وقد صح عن بعض الصحابة الصعق وكثرة التأوه والبكاء الشديد والاضطراب والضرب على الأرض وأمثال ذلك مما يدل على خشوع القلب وكما أن هذه الطائفة مثلوا النفس بالمرآة فكذلك مثلوها بعين الماء وشبهوا ما يكون في النفس من المعارف والعلوم بما يكون في العين من الماء، وقالوا: إن العين

قد تغور وانما يخرج ماءها الحفر وتمثيلهم النفس بالعين صحيح فإن النفس تجلي لها من الحقائق والعلوم يوم الميثاق ما أذهلها عنه ما هي مشتغلة به من الأوهام والأسباب، فيغور منها كما يغور ماء العين فيحتاج إلى الحفر عليه بفأس من المجاهدة ومسحاة من الرياضة حتى يعود كما كان وأهل هذه الطريق أعني أهل طريق الجلاء وتسمى طريق الاشراق أجمعوا على أن علاج الأصل أى أصل علل النفس أقرب للبرء أى بانقطاع الأصل تنقطع فروعه بخلاف ما يعالج فرعا.

❖ بيان العلاج ❖

(والعلاج) هو محاولة الداء بالدواء، وذلك لا يصح إلا بعد معرفة العلة وأصل كل داء جسماني فساد المزاج إلى أن يصير فعله وانفعاله على غير المجرى الطبيعي، وأصل كل داء قلبي فساد القصد الذي عنوا به الرضا عن النفس حتى يصير فعلها وانفعالها على غير المجرى الشرعي الحقيقي بل على وفق الهوى والأوهام الباطلة التي شأنها ضعف اليقين ورقة الديانة وعلاج النفس هو كفها عما تريده من النقائص والغفلات حتى لا تقع فيه وتطهيرها عما وقعت فيه حتى يزول.

(فالاول) بالتقوى والاستقامة حتى لا تزول عنها.

(والثاني) بالتوبة والإنابة حتى تنطبع بلوازمها من التقوى والاستقامة ونحوها وطريق الجلاء والاشراق هذه قديمة حتى كانت في غير زمن الشريعة لانها انما هي صقل لمرآة النفس من غير زيادة وهي أيضا باقية لا ترتفع لكن تارة تجري بالاصلاح من الخلوات والتربيات ونحوها، وتارة بحفظ الحرمة فقط، وتارة بعلو الهمة وقوة العزم والحزم، وتارة بمجرد التلقي والالقاء وهذه الامور لا تزول أبد الآبدين غير أن الإصلاح قد انقرض في هذه الازمنة وارتفع انتاجه ونحوه بديهي.

قال بعض مشايخنا : ارتفعت التربية بالاصلاح في سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولم يبق غير الافادة بالهمة وعلم الحال، فعليكم باتباع السنة من غير زيادة ولا نقصان يعني جادة أهل السنة مع التزام الصدق وهذه الطريق أتم في تحصيل الكمال لأن الأولى غايتها الوصول لما في النفس من الكمال دون زائد بخلاف هذه فإنها تحصيل الكسب مع ما تصل إليه من المدخر كما في المفاخر العلية وعلم الذات والصفات يعني علم التوحيد وطريق أخذه أن يحقق ترجمة عقيدة مذهبه ويأخذ برهانها بأى وجه أمكنه دون تعرض للشبه والاشكالات مع توق لمواد ذلك من الكتاب والسنة وشواهد الوجود ودلائل الصنع ويجعل ذلك نصب عينيه حتى يصل إلى حقيقته ويقينه وكذلك الفقه والفتوى والتفسير والحديث، لكن من اتبع نظره إلى حد يفقه به

موارد الحكم والحكم لا يخرج عن مقاصد الائمة لا يرجع اليهم في كل حال لأن من أخذ علم حاله عن نصوص الائمة كان نوره ومشجه منهم ومن أخذه عن نصوص الكتاب والسنة فكذلك ان كان محقا وإلا فالحديث لغير العالم مزلة ومن فاته الاقتداء فاته الاهتداء ولذلك لا تجد إماما يهمل أقوال السلف بل يتبع آثارهم فمن تتبع الكتاب والسنة وفقههما عرف ما قلنا.

❁ بيان علم الاحوال والمنازل ❁

(وأما) علم الاحوال والمنازل وما يجري مجراه وهو الذي اختص به أهل الفن فللناس فيه طريقان: ❁ طريق رؤية الحق من أول القدم والعمل على ذلك بالانحياز إليه وهو طريق الشاذلية والنقشبندية ومن نحا نحوهم من غيرهما ❁ وطريق رؤية النفس واطلاع الحق عليها والعمل على ذلك، وهي طريق الغزالي والسهروردي ومن جرى مجراهم وكل مستند إلى حديث « أن تعبد الله كأنك تراه » وهكذا للاولى « فان لم تكن تراه فانه يراك ». وهكذا للثانية فتبصر وهذه الطريق التي بالاشتغال بالعلم وعلاج النفس يقال لها طريق البرهان، لأنه ليس لأحد فيها مطعن ولا للضلال فيها مدخل ولكن لا يقدر عليها إلا فحول الرجال وأما سلوك العامي بها فإنه يصحح اعتقاده على عالم يثق بديانته ويسأل عن عالم حاله بوجه يشفيه وتطمئن نفسه له ويلزم التقوى والاستقامة بغاية جهده بعد التبصر فيما يتعلق بحاله ولا يدخل فيما فيه احتمال وتأويل ولا دخل من قول إمام معتبر غير إمامه ثم يستند في أحواله لشيخ ناصح أو أخ صالح قد جرب الامور فيأخذ في كل ما يبقى ويذر غيره.

(واعلم) أنه لا يمكن الوصول إلى معرفة الأصول والسعادة إلا بالخلوة ولا بد منها للارشاد التام لفعله عليه السلام، فإنه حبب إليه الخلوة وكان يخلو بغار حراء فيتحنث أي يتعبد فيه الليالي ذوات العدد حتى جاءه الوحي وهو في الغار وقد أمر بالدعوة إلى الحق لجميع الكفار وللخلوة خمسة وعشرون شرطا.

(الاول) النية مع الاخلاص بقطع مادة الرياء وطلب السمعة بالكلية، فإن صحة الخلوة مبنية على تلك القضية، فالواجب على المريد الطالب للحق وإرادته أن يخلص له بقلبه وقالبه في جميع حركاته وسكناته وأن يقطع علائقه من الدنيا الفانية ويصحح غرضه ويصدق مع الله في السر والعلانية.

(الثاني) أن يستأذن الشيخ في دخول الخلوة وأن يجعل التواضع لديه طبعا ولا يدخلها بلا اذن الشيخ وحضوره قطعا.

(الثالث) أن يدخل الشيخ الخلوة ويصلي فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجه إلى الله تعالى بتسهيل الأمر عليه وأن يجعله فيها سعيدا.

(الرابع) أن يدخلها كما يدخل المسجد مقدما رجله اليمنى مبسملاً متعوذاً من شر النفس والشيطان بالله اللطيف مخلصا لربه ومولاه منقطعا عما سواه.

(الخامس) أن لا يعلق همته بكرامة تحصل له فجميع المرشدين نفروا عن الميل إلى الكرامات جميع المريدين. قال ابن عطاء الله : ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا نادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا نادته حقائقها ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾.

(السادس) أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخلها شعاع الشمس ولا ضوء النهار فيسد على نفسه طرق الحواس الظاهرة، فسد طرقها شرط لفتح خلاص القلب من الأغيار ويلازم الوضوء فإنه إذا داوم عليه أوشك أن تلألأ منه الأنوار الإلهية وتظهر عليه أتم الظهور لقوله عليه السلام الوضوء نور.

(السابع) أن لا يستند إلى جدار الخلوة ولا يتكئ على شيء ولو مبنيا ملاحظا قوله تعالى «أنا جليس من ذكرني» ثم يلازم خيال شيخه بين عينيه فانه رفيقه في طريقته وهو معه بمعناه وروحانيته.

(الثامن) أن تشغل قلبك بمعنى الذكر مراعيا معنى الاحسان الذي له هيآت وهو « أن تعبد الله كانك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك ».

(التاسع) الصوم فإنه يصفي القلب من الرطوبة الحسية فيصفو القلب من الكدورات البشرية.

(العاشر) أن يعتقد في نفسه أنه إنما يدخل الخلوة لكى يستريح الناس من شره.

(الحادى عشر) أن يكون السالك في خلوته متيقظا لأعدائه الأربعة الشيطان والهوى والدنيا ونفسه، وأن يكون تاركا لغفلته فكلما يتجلى له في الخلوة من الصور فيقول أنا الله أو يقول: إن الشيء الفلاني هو الله فليقل سبحان الله الذي ليس كمثله شيء آمنت بالله وليذكر جميع ما يراه ويخطر له لشيخه ويشتغل بالذكر حتى يتجلى له مذكوره فاذا أفناه عن الذكر به أو أنامه فتلك المشاهدة أو النومة وسبيل التفرقة أن المشاهدة تترك في المحل شاهدها فتقع اليقظة واللذة عقبها. وأما النومة فلا تترك شيئا فيقع عقبها الندم والاستغفار.

(الثاني عشر) أن لا يتكلم مع أحد في الخلوة أو خارجها، إلا مع شيخه لغرض واقعة ضرورة البيان أو الخادم الذي أقامه الشيخ للفقراء فيكلمه بقدر حاجته أو إذا تعين الكلام عليه شرعا كخوف سقوط أعمى.

(الثالث عشر) أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الأصوات فإن القلب الرقيق يؤثر فيه

الخطرات المذمومة ولو يسيرًا، وأثر القليل عليه كثير.

(الرابع عشر) إذا خرج إلى الصلاة أو الوضوء فليغط رأسه ورقبته بشيء مطرقا إلى الأرض غير ناظر إلى أحد.

(الخامس عشر) المحافظة على صلاة الجمعة والجماعة فتركها خطأ وغلط، فإن وجد تفرقة في خروجه فليكن له رفيق يصلي معه في خلوته وإلا فليحضر مع الجماعة بحيث يدرك مع الامام تكبيرة الاحرام فاذا سلم الامام انصرف إلى خلوته.

(السادس عشر) نفي الخواطر مطلقا ولا يشتغل بالتمييز بين الخاطر الإلهي والملكي والشيطاني والنفسي إذ التمييز بينها ومعرفة أقسامها لا يكون إلا بتحصيل الأنوار والمبتدي لا يسلم له هذا المقام، فينبغي أن ينفي الجميع لئلا يضيع أوقات حضوره مع الحق تعالى ولا يجوز للذاكر في مذهب أهل الذكر أن يتفكر في معنى آية أو حديث أو غيرهما إلا إذا ورد عليه معنى من المعاني في أثناء الذكر من التنبيهات الالهية والواردات الحقيقية من غير تدنيس الأفكار البشرية فيفهمها ويرجع إلى الحضور فان خاف النسيان فليكتبها سريعا.

(السابع عشر) أن لا ينام إلا عن غلبة، إذا نام نام بالطهارة فاذا لزم المجاهدة وترك الاستراحة صار ذلك دأب الأركان الأربعة المائية والترابية والهوائية والنارية فيكشف له عن القلب الحجب البشرية فحينئذ ينظر إلى الملكوت بعين قلبه فيشتاق إلى مشاهدة ربه.

(الثامن عشر) الملازمة لأوسط الأمور في جميع الأحوال حتى ينال رتبة الكاملين من الرجال فيكون بين جوع وشبع في الطعام. وقال بعض المتأخرين: ينبغي أن يكون طعام الخلوة دسمًا من غير حيوان وما خرج من الأنعام.

(التاسع عشر) إذا كان في خلوته لا يفتحها لمجيء الناس للتبرك والزيارة إليه ولينظر إلى حال الرسول في ابتداء أمره وإرادة تكميل جمعيته على الله تعالى كيف كان يتحنث في غار حراء بمكة ولا يستصحب أحدًا صلى الله عليه وسلم.

(العشرون) ملازمة الذكر في لطيفة القلب ثم في لطيفة الروح ثم في لطيفة السر ثم في لطيفة الخفاء ثم في لطيفة الاخفى ثم في لطيفة النفس ثم في لطيفة الجسد ثم في النفي والاثبات المرتفع إلى الدماغ ثم في النفي والاثبات الذي كالمنشار يخرج من لطيفة القلب يمر على اللطائف المعارضة الى لطيفة الروح بلا وإله تضرب إلى لطيفة الروح وإلا تمر على اللطائف بالرجوع ولفظة الجلالة تضرب لطيفة القلب وذلك بغير حبس النفس فيكون الذكر بلا إله إلا الله كالمنشار وكيفية ذلك وما بعده في الدر المسلوك في انتهاء غاية السلوك.

(الحادي والعشرون) إذا شاهد شيئا في الواقعة إما في النوم أو في اليقظة أو في الفهوانية وهي

ما بين النوم واليقظة لا يستحسن ذلك ولا يستقبحه ولا يزيد عليه ولا ينقصه بل يعرض جميع ذلك على شيخه ولا يطلب منه تاويله فربما لا يرى الشيخ المصلحة في التأويل ولا يكتم واقعته عن شيخه، فإن الكتمان خيانة والله لا يحب الخائنين ولا يعرف تأويل واقعة الذكر إلا الذاكرون.

(الثاني وعشرون) دوام تخيل صورة شيخه وهو الرابطة بينه وبين خالقه، فيجعل قلبه مربوطا به لان ذلك يجره إلى مراقبة ربه، والمراد من ربط قلب المريد بشيخه واستحضار روحانيته معه إنما هو لدفع وسوسة الشيطان وترك الإثم والعدوان فإنه إذا هم بمعصية يتمثل له الشيخ فينزجر عن فعلها ان كان ربطه كاملا على محبة دائما كما اخبر الحق تعالى عن يوسف عليه السلام بقوله: ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾، وهو أنه مثل له أبوه يعقوب عليه السلام عاضا على أنملته.

(الثالث والعشرون) دوام التوبة بالاستغفار عن الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر في كل يوم سبعين مرة.

(الرابع والعشرون) أن لا يعين مدة للخلوة وقت دخوله كأربعين وعشرين وعشر وسبع وثلاث من الايام ولا يحدث نفسه بذلك، فإن خطر له هذا الخاطر وخرج من يوم دخوله بل يحدثها أن الخلوة قبرها لا يخرجها إلى يوم النشور واخراج الناس من القبور فيكون الأمر لشيخه متى أراد إخراجه.

(الخامس والعشرون) أن يرى الاستمداد الحاصل له إنما هو من شيخه واستمداد شيخه من النبي ﷺ فهو نائب عنه والنبي نائب عن ربه فلو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضات عند شيخ مرشد كامل وإمام ناصح مؤدب بالشرع عالم بالفنون فما حرم من حرم الوصول إلا بتضييع الأصول وترك الاقتداء بالدليل والعدول في هوى نفسه عن سواء السبيل فالمطلوب من العاقل العمل بما أمر به أفضل البشر ودوام ترك الاعتراض على كل ما يرد عليك من الله من خير أو شر والايمان بأن الخير والشر من الله بالقدر وأن جميع الكائنات بمراد الله تعالى لا يكون إلا ما يريد، وهو يقتضي التفويض والتسليم لله فيما عليك قدر واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تضجر.

❖ بيان مبنى الطريق ❖

(واعلم) أن مبنى الطريق على ثمانية أركان: الصوم والخلوة ودوام الوضوء والإحسان والرابطة وترك الاعتراض على الديان والذكر في القلب والصمت باللسان.

(واعلم) أن ذكر القلب هو أن يكون الحضور مع الله تعالى والخلق فيجمع هذا مع هذا وذكر الروح هو أن يكون الحضور مع الحق تعالى غالبا على الحضور مع الخلق وذكر السر

أن لا يكون له حضور مع غير الحق تعالى ولا يكون له خبر عن الكون وذكر الخفاء هو أن يخفى وجود الروح خفاء الكون في الستر فلا يبقى غير المذكور.

(واعلم) أن المهلكات التي تحبط الأعمال ثمانية الغيبة والرياء والكبر والعجب والحسد وقلة الرحمة على الخلق وإرادة الصيت عند الناس وإرادة غير وجه الله تعالى.

(واعلم) أن مبنى الأعمال على النية واتباع الشريعة فمن ادعى أن الطريقة والحقيقة خلاف الشريعة فهو مبطل كاذب، وقوله هذا ليتوصل إلى ما أحدثوه في هذا الزمان الفاسد من معاشرة النساء الأجانب ويقول هذه بنتي وهذه أختي وأنا كأخيها وتنظر إليه وينظر إليها، وهذا فساد عظيم، قال الله تعالى في الأزواج المطهرات ﴿ وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ﴾. فعدم الستر من عدم الحياء والحياء من الإيمان فمن لا حياء له لا دين له ولا إيمان له قال عليه السلام: «الحياء دين كله» وقال «الحياء كله خير».

(واعلم) أن الحياء على ثلاثة أقسام: حياء العوام من التقصير في خدمة الله، وحياء الخواص من الإسراف في خدمة خالق الأنام، وحياء خواص الخواص من الإخلال للحقوق الإعظام. وأسأل الله الرضوان والاعتصام بجاهه عليه السلام.

قال الشاذلي: الطريق القصد إلى الله تعالى أربعة أشياء. فمن حازها، فهو من الصديقين المحققين. ومن حاز منها ثلاثا، فهو من الأولياء المقربين. ومن حاز منها ثنتين، فهو من الشهداء الموقنين. ومن حاز منها واحدة، فهو من عباد الله الصالحين. أولها الذكر، وبساطه العمل الصالح، وثمرته النور. والثاني التفكر، وبساطه الصبر، وثمرته العلم. والثالث الفقر، وبساطه الشكر، وثمرته المزيد منه. والرابع الحب، وبساطه بغض الدنيا وأهلها، وثمرته الوصلة بالمحبوب.

❖ بيان آداب السلوك ❖

(وأما آداب السلوك)، فاعلم أنه لا بد لمن أراد الوصول إلى مقام الكشف والشهود أن يخلص محبة الله تعالى عن محبة السوى، ويفرد قصده لذاته تعالى، لا لأجل الكشف والكرامات، ويعبد مخلصا لله تعالى، لا للأجر والنجاة، ويطبق جميع أعماله على قانون الشريعة وميزان السنة، ويجرد قلبه عن غواشي العلوم وشواغل الخواطر، ويزكي نفسه عن الأماني والآمال وأوساخ العناصر، ويطلق روحه عن عقال القيود الجسمانية والعوائق الحيوانية، ويحل عقاله عن قيود القوى والحواس، ويزكي أخلاقه عن الرذائل والمذمومات، ويجرد ذهنه عن العلائق البدنية والعادات الطبيعية، ويتوجه على الدوام إلى العوالم الروحانية والمجردات القدسية، ويستبعد عن مقتضيات البشرية، ويستقرب إلى الخصال الملكية، ويترك الدنيا وما فيها، ويعتزل أهل

الدنيا، ويقطع النظر عن المخلوقات، وينظر إليها بنظر العدم والفناء، ويعرض عن جميع المستلذات والمحسنات، ويجتنب جميع ما يشغله عنه تعالى، ويلازم جميع ما يتعلق بتوحيده تعالى من الذكر وسائر العبادات، ويجتهد في محو الرسوم ونفي التعلقات، ولا يطلب من الله بعمله أجر الآخرة، بل لا يطلب إلا رضاه، وأن يقصر طاعته على الفرائض والواجبات والسنن. وبعد ذلك لا يشتغل، إلا بعمل يورث التوحيد والتجريد والتفريد، لأن الوصول إليه تعالى لا يصير إلا بهذه الثلاث، ويترك الرخص والبدع والكسل والشهوة والغضب والعداوة، ويلازم العفة والحلم والإحسان، ويضطر على المجاهدات والرياضات والتفكر في المجردات والتوجه إلى الروحانيات، ويلازم الجوع والعطش وعرى الجسد وترك النوم، ويختار الفقر والضرورة في جميع الأحوال، ويلازم الزهد والورع والتقوى على كل حال، ويحفظ خاطره عن صور المعقولات والمحسوسات وهواجس النفس ووساوس الشيطان، ولا يهتم بهموم السوى، لما ورد في الخبر «إن الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلباً فيه هم غد»، ويصفو بمحبة لقائه تعالى واشتياقه وعشقه والانجذاب إلى حنابه ويرجو لقاء ربه تعالى بالأعمال الصالحات، كما ورد «من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه» ولقوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا﴾ الآية.

❖ بيان أقسام طرق السلوك الثلاثة ❖

(واعلم) أن أقسام طرق السلوك الثلاثة وما يتنوع منها كلها مبلغة للمرام، لكن بعضها أصعب وأطول، وبعضها أقرب وأسهل. فإذا كان الشيخ داريا بمعالجة الأمراض، وخبيرا بصفات النفوس والأغراض، سلكه بكل حزب نهجه القويم، ورد الخاسر لأحسن تقويم. وذلك لأن النفوس الإنسانية مرايا للتجليات. وبحسب كثافة المرآة وصدئها تنشرح في تلطيفها وجلائها. وإياك والتحويل والتشديد، فإن الحق أقرب إليك من حبل الوريد.

قال شمس الدين الحنفي: خصت الشاذلية بثلاث. فذكر منها، أنهم مختارون من اللوح المحفوظ. فيحتمل أن يكون المعنى أنه اختير لهذه الطريق أن يدخلها من الناس من يكون موصوفا بصفات القسم الثالث. أقول: وكذلك النقشبندية والسهروردية.

(واعلم) أن لتلاوة القرآن والأسماء الحسنى شؤونا وأسرارا، لكن لكل شخص قسم من الأذكار، يناسب حالته الغالبة على نفسه، يكون فتحه منه أقرب. ويعرف ذلك العارفون من المشايخ، كما حكي عن بعضهم أنه كان يجلس المريد بين يديه ويتلو عليه الأسماء الحسنى. فإذا رآه متأثرا عند اسم منها أو أسماء، أمره باستعمالها، فيفتح عليه سريعا. ويقال لهذا النوع السير إلى الله بالطبع. وذكر البوني كيفيتها في شمسه. وهي أن ينظر الشخص ميل نفسه إلى نوع من أنواع العبادات والذكر أو العلوم، فيستكثر من ذلك.

وقال في شرح المباحث : حتى سلك قوم بالمنطق، وقوم بالطبيعيات وقوم بالحكمة، وقوم بالفقه، وقوم بالحديث. وهما أقرب، إذ هما أحد أركان الطريق. ومن الناس من يخرج من ذلك كله. فيراعي لكل أحد ما تقتضيه قواه الطبيعية بعد قواه الحقيقية، لأن من سار إلى الله بطبعه، كان وصوله إليه على قدر بعده عن طبعه. وذلك يقتضي الاستهلاك قبل الوصول. فلا يتنعم برؤية، إلا في آخر نفس من وجوده. ولذا قال أبو العباس : بنى العجم مذاهبهم على التجريد. فلا يصلون إلى الحق إلا في آخر رمق. والمغاربة بنوا طريقهم على الاستهلاك. فلا ينعمون بالحق في هذه الدار أبداً. وأهل اليمن بنوا طريقهم على رؤية الحق والفناء فيه بأول قدم فهم ينعمون من أول قدم. وعلى هذا طريق الشاذلية والنقشبندية فهو حق. قال عليه السلام : «الإيمان يمان والحكمة يمانية وإني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» الحديث.

قال في لطائف المنن: كان مبنى طريق الشاذلي والنقشي محلى الجمع على الله وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر. وكان لكل مريد سبيل يحمله عليه، فيسلك بكل واحد بالسبيل الذي يناسبه. وكان يأمر أصحابه بالجمع على محبته. وكان لا يأمر أحداً أن يترك حرفته أو تجارته، بل يعرفه الطريق وهو باق على حاله. وكان يكره كل من ينادي على سر صاحبه بالإفشاء وكان يقول عن شيخه: اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدتم منهلاً أعذب من هذا المنهل، فردوا. وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له. وكان أبو العباس يحث على الحرفة، ويقول: عليكم بالسبب وليجعل أحدكم ما كوله سبحته أو تحريك أصابعه في الخياطة، انتهى.

(أخرج) أبو الشيخ والضياء المقدسي : قال عليه السلام : «من أخلص العبادة لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وابن ماجه : «من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها» عن عثمان.

❖ بيان الخلوة والعزلة ❖

(واعلم) أن العزلة والخلوة معروفتان، وهما مطلوبتان شرعاً. قال الله حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ واعتزلكم وما تدعون من دون الله -إلى قوله- وكلاً جعلنا نبيا ﴾، وقال الله : ﴿ وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾.

وقال النبي عليه السلام : «خير الناس من يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، ثم رجل يعبد الله في شعب من الشعاب ويدع الناس من شره». وقال عليه السلام : «أحب الناس إلى الله تعالى الفرارون بدينهم يبعثهم الله مع عيسى بن مريم يوم القيامة».

وقال أهل الحقيقة : الخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة. ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه.

(والعزلة نوعان) : عزلة العوام، وهي مفارقة الناس بجسده طلبا لسلامتهم من شره، لا لسلامته من شرهم. فإن العزلة على الوجه الأول صفة الأتقياء؛ لأنها نتيجة احتقار النفس واستصغارها. وعلى الوجه الثاني صفة الشيطان؛ لأنها أنفة وعار من خلق الله وتكبير إبليسي معناه أنا خير منهم. وإلى العزلة الأولى وقعت الإشارة بقوله عليه السلام في الحديث السابق. «ويدع الناس من شره». وقيل لبعض الرهبان: أنت راهب؟ فقال: لا، بل أنا حارس كلب عقور عن أذى الخلق. وهو نفسي أخرجتها من بين الخلق ليسلموا منها. ومر رجل ببعض الصالحين، فجمع ذلك الصالح ثيابه عن المار، فقال له الرجل: لم تجمع ثيابك عني وثيابي ليست بنجسة؟ فقال الشيخ: وهمت في ظنك ثيابي هي النجسة. فجمعتها عنك لكيلا تنجسك والعزلة الثانية عزلة الخواص، وهي مفارقة الصفات البشرية إلى الصفات الملكية وإن كانت مع الناس ومحاوراتهم. ولهذا قالوا: العارف كائن بائن. معناه كائن مع الناس بظاهره، بائن عنهم بباطنه وسره.

وقال أبو علي الدقاق: ألبس مع الناس ما يلبسون، وكل معهم ما يأكلون، وانفرد بسرك.

(وفي العزلة فوائد) منها السلامة من الغيبة والرياء والنفاق، والاشتغال بزينة الدنيا ولهوها، والأمان من ملل الأصدقاء، وستر الفاقة عن العدو والشامت والصديق المتوجع، والتفرغ للنظر في العلم واستنباط الحكمة. ومن أراد العزلة، فينبغي أن يحصل قبلها من العلم ما يصحح به عقيدة توحيده، لكيلا يستهويه الشيطان بوساوسه، وما يصحح به فرائض الله تعالى عليه، ليكون بناء أمره على أصل محكم وأساس قوي. وينبغي أن تكون عزلته خالية من ذكر كل شيء، سوى ذكر ربه، ومن إرادة كل شيء بعزلته، سوى إرادة ربه، ثم يؤاخذ نفسه في عزلته بتأديبها وتهذيبها بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات والعبادات. والحاصل أن العزلة الحقيقية عند القوم اعتزال الصفات المذمومة ومفارقتها.

قال أبو يزيد البسطامي: رأيت ربي في المنام فقلت: كيف أصل إليك؟ قال: فارق نفسك وتعال!

وقال يحيى بن معاذ: من كان أنسه بالخلق، ذهب أنسه إذا فارقهم. ومن كان أنسه بالله في الخلق، استوت عنده الأماكن كلها.

وقال أبو بكر الوراق: وجدت خير الدنيا والآخرة في العزلة والخلوة، وشرهما في الخلطة.

قال الشبلي: علامة الإفلاس الاستئناس بالناس. وقيل: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة، آنسه بالوحدة، وأغناه بالقناعة، وبصره عيوب نفسه. فمن أعطي ذلك، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة.

(واعلم) أن التوفيق للعزلة دليل سعادة الأبد، لأن من خالط الناس كاراهم. ومن كاراهم، راآهم. ومن راآهم نافقهم. ومن نافقهم، استحق الدرك الأسفل من النار بنص الكتاب العزيز. وعليك بمحو اسمك من صحائف القلوب وصحائف الألسن، فان العرفاء مظاهر بلاء، والخامل كامل، وطالب الاسم والرسم ظاهره عامر وباطنه خراب، وطالب الحق والحقيقة باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.

(واعلم) أنه قد خلط في طريق الخلوة والأربعينية قوم حرفوا الكلم عن مواضعه، ودخل عليهم الشيطان، وختم عليهم باب الغرور، ودخلوا الخلوة على غير أصل مستقيم من تأدية حق الخلوة بالإخلاص. وسمعوا أن المشايخ والصوفية كانت لهم خلوات، وظهرت لهم وقائع، وكوشفوا بغرائب وعجائب. فدخلوا الخلوة لطلب ذلك. وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال، بل الخلوة والوحدة والعزلة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل لله. بل قالوا: لن يصفو للعاقل فهم الأخير، إلا بإحكام ما يجب عليه من إصلاح الحال الأول.

❖ بيان المواطن ❖

وأما المواطن التي تجب على السالك فهي أن يكون خاليا من جميع الأذكار، إلا ذكر ربه، وخالياً من جميع المرادات، إلا مراد ربه، وخالياً من مطالب النفس من جميع الأسباب. فان لم يكن بهذه الصفة، فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية.

وقال محمد بن حامد: خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة، وشرهما في الكثرة والاختلاط. فمن دخل الخلوة معتلاً في دخوله، دخل عليه الشيطان، وسول له أنواع الطغيان، وامتلأ من الغرور والمحال، وظن أنه على حسن حال. وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها، وأقبلوا على ذكر من الأذكار، واستجمعوا أنفسهم بالعزلة عن الخلق، ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة، وجمع لهم تأثير في الصفاء مطلقاً. فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله انتج تنوير القلب، والزهد في الدنيا، وحلاوة الذكر، والمعاملة لله بالإخلاص من جميع الفرائض والسنن. وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله، ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب العلوم الرياضية مما يعتني به الفلاسفة والدهريون، خذلهم الله. وكلما كثر ذلك، كثر البعد من الله. ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية، أو بما قد يتراءى له من صدق الخواطر وغير ذلك، حتى يركن إليه كل الركون، ويظن أنه قد ظفر بالمقصود. والله يريد الاستقامة، وأنت تطلب الكرامة. وقد يفتح على الصديقين بشيء من خواطر العادات، وصدق الفراسة، وتبيين ما تحدث في المستقبل، وقد لا يفتح. ولا يقدح

في حالهم عدم ذلك. وإنما يقدح الانحراف عن حد الاستقامة. فما يفتح من ذلك على الصديقين، يصير سبباً لمزيد إيقانهم والداعي لهم إلى صدق المجاهدة، والمعاملة، والزهد، والأخلاق الحميدة. وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع، يصير سبباً لمزيد بعده، وغروره، وحماقته، واستطالته على الناس به، حتى يخلع ربقة الإسلام من عنقه، وينكر الحدود والأحكام، ويظن أن المراد من العبادات ذكر الله، ويترك متابعة الرسول إلى تلحد وتزندق، ويلوح بأنواع الخيالات. ويظن أنه بوقائع المشايخ عارف من غير علم بحقيقة عوارف ومعارف.

(واعلم) أن من العزيمة أن يختار السالك العزلة. وهي الوحشة والتفرد عما يشغله عن الله تعالى مما سواه. ولذا قال عليه السلام: القناعة راحة والعزلة عبادة.

(واعلم) أن العزلة تصحح القصد، وتجمع القلب عن التشتت، وتقوي التوجه إلى جناب الحق تعالى. فمن آثر العزلة، فقد آثر ربه على ما سواه. ومن آثر ربه على ما سواه لم يعرف أحد ما أعطاه من المواهب اللدنية. وأحسن مواضع العزلة أن يتخلى السالك في محل لا يعرفه الناس، وأن لا يشهر عزلته بين الناس. فمن اعتزل بهذا الشرط، تنكشف له دناءة الدنيا، ويظهر له أحوالها، ويسلم من آفاتها وأهوالها، ويخلص قلبه عن هجوم الخواطر ودخول الأغيار، وتستريح حواسه عن تعب الانتقال في المحسوسات، ويحصل له الترقي في المطالعات والعبادات. فلا بد للسالك أن يترك الصحبة والخلطة مع جميع الناس ولو الأهل والأصحاب، مهما أمكن له ترك الخلطة معهم لأنها سبب التفرقة، والغيبة والغفلة والنميمة والتكلم بما لا يعني. وكل هذه توجب البعد والحجاب عن الله تعالى، سيما إذا كانت الخلطة لأهل الغفلة والفساد والمنكر. فإنها ضلال وحجاب.

قيل: إن سهلا التستري قدس سره نظر إلى أحد الفقراء، فقال له: اعمل كذا وكذا. فقال له: يا أستاذ لا أقدر على هذا لأجل خلطة الناس. فالتفت سهل إلى أصحابه، فقال: لا ينال أحد هذا الأمر، حتى يأخذ بوصفين: أن يسقط الناس من عينه، فلا يرى في الدار إلا خالقه، ويعرف أن أحدا لا يضره ولا ينفعه، ويسقط عن نظر الناس. فلا يبالي بأي حال يرونه. ومن لم يكن فيه هذان الوصفان. فلا بد له أن يترك الخلطة مع الناس بشرط حفظ الجماعة والجمعة، إن أمن على نفسه من وقوع الفتنة بالحضور إلى الجمعات والجماعات. وإلا فتركهما جائز لصاحب السلوك المنقطع لطاعة الله، ويقصر عبادته على الواجبات والسنن مؤكدة أو غير مؤكدة. ثم يقدم وظيفة الذكر على سائر الوظائف كلها من أنواع العادات في جميع الأوقات، إلى أن يحصل في قلبه تلك الملكة الحميدة الذكرية. فبعد ذلك يسوغ له

الاشتغال بسائر الوظائف. فأي عمل تحصل له به زيادة الفيض والتقرب، يشتغل به. لكن إن حصل فتور و لم يتيسر له دفعه بطريق، فلا يعطل وقته. بل يشتغل بنوع آخر من نحو صلاة أو قراءة أو أدعية أو أوراد أو يشتغل بالذكر، إلى أن يزول عنه ذلك الفتور. ولو قصد بذلك الإعانة على ذكره القلبي وحضوره، كان أحسن من قصد الأجور والثواب. ثم لا يتئد، بل يشتغل فورًا بوظيفته. ولا يترك تلك المراقبة والملاحظة في أحوال اليقظة، وعند صحبة الخلق ومكالمته، بل عند تجارة، وبيع، وقضاء حاجة من الحاجات، وفي الخلاء وعند إرادة النوم، وتقلبه، وجميع حركاته وسكناته. بل في حال معصيته مثلًا، لأن الذهول عن الله غفلة، والغفلة معصية أخرى. بل هو أصل الخطيآت. فلا بد من الملاحظة لإحاطة ألوهيته وعظمته في كل وقت وحين. ولا بد أن تكون العبودية كذلك.

وقال بعض المحققين: إن الغاية القصوى من سر الإيجاد، إنما هو التحقق بكمال الإيمان والإسلام والإحسان، المعبر عنه بحق اليقين المحقق بدوام العبودية على طريق الإستهلاك، المنعكس جماله من مجالي المحققين به اصطفاء واجتباء إلى الكائنين معهم والمرابطين بهم وصحبة. فلقد سبقت تلك الحسنى من مجلاها الجامع للحافين به انعكاسا وانصباغا، وتسلسلت بها الصوفية عمومًا، وتصرفت معها بسابقة العناية بصديقهم وزيادة جذبة المحبة الذاتية المندرجة النهاية في البداية النقشبندية خصوصًا. فتزينوا لها بالعمل على السنة والعزيمة، وتطهروا لها بالاجتناب عن البدع والرخصة، ووفقوا لانعكاسها على دوام الحضور و كمال الاتباع، وعكفوا لانصباغها في تشرف الأتقياء بتمام الإقبال، فحلت لهم ساحتها. فهذه العروة الوثقى، والسعادة العظمى.

◆ بيان المجاهدة ◆

(وأما المجاهدة) فهي في اللغة المحاربة. وفي الشرع محاربة أعداء الله. وفي اصطلاح أهل الحقيقة، محاربة النفس الأمارة بالسوء، وتحميلها ما شق عليها مما هو مطلوب شرعًا. وقال بعضهم: المجاهدة مخالفة النفس. وقال بعضهم: منع النفس عن المألوفات.

(والمجاهدة على قسمين): مجاهدة العوام وهي توفيق الأعمال، ومجاهدة الخواص وهي تصفية الأحوال. فإن مقاساة الجوع والسهر، سهل يسير بالنسبة إلى تبديل الأخلاق المذمومة. والمجاهدة في الله من أعظم أسباب الوصول إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾. قيل: معناه من اجتهد في عمل الله، زاد الله هدايته. وقيل: معناه والذين اجتهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقنهم لذلك.

وقال عليه السلام «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله». وقال الشيخ أبو علي الدقاق:

من زين ظاهره بالمجاهدة، زين الله باطنه بأنوار المشاهدة.

(واعلم) أن المجاهدة لا بد منها بعد التوبة في ابتداء السلوك. ومن لم يكن في ابتدائه صاحب مجاهدة، لم يشرب من مورد القوم جرعة.

وقال أبو عثمان المغربي: من ظن أنه يفتح له باب من أبواب هذه الطريقة، أو يكشف له شيء منها بلا لزوم المجاهدة، فهو غالط.

وقال الحسن: بنيت هذه الطريقة على ثلاثة أشياء: أن لا تأكل إلا عند الفاقة، ولا تنام إلا عند الغلبة، ولا تتكلم إلا عند الضرورة.

وقال إبراهيم بن أدهم: لا ينال الرجل درجة الصالحين، حتى يجوز ست عقبات. الاولى: يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة. الثانية: يغلق باب العز ويفتح باب الذل. الثالثة: يغلق باب الراحة ويفتح باب التعب. الرابعة: يغلق باب النوم ويفتح باب السهر. الخامسة: يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر. السادسة: يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت. وقال أبو علي الروذباري: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام: أنا جائع، فالزموه السوق ومروه بالكسب. وقال إبراهيم الخواص: ما هالني شيء إلا ركبته.

(واعلم) أن أنواع المجاهدة كثيرة. فقد يليق بمريد نوع منها لا يليق بغيره على قدر قوة المريد وضعفه، ومعرفة ما هو الأشق، نظراً إلى حاله وإلى زمان مجاهدته، وغير ذلك. مثال ذلك أن المجاهدة بالصوم والصلاة أشق على الملوك من المجاهدة بالصدقة والعتق، وفي حق الفقير والحريص الأمر بالعكس. والمجاهدة بترك المجادلة والمنازعة، وإظهار الفضل، وترك التنافس في المجلس، وطلب التصدر، أشق على بعض أهل العلم والفضل من المجاهدة بالصوم والصلاة والمطالعة والتكرار. والمجاهدة في بعض المشايخ بترك عطايا الناس كيقللوها، أشق عليه من لبس الصوف الخشن وملازمة التجارة مدة طويلة. والمجاهدة بالصوم في الصيف أشق من المجاهدة بالصوم في الشتاء. وفي قيام الليل الأمر بالعكس. والحاصل: أن تعيين أنواع المجاهدة لأنواع المريدين مفوض إلى رأي الشيخ الذي يسلكهم ويربيهم، لا إلى اختيارهم لأنفسهم. فإن ذلك خطر عظيم وأمر مشكل وخطب جسيم.

◆ بيان اتخاذ الشيخ وأخذ الطريق ولزوم السلوك ◆

(وأما اتخاذ الشيخ وأخذ الطريق ولزوم السلوك) فقالوا: قد جرت العادة وجربت، بأن التطهير من النجاسة المعنوية، وأدناس الطوية، والحضور والخشوع في الصلاة وسائر العبادات بمشهد أن تعبد الله كأنك تراه، المعبر عنه بمقام الاحسان، لا يتيسر إلا بالسلوك على يد شيخ كامل عالم بعلاج هذه الأمراض، وحكمة معاملاتها علما وذوقا وتجربة. بل لو حفظ المبتلى

بالأخلاق الذميمة السابقة كتبا متعددة، لا يستغني بها عن تربية مثل تربية الشيخ ليخرجه عن رعونات نفسه الأمارة بالسوء ودسائسها الخفية، كما نشهد في كثير من المتفقهة المبتلين بها، والتجربيات والمشاهدات تلتحق باليقينيات القطعيات. وقد قال تعالى : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾.

وقال الشعراني في الأنوار القدسية : وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخا يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله بقلبه، لتصح صلاته، من باب "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب". ولا شك أن علاج أمراض الباطن كله واجب، كما تشهد به الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والوعيد بالعقاب عليها. فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخا يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج. ولو تكلف، لا ينفع بغير شيخ، ولو حفظ ألف كتاب. فهو كمن يحفظ كتابا في الطب، ولا يعرف تنزل الدواء على الداء. فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب، يقول : إنه طبيب عظيم. ومن رآه حين يسأل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال : إنه جاهل. فاتخذ لك شيخا ولا تعص. وتفكر بديئة الآخرة. وإياك أن تقول : طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة. فإنه كفر، فإنها كلها أخلاق محمدية وسيرة أحمدية وسنن إلهية.

وقال الشعراني أيضا في الجواهر : وسئلت عن الدواء الذي إذا استعمله العبد، زال عنه الرياء والإعجاب بأعماله. فقلت : الإكثار من ذكر الله تعالى، حتى يتجلى في قلبه التوحيد الحقيقي ويرى أعماله خلقا لله وحده جملة، ليس لعبد فيها غير النسبة. فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبر على أحد من العصاة، لأن العبد لا يرائي قط بعمل غيره ولا يعجب فيه بنفسه ولا يحصل عنده دعوى.

(فإن قيل) : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال؟ (قلت) لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فطووا به الطريق. وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ولم يخلصوا في شيء منها، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى ادخل جنتي برحمتي. فيقول: يا رب بل بعملي. وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقف على جلاء القلب. فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصدى، وحكم غيره كالصابون.

وقال الشعراني أيضا في الأجوبة المرضية : وقد كان عز الدين بن عبد السلام يقول قبل أن يجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي : وهل ثم طريق تقرب إلى الله غير ما بأيدينا من الفقه؟ فلما اجتمع بالشيخ، أقر طريق القوم بقوله : من أدل دليل على صحة طريق القوم وأن

أهلها قعدوا على القواعد وقعد غيرهم على الرسوم، مما يقع على أيدي القوم من الكرامات والخوارق. ولم يقع على يد فقيه كرامة ولو بلغ في العلم ما بلغ ما لم يتبع طريقهم، انتهى.

وقال فيه أيضاً: وكان الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه يقول لولده عبد الله: يا ولدي، عليك بالحديث، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية. فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه. فلما صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم، كان يقول لولده: عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة.

وقال فيه أيضا: وبلغنا أن الإمام الشافعي رضي الله عنه كان يجالس الصوفية ويقول: يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيدوه من العلم ما لم يكن عنده.

وقال فيه أيضا: فلا يقال: لو كان علاج هذه الأمراض الباطنة واجبا، لوضع الأئمة من الصحابة والتابعين والمجتهدين في ذلك كتاباً، ولم نر لهم كتابا فيه؛ لأنا نقول: إن هذه الأمراض الباطنة التي حدثت فينا، لم تكن في عصرهم. ولو كانت فيهم، لاستنبط المجتهدون في ذلك أدوية وكتبا وخلصوا الناس من الرياء والنفاق والعجب وغيرها، كما فعلوا ذلك في مسائل الفقه. ولا يقول عاقل قط: إن أحدًا من الأئمة يرى في أحد كبرا أو عجبا أو رياء أو حسدا أو نفاقا ويقره عليه أبدًا. بل كان يستنبط له الدواء من الكتاب والسنة، ليخرجه من إثم ذلك الداء فقد بان لك أنه يجب على كل من غلب عليه مرض الباطن أن يطلب شيخا يخرجه من تلك الورطة وإن لم يجده في بلده أو إقليمه، ويجب عليه السفر إليه، وأن من رزقه الله سلامة الباطن من الأمراض كالمجتهدين وكمل أتباعهم لا يحتاج إلى الشيخ، وإن احتاج لزيادة الكمال إلى أهل السلوك لأن هذا قد عمل بما علم على وجه الإخلاص وذلك هو حقيقة الصوفي

وقال القشيري: أول ما حدث ظهور الأمراض الباطنة أواخر المائة الثالثة، لقوله عليه السلام: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» فمن شهد له رسول الله ﷺ بالخيرية، فقد حاز رتبة الكمال كله.

وقال في الأجوبة: وكان الإمام الشافعي وأحمد يترددان إلى محل الصوفية ويحضران معهم في مجالس ذكرهم فقيل لهما: ما لكما تترددان إلى مثل هؤلاء الجهال؟ فقالا: إن هؤلاء عندهم رأس الأمر كله وهو تقوى الله عز وجل ومحبته ومعرفته. وقال في مشارق الأنوار: أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نغتر بحفظ العلم الذي يطلب منا العلم به من غير عمل كما عليه غالب الناس اليوم وليس السلف هكذا. ثم قال: ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ يرقيه إلى درجات المراقبة لله تعالى والخوف منه كما كان عليه علماء السلف. وسمعت شيخ الإسلام زكريا يقول: كل فقيه لا يجتمع بالصوفية

فهو كالخبز الجاف بلا إدام. وسمعت سيدي عليا الخواص يقول: لا يكمل طالب العلم إلا باجتماعه على أحد من أشياخ الطريقة ليخرجه عن رعونات النفس ومن الخواطر ومن لم يجتمع على أهل الطريق لازمه التلبس غالبا والدعوى بما علم. وكل من نسبه إلى قلة العمل أقام له الأدلة التي لا تمشي عند الله. ومن شك في هذا فليجرب. فاسلك على يد شيخ والزم خدمته واصبر على جفائه وعلى كل حال. فإن الذي يطلعك عليه أمر نفيس لا يقابل بالأمور الدنيوية. فإن العلم رياسة عظيمة وللنفس فيه دسائس فربما خفيت على مشايخ العلم فضلا عن الطلبة. روى مسلم وغيره: «اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع». وروى الطبراني: «كل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به». وفي رواية عنه مرفوعا: «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه».

وقال: لم يفرح أحد من أهل الله بشيء من أمور الدنيا والآخرة، وتساوى عندهم نسبة ذلك إليهم وسلبه عنهم؛ لأن أحدا منهم لا يشهد له ملكا مع الله في الدارين. وهذا الأمر لا يذاق ولا ينال، إلا بالسلوك على يد شيخ فاضل. وإن أردت العمل بذلك المشهد النفيس، فاطلب لك شيخا يرشدك إليه. وإلا فلا سبيل لك إلى ذلك، ولو عبدت الله بعبادة الثقلين. ومن هنا فرق بين السالكين والعابدين. فربما مكث العابد على علة خمسمائة سنة، والسالك يخرج عن العلة من أول قدم يضعه في الطريق، لأن بداية الطريق التوحيد لله تعالى في الملك، ثم الفعل، ثم الوجود. والعابد لا يذوق لهذه الثلاثة طعما. فوالله، لقد فاز من اتخذ له شيخا وخسر من لم يتخذ له شيخا أم اتخذه ولم يسمع نصحه.

وقال بعض الأكابر شراح الحكم العطائية: حضرت خواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره فقال: أقرب الطرق إلى الله عندنا نفي الوجود، وإن كانت الصلاة والصيام طريقا إلى الوصول إلى الحضرة الأحدية، لكن لا يتم الوصول بهما، إلا بنفي الوجود. فلذلك كان السالك يجد من المدد في الباطن والظاهر ما لا يجده في الصوم والصلاة، لأنها تنفي وجود السالك وتضمحل معها أوصافه، ويصير عبدا خالصا لمولاه، وتحفه حينئذ الألطاف. فلا تلتفت إلى سائر أورادك، ما عدا الواجبات والرواتب. وقد قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب.

وقال الشيخ ابن حجر: فليتخذ ثقة وحجة، ولا يلتفت إلى من يتعصب، وليتحر أورع المشايخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة. وليترك رسومه وليدخل تحت إشارته. ومن ظفر بشيخ بهذا الوصف، فحرام عليه أن يتركه. ويدلك عليه الأدلة الأربع، بل يشهد له الكتب السماوية كلها.

❖ بيان مخالفة النفس ❖

(واعلم) أن مخالفة النفس ومدافعة مرادها فرض عين وجهاد عظيم وأمر فخيم. قال الله تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾.

(وأوحى) الله إلى داود عليه السلام: يا داود، حذر أصحابك لكل الشهوات. فإن النفوس المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني.

وقال عليه السلام: «أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل». أما اتباع الهوى فيصدك عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة.

(واعلم) أن مخالفة النفس والتجرد عن حظوظها رأس العبادة، لأنها أعظم حجاب بين العبد والرب. ومن طلعت طوارق نفسه غربت شوارق أنسه. ومن رضي عن نفسه أهلكها. وكيف يصح للعاقل الرضا عن نفسه، وقد قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾.

وقال السري: طالبتني نفسي ثلاثين سنة أو أربعين أن أغمس جوزة في دبس. فما أطعتها.

وروي رجل جالسا في الهواء، فقيل له: بم نلت هذا؟ قال: بترك الهوى، تسخر لي الهواء.

وقال إبراهيم الخواص: من ترك شهوة، فلم يجد ثمرة تركها في قلبه، فهو كاذب في تركها.

(واعلم) أن النفس الأمارة بالسوء شيطان له سبع رؤس: الشهوة، والغضب، والكبر، والحسد، والبخل، والحرص، والرياء. فرأس الشهوة يقطع بالرياضة والإقلال من مشاركة البهائم في الأكل والشرب. ورأس الغضب يقطع بالحلم. ورأس الكبر يقطع بالتواضع. ورأس الحسد يقطع باعتقاد أن الملك لله، وأن الناس عبيده، فيهب لمن يشاء من عباده ما يشاء من ملكه، إما بطريق أنه أعلم بمصلحة كل واحد منهم، أو بطريق أنه يتصرف في ملكه كما يشاء ويختار. ورأس البخل والحرص يقطع بعز القناعة وبالنظر الصحيح في أن البخيل الحريص يلقي نفسه في الأمور الخبيثة الدنية ويعرض عرضه للذم والقدح ونفسه للكدر والتعب والهوان مدة عمره ويكابد مشقة الجمع والتحصيل ويفوت على نفسه الانتفاع بما رزقه الله تعالى. ثم يموت وينتفع بذلك غيره، ويبقى عليه وزره وحسابه. ورأس الرياء يقطع بالإخلاص الذي يثمر أنواع الخيرات والبركات الدينية والدنيوية.

❖ بيان أن موافقة هوى النفس طاعة للشيطان ❖

(واعلم) أن موافقة هوى النفس طاعة للشيطان. فخالف نفسك في هواها بمجاهدة ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك ﴾. ثم اعلم أن منبع قوى الإنسان الطبيعية والمزاجية وما يتبعها من الصفات والأخلاق والأفعال قلبه، وهو مرآة الروحي الإلهي المفارق المدبر

للبدن، لكن بواسطة الروح الحيواني المحمول في الصورة الضبائية الحاصلة في التجويف الأيسر الصنوبري، والروح الإلهي المشار إليه بقوله « وسعني قلب عبدي المؤمن » الحديث. فمن تشعبه للمطالب الكونية شعبا وتفرقه شيعا، بحيث يصير مخصصا لكل مطلب جزئي من تلك المطالب فيه حصة يهزل هزالا معنويا، كما يهزل البدن لفرط التحليل الذي لا يخلف، وكما يضعف ماء النهر العظيم إذا قسم جداول شتى. فيضطر إلى طلب الاستمداد والتقوى بأمور خارجية طالبا إيصالها إلى نفسه واتصالها به كما هو الأمر في المتغذي مع الغذاء. وتأبى الحقيقة من حيث المعنى ذلك كالضعيف المعدة والساقط القوي إذا رام إخلاف ما تحلل منه بغذاء يقصد تناوله. فإنه لا ينتفع به لعدم مساعدة الطبيعة على تحصيل المقصود منه. ونظير الطبيعة في عالم الحقائق الاستعداد. فإنه ما لم يكن له استعداد، لا يجديه الاجتهاد. فإنه لقصر الإنسان في أول أمره على ما حوته ذاته مما أودع الحق فيه وحفظ قلبه وسره الكلي من التوزع والتشتت والتشعب بالتعلقات بالمطالب الجزئية الكونية كان غذاء قواه الطبيعية والروحانية ثم الإلهية. وثمرتها أوفر وأتم مما قصد الاستمداد والتقوي به من خارج. وإنما جهل بكماله الذاتي المستجن فيه، فتصدى لطلبه وتحصيله من خارج. ولو هدي لسواء السبيل، لعلم أن متعلق المطلب الأعلى تفصيل مجملاته وبروز مستجناته بخروج ما في القوة إلى الفعل في جميع ما أنبث من صفاته وقواه بالتوزع والتكثر والاختلاف الانحرافي إلى التوحيد الاعتدالي والرجوع إلى أصل كل اعتدال من الاعتدالات الأربعة المذكورة، ثم إلى الأصل الأحدي الجامع للجميع، ليلحق كل فرع بأصله وتتحد الأصول بالأصول وتكمل الأجزاء بالكل. لكن حجب لظهور تمييز القبضتين وتحقيق الكلمتين، وليقضي الله أمرا كان مفعولا، كما في صدر الدين القنوي.

(ثم اعلم) أن النفس شأنها عظيم، وأمرها خطير. وقد جاءت في التحذير منها الآيات والأحاديث والحث على تزكيتها والتبري منها والخلاص عنها. فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾، وقوله : ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾، وقوله : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾، وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾. ومن الأحاديث قوله عليه السلام : « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك »، وقوله « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »، وعلى جميع المسلمين وجوب مراقبة الله، وتهذيب النفس، وتزكية أخلاقها على كل من لم يرزق قلبا سليما. وهذه النفس مذمومة عند كل شخص وفي كل زمان، بل جميع الملل متفقون على ذم النفس والتحذير من مكرها، وخداعها، وعدم الميل إلى غرورها. فلذلك جعل أئمة الطريق أول اشتغال المريد بقهر النفس، ورياضتها

ومخالفة قواها، وقطع مألوفاتها، وأمروه بالحذر منها ومن مكرها وألزموه بمحاسبتها. قال عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا». وقال البوصيري:

وراعها وهي في الأعمال سائمة ⊙ وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

كم حسنت لذة للمرء قاتلة ⊙ من حيث لم يدر أن السم في الدسم

(ثم اعلم) أن النفس حيثما أطلقت، تحمل على الأمارة. وقد ذكرها الله في كتابه مجملة ومفصلة. فأجمل ذكرها وأطلق وصفها بقوله: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ وبين شأنها مقيداً لنعتها تارة بالأمارة، وتارة باللوامة، وتارة بالملهمة، وتارة بالمطمئنة، وتارة بالراضية، وتارة بالمرضية، وتارة بالمسولة، وتارة بالمطوعة. وهي ترجع كلها إلى معنى واحد. وإنما تحدث لها أسماء بحسب تنوعاتها وتطوراتها. ومعرفتها واجبة بالأدلة الأربعة. ومحال أن يجاهد من هو جاهل لها، لأن معرفتها باب لمعرفة الله بمقتضي حكم الله. ولذا قال عليه السلام «من عرف نفسه فقد عرف ربه». والجهل بالله حرام ومعرفة الله واجبة، وكذا النفس.

(واعلم) أن النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية. وسماها الحكيم الروح الحيواني. فهو جوهر مشرق للبدن، وعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه. وأما وقت النوم فينقطع ضوءه عن ظاهر البدن دون باطنه. فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد، لأن الموت هو الانقطاع الكلي، والنوم هو الانقطاع الناقص. فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب: الأول إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن، ظاهره وباطنه، فهو اليقظة. وإن انقطع ضوءها عن ظاهره دون باطنه، فهو النوم. أو بالكلية، فهو الموت. والنفس الأمارة هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية. فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة. والنفس اللوامة هي التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة. كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها. والنفس المطمئنة هي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة. والنفس النباتي هو كمال أول لجسم طبيعي آلي مما يتولد ويزيد ويتغذى. والنفس الحيواني هو كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة. والنفس الإنساني هو كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الأمور الكلية ويعقل الأفعال الفكرية. والنفس الناطقة هي الجوهر المجرد عن المادة في ذواتها مقارنة لها في أفعالها. وكذا النفوس الفلكية. فإذا سكنت النفس تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات، سميت مطمئنة. وإذا لم يتم سكونها، ولكنها صارت مدافعة للنفس

الشهوانية ومعترضة لها، سميت لوامة، لأنها تلوم صاحبها على تقصيرها في عبادة ربها. وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت أمارة. والنفس القدسية هي التي لها ملكة استحضار جميع ما يمكن للنوع أو قريبا من ذلك على وجه يقيني. وهذا نهاية الحدس والفطانة والقوة. والنفس الرحماني عبارة عن الوجود العام المنبسط على الأعيان عينا وعلى الهيولى الحاملة لصور الموجودات. والأول مرتب على الثاني. سُمِّيَ به تشبيها لنفس الإنسان المختلف بصور الحروف مع كونه هو ساذجا في نفسه. وعُبِّر عنه بالطبيعة عند الحكماء، وسميت الأعيان بالكلمات تشبيها بالكلمات اللفظية الواقعة على النفس الإنساني بحسب المخارج. وأيضا كما تدل الكلمات على المعاني العقلية، كذلك تدل أعيان الموجودات على موجدها وأسمائه وصفاته وجميع كمالاته الثابتة بحسب ذاته ومراتبه. وأيضا كل واحد منها موجود بكلمة كن. فأطلق الكلمة عليها إطلاق اسم السبب على المسبب.

◆ بيان طريق المجاهدات والرياضات ◆

(واعلم) أن طريق المجاهدات والرياضات لابد منها، فإنه لا يمكن للسالك أن يصفي روحه، ويزكي نفسه، ويطهر ذاته، واللذات الحيوانية مستعلية على روحه، والشهوات الجسمانية متغلبة على نفسه، والقاذورات الطبيعية مختلطة بذاته. فلا بد لمن أحب تصفية روحه، وتزكية نفسه، وتطهير ذاته، أن يتريض برياضات الحكماء الإسلامية ويجتهد بمجاهدات العلماء العاملين، حتى يستولي على روحه وعلى نفسه، ويتخلى عن أحكام جميع القوى الظلمانية والحواس الجسمانية. وكذلك لا يمكن إلا بأن يجرد روحه عن الشواغل العنصرية، ويمنع نفسه عن الشهوات الحيوانية، ويدفع عنها الصفات الذميمة الطبيعية، ويحفظ نفسه عن الرذائل الدنيوية التي تجره إلى أسفل السافلين، وتنزله إلى دركات السجين. فبعد ذلك التجريد لابد له أن يكون قائما بأوامر الشريعة وهاربا عن نواهيها، وأن يكون في جميع أموره على الاتباع والاقتفاء لآثار الصحابة، ويترك هذه الدنيا الدنية، إلا بقدر الضرورة، ويترك الخلطة مع أهل الدنيا وطلابها، ويختار العزلة عن أحبابها، ويلازم الجوع والعطش، ويداوم على سهر الليالي، ولا يتكلم إلا عند الحاجة، ويخالف نفسه في الأمور كلها ويترك هواها، ويتوجه في جميع الأوقات إلى جناب مولاه، ويعرض على كل حال عما سواه. فإن بدوام السالك على الرياضات والمجاهدات، تتصفى روحه عن الكدورات العنصرية، وتتزكى نفسه عن القاذورات الطبيعية، وتتطهر ذاته عن الأحداث المعنوية المانعة من التقرب إليه تعالى ويستبرق ذهنه ويستضيء عقله، وتستنير جميع قواه، وتستقيم حواسه على الهدى، ويشرق قلبه ببارقات المحبة، ويتجوهر روحه بالأنوار الإلهية. وبعد ذلك يصير عارفا بنفسه، ومشاهدا لربه، ويتجلى له ربه على الدوام في الباطن والظاهر، ويكون

معه تعالى على كل حال بمضمون : لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

❖ بيان حكم معرفة النفس ❖

(واعلم) أن معرفة النفس فرض عين لكل فرد من أفراد الإنسان، لأن معرفة الرب موقوفة على معرفة النفس، لقوله عليه السلام : «من عرف نفسه، فقد عرف ربه» ونقيضه من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه. فمعرفة الرب فرض عين، لأن عبادة الرب تعالى موقوفة على معرفته تعالى لأن من لم يعرفه لم يعبده. وعبادة الرب فرض عين لقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾، وكل ما يتوقف عليه فرض فهو فرض. فمعرفة النفس فرض عين. فمن جهل بمعرفة نفسه، فهو أجهل بمعرفة ربه. فلا بد من معرفة نفسه حتى يعرف ربه ويعبده.

(ثم اعلم) أن من لم يعرف نفسه ما دامت في جسده، لا يعرفها بعد المفارقة عن جسده. ولا يعرف ربه أيضاً، كما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ﴾ الآية. والحاصل، أن معرفة النفس منبع العلوم والحكم ومطلع الفضائل والشيم ومصباح كشف عالم الملكوت ومشكاة شهود أسرار الجبروت ومعارج الوصول إلى حضرة اللاهوت. فما يصل أحد من بني آدم، إلا بمعرفة نفسه. ولم يتخذ الله تعالى وليا، إلا من اتصف بمعرفة نفسه.

(ثم اعلم) أن معرفة النفس لا تحصل بنظر عقلي. بل إنما تحصل بنور يقذفه الله في قلب عبده. ولا يقذف الله ذلك النور، إلا في قلب من تمسك بحبل الشريعة الغراء وتشبث بذيل السنة العلياء من الرياضات المتعالية والمجاهدات المتوالية بالانسلاخ عن الدنيا بالكلية والتجرد عن القوى الجزئية والكلية، وتزكية النفس عن الصفات الرديئة، وتوصيفها بالأخلاق الحميدة. فبعد ذلك يقذف الله تعالى في قلبه نورا من عنده. وبذلك النور يعرف نفسه، ثم يعرف ربه، كما قال : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾. فمن ذلك جميع علوم الأنبياء والأولياء والعرفاء بالله. ومن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نور. ولا يظن ظان أن تلك المعرفة تحصل بقراءة الكتب الشرعية، ومطالعة كتب الصوفية من غير مجاهدة بالأعمال الصالحة وغير تزكية النفس، وتجريدها عن الشواغل البدنية. فهيهات أن ذلك الظان يعطى له معرفة أو كشف أو شهود.

❖ بيان الحرية ❖

(وأما الحرية) فهي في اصطلاح أهل الحقيقة الخروج عن رق الكائنات ومراداتها، وقطع جميع العلائق. ولذا قال إبراهيم بن أدهم : الحر من خرج عن الدنيا قبل أن يخرج منها. وعلامة الحر سقوط التمييز عن قلبه بين أمور الدنيا والآخرة. فلا يسترقه عاجل دنياه ولا آجل عقباه،

كما قال ﷺ : « عرفت نفسي عن الدنيـــا فاستوى عندي حجرها وذهبها ». فالحر يؤثر الخلق بجميع الكائنات من الدارين، ولا يكون له سؤال ولا قصد ولا أرب ولا حظ، ومقام الحرية عزيز، ومعظم الحرية في خدمة الفقراء. وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام « إذا رأيت لي طالبا، فكن له خادما ».

وقال عليه السلام : « سيد الناس خادمهم ». والأحرار هم الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ وإنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه وآثروا به.

وقال عليه السلام : « إنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربع أذرع وشبر، وإنما يرجع إلى الآخرة ».

(واعلم) أن كمال الحرية نتيجة كمال العبودية. فمن صدقت لله عبوديته، خلصت عن رق الكائنات حريته.

❖ بيان العلم الباطن ❖

(واعلم) أن العلم الباطن، الذي هو من أعظم المنجيات والسلوك والرياضات والمجاهدات، فرض عين على من لم يرزق قلبا سليما بالجذب الإلهي، والتعليم اللدني والنفس القدسية الفطرية. وقليل ما هم. وأحكام الدين إنما تبنى على الأكثر الأغلب. وتعلم علم الظاهر لا يغني عن استفادته، كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخرين من الحنفية، كابن الهمام وابن الشلبي والشرنبلالي وخير الدين الرملي والحموي وأمثالهم.

(ومن الشافعية) كسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام والغزالي والسبكي والسيوطي وشيخ الإسلام القاضي زكريا والشهاب ابن حجر وأضرابهم.

(ومن المالكية) كالعارف أبي الحسن الشاذلي وخليفته أبي العباس وخليفته ابن عطاء الله والعارف ابن أبي جمرة وناصر الدين والزروقي وغيرهم.

(ومن الحنابلة) كالشيخ عبد القادر وفخر الإسلام والشيخ عبد الله الأنصاري وابن النجار ونحوهم. فإن هؤلاء العــلماء الكرام بعد التضلع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك وحسن الاعتقاد والإخلاص والتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل، كما نقل بعض العلماء قال : رأيت الغزالي في البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة. فقلت : يا إمام، أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا؟ فنظر إلي شزرا، وقال : لما بزغ بدر السعادة في فلك الإرادة، وجنحت أصول الوصول، جعلت أقول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل ❊ وعدت إلى مصحوب أول منزل

ونادتْ بي الأشواق مهـلا فهذه ◎ منازل مَن تهْوى رويدك فانزل

وقد شهد بوجوب تعلم علم الباطن كثير من الكتب المعتمدة، كتحفة المحتاج لابن حجر. قال في كتاب السير منها : ويجب على مَن لم يُرزق قلبا سليما، أن يتعلم أدوية أمراض القلب. وقال الخطيب الشربيني من الشافعية في شرح الغاية : وتنقسم الطهارة إلى واجب ومسنون. ثم الواجب ينقسم إلى واجب بدني وقلبي. فالقلبي كالحسد والعجب والرياء والكبر ونحوها. وقال الغزالي : معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض. وقال خاتمة المتأخرين الشيخ أبو بكر: وأما علم الباطن، كالعلم بأمراض القلب من الرياء والعجب والحسد والكبر والبخل والحرص والحقد وما يتولد منها والعلم بحدودها وعلاجها، والعلم بتحصيل أضدادها من الرضا بالقضاء، والقناعة وتحقير النفس والإخلاص والتواضع والصفاء والسخاء، فقد قال الغزالي والمتولي والبغوي وشيخه القاضي حسين وغيرهم : إنه من فروض العين.

وقال علاء الدين في الدر المختار : واعلم أنّ تعلم العلم يكون فرض عين وفرض كفاية ومندوبا، وهو التبحر في علم القلب وعلم الفقه. قلت : هذا هو التبحر. وأما أصل علم القلب فهو فرض عين. وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : وأما علم القلب فهو علم ذوقي ووجداني، لا يخضع تحت ألسنة الأقلام، ولا تحيط به الدفاتر. وهو بمقابلة العلم الظاهر بمنزلة الثمر للشجر، لا انتفاع إلا بثمره.

وقال محمد البركوي : وأقبح العجب العجب بالرأي الخطأ. فيفرح به، ويصر عليه، ولا يسمع نصح ناصح، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال. قال الله : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾، وقوله : ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾. وجميع أهل البدع والضلالة إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم. وعلاج هذا العجب عسر وصعب، إذ صاحبه يظنه علما لا جهلا، ونعمة لا نقمة، وصحة لا مرضا، ولا يطلب العلاج ولا يستشفي بالأطباء وهم علماء أهل السنة والجماعة. قلت : والمراد علماء الآخرة الذين أداموا ذكر الله ولا يشقى جليسهم، وهم الأولياء الجامعون للعلم الظاهر والباطن، والشريعة والحقيقة، أكابر الشيوخ من أهل المعرفة. وإلا، فالعالم بالعلم الظاهر فقد لا يقدر على علاج قلبه، فكيف لغيره؟

وقال الشرنبلالي : شرطت الطهارة الشرعية ليصير العبد أهـلا للعبودية والقيام بخدمة الربوبية. ولا ينفع ذلك حقيقة، إلا بإخلاص الطوية وتطهيرها من الأدناس المعنوية، إذ هي أضر من النجاسة الحقيقية، كالغل والغش والحقد والحسد وغيرها، ويصلح قلبه ليصلح به سائر الجسد، فيطهر قلبه عما سوى الله من الكونين بقطع العلائق عن جملة الخلائق وما تطمح إليه النفوس. فلا يقصد إلا الله ويعبده لاستحقاقه العبادة لذاته، وامتثال أمره ملاحظا جلاله

وكبريائه، لا رغبة في جنة ولا رهبة من نار، لأنه تعالى يحق حقه أن يعبد، كما قال ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾.

(واعلم) أنه لا بد له قبل ذلك كله من التوبة النصوح، وهي التوبة البالغة. وقيل: هي أن يتوب ولا يعود إلى ما تاب عنه أبداً. وقال يحيى بن معاذ: زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين زلة قبل التوبة. وقال ذو النون: الاستغفار من الذنب من غير إقلاع عنه توبة الكاذبين.

(ثم اعلم) أن أول مقدمات التوبة انتباه القلب من رقدة الغفلة، ونظر العبد فيما هو عليه من سوء الحال، والإصغاء إلى زواجر الشرع بسمع القلب. ولذا قال عليه السلام: « واعظ الله تعالى في قلب كل مؤمن » وثاني المقدمات، هجران رفقاء السوء لأنهم يمنعون عن التوبة قولاً وفعلاً. ومن تاب ثم لم ينقض توبته، فهو من السعداء. وإن نقضها مرة أو مرات، فإنه يرجى له أيضا الثبات عليها. فإن لكل أجل كتابا.

(وحكي) عن أبي حفص الحداد قال: تركت الصنع كذا وكذا مرة، ثم عدت إليها، ثم تركتها ولم أعد إليها.

وقال أبو علي الدقاق: تاب بعض المريدين، ثم ترك التوبة. ففكر يوما أنه لو عاد للتوبة، هل يقبل منه ذلك أو لا يقبل؟ فهتف به هاتف: يا فلان، أطعتنا فشكرناك، ثم تركتنا فأمهلناك. ولو عدت إلينا قبلناك. فعاد المريد إلى التوبة وبلغ المقصود.

(وأول) ما يبدأ به التائب بعد التوبة، إسقاط مظالم العباد وحقوقهم عن ذمته بالأداء والإبراء. فإن عجز عن ذلك، يكون أبدا عازما على إيصال ذلك الحق إلى مستحقه متى قدر عليه. ولا يزال يدعو لصاحب الحق إلى أن يوفيه حقه أو يبرئه منه. ثم يلزم الاعتزال عن الناس والانقطاع إلى الله لقضاء حقوق الله الفائتة والندم والبكاء وتمام الاستغفار في وقت السحر على ما فرط في جنب الله، وعلى ما ضيع فيه شبابه وصحته.

(واعلم) أنه لا ينبغي للعصاة والمذنبين أن ييأسوا من رحمة الله تعالى في قبول توبتهم ومحو حوبتهم، وإن كثرت ذنوبهم، وعظمت وتكرر منهم نقض التوبة والإصرار على الكبائر. فإن ذلك غلط عظيم وسبب لفوات التوبة والبقاء في الذنوب أبدا. بل ينبغي إذا عرض لهم مثل هذا الحال، أن يعلموا أن ذلك من كيد الشيطان، ومكره في منع الإنسان عن التوبة، وإبقائه مصرا على الذنب مدة حياته. نعوذ بالله من ذلك.

(وعلاج) ذلك الداء إذا حصل أن يتدبر العصاة قوله تعالى: ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾، وقوله

تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾. ونظائر ذلك كثير في القرآن والأحاديث.

(وروي) عن عبد الله بن عباس أنه قال : آيتان في كتاب الله تعالى، ما أصاب عبد ذنباً فقرأهما، ثم استغفر الله، إلا غفر الله له. إحداهما قوله تعالى : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ الآية، والثانية : ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه﴾ الآية.

(واعلم) أن التوبة أصل هذه الطرق وأساسها. فمتى صحت التوبة، وخلصت لله، صح ما يبنى عليها وأثمر. ومتى فسدت باختلال بعض شروطها أو بأن ينوي بها شيئاً من الأغراض الدنيوية، كطلب السمعة والشهرة واجتلاب قلوب الناس وما أشبه ذلك، كان البناء عليها كالبناء على شفا جرف هار.

❖ بيان العزيمة والرياضة والمجاهدة ❖

(واعلم) أن العزيمة والرياضة والمجاهدة، هي باب الوصول إلى الله. وهي أن يترك الدنيا بجميع أهلها وحبها وما فيها، لأن الدنيا مبغوضة عنده تعالى. فلا يمكن الوصول للسالك إليه تعالى مع حب الدنيا وتملكها. ولا ترفع الأعمال عند الله تعالى مع حب الدنيا. ولا ترقى إلى الفضل وحسن القبول، إلا بترك الدنيا، كما روي في الحديث «إذا قال الغني : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقالها الفقير كذلك، لم يلحق الغني الفقير في ذلك، وإن أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها»، وكما قيل : حب الدنيا رأس كل خطيئة، قيل : وتركها رأس كل فضيلة، ومبدأ كل عبادة، ومفتاح كل سعادة.

(واعلم) أن تملك الدنيا يسلب حلاوة الإيمان، وحبها يفسد الإسلام والإيمان، والنظر فيها يشتت القلوب عن معرفة الله، وكسبها يشغل العبد عن ذكره. وإن ترك الدنيا يزيد الإيمان، ويصحح الإسلام، ويزيد العبد إلى الله تعالى حبا، ويقربه زلفى.

قال عليه السلام : «أولياء أمتي لا يرغبون في جمع المال وادخاره ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره وإنما رضاهم من الدنيا ما يسد جوعهم ويستر عورهم»، وإن ترك أهالي الدنيا الذين يسعون في تحصيلها، ويرغبون في جمعها، ويتهالكون على حفظها محض سعادة وكمال وفضل. فلا بد للسالك إلى الله أن يفر من هؤلاء الغافلين، وأن يترك خلطتهم لأن خلطتهم تميل السالك إلى الدنيا، وصحبتهم تغفل قلبه عنه تعالى، وحبهم يسقطه عن نظر الله، ويقطعه عن السلوك إلى الله، ويسد عليه باب العرفان، فيهلك في الضلال. وقد ورد في الحديث «قد يأتي زمان يكون هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى أيدي قرابته. قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : يعيرونه

بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده موارد الهلكة »، وأن يترك ما في الدنيا من العز، والجاه، والتنعم، والراحة وتزوج النساء. فمن كان عزبا قبل السلوك في الطريقة لا يجوز بحكم السلوك أن يتزوج لأنه مع نفسه في نزاع وجدال ومخالفة بمنع هواها ولذاتها. وإذا وجدت النفس معينا على تقاضي آمالها، تغلب على صاحبها، وتميله إلى الدنيا ونيل هواها. فحينئذ ينقطع عن الله وسلوكه، نعوذ بالله تعالى. وكذا سائر ما في الدنيا، فينقطع عن الله، وجميع السعادة والفضل والكمال. ولذا قال الله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾، وقال: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾، وقال: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾.

وقال ﷺ: « الدنيا ملعونة وما فيها ملعون إلا كلمة لا إله إلا الله وما والاها »، وقال « ما سكن حب الدنيا قلب عبد إلا ابتلاه الله بخصال ثلاث: بأمل لا يبلغ منتهاه، وفقر لا يدرك غناه، وشغل لا ينفك عناه »، وقال: « الدنيا ثلاثة أيام: يوم أمس مضى ما بيدك منه شيء، ويوم غد لا تدري أتدركه أم لا، ويوم أنت فيه فاغتنمه »، الحديث. وقال: « إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له »، وقال: « إن الله لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا. وإنه لم ينظر إليها منذ خلقها »، وقال: « أربع خصال من الشقاوة: جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل وحب الدنيا »، وقال: « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة أو جناح طير، ما سقى كافرا منها شربة »، وقال: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »، وقال: « من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه. فآثروا ما يبقى على ما يفنى »، وقال: « حب الدنيا رأس كل خطيئة »، وقال: « يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور »، وقال: « لا يستوي حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد »، وقال: « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا »، فنهى عن ذكرها فضلا عن إصابة عينها.

وقال عيسى عليه السلام: "لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا"، الحديث.

وقال يحى بن معاذ: الدنيا حانوت الشيطان. فلا تسرق من حانوته شيئا، فيجيء في طلبه فيأخذك. وقال أبو حازم: يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة. وقال ابن المبارك: حب الدنيا والذنوب في القلب قد استوحشته. فمتى يصل الخير إليه، فاترك الدنيا حتى تحصل صلاح الدين واليقين والكمال والفضل وسعادة الدارين.

❖ بيان الجود والسخاء ❖

(وأما الجود والسخاء) فهما في اللغة بمعنى واحد. ولا يوصف الحق سبحانه وتعالى بالسخاء

لعدم التوقيف. وفي اصطلاح أهـل الحقيقة السخي من أعطى بعض ماله وأمسك البعض. والجواد من بذل الأكثر وأبقى لنفسه الأقل. والمؤثر من تحمل المشقة والضرر وجاد بالقوت. فالإيثار أعلى المراتب، ثم الجود، ثم السخاء. قال الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾، وقال: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

(وقال) النبي عليه السلام: «السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار». قيل: إن الجود هو إجابة الخاطر الأول. وكان بعض المشايخ جالسا في الخلاء. فدعا بعض تلامذه وقال له: انزع عني هذا القميص وادفعه إلى فلان. فقيل له: هلا صبرت حتى تخرج. فقال: خفت أن يتغير خاطري. وقيل: لما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة، أمر بضرب أعناقهم. فلما أحضروا لذلك، بادر الثوري وجلس بين يدي السياف، فقال له: أتدري إلى ماذا تبادر؟ قال: نعم. قال: فما سبب ذلك؟ قال: لأوثر أصحابي بحياة ساعة. فتعجب السياف وأنهى الخبر إلى الخليفة. فأطلقهم وكان فيهم الجنيد. وقيل: خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له. فنزل على نخيل قوم. فرأى عبدا أسود يعمل فيها. فأتى العبد بثلاثـة أقراص وهي قوته. فجاء كلب ودنا من العبد. فرمى إليه قرصا، فأكله. ثم رمى قرصا آخر فأكله. ثم رمى قرصا آخر فأكله. فقال له عبد الله: كم قوتك يا غلام كل يوم؟ قال: ثلاثة أقراص. قال: فلم آثرت الكلب؟ قال: لأن أرضنا ليست أرض كلاب. فعلمت أنه جاء من مسافة بعيدة فجاع. فكرهت رده. فقال عبد الله له: فما تصنع اليوم؟ قال: أطوي أحشائي إلى الغد. فقال عبد الله: ألام على السخاء، وهذا العبد أسخى مني. واشترى البستان وما فيه من الآلات والعبد وأعتقه ووهبه جميع ذلك. وقيل: أتى رجل صديقا له. فدق عليه الباب فخرج إليه فقال: ركبني أربعمائة درهم دينا. فدخل الرجل الدار باكيا ووزن المبلغ وخرج. فتوهمت امرأته أن بكاءه تحزنا على الدراهم. فقالت: هلا اعتذرت بعذر. فقال: إنما أبكي تقصيري في اختبار أحوال صديقي، حتى احتاج إلى مكاشفتي بحاله ابتداء منه.

وقال مطرف لأصحابه وخدمه: إذا أراد أحدكم مني حاجة، فليرفعها إلي في رقعة، فإني أكره أن أرى في وجهه ذل الحاجة. وقيل: إن أبا مرثد أحد الكرام مدحه شاعر. فقال له: ليس عندي ما أدفع لك. ولكن قدمني إلى القاضي، وادع علي بعشرة آلاف درهم، حتى أقر لك، ثم احبسني. فإن أهلي لا يتركونني محبوسا، بل يعطون المال. ففعل به ذلك، فما أمسى، حتى أعطوه المال كله.

وقيل: لما قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة، كان معه عشرة آلاف دينار. فقيل له: اشتر

بها ضيقة. فضرب خيمة خارج مكة وصب الكل تحتها. وكان يعطي كل من دخل إليه قبضة حتى فرغ الكل قبل الظهر.

وقيل: سخاء النفس مما في أيدي الناس أفضل من سخائها بالبذل. وقيل: ليس السخاء أن يعطي الواجد المعدم، بل السخاء أن يعطي المعدم الواجد.

❖ بيان طرق الوصول ❖

(واعلم) أن طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء عند السادات أربعة على ما في الحديقة:

[الطريق الأولى] وهي الأعلى والأقوى محبة الشيخ الحقيقي الكامل السالك بطريق الجذب المشروط بثلاثة شروط:

(الأول) أن يصحبه خدمة له وانتسابا إليه وافتخارا به وإقبالا عليه.

(الثاني) أن لا يعترض شيخه ولا ينكر عليه فعلا من أفعاله مطلقا، ظاهرا وباطنا، ويعد خطرات وهمه ذنوبا، يستغفر الله تعالى منها، لأن شيخه بيد الله تعالى، والله لا يأمر بالفحشاء والمنكر. ولكنه يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره.

(الثالث) أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل، لا يخالفه في شيء مطلقا، ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبدا. وتلك الصحبة تكون مقرونة بأصلين، هما كمال اتباع النبي ﷺ ومحبة الشيخ. وشيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله بحاله، لا بواسطة شيء آخر كالخرقة أو الذكر. فإن شيخ الخرقة يسري حاله في الخرقة، ثم يصل إلى المريد. وكذلك شيخ الذكر ذكر أمده لا شيخه، فهما شيخان مجازا، وهو شيخ حقيقة لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد.

وقال العارف عبد الغني النابلسي قدس سره: ورسم ما يتخيله السالك من معاني التجليات الإلهية وقت حضوره معها بها لا بنفسه، إنما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجه الرباني والإمداد الرحماني. فتارة يتأتى بالإلقاء الإلهامي من القلب إلى القلب مع صدق الحال. وتارة يتأتى بتقرير العبارات وتبيين الإشارات. وتارة بإلباس خرقة الصوفية المشهورة. وشرطها كمال الصدق من الطرفين. فيسري الحال الصادق بأمر الله في المريد الصادق. وتارة بنظر الشيخ الصادق من قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه «كنت بصره الذي يبصر به» في حديث التقرب بالنوافل. وتارة بنظر المريد الصادق من قوله ﷺ: «إذا رؤا ذكر الله». وهكذا الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبطء والإخلاص في الخدمة، والأدب مع المشايخ والإخوان والعلماء، وحفظ حرمتهم غيبة وحضورا.

[الطريق الثانية] وهي طريق مستقل للوصول. وهي عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل

إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته. فرؤيته بمقتضى «الذين إذا رؤا ذكر الله» بها تحصل الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب «هم جلساء الله تعالى» ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحث على الجليس الصالح. والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من البحر المحيط إلى قلب المريد المرابط. وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله، بموجب «المرء مع من أحب»، فيحفظ الصورة ويتحقق ويتصف بأوصاف الشيخ وأحواله التي له. وقيل: الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله. وإن وجد في إحضار الصورة سكر أو غيبة، يترك الالتفات إلى الصورة. فيكون متوجها إلى ذلك الحال، كما نقل في مقامات النقشبندي قدس سره، أنه كان واحد من الصوفية مشغولا بطريق الرابطة. وكان يوما في مجلسه متوجها إلى الصورة. فوجد أثر الغيبة وما التفت إلى الغيبة. فقال خواجه نقشبند: خلني، وكن متوجها إلى تلك الغيبة، لأن زمان الغيبة عما سوى الله، يسمونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم.

[الطريق الثالثة] الالتزام بما لقنه من الأذكار. وهو طريق مستقل أيضا للوصول. وللذكر آداب كثيرة سبق تفصيلها وسيأتي بعضه.

[الطريق الرابعة] التوجه والمراقبة، وسيأتي تفصيلها.

❖ بيان الخوف ❖

(وأما الخوف) فإنه توقع حلول مكروه أو فوات محبوب. وقيل: اشتغال النفس بما يكدر حالها في المستقبل. وقيل: تحركة القلب من جلال الرب. وسئل الجنيد عن الخوف فقال: توقع العقوبة على مجاري الأنفاس. والخوف من الله تعالى واجب، لقوله تعالى: ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وإياي فارهبون ﴾. وقد مدح الله تعالى بالخوف أنبياءه وأولياءه فقال: ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾، وقال: ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾، وقال: ﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾، وقال: ﴿ ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾، وقال: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾.

(وقال) النبي عليه السلام: « لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يلج اللبن في الضرع »، وقال: « إذا اقشعر جسد العبد من خشية الله، تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها »، وقال النبي عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾: « أي خائفة أن لا تقبل منهم أعمال البر »، وقال: « كان الناس يعودون داود عليه السلام ويظنون أنه مريض. ولم يكن به إلا شدة الخوف من ربه »، وقال: « رأس الحكمة مخافة الله »، وقال: « من خاف الله، خافه كل شيء »، وقال: « قال الله تعالى: "لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع أمنين. إن خافني في الدنيا لم يخف في الآخرة.

وإن أمنني في الدنيا لم يأمن في الآخرة".

وقال أبو علي الدقاق: الخوف على مراتب: الخوف والخشية والهيبة. فالخوف من قضية الإيمان لما تلونا من النص. والخشية من قضية العلم لقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. والهيبة من قضية المعرفة.

وقيل: أول الخوف الوجل. فإذا قوي صار خوفا. والخوف فزع تخف له الأعضاء. فإذا خفت، صار هيبة. فإذا صحبه العلم ودله على الصبر، صار خشية.

وقيل: الخوف للمؤمنين، والرهبة للعابدين، والخشية للعالمين، والوجل للمحبين، والهيبة للعارفين، لأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وقال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾. فالعارف له هيبة ودهشة في مقام الجلال وحضرة الكمال، لأنه إذا تجلى الحق في مرآة سريرته، لا يبقى فيها خوف ولا رجاء، لأن الخوف والرجاء من آثار الإحساس البشرية. فقد تلاشى الخوف والرجاء. ولهذا قال الواسطي: الخوف حجاب بين الله والعبد. وقال القشيري: معناه أن الخائف مطلع لوقت ثان، والصوفي ابن وقته. فلا مطلع له إلى مستقبل. وحسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقال أبو عثمان: علامة صدق الخوف التورع عن الآثام ظاهرا وباطنا. فينبغي للمؤمن أن يكون أبدا على حذر، ولا يغتر بحسن حاله وكثرة أعماله. وقيل: مرض سفيان الثوري، فعرض على الطبيب فقال: هذا رجل قطع الخوف كبده. وفيه أحاديث وآثار كثيرة.

وقال الشاذلي: كنت في ابتداء أمري أطلب الكيمياء وأسأل الله فيها، فقيل لي: الكيمياء في بولك، اجعل فيه ما شئت يعود كما شئت. فأحميت فأسا، ثم أطفأته في بولي، فعاد ذهبا. فرجعت إلى شاهد عقلي، فقلت: يا رب سألتك عن شيء لم أصل إليه إلا بالقذارة ومحاولة النجاسة. فقيل: يا علي، الدنيا قذرة. فإن أردت القذرة، لم تصل إليها إلا بالقذارة. فقلت: يا رب أقلني منها. فقيل: احم الفأس يكون حديدا.

◆ بيان الرجاء ◆

(وأما الرجاء) ففي اللغة الأمل. وقد جاء بمعنى الخوف أيضا. ومنه قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون﴾ أي لا تخافون عظمة الله. وعند أهل الحقيقة، تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل. وقيل: هو الثقة بجود الكريم. وقيل: هو قرب القلب من لطف الرب. وقيل: سرور الفؤاد بحسن المعاد. وقيل: هو حياة القلب بالأمل. وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله.

(واعلم) أن الرجاء لا يتحقق إلا مع الخوف، كما أن الخوف لا يتحقق، إلا مع الرجاء.

فهما متلازمان، لأن الرجاء بلا خوف، أمن في الحقيقة. والخوف بلا رجاء قنوط في الحقيقة، ويأس من رحمة الله. ولهذا قال بعض أهل الحقيقة: الخوف والرجاء كزوجي المقراض، لا يفيد أحدهما، إلا مع وجود الآخر.

وقال أكثرهم: هما كجناحي الطائر. متى اعتدلا وتساويا طار طيرانا. ومتى زاد أحدهما على الآخر، اختل طيرانه ونقص. ومتى ذهبا بالكلية، سقط وصار كالميت والمذبوح. ولهذا قال بعضهم: كن لما لا ترجو، أرجى منك لما ترجو. فإن موسى عليه السلام ذهب يقتبس نارا، فنودي بالنبوة. وكن لما لا تخاف أخوف منك لما تخاف، كما قال الله تعالى: ﴿ والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ﴾ مدحهم بالخوف في موضع الأمن، وهو عين ما قلنا.

وقال لقمان لابنه: يا بني، ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله لا تيأس من رحمته. فإن المؤمن ذو قلبين، قلب يرجو به، وقلب يخاف به. وقال الله تعالى: ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾. ومن الدليل الأقوى على تقوية الرجاء، قوله تعالى: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾.

وقال عليه السلام: « يقول الله تعالى يوم القيامة: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة شعير من الإيمان - وفي رواية - مثقال حبة من خردل - مكان حبة من شعير - ثم يقول: وعزتي وجلالي، لا يجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي »، وقال عليه السلام: « والذي نفسي بيده، لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله، لغفر لكم. ولو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون، ثم يستغفرون فيغفر لهم »، وقال: « إنما يدخل الجنة من يرجوها. وإنما ينجو من النار من يخافها ».

(واعلم) أن الإنسان ينبغي له أن يكون حسن الظن بالله عز وجل، لما اختص به من الرحمة والكرم والجود، لما ورد « أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فعليه ». وفي حديث آخر « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذراعا وإن اقترب إلي ذراعا اقتربت منه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » كما في الحقائق.

وقال عليه السلام: « لا يموتن أحدكم، إلا وهو يحسن الظن بالله. فإن قوما أهلكهم سوء الظن بالله تعالى ». قال الله تعالى فيهم ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾. وقال عليه السلام « أكبر الكبائر، سوء الظن بالله ». وقيل:

أوحى الله إلى داود عليه السلام : قل لعبادي : إني لم أخلقهم لأربح عليهم، بل خلقتهم ليربحوا علي. وقرأ معاذ الرازي قوله تعالى في حق فرعون ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ فقال : هذا رفقه عز وجل بمن كان يدعي الربوبية. فكيف يكون رفقه بمن يقر بالعبودية ؟

وقيل لمالك بن أنس في وقت قبض روحه كيف أنت؟ فقال ما أدري ما أقول لكم. ولكنكم ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم في حساب، ثم مات. وروي أبو سهل الزجاجي في النوم، فقيل له : كيف حالك ؟ فقال : وجدنا الأمر أسهل مما توهمناه. أحسنوا ظنكم بالله، وحسنوا أخلاقكم بالأعمال الزاكية.

(وروي) أبو سهل الصعلوكي في النوم، وهو على أحسن حالاته. فقيل : بم نلت هذه الحالة؟ فقال : بحسن ظني بربي، بحسن ظني بربي، مرتين.

وقيل : إن مجوسيا استضاف إبراهيم عليه السلام، فقال له : إن أسلمت، أضفتك. فأوحى الله إليه : يا إبراهيم، ما هذا البخل؟ ما تطعمه مرة، إلا بتغيير دينه، ونحن نطعمه سبعين سنة مع كفره. فتبعه إبراهيم فرده فأضافه. وقص عليه القصص فقال : هكذا يعاملني ربي. ثم أسلم. وجاء في بعض الأخبار عن النبي عليه السلام أنه قال حكاية عن الله تعالى « إن أنين المذنبين أحب إلي من زجل المسبحين ».

❖ بيان وجوب الإجتهاد في العمل ❖

(واعلم) أنه ينبغي للعبد مع رجاء رحمة الله تعالى أن يجتهد في العمل، كما قال الله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾، قدم العمل على التوحيد لفظا، وإن كان مؤخرا عنه رتبة. ثم إذا عمل الراجي لا يقع نظره على عمله. بل على فضل الله ورحمته. فيكون رجاؤه متعلقا بهما، لا بعمله. فإن فاعل الطاعة قريب من الله تعالى، وذلك بمنه ورحمته بتوفيقه العبد للقرب والطاعة. ولهذا قال الله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء ﴾. فمن اعتمد على عمله، غلط غلطا فاحشا لا تدارك له. اللهم احفظنا من ذلك.

وقال ابن عطاء الله في الحكم : من علامات الاعتماد على العمل، نقصان الرجاء عند وجود الزلل. وإرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية. وإرادتك الأسباب، مع إقامة الله إياك في التجريد، انحطاط عن الهمة العلية. وسوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار. وأرح نفسك من التدبير. فما قام به غيرك عنك، لا تقم به بنفسك. واجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك. ولا يكون تأخر أمد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا ليأسك. فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك، لا فيما تختاره

لنفسك، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد. ولا يشكِّكك في الوعد، عدم وقوع الموعود به، وإن تعين زمنه، لئلا يكون ذلك قدحاً في بصيرتك وإخماداً لنور سريرتك.

إذا فتح لك وجهة من التعرف، فلا تبال معها أن قلَّ عملك. فإنه ما فتحها لك، إلا وهو يريد أن يتعرف إليك. ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك؟ وتنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال. والأعمال صورة قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها. ادفن وجودك في أرض الخمول. فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه. وما نفع القلب شيء، مثل عزلة يدفن فيها ميدان فكرة. كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله، وهو مكبل بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله، وهو لم يطهر من جنابة غفلاته؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار، وهو لم يتب من هفواته.

قال الشاذلي ﷺ: إذا تداينتَ، فتداينْ على اللهِ. فإذا تداينت على اللهِ، فعلى اللهِ أداؤه وحمل عنك أثقاله وإذا تداينت على نفسك أو على معلوم هؤلك ثقل عليك أداؤه وربما سوفت أو ضيعت أو ماطلتَ أو هونتَ أو قدمتَ أو أخرتَ أو ظلمتَ أو كذبت فحسرت وما ربحت. فإن قلت: وكيف أتداين على اللهِ؟ فأقول: بقطع النفس عن الجهاتِ، وانتزاع القلب عن العاداتِ، وتعلقه بمن ملك الأرض والسموات. وقلْ: اللهم عليك تداينتُ، وباسمِك الذي حملتني به حملتُ، وعلى اللهِ توكلتُ، وإليه أمري فوّضتُ. فأعوذ بك من الدخول في كوي الجهل والنفس وفي العاداتِ والنتن والدنس والرجس. فإن عارضك عارض من معلوم هؤلك، فاهرب إلى الله منه هروبك من النار، ومن عمل أهل النار خوفاً أن تصيبك. وقل: أعوذ بك من النارِ، فأنقذني يا عزيز يا غفار. فهذه من غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة. فاعزبْ بنفسِك واحتسب أجرك على اللهِ. وقال: سمعتُ قائلاً يقول: ما صبر من أحس، ولا سلم من تكلف، ولا رضي من سأل، ولا فوض من دبر، ولا توكل من دعا. وهي خمس. وما أحوجك إلى هذه الخمسة أن تموت عليها؟ وقل: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فزدني من فضلِك وإحسانِك، واجعلني من الشاكرين لنعمائِك.

وقال الشاذلي ﷺ: كل شهوة تدعو إلى الرغبة في مثلها، فهي عدة الشيطان وسلاحه. وكل شهوة تدعو إلى طاعة اللهِ والرغبة في سبيل الخيرات فهي محمودة. وكل حسنة لا تثمر نوراً وعلماً في الوقت، فلا تعد لها أجراً. وكل سيئة أثمرت خوفاً، وهرباً إلى الله تعالى، ورجوعاً إليه، فلا تعد لها وزراً. وقد شكا إليه الناس ما هم فيه من الظلم، فقال: اللهم إني بريء من جور الجائرين، وظلم الظالمين، وأنا مجور لعدلك. فلا تجر علينا بسخطك، إنك على كل شيء قدير.

وقال حاكيا عن أستاذه : سيئتان قلما ينفع معهما كثرة الحسنات : السخط لقضاء الله، والظلم لعباد الله. وحسنتان قلما يضر معهما كثرة السيئات : الرضا بقضاء الله، والصفح عن عباد الله.

وقال : يا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه. أجرني مما أرهقني. فقيل لي : لا تهرب إلى الله في المصيبة والجزع والسخط، فيمقتك الله فقلت : ضيق علي هذا الأمر. فقال : نحن قدرنا عليك لنربيك فنعلمك ونريك. ثم قال : انف المنافع والمضار عنهم، لأنها ليست منهم، وأثبتها مني فيهم. وفر إلي منهم بشهود القدر الجاري عليك وعليهم ولك ولهم. ولا تخفهم خوفا تغفل به عني وتنساني وترد القدر إليهم. وكل خوف يردك إلى الله رد الرضا فصاحبه محمود. وكل خوف يردك إلى غيره، فصاحبه مذموم أو ناقص ملوم. فإن وصل إليك شيء بقدر الله بسببهم، فكن صابرا أو مسلما أو راضيا أو شاكرا أو محبا أو منيبا.

وقال : يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي، أنا وعوني لك ما لم تستبدل إرادة الخير بإرادة الشر أو تستبدل حسن الظن بكرمي بسوء الظن بي أو تستبدل التعلق بي بالتعلق بمخلوق دوني. فإن فعلت ذلك، تخليت عنك، ووكلتك إلى نفسك، ووليتك ما توليت، وأصليتك جهنم، وساءت مصيرا. فمن تاب تاب الله عليه. ومن استغفر، غفرت له. وأنا الغفور الرحيم. ثم قال : وعزتي، لولا خصلتان فيك، لأهلكتك بذنوبك الأمة قلت : وما هما ؟ قال : رحمتي أحب إليك من طاعتي، واستغفارك أكثر لديك من معصيتي. فبهما سبق السابقون ولم أردك إلى المقتصدين ولم ألحقك بالظالمين. ثم قال : قل : أعوذ بك من كون الدعوى، وإرادة الدنيا، ومتابعة الهوى. ثم قال : احفظ هذه الستة، فهي أصول الشر كله. واستعذ بالله، إنه هو السميع العليم.

وقيل : إن الحجب المانعة وصاله تعالى أربعة : حجاب المال ويرتفع ذلك بتفريقه، إلا قدر الضرورة. ومن له درهم واحد يلتفت إليه قلبه، فهو محجوب عن الله تعالى، وحجاب الجاه، ورفعه بالبعد عن موضع الجاه، وإيثار الخمول، وبأعمال تنفر الخلق. كما نقل عن السلف وعمل به الخلف، وحجاب التقليد، ورفعه بترك التعصب للمذاهب، وحجاب المقاصد النفسانية، ورفعه بترك كل معبود سوى الله، سيما الهوى. أفمن اتخذ إلهه هواه. وبعد رفع هذه الحجب، يتحصن بأربعة : الجوع. فإنه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره، ويذهب شحم الفؤاد، وفيه رقته، ورقته مفتاح المكاشفة. ومتى نقص دم القلب، ضاق مسلك العدو. والسهر، فإنه يجلو القلب ويصفيه وينوره. وإذا انضم إليه صفاء الجوع، يصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة. فيلوح فيه جمال الحق، ويشاهد فيه رفع الدرجات. والسهر

نتيجة الجوع، فإنه مع الشبع غير ممكن. والنوم يقسي القلب ويميته، إلا إذا كان بقدر الضرورة. فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب. والصمت يسهل العزلة. ولا يتكلم، إلا بقدر الضرورة. فإن الكلام يشغل القلب ويثقل التجرد للذكر والفكر. والخلوة وفائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر، إلا قدر الضرورة، وإذا سدت الحواس، تفجرت ينابيع الغيب عن حياض الملكوت وتنصب إلى القلب. فلا بد من الجلوس في مكان مظلم. وإلا فيلف رأسه في الجيب. فعند ذلك يسمع نداء الحق، ويشاهد جلال حضرة الربوبية. وبعد التحصن بهذه الأمور، يقطع عقبات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا. فإذن حصل قلبه مع الله، وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله، ما لا يجوز وصفه. بل لا يحيط الوصف به أصلاً.

❖ بيان العتق من النيران ❖

(وأما العتق من النيران) -أحسن الله ختامنا بفضله المنان- فاعلم أن الإنسان ضعيف عاجز غاية العجز والعدو من النفس والشيطان والهوى والدنيا قوي. فيجب على العاقل أن يعمل بما يخلص نفسه، ويسعى في فكاك رقبته من النار من جهة حق العبد، أو من حق المعبود، أو المخلوق. فإن الحديث مطلق وهو قوله عليه السلام: «من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة حرم الله عليه النار». وفي حديث مرفوع عن النبي عليه السلام: «من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله». وفي حديث الطبراني عن النبي عليه السلام: «من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة على طهارة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار». وفي حديث البيهقي عن أنس عن النبي عليه السلام: «من نام على يمينه في فراشه، ثم قرأ: قل هو الله أحد مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب: يا عبدي ادخل على يمينك الجنة».

وقال المشايخ: من أساء الأدب على البساط، رد إلى الباب والسقاط. ومن أساء الأدب على الباب، رد إلى إصطبل الدواب. نعوذ بك من الحور بعد الكور. فلا بد لكل واحد من المبتدي والمتوسط والمنتهي من المحاسبة والتفطن والتفكر في العاقبة والاستغفار والاستحلال والاستعاذة من العدو جميعاً ومن عقابه وعذابه وحجابه وحسابه. فمنه: اللهم إني أعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل. ومنه: اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان، وشركه. ومنه: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك. ومنه: رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين. ومنه: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. ومنه: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر. اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر. لا إله إلا أنت. ومنه: اللهم إني أعوذ بك من الحجاب، والعقاب، وسوء الحساب.

ومنه : اللهم كن لنا ولا تكن علينا. ومنه : اللهم إنا نسألك العافية في الدين والدنيا والآخرة. ومنه : اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت. ومنه : اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، برحمتك يا أرحم الراحمين.

❖ بيان الحياء ❖

(وأما الحياء) فقال الله تعالى : فجاءته إحداهما تمشي على استحياء. وقال النبي عليه السلام : «الحياء من الإيمان».

وقال ذو النون : المحب ينطق والحيي يسكت. وسئل الجنيد عن الحياء، فقال : حالة تتولد من رؤية النعم والتقصير في شكرها.

وقال ابن عطاء : العلم الأكبر الهيبة والحياء. وقيل في قوله تعالى ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ : إن البرهان الذي رآه أنها ألقت ثوبا على وجه صنم كان في البيت، فقال يوسف عليه السلام : ماذا قصدت بهذا ؟ فقالت : إني أستحي منه، فقال : أنا أولى أن أستحي من الله. وقيل في قوله تعالى ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ﴾ : إنها إنما استحيت، لأنها جاءته تدعوه إلى الضيافة. فاستحيت أن لا يجيبها. والاستحياء من الضيف من صفات الكرام.

(وروي) رجل يصلي خارج المسجد، فقيل له في ذلك، فقال : إني استحيت أن أدخل بيته وقد عصيته.

(وروي) رجل نائما في مسبعة، فقيل له : ألا تخاف النوم هنا ؟ فقال : إني أستحي من الله أن أخاف غيره.

(وأوحى) الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : عظ نفسك. فإن اتعظت، وإلا فاستح مني أن تعظ الناس. وقيل : إذا جلس الرجل ليعظ الخلق، ناداه ملك : عظ نفسك بما تعظ به أخاك. وإلا، فاستح من سيدك فإنه يراك.

وقال الفضيل : من علامة الشقاء : القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة، وطول الأمل.

❖ بيان القبض والبسط ❖

(وأما حقيقة القبض والبسط) فهما حالان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء. فالقبض للعارف، كالخوف للمستأنف. والفرق بينهما : أن الخوف والرجاء متعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب. والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت، يغلب على قلب العارف من وارد غيبي. ثم كل واحد من القبض والبسط قد يكون تاما، وقد يكون ناقصا قاصرا.

فالقبض التام، هو وارد غيبي قوي كأنه يعاقب على تقصير أو سوء أدب، كالمخاطب بما لا تحمل النفس أثقاله. فيستغرق العارف في ذلك، حتى تنسد عليه أبواب النفس. والقبض الناقص، وارد غيبي ضعيف، كأنه يخاطب بما تحمله قوته. فلا يبقى متسلوبا بالكلية. والبسط التام، وارد غيبي قوي، كأنه يخصه بتشريف وإقبال ولطف وسرور. فيجذبه بكليته، حتى يبقى متهوشا في بسطه، كأنه قد حل عنه عقال الموانع، وأطلق في ميادين الإفضال، وكوشف في رياض الجمال والجلال لقوة الوارد. والبسط الناقص غيبي ضعيف يؤثر في العارف سرورا ونشاطا وارتياحا تأثيرا تبقى معه فيه بقية يتصرف بها في نفسه وغيره. فلا يؤثر فيه البسط تأثيرا كليا. وقوته استيلاء سلطان العناية الأزلية على قلبه. وبسط كل شخص على حسب قبضه وقبضه على حسب بسطه. وقد يحدث قبض لا يعرف سببه. وعلاجه التسليم حتى يذهب ذلك الوقت، لأن التكلف بدفعه يخل بالأدب ويزيد في ذلك القبض. وبالتسليم يزول عن قرب. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾. وقد يحدث بسط بغتة، لا يعرف سببه. فيهز صاحبه ويستفزه. وسبيل صاحبه السكون والمراقبة وحفظ الأدب. فإن البسط له خطر عظيم. فليحذر صاحبه مكرا خفيا، يحجبه عن مقامه، كما قال بعضهم. فتح علي باب من البسط. فزللت زلة، فحجبت عن مقامي. ولهذا قالوا: قف على البساط، وإياك والانبساط. وقد استعاذ أهل التحقيق من حالتي القبض والبسط، لأنهما بالنسبة إلى ما فوقهما فقر وضر.

وقال الجنيد: الخوف يقبضني، والرجاء يبسطني، والحقيقة تجمعني، والحق يفرقني.

وقال صدر الدين في كيفية التنقل في مراتب الذكر ولوازمه: الدرجة الأولى دفع الخواطر بدوام الذكر الظاهر بجد وجمعية، دون فترة ودون إنزعاج للمزاج بل بحضور مع الحق، ومراقبة له على ما يعلم نفسه كما مر. فإذا خفت الخواطر وزالت، نطق القلب بالذكر الذي أنت فيه، أو بذكر آخر يعينه لك الحق من حالك، لعلمه سبحانه أنه الأنفع لك. فحضرت معه، وتركت الذكر ظاهرا. هكذا حتى تحس بإمكان خلو الباطن من الذكر المتحدد أيضا. فإذا أحسست بأنك قادر على ذلك، فاجتهد في تفريغ باطنك من الذكر الباطن، لتستعمل نفسك في الفراغ من الذكر الظاهر والباطن معا. فإنك تجدك قادرا على ذلك ساعة أو ساعتين، ثم تزاحمك الخواطر. فإن قدرت على دفعها بعزيمتك وإعراضك عنها وعما يوجبها، دفعتها بذلك. وإلا فعد إلى الذكر بقلبك بتعقل الحروف لا بتخيلها، كما تحدث نفسك بما تريد أن تفعله. وإن قويت زحمة الخواطر، فاجمع بين الذكر الظاهر والحضور الباطن معا، دون فترة أو في غالب الأوقات، هكذا. فكلما واظبت على ما ذكرت لك، يزيد فراغك وينمو، حتى تغلب بالحديث. واستعمل نفسك فيه وقلبك بما ذكرت دائما ولو كنت فيما عسى أن تكون

من الأشغال ما عدا زمان نطقك بالحديث مع الناس فإن تعينت لك قضية توجب الاشتغال بشيء غير ما أنت فيه أو مصلحة فشم الله بحضور وتوجه في أول الأمر. ثم اشرع فيما تريد الشروع فيه من حديث أو فكر أو فعل، وقل: اللهم كن وجهتي في كل وجهة، ومقصدي في كل مقصد، وغايتي في كل سعي، وملجئي وملاذي في كل شدة ومهم، ووكيلي في كل أمر. فتولني تولي محبة وعناية في كل حال. ثم باشر ما قلت لك مباشرته.

وقالوا: إذا عرض لقلب الذاكر في أثناء الذكر أو غيره تفرقة أو وسوسة أو إضرار أو هم أو كرب أو اضطراب أو نحوها، من النفس والشيطان أو من الظلمة والفساق وأهل الطغيان أو قبض من الروح، فليغتسل بالماء البارد إن لم يضر، أو الحار إن يضر، أو يتوضأ إن لم يقدر على الغسل. ويصلي بعد الغسل أو الوضوء في خلوته صلاة التوبة والحاجة ركعتين.

وكيفيتها عند البعض: يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة والسورة: التحيات لله الخ ثلاث مرات. ثم يسلم ويخطو قدامه سبع خطوات، ويعدها يقول: يا حي يا قيوم، سبعين مرة. ثم يسجد ويلاحظ روحانية شيخه على طريق ابتغاء الوسيلة به، ويقرأ في سجدته هذا الدعاء سبع مرات: اللهم يا صريخ المستصرخين، ويا غياث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين. قد ترى مكاني وتعرف حالي، ولا يخفى عليك شيء من أمري. ثم يرفع رأسه من السجدة، ويستغفر، ويدعو بهذا الدعاء: يا كاشف كل كرب، ويا مجيب كل دعوة، ويا جابر كل كسير، ويا ميسر كل عسير، ويا صاحب كل غريب، ويا مؤنس كل وحيد، ويا جامع كل شمل، ويا مقلب كل قلب، ويا محول كل حال، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. أسألك أن تجعل لي فرجاً ومخرجاً، وأن تقذف حبك في قلبي، حتى لا يكون بي هم، ولا في قلبي غم، وأن تحفظني وترحمني، برحمتك يا أرحم الراحمين. ثم يرجع إلى ذكره.

وإن لم يندفع ذلك العارض، فليتخيل صورة النبي ﷺ أي روحانيته كجسمانيته في الأمداد، ومنبع العون، ومطلع الهداية والإرشاد، في كل آن ومكان، أو صورة شيخه مع روحانيته، بشرط أن يعتقد أنه خليفة رسول الله ﷺ في الفيض والإمداد، وأنه نائب عنه في التربية والإرشاد. وإن لم يندفع، فليقل: يا فعّال -بالتشديد والمد بمقدار ثلاث ألفات- إلى أن يندفع عن قلبه ذلك العارض.

وقال بعضهم: إذا عرضت لقلب الذاكر في أثناء الذكر تفرقة من غلبة الشهوة، فليتوضأ وليذكر يا هادي. وإذا عرضت من غلبة الأفكار الفاسدة، فليتوضأ بالإسباغ، وليذكر يا لطيف. وإذا عرضت من تضايق النفس عن المجاهدة والرياضة، فليغتسل وليذكر يا فتاح. وإذا عرضت من غلبة شهوة الطعام، فليتوضأ وليذكر يا قوي. وإذا عرضت من وسوسة

الشيطان، فليتوضأ وليذكر يا قدير. وإذا عرضت من القوة الواهمة أو المخيلة، فليغتسل وليذكر يا ذا القوة المتين. وكيفية ذكر هذه الأسماء، أن يأخذ نفسه ويحبسه في جوفه. ثم يذكر هذه الأسماء، حتى لا يبقى نفسه ويفرغ جوفه منه. ويفعل ذلك سبع مرات في سبعة أنفاس متواليات. فبإذن الله تزول عنه تلك التفرقة، وتحصل الجمعية، والتوجه إلى الحق تعالى، كما في رسالة الخادمي وشرحها.

❖ بيان الشكر ❖

(وأما الشكر) فهو عند المحققين الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع. وعلى هذا، يكون وصف الله تعالى بالشكر توسعًا. ومعناه مجاز للعباد على الشكر. فسمي جزاء الشكر شكرا، كما سمي جزاء السيئة سيئة، وجزاء الاعتداء اعتداء. وقيل: شكره إعطاؤه الكثير من الثواب، على القليل من العمل، من قولهم: حيوان شكور، إذا ظهر فيه من السمن فوق ما يعطى من القوت. وقيل: حقيقة الشكر، الثناء على المحسن بذكر إحسانه. وعلى هذا، فلا يرد الإشكال لأن الله تعالى سمي شكورا، لأنه أثنى على عباده المطيعين بذكر طاعاتهم. والطاعات إحسان. والعبد سمي شكورا، لأنه أثنى على الله تعالى بذكر نعمة الله التي هي أعظم أنواع الإحسان.

وقال أبو عثمان المغربي: الشكر معرفة العجز. وقيل: هو أن تعلم أن النعمة من الله وحده. ويؤيد هذا القول ما روي عن موسى عليه السلام، أنه قال في مناجاته: خلقت آدم بيدك، وفعلت معه ما فعلت. فكيف شكرك؟ فقال الله: علم أن ذلك مني. فكان ذلك شكره.

وقال الجنيد: الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة. وقال: الشكر أن لا يستعان بنعم الله على معاصيه.

وقال الشبلي: هو رؤية المنعم، لا رؤية النعم. ويؤيد هذا القول، أن أيوب عليه السلام، صبر على البلاء، فقيل له: نعم العبد. وسليمان شكر على النعمة، فقيل له: نعم العبد، لأنهما اتفقا في المقام بعدم الالتفات إلى النقمة والنعمة لفقدان الألم واللذة باعتبار كمال المحو، وانسلاب صفات البشرية عنهما انسلابا انقلب فيه الصبر شكرا والشكر صبرا، فعدم التمييز بينهما. والفرق بين الشاكر والشكور، أن الشاكر هو الذي يشكر على العطاء، والشكور هو الذي يشكر على المنع. وقيل: الشاكر هو الذي يشكر على النعماء، والشكور هو الذي يشكر على البلاء. والشكر نوعان: شكر باللسان وهو معروف، وشكر بالقلب وهو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة. وقيل: هو ثلاثة أنواع: شكر باللسان، وشكر بالقلب، وشكر بجميع الجوارح على ما يليق بكل جارحة. فشكر العينين غضهما

عن محارم الله وعيوب الناس، وشكر الأذنين التصامم عن عيوبهم وعما لا يحل سماعه، وشكر اليدين كفهما عن أموال الناس، وشكر الرجلين كفهما عن المشي في معصية الله. وعلى هذا سائر الأعضاء. وقيل: شكر العالم بالقول، وشكر العابد بالفعل وهو الطاعة والعبادة، وشكر العارف بالاستقامة في كل حال، وشكر العوام على الطعام والشراب ونحوهما، وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني الربانية. وقيل: الشكر على الشكر أتم من الشكر. ومعناه، أن يرى شكر الله بتوفيق الله له، ويعتقد أن ذلك التوفيق من أتم النعم. فيشكر على ذلك التوفيق الذي هو الشكر الأول. ثم الكلام في الشكر الثاني كذلك إلى ما لا يتناهى.

(وروي) أن داود عليه السلام قال: إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك؟ فأوحى الله إليه: الآن قد شكرتني. وقيل: التزم حسن بن علي رضي الله عنهما الركن، وقال: إلهي أنعمتَ عليَّ فلم أشكر، وابتليتني فلم أصبر فلم تسلب النعمة لترك الشكر، ولا أدمتَ البلاء لترك الصبر. إلهي، ما يكون من الكريم إلا الكرم. وقيل: مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه الماء كثيرا. فتعجب منه، فأنطقه الله تعالى، فقال: يا نبي الله، مذ سمعت قوله تعالى: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾، وأنا أبكي خوفا من أن أكون من تلك الحجارة. فدعا ذلك النبي له، فأجاره الله تعالى من النار. ثم مر به بعد مدة، فوجده يتفجر كما كان. فتعجب منه، فأنطقه الله تعالى، فقال: يا نبي الله، قد كان ذلك بكاء الخوف والحزن، وهذا بكاء السرور والشكر.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: ارحم المعافى والمبتلى من عبادي. فقال: ما بال المعافى؟ قال: لقلة شكره على العافية.

قال الجنيد: الشكر فيه علة، وهي طلب المزيد. وذلك وقوف مع حظ النفس. وعن بعضهم قال: رأيت شيخا كبيرا، وقد طعن في السن في بعض الأسفار. فسألته عن حاله، فقال: كنتُ في شبابي أهوى ابنة عم لي وتهواني. فتزوجت بها. فلما زفت إليّ قلنا: لو أحيينا هذه الليلة شكرا لله على نعمة جمع شملنا. ففعلنا ولم يتفرغ واحد منا لصاحبه. فلما كانت الليلة الثانية، فعلنا مثل ذلك. ولنا سبعون سنة على تلك الحالة كل ليلة. ثم اعلم أن الحمد يوضع موضع الشكر، وأن الحمد أعم من الشكر لأن الشكر الثناء على المنعم بما أعطاك من النعمة، والحمد الثناء على الذات بصفاتها الحميدة كائنة ما كانت. وفي الحديث الصحيح: «إن أول من يدخل الجنة الحامدون لله على كل حال»، وفي رواية أخرى: «الحامدون لله على السراء والضراء». وقال عليه السلام: «الحمد لله شكر كل نعمة». وقيل: الحمد لله على ما دفع، والشكر له على ما صنع.

◆ بيان التفويض والتسليم ◆

(وأما التفويض والتسليم) فهما ترك الاختيار. فالتسليم والإسلام والاستسلام الانقياد. وهو إظهار العبودية. والتفويض أن لا يختار العبد شيئا من أمور دنياه، ويكل اختيار ذلك إلى مولاه، ثم لا يختار خلاف ما يختار له.

وقيل: التفويض يكون قبل نزول القضاء، والتسليم يكون بعده. والتسليم والتفويض من صفات أهل المعرفة. وقد مدح الله بهما الأنبياء، فقال في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾، وقال في حق موسى عليه السلام: ﴿ وأفوض أمري إلى الله ﴾.

وقال النبي عليه السلام: «إذا أخذ أحدكم مضجعه، فليقل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت. فإن مات، مات على الفطرة».

وقال علقمة ﷺ: «قدمت على النبي عليه السلام، وأنا سابع سبعة من قومي. فكلمناه، فأعجبه كلامنا، فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون. قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قلنا: خمس عشرة خصلة. خمس أمرتنا بها، وخمس أمرنا بها رسلك، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، ونحن عليها الآن. أما التي أمرتنا بها، فأن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره من الله. وأما التي أمرنا بها رسلك، فأن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم شهر رمضان، ونحج البيت إن استطعنا. وأما التي تخلقنا بها في الجاهلية، فالشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا بمر القضاء، وترك الشماتة بالأعداء. فقال عليه السلام: فقهاء أدباء، كادوا يكونون من الفقه أنبياء. ما أشرفها من خصال. ثم تبسم، وقال: وأنا أوصيكم بخمس خصال لتكمل لكم خصال الخير: لا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا ما غدا عنه ترحلون واتقوا الله الذي عليه تقدمون وإليه ترجعون، وارغبوا فيما إليه تصيرون وفيه تخلدون».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾: إنه كان لبنة ذهب فيها مكتوب [بسم الله الرحمن الرحيم. عجبا لمن يعرف الموت، كيف يضحك. وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها، كيف يطمئن إليها. وعجبا لمن يؤمن بالقضاء والقدر، كيف يتعب في طلب الرزق. وعجبا لمن يؤمن بالثلاث، كيف يعمل الخطايا].

(واعلم) أن الشرائط التي لا بد منها للمريد، ستة عشر على ما في الحديقة الندية:

منها إذا حصلت العقيدة بالشيخ، يقول عنده : جئت إليكم لطلب معرفة الله تعالى. ثم بعد قبول الشيخ، لا يلتمس شيئا، بل يخدمه بالميل والرغبة، حتى يحصل له القبول التام عند الشيخ. فإذا لقنه شيئا، فليغتسل به على اللوام من غير إخطار خاطر.

ومنها أن لا يتحمل أمانة تبليغ سلام الغير إلى الشيخ، لأنه سوء أدب.

ومنها أن لا يتوجه إلا لما أراده الشيخ رافعا نظره عن الغير، فانيا في أقوال الشيخ وأفعاله وصفاته وذاته، لما قيل : الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله.

ومنها أن لا يتوضأ بمرأى من الشيخ، ولا يرمي البزاقة والمخاطة في مجلسه، ولا يصلي النوافل في حضوره.

ومنها أن يتبادر بإتيانه ما أمر به الشيخ بلا توقف ولا إهمال، ولا تأويل من غير استراحة، ولا سكون قبل تمام ذلك الأمر.

ومنها أن لا يعترض في القلب على أفعال الشيخ. ومهما قدر على تأويلها، يؤولها. وإلا ينسب نفسه إلى القصور في الفهم. ويتأنس بقصة موسى والخضر عليهما السلام، لأن الاعتراض أقبح من كل قبح. والمعترض لا يكون معذورا. فالحجاب الذي ينشأ من الاعتراض ليس له علاج، ورفعه متعذر، ويسد مجاري الفيض على المريد.

ومنها أن يظهر الخواطر خيرا وشرا لشيخه، حتى يعالجه. فإن الشيخ كالطبيب. فإذا حصل له الاطلاع على أحوال المريد، يتوجه إلى إصلاحه ورفع أمراضه. ولا يعتمد في عدم إظهارها على كشف الشيخ، لأن الكشف قد يتلون. وقد يخطئ، والخطأ الكشفي عند الأولياء بمنزلة الخطأ الاجتهادي، إلا أنه لا يعمل به. ولو صح لا يبنى عليه حكم عندهم مما لم يساعده الظاهر. فاحفظ هذا فإنه نفيس.

ومنها الصدق في الطلب. فلا تغيره المحن والشدائد، ولا يفتره العذل والمكايد والمحبة المفرطة الصادقة لشيخه أكثر من نفسه وماله وولده، معتقدا أنه لا يحصل له المقصود من الله تعالى، إلا بواسطة شيخه.

ومنها أن لا يقتدي بجميع أفعال الشيخ العادية، إلا أن يأمره بها. بخلاف الأقوال، لأن الشيخ قد يعمل بعض الأعمال بحسب مقامه وحاله. وكذلك العمل يكون على المريد سما قاتلا.

ومنها المبادرة إلى أمره بأن يأتي بما أمر به من غير تأويل ولا تسويف، فإنهما من أعظم القواطع.

ومنها العمل بما لقنه شيخه من ذكر أو توجه أو مراقبة، وترك جميع الأوراد الغير المأثورة، لأن فراسة الشيخ اقتضت تخصيصه بذلك وهي من نور الله.

ومنها أن يرى نفسه أحقر من جميع الخلائق، ولا يرى لنفسه حقا على أحد، ويخرج من عهدة

عهدة حقوق غيره بالأداء، والتوبة، وقطع العلائق عما سوى المقصود.

ومنها عدم الخيانة لشيخه في أمر من الأمور، واحترامه، وتعظيمه على أقصى الوجوه، وتعمير قلبه بالذكر الملقن به، وطرد الغفلة والخواطر.

ومنها أن لا يكون مراده من الدنيا والآخرة غير الذات الأحدية من حال أو مقام أو فناء أو بقاء. وإلا فهو طالب لكمال نفسه وأحوالها. فينبغي أن يكون كالميت بين يدي الغاسل؛ وأن لا يرد كلام الشيخ، وإن كان الحق مع المريد، بل يعتقد أن خطأ الشيخ أقوى من صوابه، ولا يشير للشيخ بشيء إن لم يسأله.

ومنها أن يكون منقادا مستسلما لأمر الشيخ ولمن يقدمه عليه من الخلفاء والمريدين، وإن كان عملهم أقل من عمله الظاهري.

ومنها أن لا يظهر حاجته إلى أحد غير شيخه. فإن لم يكن شيخه حاضراً، حصلت له الضرورة. فليسأل من صالح أمين سخي تقي.

ومنها أن لا يغضب على أحد، لأن الغضب يميت نور الذكر، وأن يترك المناظرة والمباحثة بالجدال مع طلبة العلم، لأن المناظرة تورث النسيان والكلورات. وإذا وقع منه الغضب أو المباحثة مع أحد، يستغفر ويطلب منه العــذر، وإن كان محقاً، وأن لا ينظر إلى أحد بنظر الحقارة. بل يحسبه أنه الخضر عليه السلام أو ولي من أولياء الله الكرام. فيطلب منه الدعاء.

وفي التاجية: اعلم أن مكافأة بعض حقوق الشيخ لا تتيسر، إلا برعاية حسن الأدب. فالتعظيم في الطريقة من معظمات حقوقهم، والإهمال عين التقصير والخسران، لأن له نسبة الأبوة المعنوية. بل قالوا: هذه النسبة عند أهل المحبة والعــارفين أشرف وأعظم من نسبة الأبوة الظاهرة.

◆ بيان الآداب المتعينة على المريد مع شيخه ◆

(وأما الآداب المتعينة) على المريد مع شيخه المتفق عليها عند الجمهور فهي بطريق الإجمال عشرة :

منها أن يكون اعتقاده مقصوراً على شيخه، معتقدا أنه لا يحصل مقصوده ومطلوبه، إلا بيد هذا الشيخ. وإذا تشتت نظره إلى آخر حرم من شيخه، وانسد عليه الفيض.

ومنها أن يكون مستسلما منقاداً راضيًا بتصرفات الشيخ، يخدمه بالمال والبدن، لأن جوهر الإرادة والمحبة لا يتبين، إلا بهذا الطريق. ووزن الصدق والإخلاص لا يعلم، إلا بهذا الميزان.

ومنها أن يسلب اختيار نفسه باختيار الشيخ في جميع الأمور كلية أو جزئية، عبادة أو عادة.

ومنها الفرار من مكاره الشيخ بأقصى الوجوه وكراهة ما يكرهه الشيخ طبعًا.

ومنها عدم التطلع إلى تعبير الوقائع والمنامات. وإن ظهر له تعبير، فلا يعتمد عليه. وبعد عرض الحال على الشيخ، يكون منتظرا جوابه من غير طلب، ويبادر بالجواب إذا سأله.

ومنها غض الصوت في مجلسه، لأن رفع الصوت عند الأكابر من سوء الأدب، ولا يبسط المقال والجواب والسؤال معه، لأنه يزيل احتشام الشيخ عن قلب المريد، فيحتجب.

ومنها معرفة أوقات الكلام معه. فلا يكلمه، إلا في البسط بالأدب، والخضوع والخشوع من غير زيادة على الضرورة بقدر مرتبته ودرجته وحاله، مصغيا بالتوجه التام إلى جواب الشيخ. وإلا فيحرم من الفتوح، وما حرم منه لا يرجع إليه مرة أخرى، إلا نادرا.

ومنها أن يكتم شيئا من الأحوال والخواطر والواقعات والكشوف والكرامات وما وهبه الله له عن الشيخ.

ومنها أن لا ينقل من كلام الشيخ عند الناس، إلا بقدر أفهامهم وعقولهم.

(واعلم)، أن الأدب في اصطلاح أهل الحقيقة، هو اجتماع خصال الخير. وقيل هو أن تعامل الله تعالى بالمستحسن، سرا وجهرا. وقيل : هو معرفة النفس. وقيل في قوله تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ : معناه أنه حفظ أدب الحضرة.

وقال أبو العباس في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ : معناه فقهوهم وأدبوهم.

وقال النبي عليه السلام : « حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه ». (وقال : « إن ربي أدبني فأحسن تأديبي ». وقيل : أدب أهل الدنيا الفصاحة، والبلاغة، وحفظ العلوم. وأدب أهل الدين رياضة النفوس. وأدب الجوارح حفظ الحدود، وترك الشهوات. وأدب الخواص طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب، وأوقات الحضور في مقامات القرب. وقيل : كمال الأدب لا يصفو، إلا للأنبياء والصديقين. وقيل : العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه في طاعته إلى الله.

وقال البعض : كان أبو علي الدقاق لا يستند لشيء قط. وقال الجريري : منذ عشرين سنة ما مددت رجلي وقت جلوسي في الخلوة. فإن حسن الأدب مع الله أولى. وقيل لابن سيرين : أي الأدب أفضل مع الله؟ قال : المعرفة بربوبيته، والعمل بطاعته، والشكر على السراء، والصبر على الضراء.

وقال الحسن البصري : أنفع الآداب عاجلا، وأوصلها آجلا : التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بالله. وقيل : ثلاث خصال ليس معها غربة : مجانبة أهل الريب، وحسن

الأدَب، وكف الأذى. وقيل : مد عَطَاء رِجْلَه بين أصحابه، وقال : ترك الأدَب بين أهل الأدب أدَب. وقال الجنيد : إذا صحت المحبة، سقطت شروط الأدَب. وقال أبو عثمان : إذا صحت المحبة، تأكدت على المحب ملازمة الأدَب. وقال أبو علي الدقاق : إنما قال أيوب عليه السلام : ﴿ مسنيَ الضر وأنتَ أرحم الراحمين ﴾، ولم يقل : ارحمني، حفظًا لأدب الخِطاب. وكذلك قول عيسى عليه السلام : ﴿ إنْ تعذبْهم فإنهم عبادك ﴾، وقوله أيضا : ﴿ إن كنْتَ قلته فقد علمْتَه ﴾، ولم يقلْ : لم أقلْ.

❖ بيان آداب المريد مع إخوانه ❖

وأما آداب المريد مع إخوانه لمسيس الحاجة إليها :

فمنها : أن لا ينظر لهم قط إلى عورة ظهرَت، ولا عثْرة سبقت. فإنه معرّض للوقوع فيها أو في مثلها كما وقعوا. وقالوا : كل فقير كشف له عن شيء من عيوب الناس، فهو صاحب كشف شيطاني، لا يعبأ الله به. ومن نظر إلى عورات الناس، وحملهم على المحامل السيئة، قلّ نفعه، وعدم بركته وانتفاعه مع شيخه.

ومنها : أنْ ينفق على إخوانه، وعلى نفسه كل ما فتح الله عليه به، أولاً فأولاً، ولو كانت فجلَة أو خيارة.

ومنها : أن لا يزاحم على الإمامة قط في الزاوية، أو غيرها.

ومنها : أن ينبه إخوانه لأوقات الخيرات والمواسم كالأسحار، وليالي الجمع، والقدر وغيرها. ثم ينبغي للفقير - إذا تنبه قبل إخوانه ورأى نفسه أكثر عبادة منهم - أنْ لا يرى نفسه عليهم، بل يرى نومهم أخلص من عبادته هو، لأن النائم لا يكتب عليه قلم.

ومنها : أن لا يكون مقداما لإخوانه قط في سوء الأدَب مع الشيخ، أو مع أحد من إخوانه. كأن يخرج من تحت يد شيخه وتربيته، ويطلب وظائف الدنيا، ويجمع معلومها، ويوسع على نفسه في المأكل والملبس. فيسيء في حق الشيخ وفي حق إخوانه، ويصير قدوة لكل من تبعه في فعله. فتتلف ضعفاء المريدين بالكلية.

ومنها : أن لا يرمي نفسه إلى الكسل والخمول، ويمتنع من مساعدة الفقراء في قضاء حوائج الزاوية.

ومنها : أن يكون مقداما لإخوانه في كل عمل شاق.

ومنها : أن لا يغفل عن خدمة من مرض في الزاوية، من إخوانه الذين لا أهل لهم، ولا قرابة، ولا أصحاب يخدمونهم.

ومنها : أن يحسن لإخوانه إذا بغى بعضهم على بعض بالأخذ على يد الظالم، وتصبير المظلوم.

ومنها أن يراقب قلبه من جهة إخوانه. فمهما حدث له تغير في قلبه من أحد من المسلمين، فليسعَ في إزالته، وليظن بأخيه خيراً.

ومنها أن لا يغفل عمن حضرته الوفاة من إخوانه، وليسهر عنده إلى الصباح.

ومنها أن لا ينسى إخوانه من الدعاء لهم بالمغفرة والمسامحة كلما قام من الليل وفي عبادته، ليقول الملك : ولك مثل ذلك.

ومنها أن لا يذكر الفقير أخاه إلا بخير، لا سيما أيام غيظه عليه، ولا يتوقف على مواطأة لسانه.

ومنها أن يقدم خدمة إخوانه وقضاء الحوائج من مهماتهم على جميع نوافله.

ومنها مبادرة الفقير لتنظيف المستراحات من القذر والأذى، لا سيما إن أمر الشيخ.

ومنها أن يتخذ عنده الموسى والسكين والإبرة والمخرز ونحوها لرفع مؤنته عن إخوانه، لئلا يحتاج إلى أحد منهم فيمنعه فيقع في عرضه.

ومنها إذا وقع في سوء أدب مع أحد من إخوانه أو غيرهم، أو في حق شيخه، أن يكون استغفاره بكشف الرأس، والوقوف في صف النعال، واضعاً يده اليمنى على اليسرى. فإن لم يقبل، فالأدب أن يبقى قائماً، ويقول : أنا ظالم.

ومنها أن يحث إخوانه كلهم على الأدب.

ومنها أن لا يأكلوا فرادى قط، إلا لعذر. وهذا إجمال من التفصيل. والموفق يكفيه القليل، والبليد لا يفيده التطويل.

◆ بيان الفقير والغني ◆

(واعلم) أن الفقير هو عند بعض أئمة اللغة من له شيء يسير، والمسكين من لا شيء له. وعند بعضهم بالعكس. وفي اصطلاح أهل الحقيقة، هو الذي لا يجد غير الله تعالى، ولا يستغني إلا به، ولا يستريح، إلا بالحضور معه. وعلامته عدم الأسباب كلها، كما قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾، وقال الله تعالى : ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ﴾ الآية.

وقال النبي عليه السلام : « ليس المسكين الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان. بل هو الذي لا يجد ما يغنيه، ويستحي أن يسأل الناس فيتصدق عليه » معناه يستحي من الله أن يسأل الناس، لكونه من غير مولاه. وقال النبي عليه السلام : « مفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصابرون جلساء الله يوم القيامة »، وكان عليه السلام يقول : « اللهم توفني إليك فقيراً، ولا توفني إليك غنياً، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة ».

(واعلم) أن الفقر شعار الأولياء، وحلية الأصفياء، واختيار الله تعالى لخواصه من الأنبياء.

والفقراء صفوة الله من عباده، وموضع سره. وهو على ثلاثة أقسام. أولها: فقر الخلق إلى الحق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أنتم الفقراء إلى الله﴾ وهو الفقر العام بالحقيقة. وهو شامل لكل مخلوق. والثاني: فقر العوام، وهو عدم المال، وأعراض الدنيا. وصاحب هذا الفقر يستغني بوجود المال. والثالث: فقر النفس. وصاحب هذا الفقر لا يغنيه شيء. وهو الفقر الذي تعوذ منه النبي عليه السلام، وأشار له بقوله: «لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً».

(والغنى) أيضا على ثلاثة أقسام. الأول: الغنى بالله عن كل ما في الدنيا والآخرة، وهو نتيجة فقر الخواص. والثاني: غنى النفس بالدين، لا بالدنيا، بل يتساوى وجود الدنيا وعدمها. فيكون في غناه مفتقراً إلى ربه، وفي فقره مستغنيا بربه. والثالث: الغنى بالمال، وهو غنى مجازاً، لأن فقر النفس يلازمه. ولهذا قال عليه السلام: «الغنى غنى النفس. فإذا أراد الله بعبد خيراً، جعل غناه في نفسه وإذا أراد بعبد شرًا جعل فقره بين عينيه»، وقال عليه السلام: «إياكم ومجالسة الموتى. قيل: يا رسول الله، ومن الموتى؟ فقال: الأغنياء».

(واعلم) أن الإنسان متى كان صابراً على الفقر شاكرًا لأنعمه على اختياره له، صائنا لدينه، وكان مستغنيا بربه في فقره، لا يغنيه شيء غيره، خائفاً زوال نعمة الفقر، كما يخاف الغني زوال نعمة الغنى. فذلك هو الفقير الصادق. وهو المراد بقوله عليه السلام: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام»، وهو الفقر الذي افتخر به النبي عليه السلام.

(وحكي) أن رجلاً أتى إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم. فردها وقال: تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بهذا المقدار؟

(وحكى) بعضهم قال: كان بمكة فقير عليه ثياب رثة، لا يخالط الفقراء ولا يجالسهم. وعليه سيما أهل المعرفة. فوقعت محبته في قلبي، فحملت إليه مائة درهم. فقلت: هذه من وجه حل. فاصرفها في بعض أمورك. فنظر إلي شزراً أي غضبا، ثم قال: إني اشتريت هذه الجلسة مع الله على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والأملاك. فكيف أبيعها بمائة درهم؟

وقيل: لو لم يكن للفقير فضيلة، إلا إرادة سعة حال المسلمين، ورخص أسعارهم لكفاه ذلك، لأنه يحتاج إلى البيع. وهو لعوام الفقراء. فكيف لخواصهم؟ ورأى بعضهم فقيراً، وعليه مسح خلق. فقال له على وجه المطايبة: بكم اشتريت هذا؟ فقال: اشتريته بالدنيا، وطلب مني الآخرة، فلم أبعه. وكان أبو بكر الوراق يقول: طوبى للفقراء، لا خراج عليهم في الدنيا، ولا حساب عليهم في الآخرة. وقيل لبعضهم: أيما أفضل، الافتقار أو الاستغناء به أي معه؟ فقال: لا يتم أحدهما، إلا بالآخر. وقيل: وصف الفقير ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

وقال الشبلي : لو كان للفقير الدنيا بأسرها، فأنفقها في يوم، ثم خطر له كونه لم يمسك منها قوت يومه، كان كاذبًا في فقره.

وقال أبو علي الدقاق : تكلم الناس في الفقر والغنى؛ أيهما أفضل؟ وعندي، الأفضل أن يرزق الكفاف، ثم يصان. وقيل : إظهار الغنى في الفقر أفضل. وقيل : من أراد الفقر لشرف الفقر، مات فقيرًا. ومن أراده لئلا يشغله الغنى عن الله تعالى، مات غنيا.

وقال الشاذلي، وقد أراد أن يمشي إلى بعض الظلمة في الدفع عن بعض الصالحين : اللهم اجعل مشيي إليهم تواضعًا لوجهك، وابتغاء لفضلك ورضوانك، ونصرة لك ولرسولك، وزيني بزينة الفقراء المهاجرين، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، يبتغون فضلاً من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله. أولئك هم الصادقون، وخصني بالمحبة والإيثار ورفع الحاجة من الصدور، في الليل والنهار، وقني شح نفسي، واجعلني من المفلحين، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم. وقال : إذا دخلت على جبار أو متكبر، فقل : إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. وقال : إذا خفت أحدًا من الإنس والجن، فقل : حسبنا الله ونعم الوكيل.

◆ بيان الاستخارة في الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة ◆

(واعلم) أن الاستخارة في الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة، من أهم المهمات، ومن أقرب الوسيلة إلى المقصود. وكيفيتها في الطريقة؛ أن يصلي ركعتين بعد إسباغ الوضوء، يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية الإخلاص. وبعد الصلاة يقرأ الإخلاص ثلاث مرات، والفاتحة مرة، ويهدي ثواب ذلك إلى سلسلة النقشبندية، أو إلى روح حضرة بير محمد بهاء الدين فقط، ويستمد من أرواحهم، ويرجو القبول إلى الطريق. وبعده ينام بلا تشكك، ولا تردد، ولا سوء ظن. وبعد الانتباه، يعرض ما رأى على شيخه فقط، ولا يطلب تأويله. وفي الشريعة، بعد الصلاة كذلك، يقرأ : اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم. فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا نعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري، عاجله وآجله، فاقدره لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري، عاجله وآجله، فاصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به. ويسمي حاجته. ثم يفعل ما ينشرح له صدره. وينبغي أن يكرره سبعا. ولا ينام، لما روى ابن السني عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : يا أنس إذا هممت بأمر، فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك. فإن الخير فيه. وفي شرح الشرعة :

المسموع من المشايخ، أن ينام على الطهارة مستقبل القبلة بعد قراءته الدعاء المذكور. فإن رأى بياضا أو خضرة، فذلك الأمر خير. وإن رأى سوادا أو حمرة، فهو شر فيجتنبه.

وقالوا : من أعطي الاستخارة لم يمنع الخير، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب، ومن أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول. وينبغي أن يستخير بالعموم، فيقول بعد قوله [علام الغيوب] : اللهم إن كنت تعلم أن كل قول وعمل في هذا اليوم – أو يقول – اللهم إن كنت تعلم أن أموري وأقوالي وأفعالي وأحوالي وحركاتي وسكناتي وأفعال الخلق وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم من أجلي خير لي، لكن يعمل هذه كل يوم ولو بلا حاجة وهم.

(وروى) جابر عن النبي ﷺ قال : كان عليه السلام يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها بالصلاة وهذا الدعاء.

(وفي الخادمي) : وإن لم يمكن العمل بالعزيمة للذاكر، بأن يكون من أهل التجارة، أو الحرفة، أو الخدمة، أو الزراعة، أو صاحب عيال، فليعمل بالرخصة. فإذا صلى الصبح يقعد في مصلاه، ويقرأ سورة يس. وبعدها يشتغل بورده أو المراقبة إلى أن تكون الشمس قدر رمح أو رمحين. فيصلي ركعتي الإشراق بسورة الكافرون في الأولى، والإخلاص في الثانية بعد الفاتحة. وقيل : الإخلاص ثلاثا. ثم ركعتي الاستخارة كذلك، ثم يقرأ دعاء الاستخارة : اللهم إني أستخيرك بعلمك الخ. ثم يقرأ دعاءها المعهود عند أهل هذه الطريقة، وهو : اللهم كن وجهتي في كل وجهة، ومقصدي في كل قصد، وغايتي في كل بغية، وملاذي في كل شدة وهم، ووكيلي في كل أمر، وتولني تولي محبة وعناية في كل حال. ثم يذهب إلى ما أهمه من أسباب المعاش مجتهدا في تلك الملاحظة الحميدة ومتوجها بقلبه، بحيث لا يشغله ما أهمه، ولا يلهيه، كما قال تعالى : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾. فإذا فرغ من ذلك يدخل خلوته ويشتغل بورده، ثم يصلي الضحى من ركعتين إلى اثني عشرة. وإن أخرها إلى ربع النهار، كان أحسن. ثم يأكل الطعام مع الأصحاب أو مع عياله، لقوله عليه السلام : « أفضل الطعام ما كثرت عليه الأيدي »، وقال عليه السلام : « اجتمعوا على طعامكم، يبارك لكم فيه »، وقال : « الجماعة بركة في الطعام ».

وفي الخبر : « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه ». ولا يأكل وحده، لأن الأكل وحده مسلك المتكبرين والجبابرة، وعادة الأعاجم والمجوس والمشركين، ويحسن سنن الأكل وآدابه التي تبلغ خمسين، ويحترز مناهيه، وهي أربعون، وهي في رسالتنا (النجاة) وحاشيتها مسطورة. ثم يقيل وينام قبل الظهر بنية العون على قيام الليلة الآتية. ثم يحضر المسجد أول

وقتَ الظهر، ثم يصلي صلاةَ الزوال أربعًا، يقرأ آية الكرسي بعد الفاتحة. فلو كان له شغل، قضاه مع حفظ القلب من التعلق إلى العصر. وإلا، فيشتغل بورده. ثم يحضر أول وقتِ العصر المسجد. وبعد صلاة العصر، يشتغل في حفظ هذا الوقتِ بالذكر والمراقبة والمحاسبة والاستغفار، إذ حفظ ما بين العصر والمغرب من أهم المهماتِ عند السالكين، كما في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة، وبعد صلاة العصر ساعة، أكفك ما بينهما». وهما وقت نزول الملائكة، وشهادتهم في وقتين كاف له. فلا بد من إحيائهما، كما بين المغرب والعشاء. فلا يضيعه بقدر الإمكان، مع صلاة الأوابين ستًا. فيشتغل بعد صلاة الأوابين بورده الباطني. وبعد العشاء يقرأ سورة الملك، ثم ورده. ثم إن لم يشتغل بورده، يصلي على النبي عليه السلام مائة صلاةٍ. ثم يقرأ في فراشه سورة الكافرون، وأول سورة الحديد إلى – عليم بذات الصدور – وآخر سورة الحشر. وبعدها ينفث في يديه، ويمسح بهما وجهه، وسائر جسده. كذا ورد في فعله عليه السلام. ثم يقول: أستغفر الله العظيم، الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه. ثم يقول: أستغفر الله العظيم سبعًا وستين مرةً، حتى يبلغ سبعين. ثم ينام بنية العون على الطاعةِ، والأداءِ لحق الجسدِ، والقيام للتهجد على ملاحظة ذكره الباطني. ثم إذا انتبه، يصلي التهجد، فإن التهجد بعد النوم، إذ قبل النوم، وإن كان من قيام الليل، لكن ليس بتهجد. وقيل: التهجد بين النومين. ولذا يستحب النوم الخفيف بعد التهجدِ، لكي يسعى في استعجال القيامِ، إذ القيام في أول الليل للعابدين، وفي نصفه للقانتين، وفي السحر للمستغفرين، وفي طلوع الفجر للغافلين. ويبذل غاية جهده، ونهاية وسعه على عدم فوت هذه الفرصة، إذ هي سبب للتملك الحقيقي، والسلطنة الدائمة.

قال الشيخ في العوارف: المراد من قوله تعالى: ﴿ تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ هو التهجد. وأقله ركعتان إلى اثنتي عشرة. ويستحسنون فيها بعد الفاتحة قراءة يس، لأنه إن اتفق ثلاثة قلوب، حصل المطلوب: قلب القرآن، وقلب الليل، وقلب العبد أي خلوصه. وذلك في التهجد. فيقرأ في كل ركعةٍ من الاثنتي عشرة ركعةً يس بتمامها. وإن لم يقدر، ففي ثمان ركعاتٍ على الترتيب المشهور. وفيما بقي الإخلاص في كل ركعةٍ مرةً أو ثلاثًا. وإن لم يقدر على حفظ يس، ففي كل ركعةٍ الإخلاص. فإذا صلى تلك الصلاة، يجلس جلوس التشهد، ويشتغل بورده الباطني أو الملاحظة أو التفكر أو المراقبة أو المناجاة إلى الصبح. وإن غلب عليه النوم، ينام كما مر. فينتبه ويصلي سنة الفجر، ويشتغل بوظيفته، كما مر.

❖ بيان الذكر الوارد معنعنًا ❖

(واعلم) أن الذكر الوارد معنعنًا أنواع. الأول الذكر الخفي القلبي. فهو ذكر اسم الذات، أعني

الجلالة، وهي لفظة الله بالقلب. وله آداب، إجمالها تطهير البدن والقلب من منهيات الجوارح، والهوى والحرص واتباع الشهوات، والميل إلى الغير بالتوبة والاستغفار. ثم يتوضأ ويدخل في خلوته بعد سنة الوضوء والدعاء مستقبل القبلة، ويجلس متوركا، ثم يستغفر بلسانه واستحضار قلبه، إما خمسا وعشرين، أو خمس عشرة، أو خمس مرات. ثم يلاحظ تقصيره وإساءته بانكسار وخشوع ثم يستحضر موته آتيا قريبا، وكأن هذا آخر نفسه من الدنيا، وأنه قد وضع في لحده وحيدا، وأنه قد رأى الحشر والنشر والفزع الأكبر والسؤال والميزان والصراط وتشفع له أهل السلسلة، وأنه يجاء به إلى القبر في ناحية من الأرض خالية وهو فيه الآن. ثم يقرأ الفاتحة والإخلاص ثلاثا، ويهدي ثوابهما إلى روحانية الخواجه محمد بهاء الدين النقشبندي قدس سره. ثم يستمد منه أو من أهل السلسلة جميعا على خواطره وعلى جميع حاله. وإن قرأ الفاتحة والإخلاص قبل تفكر الموت، وأهدى ثوابهما إلى جميع السلسلة، يكون أفضل. ثم يقرر صورة شيخه، ومرشده الكامل في ناصيته متصلة بها، وموافقا لرضاه ومستمدا منه أيضا، ويطرحها في قلبه لدفع الخواطر. ثم يغمض عينيه ملصقا لسانه بسقف قلبه وحلقه، والأسنان بالأسنان، والشفة بالشفة، منطلق النفس على حاله. ثم يلاحظ قلبه، كأنه حوض أو نور بسيط، لا نهاية لنوره إن ظهر نوره ملاحظا انصباب الفيض من الله من طرف العرش، أو من الجهات الست إلى قلب الرسول، ومنه إلى السلسلة، ومنها إلى قلب أستاذه، ومنه إلى قلبه. ويستغرق في بحر من النور إن ظهر نوره ويكون وقوفه خارجا محيطا. ثم يلاحظ في القلب الذي هو المضغة الصنوبرية الشكل المعلقة تحت الثدي الأيسر نقش لفظ الله وجريانه وحركته كيف شاء ومعنى الذكر، وهو ذاته تعالى الصرف البحت قائلا بلسانه أو قلبه في ابتداء الذكر، وما بين كل مائة منه: إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي ناطقا بلسان القلب فقط بلفظ اسم الذات أعني الجلالة، وهي الله. ويستمر على ذلك الذكر، ويكون ذكره بوقوف عدده بتسبيح خمسة آلاف في الابتداء أو خمسة وعشرين، أو ما شاء، أو من غير انقطاع في حق السالك. وإن تكلم بلسانه عند الحاجة، فلا يقطع المعروف عند السادات النقشبندية بالوقوف. فإنه ينتج رسوخ القلب بشهود المذكور، ونسيان ما سواه.

وحقيقة ذكر الشيء نسيان ما دونه. فإذا دام ذكره، ونسيان غيره، وارتسخ، بحيث لو تكلف الذاكر بإحضار الغير لم يقدر، انتقل ذكره إلى الروح، وهي لطيفة تحت الثدي الأيمن، ثم إلى السر، وهو في يسار الصدر، ثم إلى الخفي، وهو في وسطه. وهذه اللطائف الخمسة من عالم الأمر الذي خلقه الله بأمر -كن- من غير مادة ومدة، وركبها مع لطائف عالم الخلق الذي خلق الله تعالى من مادة تمده، وهي النفس الناطقة، والعناصر الأربعة. وسيأتي تفصيلها. ثم إلى النفس، وهي في الدماغ والعناصر تندرج فيها. وكل محل للذاكر على الترتيب

المذكور. فإذا ارتسخ في لطيفة النفس، انتقل إلى لطيفة الجسد، وهو أن يذكر بجميع جسده مع شعره وجميع أعضائه. فإذا ارتسخ الذكر في هذه اللطيفة، حصل له سلطان الذكر، وهو أن يعمر جميع الإنسان، بل جميع الآفاق، وينتظر في آخر الذكر وأرد الورد بالوقوف القلبي قدرًا يسيرًا قبل أن يفتح عينيه. وإذا عرضت له غيبة، لا يتعمد قطعها.

❖ الذكر الثاني هو الذكر الخفي ❖

(وأما الذكر الثاني) الوارد معنعنا الخفي القلبي أيضا، فهو بالنفي والإثبات بكلمة لا إله إلا الله قلبا بعد رسوخ اللطائف. وكيفية آدابه: أن يلصق اللسان كالأول، ويحبس النفس تحت السرة، ثم يفعل الوقوف القلبي. ثم يلاحظ خطا من السرة إلى الدماغ من ظاهر الجسد، ثم يلاحظ نقش التهليل. ويتخيل منها [لا] إلى منتهى الدماغ، ومنه [إله] إلى كتفه الأيمن، ومنه [إلا الله] إلى القلب الصنوبري الشكل، ضاربا عليه، منفذا إلى قعره بقوة يتأثر بحرارتها جميع البدن. وينفي بشق النفي جميع المحدثات، وينظر بنظر الفناء ويثبت بشق الإثبات ذات الحق، ناظرا بنظر البقاء، فيحيط على محال اللطائف. ويلاحظ الخط الحاصل من الانتقالات، ثم يلاحظ معناها بأن لا مقصود إلا الله أي إلا ذات الله البحت بلا مثل. فإن نفي المقصودية أبلغ من نفي المعبودية، لأن كل معبود مقصود ولا عكس. والتحقيق لا معبود في الابتداء، ولا مقصود في التوسط ولا موجود في الانتهاء. ثم يقول في آخرها بالقلب: محمد رسول الله، ويريد التقييد بالاتباع. ويكررها على قدر قوة النفس، ثم يقول: إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي. ثم يطلقه من الفم على الوتر المعروف من ثلاث إلى أحد وعشرين المسمى بالوقوف العددي. وإذا استراح، يشرع في نفس آخر، لكن يراعي ما بين النفسين، بأن لا يفصل بل يبقي التخيل على حاله لئلا يختل الاستمرار. فإن انتهى العدد إلى أحد وعشرين تظهر النتيجة، وهي نسبتهم المعهودة من الذهول والاستهلاك. وإن لم تظهر فبما وقع من التخلف في الآداب. فليستأنف وليطابق الفعل والقول مضمون الذكر عملا واعتقادا واتباعا. فإن المقصودية فيما سواه، إذا كانت باقية أو خلاف الاتباع في شيء كان ثابتا في الواقع، لزم الكذب. فليس بصادق ولا حصر في العدد. فمن يستعد لتقدم الجذب، فله الذكر الأول. ومن يستعد لتقدم السلوك، فله الذكر الثاني. وكلاهما بالقلب.

❖ الذكر الثالث هو النفي والإثبات ❖

(وأما الذكر الثالث) فهو النفي والإثبات بلا حبس النفس. ويأتي بجميع شروطه. ويكون أقله خمسة آلاف، ولا حصر لأكثره. فإذا جاهد فيه بحق الجهاد، وانتفى المنفي، وثبت المثبت، وظهرت النتيجة، تصح المراقبة. وهو بعدد أنواع الأسماء الإلهية. والصفات الربانية.

(واعلم) أن الورد الأول ذكر القلب. والثاني اللطائف كلها ورد واحد. والثالث النفي

والإثبات. والرابع ذكر التهليل. وهذه الأربعة على الوجه المذكور عند المجددية. والخامس المراقبة. والسادس تعليم الحقائق الإلهية، وهي حقيقة القرآن والكعبة والصلاة. والسابع حقيقة الأنبياء. وستأتي هذه الثلاثة تفصيلاً. وما وراءها ليس بالتعليم والواسطة، تبصّر.

◆ بيان الإستخارة عند السادة النقشبندية ◆

(وأما عند النقشبندية) فأنواع: الصلاة والقراءة والدعاء والأوراد المخصوصة. فإن قراءة الورد المخصوص بهذه الطريق العلية، أفضل وأحسن، لأن روحانية الخواجكان ببركة هذا الورد تمده وتخلصه من أنواع البلاء والفتور. وكيفية هذا الورد، أن يرفع القارئ يديه، ويدعو الله بهذا الدعاء: اللهم يا مفتح الأبواب، ويا مسبب الأسباب، ويا مقلب القلوب والأبصار، ويا دليل المتحيرين، ويا غياث المستغيثين، أغثني. توكلت عليك يا رب، وفوضت أمري إليك. يا فتاح يا وهاب يا باسط. وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين. ثم يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات، ثم يقرأ الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة، ثم يقرأ ألم نشرح لك مع البسملة تسعاً وسبعين مرة، ثم يقرأ الإخلاص واحداً وألفاً، ثم يقرأ أيضا الفاتحة سبعاً ثم يصلي على النبي ﷺ أيضاً مائة، ثم يدعو الله، ثم يأكل من نحو حلويات. وهذا ختم خواجه المشهور. وفي ختم الإمام الرباني ـ بدل الإخلاص ـ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

◆ بيان الزهد ◆

(وأما الزهد) ففي اللغة الميل إلى الشيء، وهو ضد الرغبة فيه. وفي اصطلاح أهل الحقيقة، بغض الدنيا، والإعراض عنها. وقيل: هو ترك راحة الدنيا، طلباً لراحة الآخرة. وقيل: هو أن يتخلى قلبك عما خلت منه يدك. وقال الجنيد: هو خلو البدن من الدنيا وخلو القلب من طلبها. وقيل: هو ترك كل ما يشغل عن الله. وقيل: هو ترك ما سوى الله.

وقال سفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهما: الزهد قصر الأمل في الدنيا. وليس هو أكل خبز الشعير، ولبس العباء. وقيل: حقيقة الزهد قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ فالزاهد لا يفرح بموجود في الدنيا، ولا يحزن على مفقود منها. وقال أبو علي: الزاهد من ترك الدنيا كما هي، ولا يقول: أبني رباطا، ولا أعمر مسجدا. وقال يحيى بن معاذ: الزاهد يورث السخاء بالروح.

(واعلم) أن الزهد من المقدمات الشريفة. قال ﷺ: «ما زان الله العبد بزينة، أفضل من زهادة الدنيا، وعفاف في بطنه وفرجه» أخرجه أبو نعيم. وقال: «من زهد في الدنيا، علمه الله بلا تعلم، وهداه بلا هداية، وجعله بصيراً، وكشف عنه العمى» أخرجه أبو نعيم عن علي. وقال النبي ﷺ: «إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ومنطقاً، فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة».

وقال: «من زهد في الدنيا، هانت عليه المصائب»، وجاء رجل إلى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل يحببني إلى الله تعالى وإلى الناس. فقال: «ازهد في الدنيا، يحبك الله تعالى، وازهد فيما في أيدي الناس، يحبك الناس». ثم قيل: الزهد ترك الحرام، لا ترك الحلال. وقيل: في الحرام واجب، وفي الحلال مندوب. وقيل: الزهد في الحلال إنما يكون مندوبًا في حق من يعلم من حاله الصبر على العسر والشدة. وقيل: الأفضل أن يختار العبد ترك الحلال تكلفا واختيارًا إذا رزقه الله، ولا يطلب فضلا لا يحتاج إليه، بل يقنع بما قسم الله له. فإن رزقه الله مالا حلالا، شكر، وإن لم يوسع عليه، صبر. فعلى هذا، الشكر أليق بالغني، منه بالفقير.

وقال أبو حفص: الزهد لا يكون، إلا في الحلال. ولا حلال في الدنيا ولا زهد. وقال أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أقسام: زهد العوام، وهو ترك الحرام، وزهد الخواص، وهو ترك ما زاد على قدر الضرورة من الحلال، وزهد العارفين، وهو ترك ما سوى الله.

وقال النصراباذي: الزاهد غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة. وقيل: من صدق في زهده، أتته الدنيا راغمة. ولهذا قيل: لو سقطت قلنسوة من السماء، لما سقطت إلا على رأس من لا يريدها. وقيل: من تكلف في الزهد ووعظ الناس، ثم رغب في دنياهم، نزع الله حب الآخرة من قلبه. وقيل: إذا زهد العبد في الدنيا، وكل الله به ملكا يغرس في قلبه الحكمة. وقيل لبعضهم: لم زهدت في الدنيا؟ قال لزهدها في.

وقال السري: مارست كل نوع من الزهد. فنلت منه ما أريد، إلا الزهد في الناس. فإني لم أبلغه و لم أطقه. فالحاصل، أن الزهد علامة كمال العقل والهداية، لأن العاقل يترك المنفعة العاجلة، خوفا من المضرة الآجلة، وينظر في عواقب الأمور بخلاف الجاهل. ولهذا قال بعضهم: ما خرج الزاهدون من الدنيا إلى الله، بل إلى أنفسهم، لأنهم تركوا النعيم الفاني، للنعيم الباقي.

قلت: وهذا في العوام والخواص، لا خواص الخواص، لأنهم زهدوا في الآخرة، حيث كان زهدهم ترك كل شيء سوى الله تعالى.

❖ بيان البكاء ❖

(وأما البكاء) فحسنه ثابت بالأدلة الأربعة. فهو عبادة محضة وسعادة كبرى ونجاة عظمى. قال الله تعالى: ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ﴾، وقال: ﴿ خروا سجدا وبكيا ﴾. وقال أبو أمامة لرسول الله ﷺ: ما النجاة؟ فقال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»، وقال عليه السلام: «حرمت النار على ثلاث أعين: عين سهرت في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله»، وسكت الراوي عن الثالثة. وقال: «يا أيها الناس ابكوا، فإن

لم تبكوا فتباكوا. فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها أنهار، فإذا فرغت دموعهم تسيل الدماء فلو أن سفنا أرسلت في مجاري دموعهم لجرت».

وقيل: كان لداود عليه السلام سبع حشايا من شعر محشوة بالرماد وكان يبكي حتى تنفد الدموع منهن. وقيل: إنما سمي نوح عليه السلام نوحاً لكثرة ما ناح في الدنيا على نفسه.

(واعلم) أن البكاء من خشية الله من أدل الأدلة على الخوف من الله تعالى والميل إلى الآخرة. والجالب للبكاء شيآن: الخوف من الله، والندم على ما سلف من التفريط والتقصير وأعظم سببه المحبة.

❖ بيان الحزن ❖

(وأما الحزن) فهو انكسار القلب وخشوعه. وعلامته انكسار الجوارح الظاهرة من الانبساط لانكسار الباطن. والذي يجلب الحزن ثلاث خصال: التفكر في الذنوب الماضية، والتفكر في الموت، والنظر إلى من هو أتقى منه.

وقال بعضهم: الحزن من آثار الخوف من الله تعالى. ولذا كان بهما عمارة القلوب، كما أن بالفرح والغفلة خرابها. قال الله تعالى ﴿لا تفرح، إن الله لا يحب الفرحين﴾.

وقال عليه السلام: «إن الله يحب كل قلب حزين». وفي التوراة: إذا أحب الله عبدا نصب في قلبه نائحة، وإذا أبغض عبداً جعل في قلبه مزماراً.

وروى عن النبي عليه السلام أنه كان متواصل الأحزان دائم الفكر. وكان حسن البصري لا يراه أحد إلا ظن أنه قريب العهد بمصيبة. وكان داود الطائي الغالب عليه الحزن. وقال الفضيل ابن عياض: قال السلف زكوة العقل طول الحزن. وسئل أبو سليمان عن الحزن، فقال: الحزين لا يتفرغ للسوال عن الحزن ولا للجواب عنه.

وقال بعض السلف: أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات الهم والحزن. ويعضد هذا القول ما روى عن النبي عليه السلام أنه قال: «ما من شيء يصيب المسلم من نصب أو وصب أو حزن إلا كفر الله به عنه من سيئاته»، وقوله عليه السلام «إذا كثرت ذنوب العبد ألقى الله عليه الهم والحزن ليكفرها عنه». واتفق الناس على أن الخوف بسبب الآخرة محمود، وبسبب الدنيا مذموم. والدنيا سجن المؤمن، ومن كانت الدنيا سجنه طال حزنه، فإن السجن دار الأحزان. ولهذا قال عليه السلام: «الدنيا لا تصفو للمؤمن وهي سجنه وبلاؤه». وعن رابعة العدوية أنها سمعت رجلا يبكي ويقول، واحزناه، فقالت له: قل واقلة حزناه فإنك لو كنت محزونا لم يتهيألك أن تتنفس. والحاصل أن درجة الحزن ومنافعة كثيرة وسعادته عظيمة وافرة.

(واعلم) أن تلقين الذكر لبعض أهل الدنيا من ذوى المناصب والاشراف والمكاسب ثابت

من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرك والمحسوبية، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسطهم في الملابس والمفارش وتلبسهم بالمخالفات، فنقول: تلقين الذكر لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاح والتجار والراعي والقروي على طريق التبرك وطرد الغفلة عن القلب القاسي وتكفير الذنوب والتخلص من البلايا والنجاة من أنواع المكاره والسوء والنقمة حتى يصقل فيخشع وينيب إلى دار الخلود ويتجافى عن دار الغرور، فيرتقي بالتدريج إلى التوبة فما فوقها، وليسارق الشيخ نفسه الأمارة الأبية بالتدريب والتوطين لئلا تنفر وتمل وتيأس من الإصلاح وقطع الرجاء، فتصر على المعاصي أمر حسن وهو من سياسات الإرشاد. ولو قال له من أول الأمر: اترك واخرج عن كل المظالم وصحح التوبة، وإلا فلا ألقنك الذكر ولا يكون لك قبول تفتح الهداية لنفر لاستصعابه كل ذلك ويحرم تلك الفائدة وربما يصل إلى حد اليأس وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول ﷺ مع الأشراف والرؤساء والكبار، فإن بعضهم قال: أدخل الإسلام بشرط سقوط الصبح عني، وبعضهم بشرط غير ذلك. فقبل منهم سرا ليدرجهم على تمام الهداية تدريجا، فتدرجوا عليها كما هو مستفيض.

(وأوحى) الله إلى داود عليه السلام لما أنف من مجالسة بعض الفساق ونهاهم عن مجلس وعظه: يا داود، إن المستقيم لا يحتاج إليك والمعوج إذا لم تقمه فلم أرسلت فأدخلهم في سلك جلسائه وجماعة إفادته. فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا باليأس من علاج أمراضهم القلبية، وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا للمعوج الضال، وهل يلزم أن يكون جميع الملقنين الذكر أهلا للترك والتجريد والاستقامة، أم منهم الواصل والسائر للخلط المتوسط، ومنهم المتبرك المتخلف الساقط. وهذه السياسة الحسنة تمشي عليها المشايخ والسلف والمرشدون وأطبق عليها المتأخرون لغلبة رأفتهم وتموج رحمتهم على عامة المسلمين، وإن كنت في شك مما بينا فارجع إلى الإحياء والمنن الكبرى وطبقات الصوفية للشعراني.

وقد كان العارف أبو الحسن الشاذلي قدس سره يقول: ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا إلا بعد أن يمهد له بساطا قبل ذلك، يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع التقربات الإلهية واللطائف الربانية والعلوم اللدنية، فهنالك يتنبه المريد لطلب ما يدعو الشيخ إليه ويبادر لامتثال أمره، وتهب عليه ريح التوفيق فلا يقف مع شيء يحجبه عن حضرة ربه عز وجل. والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريدين طولا وقصرا، فمنهم من يمهد له بمدة قليلة، ومنهم من لم يتم تمهيده له إلا بمدة طويلة بحسب تفرس الشيخ فيهم وتفاوت معالجتهم.

وقالوا: لا بأس بتناول بعض الشهوات المباحة للنفس إذا ضعفت عن القيام بالعبادة، كما أنه

لا بأس بلبس الثياب الفاخرة إظهارا لنعمة الله تعالى، وكما أنه لا بأس بأكل الطعام اللذيذ وشرب الماء اللذيذ البارد لأجل استجابة الأعضاء للشكر بعزم وقوة، كما عليه السادة الشاذلية.

فقد كان العارف الشاذلي يقول لأصحابه: كلوا من أطيب الطعام، واشربوا من ألذ الشراب، وناموا على أوطا الفراش، والبسوا ألين الثياب، وأكثروا من ذكر ربكم. فإذا فعل أحدكم ذلك وقال "الحمد لله" يستجيب كل عضو فيه للشكر، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك، فإنه يقول الحمد لله وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور الله.

وقال علي القاري: ليذكرن أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة، يدخلهم الله الجنات العلى. وفيه دليل على أن الملوك والأمراء ومن يجري مجراهم من أهل الدنيا وللمناصب لا تمنعهم حشمتهم ورفاهتهم عن ذكر الله تعالى، وهم في ذلك مأجورون مثابون، يدخلهم الله برحمته الجنات العلى، وفيه إيماء إلى طريقة بعض السادات الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والكبروية، انتهى. وفي الرشحات قال بهاء الدين النقشبند: كل الطعام جيدا، واشتغل جيدا. وهذا القدر يكفي للعارف.

◆ بيان العبودية ◆

(وأما العبودية) فهي في اصطلاح أهل الحقيقة: الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والصبر عن المفقود. وقيل: هي ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار. وقيل: هي التبري من الحول والقوة. وقيل: هي معانقة المأمورات ومفارقة المنهيات.

وقال ذو النون: العبودية أن تكون عبده في كل حال. وقال الجريري: عبيد النعم كثيرون وعبيد المنعم قليلون. وقال أبو علي الدقاق: أنت عبد من أنت في أسره دينارا كان أو درهما أو امرأة أو غير ذلك. ولهذا قال النبي ﷺ: « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة ». ورأى أبو يزيد رجلا فقال له: ما حرفتك؟ فقال: خربندة، فقال: أمات الله حمارك لتكون عبد الله لا عبد الحمار. وقال بعضهم: متى نفيت عنك سكونك عن اللذة واعتمادك على الحركة فقد أعطيت للعبودية حقها.

(واعلم) أن العبودية لله إذا صحت، حصلت الحرية عن كل ما سوى الله. وقال أبو علي الدقاق: ليس شيء أشرف للعبد من العبودية. ولذلك وصف الله بها نبيه في أشرف أوقاته في الدنيا، وهي ليلة المعراج، فقال: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ﴾، وقال: ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾. وقالوا: العبودية أتم من العبادة، والعبودة أتم منهما. فالأول العبادة، ثم العبودية، ثم العبودة. فالعبادة لعوام المؤمنين، والعبودية لخواص المؤمنين، والعبودة لخواص الخواص. وقالوا أيضا: العبادة لمن له علم اليقين، والعبودية لمن له عين اليقين،

والعبودة لمن له حق اليقين. ومآل معاني القرآن كلها إلى شيئين: حفظ آداب العبودية، وتعظيم حق الربوبية. وقد جمعتهما سورة الفاتحة. ولهذا سميت أم القرآن.

وقال النبي عليه السلام: «عرض عليَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، أشبع يوماً وأجوع يوماً. فإذا جعت تضرعت إليك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك».

وقال النبي عليه السلام: «إن أغبط أوليائي عندي منزلة، رجل ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه في السر، وأطاعه، وكان غامضا في الناس، لا يشار إليه بالأصابع. وقال معاذ بن جبل: لا يبلغ عبد ذروة الإيمان، حتى تكون الضعة أحب إليه من الشرف.

(واعلم) أن "نعبد" من العبادة أو من العبودة. والماضي من الأول جاء بفتح العين، ومن الثاني بضمه. والمضارع منهما، بضم العين لا غير. فصاحب العبادة عابد وجمعه عباد، وصاحب العبودة عبد وجمعه عباد. قيل: العبادة أن تفعل ما كان فيه رضا الله، والعبودة أن تحب ما فيه رضاه. وأصول العبادة ستة: الصلاة بلا غفلة، والصوم بلا غيبة، والزكاة بلا منة، والحج بلا إراءة، والمحافظة على الأمر والنهي بلا سمعة. وأركان العبودة أيضا ستة: الرضا بلا فتور، والصبر بلا شكاية، واليقين بلا شكوك، والشهود بلا غيبة، والتواجد بلا قصور، والاتصال بلا قطيعة. فمن اتصف بها، لا بد أن يختار من العبادات الصوم. فيصير عفيفا عن لذات الدنيا جميعها، ومن المعاملات الرهن، فإن قلبه رهن عند ربه، ومن المناكحات الطلاق، فيطلق الدنيا ولذاتها ثلاثة، ومن الجنايات القصاص، فيهلك نفسه في سبيل ربه. فيكون قصاصه من جناية المعصية، والقصور في الأوامر. قال الله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾.

◆ بيان الخشوع والتواضع ◆

(واعلم) أن الخشوع والتواضع في اللغة بمعنى واحد. وفي اصطلاح أهل الحقيقة الخشوع الانقياد للحق. وقيل: هو الخوف الدائم في القلب. وقيل: هو قيام القلب بين يدي الحق بهم مجموع. وقيل: هو ذبول يرد على القلب عند اطلاع الرب. وقيل: هو إطراق السريرة أدباً لمشاهدة الحق. وقيل: هو ذوب للقلب وانخناسه القهري عند سلطان الحقيقة. وقيل: هو مقدمات غلبة الهيبة. وقيل: هو قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة. وقيل: الخاشع من خمدت نيران شهوته، وسكن دخان صدره، وأشرق نور التعظيم في قلبه. فماتت شهوته، وحيي قلبه، فخشعت جوارحه.

وقيل: من علامات الخشوع، أن العبد إذا غضب وخولف ورد عليه، تلقى ذلك بالقبول. واتفق القوم، على أن الخشوع محله القلب.

(وروي) عن بعضِ العارفين، أنهُ رأى رجلاً منقبض الظاهر منكسرا، قد زوى منكبيه. فقال له : يا فلان، الخشوعُ ههنا -وأشار إلى صدره- لا ههنا -وأشار إلى منكبيه-

(ورأى) النبي عليه السلام رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال : لو خشع قلب هذا، لخشعت جوارحه وقيل: شرط الخشوع في الصلاة أن لا يعرف من عن يمينه ولا من عن شماله.

◆ بيان التواضع ◆

(والتواضع) في اصطلاحهم الاستسلام للحق، وترك الاعتراض على الحكم. وقيل: هو الخشوع للحق، والانقياد له، وقبوله من الغني والفقير، والكبير والصغير، والشريف والوضيع.

(واعلم) أن الخشوع والتواضع من أجل الأوصاف وأشرفها. وقد مدح الله تعالى المؤمنين بهما، فقال : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾، وقال: ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾، وقال : ﴿ وبشر المخبتين ﴾، يعني أهل التواضع وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾، معناه خاشعين متواضعين.

وقال النبي عليه السلام : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل : يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا. فقال عليه السلام : إن الله جميل، يحب الجمال، الكبر من بطر الحق، وغمض الناس »، وقال : « طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل من غير مسكنة »، وكان النبي عليه السلام يعود المريض، ويشيع الجنازة، ويجيب دعوة العبد، ويركب الحمار مخطوما بحبل من ليف، وعليه إكاف من ليف، ويعلف البعير والشاة، ويقم البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع الخادم، ويطحن معه إذا أعيا، ويحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ويبدؤهما بالسلام، ولا يحتقر ما دعي إليه، ولو كان حشف التمر.

وكان صلى ﷺ خفيف المؤنة، لين الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساما من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، رقيق القلب، رحيماً لكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع، ولم يمد يده لطمع.

وكان عمر بن الخطاب يسرع في المشي، ويقول : أسرع للحاجة، وأبعد عن الكبر.

وقال ابن الزبير : رأيت الفاروق، وعلى عاتقه قربة ماء، فقلت له : يا أمير المؤمنين ما ينبغي لك هذا. فقال : لما أتاني الوفود، سامعين مطيعين، داخل نفسي عجب. فأحببت أن أكسرها، ومضى بالقربة إلى بيت امرأة من الأنصار، فأفرغها في إنائها.

وروي أبو هريرة، وهو أمير على المدينة، وعلى ظهره حزمة حطب، وهو يقول : طرقوا للأمير. وقال ابن عباس : من التواضع شرب الرجل من سؤر أخيه. وكان عمر بن عبد العزيز

لا يسجد، إلّا على التراب.

(وروي) أن ملبوسة قوم، وهو يخطب على المنبر. فبلغ اثنين وعشرين درهما. وكان له قباء وقميص وسراويل وعمامة وقلنسوة ورداء وخفان.

(وروي) أن بلالا وأبا ذر تشاجرا. فعيّر أبو ذر بلالا بالسواد. فشكا بلال إلى النبي، فقال النبي عليه السلام : « يا أبا ذر، ما علمت أنه بقي في قلبك شيء من كبر الجاهلية » فألقى أبو ذر نفسه، وحلف أنْ لا يرفع رأسه، حتى يطأ بلال خدّه، ولم يرفع رأسه، حتى فعل بلال ذلك. وقال مجاهد : لما أغرق الله قوم نوح، شمخت الجبال، وتواضع الجودي. فجعله الله تعالى مقرًا لسفينة نوح.

وقال ﷺ « ما من آدمي إلّا وفي رأسه حكمة بيد مَلَك فإذا تواضع قيل للمَلَك ارفع حكمته. وإذا تكبر قيل للمَلَك: ضع حكمته » أخرجه الطبراني عن ابن عباس. وقال : « من تواضع لله، رفعه الله »، أخرجه أبو نعيم. وقيل : أوحى الله تعالى إلى الجبال : إني مكلم على واحد منكم نبيًا. فتطاولت الجبال، وتواضع طور سيناء . فكلّم الله عليه موسى عليه السلام لتواضعه.

❖ مقالات العلماء في التواضع ❖

وقال أبو سليمان الداراني : لو اجتمع الناس على أنْ يضعوني كاتضاعي عند نفسي، لما قدروا. وقيل : مَنْ لم يتضع عند نفسه، لم يرتفع عند غيره. وقيل : علامة التواضع، أن يعتقد الإنسان، أن كل مسلم خير منه.

وقال الفضيل : مَن رأى لنفسه قيمة، فليس له في التواضع نصيب. قال أبو يزيد : المتواضع مَن لا يرى في الخلق شرًا منه. وقيل : التواضع نعمة لا يحسد عليها، والتكبر بلية لا يرحم عليها. وقيل : جعل الله الشرف في التواضع. فمَنْ طلبه في الكبر، لم يجده. وقيل : جعل الله الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة.

وقال ابن المبارك : التكبر على الأغنياء مِن التواضع.

وقال أبو حنيفة لابنه حماد : يا بني أرشدك الله تعالى وأيدك، أوصيك بوصايا، إنْ حفظتها وحافظت عليها، رجوت لك السعادة في دينك إن شاء الله.

أولها : مراعاة التقوى بحفظ جوارحك من المعاصي، خوفًا من الله تعالى، والقيام بأوامره عبودية، له تعالى.

والثاني : أن لا تستقر على جهل ما تحتاج إلى علمه.

والثالث : أن لا تعيش، إلّا مع من تحتاج إليه في دينك أو دنياك.

والرابع : أنْ تنتصف من نفسك، ولا تنتصف لها، إلا لضرورة.

والخامس: أن لا تعادي مسلما أو ذميا.

والسادس: أن تقنع من الله بما رزقك من مال وجاه.

والسابع: أن تحسن التدليس في استغنائك عن الناس.

والثامن: أن لا تستهين أحداً من الناس عليك.

والتاسع: أن تمنع نفسك عن الخوض في الفضول.

والعاشر: أن تلقى الناس مبتدئا بالسلام، محسنا في الكلام، متحببا إلى أهل الخير، مداريا لأهل الشر.

والحادي عشر: أن تكثر ذكر الله تعالى، والصلاة على رسوله ﷺ.

والثاني عشر: أن تشتغل بسيد الاستغفار، وهو قوله ﷺ: «اللهم أنتَ ربي، لا إله إلا أنت. خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي. فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنتَ»، فإن من قالها حين يمسي، فمات من ليلته، دخل الجنة. ومن قالها حين يصبح، فمات من يومه، دخل الجنة. وعن أبي الدرداء ﷺ، حين قيل له: قد احترق بيتك، قال: ما احترق لكلمات سمعتهن من رسول الله، من قالها أول نهاره، لم تصبه مصيبة حتى يمسي. ومن قالها آخر النهار، لم تصبه مصيبة حتى يصبح: اللهم أنتَ ربي، لا إله إلا أنتَ. عليك توكلت، وأنتَ رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنتَ آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم.

والثالث عشر: أن تواظب على قراءة القرآن كل يوم، وتهدي ثوابها إلى الرسول ﷺ، ووالديك، وأستاذك، وسائر المسلمين.

والرابع عشر: أن تحترز من أصحابك، أكثر من أعدائك، إذ قد كثر في الناس الفساد. فعدوك من صديقك مستفاد.

والخامس عشر: أن تكتم سرك، وخاطرك، وذهابك، ومذهبك.

والسادس عشر: أن تحسن الجوار، وتصبر على أذى الجار.

والسابع عشر: أن تتمسك بمذهب أهل السنة والجماعة، وتجتنب عن أهل الجهالة، وذوي الضلالة.

والثامن عشر: أن تخلص النية في جميع أمورك، وتجتهد في أكل الحلال على كل حال.

والتاسع عشر: أن تعتمد خمسة أحاديث، انتخبتها من خمسمائة ألف حديث. الأول: «إنما

الأعمال بالنيات » والثاني « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » والثالث « لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه، ما يحب لنفسه »، والرابع « إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه. ومن وقع في الشبهات، فقد وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يقع فيه. ألا، وإن لكل ملك حمى. ألا وإن حمى الله محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله. وإذا فسدت فسد الجسد كله. ألا وهي القلب »، والخامس « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ».

والعشرون : أن تكون بين الخوف والرجاء في حال صحتك، وتموت بحسن الظن بالله تعالى وغلبة الرجاء، وبقلب سليم إن الله غفور رحيم.

◆ بيان الصبر ◆

(وأما الصبر) فقال الجنيد : الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس. وقيل : هو ترك الشكوى، من ألم البلاء. وقيل : هو استقبال البلاء بالرضا والثبات. وعلامته أن يكون بين أصحابه لا تفرق بينه وبينهم، وهو في غمرات البلاء. وبهذا فسر قوله تعالى : ﴿ فاصبر صبرا جميلا ﴾، وقيل : علامته أن تستوي عنده النعمة والنقمة. وقال إبراهيم الخواص : الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة. وقد أمرنا الله تعالى بالصبر ومدح الصابرين، فقال : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾، وقال : ﴿ والصابرين في البأساء والضراء ﴾ الآية وقال : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾، وقال : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾، وقال : ﴿ فاصبر صبرا جميلا ﴾، وقال : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾، وقال : ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا ﴾، وقال : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ﴾، وقال : ﴿ والصابرين والصابرات ﴾.

وقال ﷺ : « ما رزق عبد خيرا له ولا أوسع من الصبر »، وقال : « الصبر عند الصدمة الأولى »، وقال : « الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله »، وقال : « الصبر رضا، الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب، يدخل الله صاحبهما الجنة بغير حساب »، وقال : « الصبر ثلاثة : صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية » الحديث. وقال : « نعم سلاح المؤمن الصبر والدعاء »، وقال : « إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا » خطيب عن أنس. كله من الجامع الصغير.

وقال النبي عليه السلام : « ما أعطي أحد أفضل من الصبر »، وقال عليه السلام : « الصبر نصف الإيمان »، وقال : « الإيمان الصبر والسماحة »، وقال : « انتظار الفرج بالصبر عبادة ».

وقال علي كرم الله وجهه: الصبر من الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد. وقال: الصبر مطية لا تكبو. وقيل: الصبر أفضل من الشكر، لأن الشاكر مع المزيد، والصابر مع الله، لأن الله قال: ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾.

(والصبر) على خمسة أقسام: صبر لله، وصبر في الله، وصبر بالله، وصبر مع الله، وصبر عن الله. فالصبر لله عناء، والصبر فيه بلاء، والصبر به بقاء، والصبر معه وفاء، والصبر عنه جفاء. وفرق بين الصبر والمصابرة والمرابطة. ومعناه اصبروا بنفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله. وقيل: معناه اصبروا في الله، وصابروا بالله، ورابطوا مع الله. وقيل: إنما يوفى الصابرون في حقه. وقيل: إنما قال الله في حق أيوب عليه السلام: ﴿ إنا وجدناه صابرًا ﴾ و لم يقل صبورًا والصبور أبلغ في معنى الصبر من الصابر لأنه لم يكن جميع أحواله الصبر، بل كان في بعض أحواله يتلذذ بالبلاء ويستعذبه. فلم يكن في تلك الحال صابرًا، لأن الصبر لا يكون، إلا مع المشقة والكراهة.

(فإن قيل): شكا أيوب، فقال: ﴿ مسني الضر ﴾. والصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى؟ (فجوابه) أنه ورد في الخبر، أن الله تعالى كان يعود أيوب في أسحار أيام البلاء بغير واسطة ولا قطع مسافة، ويقول له: حبيبي أيوب كيف أنت في بلائي وحلول دائي؟ فلما شم أيوب عليه السلام رائحة العافية، تأوه حسرة على مفارقة أنس تلك العيادة. فاستوحش لذلك وشكا. وقيل: إنما قال في شكواه ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ و لم يقل "ارحمني" حفظا للأدب. فطلب الرحمة تعريضا، لا تصريحا. وقيل: الأحسن للعابد الصبر، وللمحب ترك الصبر. ولهذا وعد يعقوب عليه السلام بالصبر بقوله: ﴿ فصبر جميل ﴾ ثم لم يلبث، حتى قال ﴿ يا أسفا ﴾ أي يا حسرتا ﴿ على يوسف ﴾ وسئل أبو سليمان عن الصبر، فقال: والله، ما نصبر على ما نحب. فكيف نصبر على ما نكره؟ وسئل السري عن الصبر، فأخذ يتكلم فيه. فدب على رجله عقرب وأخذت تضربه مرة بعد مرة، وهو ساكن. فقيل له: هلا ألقيتها؟ فقال: استحيت من الله أن أتكلم في الصبر ولا أصبر. ووقف رجل على الشبلي، فقال له أي الصبر أشد على الصابرين؟ فقال: الصبر في الله. قال: لا. قال: الصبر لله. قال: لا. قال: الصبر مع الله. قال: لا. قال: فصرخ صرخة كادت تخرج روحه معها.

وقال بعضهم: تجرع الصبر. فإن قتلك، قتلك شهيدا. وإن أحياك، أحياك عزيزا. وقال بعضهم: دخلت بلاد الهند. فرأيت شيخا بفرد عين يسمى فلانا الصبور. فسألت عن حاله، فقيل لي: إنه في عنفوان شبابه سافر صديق له. فخرج لوداعه، فدمعت إحدى عينيه و لم تدمع الأخرى. فقال للتي لم تدمع: ما لك لم تدمعي على فراق صاحبي؟ لأحرمنك النظر إلى الدنيا.

وغمضها منذ ستين سنة. فلم يفتحها إلى الآن.

❖ بيان القناعة ❖

(وأما القناعة) ففي اللغة الرضا بالقسم. وفي اصطلاح أهل الحقيقة، هي السكون عند عدم المألوفات. وقيل : هي الاكتفاء بالقليل. وقيل : هي الاستغناء بالموجود، وترك التطلع إلى المفقود. وقال عكرمة وغيره من أئمة التفسير في قوله تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ : إن المراد بالحياة الطيبة، القناعة. وقيل في قوله تعالى : ﴿ ليرزقنهم الله رزقا حسنا ﴾ : إنه القناعة. وقيل في قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ : أي البخل والطمع. وقوله : ﴿ ويطهركم تطهيرا ﴾ : أي بالسخاء والقناعة. وقيل : بالسخاء والإيثار. وقيل في قوله تعالى ﴿ وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ : إنه أراد بالملك كمال الحال في القناعة. وقيل في قوله تعالى ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾ : أي لأسألن الله أن يسلبه القناعة ويبدلها بالطمع. وقيل في قوله تعالى ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ : إنه القناعة في الدنيا.

وقال عليه السلام : « القناعة كنز لا يفنى »، وقال عليه السلام : « ارض بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس ». وفي الزبور : "القانع شبع، وإن كان جائعا"

وقال بعض الحكماء : من كانت له قناعة سمينة، طابت له كل مرقة. وقيل : وضع الله خمسة في خمسة : العز في الطاعة، والذل في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي، والغنى في القناعة. وقيل : من قنع، استراح من الشغل، واستطال على الكل. وقيل : من نظرت عيناه مما بأيدي الناس، طال حزنه. وقيل : ما دام العقاب في مطاره، لا تسمو إليه همة الصياد. فإذا حطه الطمع إلى الجيفة، علق في الحبال. فيا أيها السالك، عليك بقطع مادة الطمع. بقول موسى للخضر : ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ عوقب بقول الخضر : ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾. وقيل : إن الله تعالى بعث ظبيا قام بين موسى والخضر عند هذا القول، وكان الظبي مما يلي الخضر مشويا، ومما يلي موسى نيا، إشارة إلى أن الخضر صبر على الجوع. فقدر وظفر، ولم يظفر موسى. (واعلم) أن مثل الطمع مثل الكلب المزابل يقطع طول عمره بحذاء دكان القصاب لرجاء عظم أو قطعة لحم. ولا يجدها فأنصف.

❖ بيان طلب الحلال ❖

(واعلم) أن من جملة المحبة والاتباع، طلب الحلال الطيب كما قال تعالى : ﴿ كلوا من طيبات ما أحل الله لكم ﴾، وقال : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ وقال : ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾.

وقال عليه السلام: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم»، وقال أيضا: «العبادة عشرة أجزاء. تسعة منها في طلب الحلال»، فيكون طلبُ الحلال وأكلُه من أحكام الإيمان.

(واعلم) أن أكل الحلال ولبسه ومسكنه أصل جميع الأعمال الصالحات، لأن من أكل الحلال أطاعته جوارحه في طاعة الله تعالى. وكلما كانت الطعمة أحل كان العمل أصلح وأرفع عند الله. وجاء في الخبر: «من أكل الحلال أربعين يوما، نور الله قلبه، وأجرى ينابيع الحكمة في قلبه، وزهده الله عز وجل في الدنيا». ومن لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف الحجاب عن قلبه. ولم يشاهد أسرار الجبروت بعين بصيرته، ولم يظهر في قلبه نور الذكر.

❖ بيان الإخلاص ❖

(وأما الإخلاص) فهو في اللغة ترك الرياء في الطاعة. وفي اصطلاح أهل الحقيقة، هو كذلك أيضا. ولهذا قال بعضهم: الإخلاص تصفية الطاعة عن ملاحظة المخلوقين.

وقال بعضهم: هو أن يكون المقصود بالطاعة وجه الله فحسب. ولهذا قال رويم: الإخلاص كل عمل لا يريد عليه صاحبه غرضاً في الدنيا والآخرة. وقال: هو أن تستوي عبادة العابد في الظاهر والباطن. وقيل: المخلص من يخفي حسناته، كما يخفي سيئاته.

وقال النبي عليه السلام حكاية عن الله تعالى: «الإخلاص سر من أسراري، أستودعه قلب من أحب من عبادي». وقال حكايةً عن الله أيضاً: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك. فمن عمل عملاً، وأشرك فيه غيري، فأنا منه بريء وهو للذي أشرك». وقال: «طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى. تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء». وأول الإخلاص في التوحيد. وكيفيته في سورة الإخلاص، وقوله: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ الآية.

وقال مكحول: ما أخلص عبد أربعين يوما، إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه. وقال أبو يعقوب السوسي: من رأى في إخلاصه إخلاصاً، يحتاج إخلاصه إلى إخلاص. وقال الفضيل: ترك العمل لأجل النـــاس رياء، والعمل لأجلهم شرك. والإخلاص الخلوص من هذين. وقال سهل بن عبد الله: الإخلاص أشق العبادات على النفس، لأنها لا نصيب لها فيه. وقال أبو سعيد الخراز: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين. وقال السري من تزين للناس بما ليس فيه، سقط من عين الله.

❖ بيان اليقين ❖

(وأما اليقين) ففي اللغة العلم الذي لا شك معه. وفي الاصطلاح، اعتقاد الشيء بأنه كذا، مع اعتقاده أنه لا يمكن، إلا كذا مطابقا للواقع غير ممكن الزوال. والقيد الأول جنس يشمل الظن أيضا. والثاني يخرج الظن. والثالث يخرج الجهل المركب. والرابع يخرج اعتقاد المقلد

المصيب. وعند أهل الحقيقة، رؤية العيان بقوة الإيمان، لا بالحجة والبرهان. وقيل: مشاهدة الغيوب، بصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار، بمحافظة الأفكار. وقيل: اليقين هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء. يقال يقن الماء في الحوض، إذا استقر فيه.

(واعلم) أن أصل مقامات اليقين، التي ترد عليها فروع أحوال المتقين تسعة: التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل والمحبة والرضا. وقال العلامة الفاسي: ثم الحب في الله لأهل العلم والصلاح والدين، والزهد والبغض في الله للظلمة والمبتدعة والفسقة المعلنين. والباقي من مقامات اليقين مثل الخوف والرجاء والشكر والحياء والتسليم والتوكل والشوق والمحبة. وقال ﷺ: «ما أعطيت أمة من اليقين، أفضل مما أعطيت أمتي»، أخرجه الحكيم عن ابن مسعود.

❖ بيان حق اليقين ❖

وحق اليقين، عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً، لا علماً فقط. فعلم كل عاقل الموت، علم اليقين. فإذا عاين الملائكة، فهو عين اليقين. فإذا ذاق الموت، فهو حق اليقين. وقيل: علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الإخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها. وقال الجنيد: اليقين علم لا يتغير ولا يحول. وقيل: هو زوال الشبهة والمعارضات. وقيل: هو المكاشفات. قال القشيري: المكاشفات عندهم ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره عليه من غير بقاء شك. وربما أرادوا بها ما يقرب مما يراه الرائي بين النوم واليقظة. وقد ذكر الله تعالى اليقين في كتابه العزيز على ثلاثة أوجه: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. فقال أهل الحقيقة: علم اليقين ما يحصل عن الفكر والنظر. وعين اليقين عما يحصل عن العيان. وحق اليقين اجتماعهما.

وقيل: اليقين ينقسم إلى ستة أقسام: اسم، ورسم وعلم وعين وحق وحقيقة. فالاسم والرسم لعوام المؤمنين، وعلم اليقين لعوام العلماء، وعين اليقين للأولياء، وحق اليقين للأنبياء، وحقيقة اليقين لمحمد عليه السلام. ثم إن بعض المشايخ جعل اليقين من الأحوال، لا من المقامات. فجعله غير مكتسب.

وقال بعضهم: هو من المقامات. وأولها المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الإخلاص ثم الشهادة ثم الطاعة، فجعل أول الواجبات المعرفة. وقد ذكر الله الموقنين في كتابه الكريم، فقال: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾، وقال: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾. وقال النبي عليه السلام: «كفى بالموت واعظا، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً».

وقال عليه السلام: «إن من اليقين أن لا ترضين أحداً بسخط الله ولا تحمدن أحداً على

ما آتاك الله ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره وإن الله تعالى جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ».

وقال ذو النون ثلاث من علامات اليقين قلة مخالطة الناس في الإعسار وترك المدح لهم عند العطاء وترك ذمهم عند المنع. وقال عامر بن عبد قيس : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقال إبراهيم الخواص طلبت أكل الحلال فكنت أصطاد السمك فهتف بي يوما هاتف يا إبراهيم لم تجد معاشا إلا في قتل من يسبحنا فكسرت القصبة وتبت عن الصيد. وقال الخواص أيضا : لقيت في أرض التيه غلاما كأنه سبيكة فضة، فقلت : إلى أين يا غلام؟ فقال : إلى مكة، فقلت : بلا زاد ولا نفقة؟ فقال : يا ضعيف اليقين من يقدر على حفظ السموات والأرض لا يقدر على إيصالي إلى مكة بغير زاد ولا نفقة، فتركته ومضيت. فلما وصلت إلى مكة لقيته، فقال لي : يا شيخ أنت إلى الآن على ذلك الضعف من اليقين؟ فقلت: لا والله

(وأما علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين) فكلها عبارات عن علوم جلية فاليقين العلم الذي لا شك فيه ولا يوصف به الحق سبحانه لعدم التوقيف. وهي في اللغة بمعنى واحد وفي اصطلاح أهل الحقيقة قد ذكرنا الفرق بينها فيما سبق.

وقال القشيري : علم اليقين ما كان بشرط البرهان وعين اليقين ما كان بحكم البيان وحق اليقين ما كان بنعت العيان فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف.

◆ بيان فضل العلم ◆

(وأما فضل العلم) فقال ﷺ : « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » أخرجه الديلمي.

وقال عليه السلام : « العلم حياة الإسلام وعماد الدين ومن علم علما أنمى له الله أجره إلى يوم القيامة ومن تعلم علما فعمل به كان حقا على الله أن يعلمه ما لم يكن يعلمه » أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس. وقال ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي » أخرجه الحرث. وقال ﷺ : « كفى بالمرء علما أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بنفسه » (هب) عن مسروق مرسلا. وقال « ما تصدق الناس بصدقة أفضل من علم ينشر » أخرجه الطبراني. وقال : « ما خرج رجل من بيته ليطلب علما إلا سهل الله له طريقا إلى الجنة » أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة. وقال : « ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع حتى يرجع » أخرجه أحمد وابن ماجه وابن

حبان والحاكم عن صفوان. وقال: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» أخرجه الترمذي.

وقال: «من طلب العلم فإنه كفارة لما مضى» أخرجه الترمذي. وقال: «من طلب العلم تكفل الله له برزقه». وأخرج الترمذي عن معاذ «من طلب العلم ليجاري به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار». وابن عساكر «من علم آية من كتاب الله أو بابا من العلم أنمى الله أجره إلى يوم القيامة». وعن أبي سعيد وأبي نعيم «من غدا أو راح وهو في تعليم دينه فهو في الجنة». والطبراني «الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما». وقال عليه السلام: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما يخشى الله من عباده العلماء». وفي رواية «إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين وألهمه رشده». وقال: «أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع» وفي رواية «قليل العلم خير من كثير العبادة وكفى بالمرء فقها إذا عبد الله. وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه».

وقال: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

وقال: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب». وقال: «العلماء ورثة الأنبياء ألا إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر». وقال: «تعلموا العلم فإن تعليمه لله تعالى خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وبه يعرف الحلال من الحرام».

❁ بيان التلوين والتمكين والثبات ❁

(وأما التلوين والتمكين والثبات) فالتلوين هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة وهو الصراط المستقيم والتمكين هو مقام الاستقامة والثبات على الصراط المستقيم وإنما سموا أرباب التلوين لتلونهم وتبدل صفاتهم البشرية في طلب الصراط المستقيم، بخلاف أرباب التمكين فإنهم ثابتون مستقرون على استقامتهم، فالتلوين صفة أرباب الأحوال، والتمكين صفة أهل الحقائق. فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقي من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف. فإذا وصل تمكن فصاحب التلوين أبدا في الزيادة وصاحب التمكين وصل واتصل.

وقال المشايخ: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم فإذا ظفروا بها فقد وصلوا يريدون بذلك زوال أحكام البشرية عنهم واستيلاء سلطان الحقيقة عليهم.

وقال أبو علي: كان موسى عليه السلام صاحب تلوين، لأنه رجع من سماع كلام الله تعالى وطلب الرؤية إلى ستر وجهه لما أثرت فيه الحال ومحمد ﷺ كان صاحب تمكين فرجع كما ذهب ليلة المعراج لم يؤثر فيه مما شاهده ولا ما سمعه تلك الليلة. وكان يقول: مثال حالهما امرأة العزيز والنسوة، فالنسوة لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن ما قلن، لأنهن لم يكن لهن في حبه مقام تمكين، وامرأة العزيز كانت بيوسف أتم بلاء منهن ولم يجر عليها ذلك اليوم شيء مما جرى على النسوة لكونها صاحبة تمكين في حبه.

وقال غير أبي علي: كلاهما كانا صاحبي تمكين يعني موسى ومحمدا عليهما السلام بمعنى خروجهما عن أوطان البشرية. لكن لما دخلا في ولاية الحق والحقيقة، وهي لا منتهى لها كان فيهما سلوك وتلوين يليق بتلك الحال غير أن جواذب الحق إلى قلب محمد عليه السلام كانت أقوى منها إلى قلب موسى ويدل على هذا النوع من التلوين قوله عليه السلام: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل». وفي رواية أخرى: «لي مع الله وقت لا يسعني غير ربي». أخبر عن وقت مخصوص. وبهذا استدل من قال من المشايخ: التمكين لا يدوم. واستدل أيضاً بقوله عليه السلام لأصحابه: «لو بقيتم على ما كنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة». وقيل: يصح دوام الأحوال كلها لكن للواصلين وخطاب النبي عليه السلام بما ذكروه إنما يكون على قدر فهم المخاطبين وبحسب أحوالهم.

(وأما المسلوب) عن نفسه وإحساسه بالكلية فهو من المحو المحض فلا تلوين له ولا تمكين ولا مقام ولا حال ولا تسويف ولا تكليف ما دامت به تلك الغيبة إلا أنه قد يصدر منه فعل يظن أنه متصرف به وهو في التحقيق متصرف به.

قال الله تعالى: ﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾. ثم قيل: صاحب البرهان والنظر. وهو صاحب علم اليقين في أول مقام التلوين، وصاحب حق اليقين في آخره، وهو أول مقام التمكين. قالوا: لعل الخليل عليه السلام صاحب علم اليقين، فكان في أول مقام التلوين، لما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض .. إلى قوله .. وما أنا من المشركين ﴾.

◆ بيان البعد والقرب ◆

(وأما البعد والقرب) فاعلم أن أول مراتب القرب القرب من طاعته والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته وأول مراتب البعد التدنس بمخالفته والإعراض عن طاعته فقرب البعد من الله

بالإيمان والإحسان وقرب الله من العبد بما يخصه في الدنيا من العرفان وفي الآخرة من الشهود والعيان لا بالمسافة تعالى الله عن ذلك ولا يقرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق والقرب من صفات القلوب دون الأجسام وقرب الله تعالى بالعلم والقدرة عام في الكل وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين وبالأنس خاص بالأولياء قال الله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾. وقال: ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾، وقال: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾. والفرق بين القرب والحضور أن القرب يكون بالطاعة الدائمة والحضور هو الحضور مع الله بصرف كليته إلى ذكره ورؤية القلب القرب حجاب عن القرب فمن شاهد في نفسه محلاً وخطراً فهو ممكور به ولهذا قالوا أوحشك الله من قربه أي من شهودك لقربه، تدبّر.

(واعلم) أن الإنكار على السادات الصوفية والطريقة العلية المتبعين للسنة السنية والدامغين للبدعة الردية خصوصاً أهل العلم النافع والعمل الرافع والمعارف والأسرار والكشف الصحيح والأنوار سم قاتل وهلاك عظيم وقد ورد به الوعيد الشديد وهو أمر خطير وهو علامة إعراض القلب عن الله تعالى وحشوه بالأمراض ويخشى على فاعله سوء الخاتمة، والعياذ بالله. وهو لا يصدر غالبا إلا من بعض المتفقهة القاصرين، كما قال العارف عبد الغني النابلسي: وقد اعتاد المتفقهة في كل زمان على التفتيش عن عيوب الناس الشرعية بحيث لا يؤولون ما يجدونه مخالفا لعلمهم وإن كان له ألف تأويل، بل ينكرون بمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ ولو بوجه ضعيف وإن كان صوابه ظاهراً. بل ربما بعضهم يجهل مذهب الآخر فينكر عليه بما خالف مذهبه، بل ينكرون أصل الطريق وأربابها كلها. وهذه طريق المتفقه المتعصب والسفهاء لا الفقهاء، فإنهم قاصرون مرادهم أن يعرفوا بين الناس بالعلم والفقه والرياسة لأغراض شيطانية يريدون إنفاذها وشهوات نفسانية يحاولون إيجادها، فيضطرهم الأمر إلى التفتيش عن عيوب الناس فكيف يؤولون شيئا مقصودهم التفتيش عليه. ومتى ظفروا بوجه فاسد في حال إنسان فكأنهم ظفروا بملك الدنيا ويفرحون شديداً، إن رأوا حسنة في الكامل دفنوها، وإن رأوا سيئة أفشوها فمن المحال أن يقيلوا عثرة مؤمن أو يتغافلوا عن زلة مسلم لأنهم في زعمهم لا يرتقون ولا بشيء يرتفعون إلا بإنكار المناكر خصوصاً على الكامل الخاشع والعابد الذاكر فيكونون ضلالا ومضلين.

(وأما الفقهاء) أصحاب القدم الراسخ في العلوم على حسب المذاهب الأربعة، فإن قلوبهم متجافية عن الدنيا مقبلة على الآخرة. وبسبب ذلك لا حسد عندهم ولا تكبر ولا عداوة ولا حقد ولا رياء ولا سمعة، يعلمون أحكام الله تعالى على وجه التحقيق أصولاً وفروعاً. ومن

شدة شفقتهم على عباد الله لا يكادون يجدون في الناس منكرًا أصلًا من كمال اشتغالهم بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس، ولا يجدون في الغير مفسدة يعلونها على أنفسهم ولا تخفى عليهم دسائس النفوس فهم في صدد كمال نفوسهم وتطهيرها فهم في شغل شاغل عن أنكار المناكر على الغير وإذا رأوا أمرًا لا ينظرون منه إلا الوجه الحسن في حق الغير احتياطا وورعا وعندهم أحكام شرعية عظيمة وأمور كلية يقرؤها للناس في الدروس وعلى الكراسي والمنابر، وليس في قلوبهم وجود شيء منها في أحد من الناس على التعيين أصلًا كما أن الله تعالى أنكر المنكر في القرآن بلا تعيين أحد مع علمه تعالى بالمناكر وأهلها في كل زمان. ولذا كان عليه السلام يقول ما بال أقوام يفعلون كذا ولا يذكر أحدًا بسوء. فهؤلاء هم الناس الذين يليق في حقهم أن يقال علماء فقهاء أمناء أحكام دين الله تعالى. ولقد روي عن أبي حنيفة والشافعي أنهما قالا: إن لم تكن العلماء أولياء فليس لله ولي. والمراد العاملون بلا شك لقوله عليه السلام: «لا يكون العالم عالما حتى يكون بعلمه عاملا». كذا ذكره بعضهم مرفوعا، وإنما هو موقوف على أبي الدرداء رواه ابن حبان والبيهقي وذكر النجم الغزي في منبر الوحيد عن الشافعي أنه قال: من أحب أن يفتح الله في قلبه نور الحكمة فعليه بالخلوة بقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض العلماء الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب، انتهى كلامه.

وقال شيخ الإسلام المخزومي: لا يجوز لأحد من العلماء الإنكار على الصوفية، إلا إن سلك طريقهم ورأى أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب والسنة والإجماع والسلف. وأما بالإشاعة والظن والخبر الكذب والبهتان فلا يجوز الإنكار عليهم ولا سبهم، وأطال في ذلك ثم قال: وبالجملة فأقل ما يجب على المنكر حتى يسوغ له الإنكار على أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم أن يعرف سبعين أمرًا ثم يسوغ له الإنكار فمنها غوصه في معرفة معجزات الرسل صلى الله عليهم وسلم وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم ويؤمن بها، ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم إلا ما خص بهم. ومنها اطلاعه على التفاسير سلفا وخلفا. ومنها اطلاعه على الأحاديث ومنازع الأئمة المجتهدين ويعرف أسرار الكتاب والسنة والتأويل وشرائطه واللغة والمجازات والاستعارات حتى يبلغ الغاية. ومنها كثرة الاطلاع على مقالات السلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها ومن أخذ بالظاهر ومن أول ومن كليلة أرجح من الآخر. ومنها تبحره في علم الأصول ومنازع أئمة الكلام وتكميل العقائد. ومنها معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلي الذاتي والصوري ما هو والذات وذوات الذوات ومعرفة حضرة الأسماء والصفات. والفرق بين الحضرات والأحدية والواحدية ومعرفة الظهور والبطون والأزل والأبد وعالم الغيب والكون والشهادة والشون وعالم الماهية

والهوية والسكر والمحبة ومن هو الصادق في السكر والجذب حتى يسامح ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم أو ينكر عليهم ما ليس مرادهم.

وقال ابن حجر في شرح المنهاج من كتاب الردة: هي قطع الإسلام بنية أو قول كفر عن قصد وروية فلا أثر لسبق لسان أو إكراه أو اجتهاد وحكاية كفر وشطح ولي حال غيبة وتأويله بما هو مصطلح عليه بينهم وإن جهله غيرهم. إذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند أهله، فلا يعترض عليهم بمخالفته لاصطلاح غيرهم كما حققه أئمة الكلام وغيرهم، وما زال كثيرون في التهويل وهم بريئون منه. وقال الرملي في الفتاوي الخيرية: وحقيقة ما عليه الصوفية لا ينكرها إلا كل نفس جاهلة غبية.

❖ بيان حقيقة الإرادة والمشيئة والمريد ❖

(وأما حقيقة الإرادة والمشيئة والمريد) فالإرادة والمشيئة في اللغة بمعنى واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة الإرادة نهوض القلب في طلب الحق تعالى. ولهذا قال بعضهم: لوعة تهون كل روعة، وأكثر المشايخ على أن الإرادة ترك ما عليه العادة وعادة الناس في الغالب الإقامة في أوطان الغفلة والسكون إلى اتباع الشهوات، فمن خرج عن ذلك سمي مريداً. فالمريد في اللغة من له الإرادة. وفي اصطلاح أهل الحقيقة من لا إرادة له، وكل مريد مراد في الحقيقة لأنه مراد الله تعالى أن يكون مريداً لا محالة، وكل مراد مريد أيضاً. هذا هو الصحيح عند بعضهم.

وقال القشيري وغيره: المريد المبتدي والمراد المنتهي ولا بد لأكثر السالكين من حالة ابتداء بالمجاهدات والرياضات حتى يصلوا إلى درجة الانتهاء ومنهم من يكاشف في ابتدائه بجليل المعاني ويصل إلى ما يصل إليه أرباب الرياضات رفقاً من الله تعالى به وترفيهاً له، إلا أن أكثر هؤلاء يردون إلى المجاهدات بعد هذا الرفق ليستوفوا ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة. وقيل: كان موسى عليه السلام مريداً، فقال: ﴿رب اشرح لي صدري﴾ وكان محمد ﷺ مراداً، فقيل له ﴿ألم نشرح لك صدرك .. إلى قوله تعالى .. ورفعنا لك ذكرك﴾. وكذلك قال موسى عليه السلام ﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾، وقال لمحمد عليه السلام ﴿ألم تر إلى ربك﴾، وهذا الكلام عند أهل الحقيقة. وقوله تعالى ﴿كيف مد الظل﴾ ستر للقصة وتحصين للحالة ذكره القشيري وغيره. فالمريد سائر والمراد طائر. وقيل: المريد سالك والمراد مالك. وقيل: أرسل ذو النون المصري إلى أبي يزيد البسطامي يقول له: يا أخي إلى متى هذا النوم والراحة، والقافلة قد مضت؟ فقال أبو يزيد لرسوله: قل لأخي ذي النون، الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة. فقال ذو النون: هنيئاً له، هذا كلام لا يبلغه أحوالنا. والإرادة مطلوبة شرعاً قال الله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي

يريدون وجهه ﴾.

وقال النبي عليه السلام: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً استعمله». قيل: يا رسول الله كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه للعمل الصالح قبل الموتِ». ومن صفةِ المريد أن لا يفتر آناء الليل وأطراف النهار فيكون ظاهره مجاهدًا وباطنه مكابدًا ومن صفته التحبب إلى اللهِ تعالى بالنوافل والإخلاص في نصيحة الأمة والأنس بالخلوة والصبر على مقاساة الأحكام والإيثار لأمر الله والحياء من نظره وبذل المجهود فيما يحبه الله ويرضاه وطلب كل سبب يوصل إليه والقناعة بالخمول وعدم القرار إلى أن يصل إليه.

وقيل: أول مقامات المريد إرادة الحق بإسقاط إرادته، فإن لطفه يقوم بتربيته ويجذبه من عنان تصرفه ليتصرف الحق فيه، فيكون به يبصر وبه يسمع وبه يمشي وبه ينطق وبه يبطش كما جاء في الحديث القدسي. وقيل: من علامات المريد أن يكون أكله فاقة وكلامه ضرورة ونومه غلبة. وقيل: المريد إذا سمع شيئًا من صفات القوم وأحوالهم فعمل به صار ذلك حكمة في قلبه إلى آخر عمره ينتفع به هو ومن يسمع منه، وإذا لم يعمل به كان حكاية يحفظها أياما ثم ينساها.

وقال الجنيد: الحكايات وأحوال العارفين جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المريدين. دليله قوله تعالى للنبي عليه السلام: ﴿ وكلا نقص عليك من أنباءِ الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾.

وقال أيضا: المريد الصادق غني عن علم العلماءِ. وقيل: آفات المريد التزوج وكتابة الحديثِ والسفر. وقيل: أشد شيء على المريد معاشرة الأضداد. وقيل: متى رأيت المريد يشتغل بالرخص أو بالكسب فاعلم أنه لا يجيء منه شيء وأما عند النقشبندية بعد الحضور لا يضر.

وقال صدر الدين القنوي في رسالة التوجه الأعلى: اعلم أن لنا مستندًا في وجودنا وهو خالقنا وخالق كل شيءٍ، ولا شك أنه أرحم منا وأشرف وأكمل سيما من حيث افتقارنا إليه في استفادةِ وجودنا منه أولاً وفي إمداده إيانا بما به بقاؤنا، ونحتاج إليه في تخليص نفوسنا من الشقاء وموجباته وأسبابه وتحصيلنا أسباب الفوز بالسعادةِ ومقام القرب منه ومعرفة كيفية قرع باب الحضرة التي بالدخول فيها تحصل السعادة القصوى، فإنه الغني عنا وعن مثلنا وافتقرنا إليه ذاتاً وصفات، فإن النقص والفقر من صفاتنا كما أن الفضل والغنى والكمال الذاتي له ومن صفاته. وقد أخبرنا على ألسنة سفرائه أنه خلقنا لعبادته، وأراد منا التحقق بعبوديته ومعرفته، وأمرنا بتوحيده ورغبنا في الخلوة وطلب السعادة بالإقبال عليه والتوجه الأخلص الخفي والجلي إليه، وحذرنا من الغفلة والنسيان والاغترار بتساويل النفس الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان، وندبنا للتعرض لنفحات جوده، ووعدنا بالإجابة إذا دعونا،

وبذل لنا المنحة الخالصة المخزونة في غيب خزائن جوده. فوجب على كل عاقل طالب خلاص نفسه راغب في تحصيل مقام القرب في المراتب العلية من حضرات قدسه أن يهتم ويعزم على التوجه إليه تعالى بقلبه الذي هو أشرف ما فيه لأنه المتبوع لما اشتمل عليه نسخة وجوده من صور العالم ومعانيه، ولأنه كما أخبرنا محل نظر الحق ومنصة تجليه ومهبط أمره ومنزل تدليه، لكن ينبغي لك أن تعلم أن القلب ليس عبارة عن البضعة الصنوبرية فإنها وإن سميت قلباً فإنما تلك التسمية على سبيل المجاز وباعتبار تسمية الصفة والحامل باسم المحمول والموصوف، وإلا فكل عاقل يعلم أن القلب الذي أخبر الحق على لسان نبيه بقوله: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي الورع ليس هذا اللحم الصنوبري الشكل، فإنه أحقر من حيث صورته من أن يكون محل سره جل وعلا فضلاً عن أن يسعه ويكون مطمح نظر العلي الأعلى ومستواه.

وإنما القلب الإنساني عبارة عن الحقيقة الجامعة بين الأوصاف والشئون الربانية وبين الأوصاف الخصوصية والأحوال الكونية الروحانية منها والطبيعية، وهي حقيقة تنشأ غرضيتها وتبسط أحكام شأنها وتظهر من بين الهيئة الاجتماعية بين الصفات والحقائق الإلهية والكونية وما يشتمل عليه هذان الأصلان من الأخلاق والصفات اللازمة وما يتولد من بينهما بعد الارتياض والتحنك والتزكية وزوال الأحكام الانحرافية بغلبة الاعتدال الرباني الحاكمة على الاعتدال الروحاني والطبيعي والعنصري والصوري العلوي الملكي الفلكي والاعتدال السفلي البشري، فتظهر الحقيقة القلبية ظهور السواد بين الزاج والعفص والماء وكظهور النار بين الحجر والحديد.

فتلك الصورة الظاهرة بين ما ذكرنا هي صورة الحقيقة الموصوفة بما وصف الحق تعالى والصنوبري منزل تدلي تلك الصورة ومرآتها والناس فيما ذكرت على درجات عظيمة التفاوت. ومن عرف كلياتها عرف حقيقة الإسلام والإيمان والولاية والنبوة والرسالة والخلافة والكمال والقدر المشترك بين جميعها وما به تتميز كل واحدة عن الأخرى.

* بيان كرامات الأولياء *

(وأما كرامات الأولياء) فهي ما يكرمهم الله تعالى به من الأمور الخارقة للعادة ووقوع الكرامات جائز ومتحقق عند أهل العلم والمعرفة. وفائدتها معرفة الولي الصادق من المدعي الكاذب بتعريف الله تعالى.

(وقال) أبو عثمان رضي الله عنه من كان له سريرة صالحة سنية أظهر الله تعالى منها رداء يعرف به ولا بد من كونها فعلا خارقا للعادة في زمن التكليف. والفرق بين المعجزة والكرامة قيل:

بدعوى النبوة واختاره القاضي أبو بكر وهو المعتمد. وقيل: بوجوب الإظهار في المعجزة ووجوب الإخفاء والستر في الكرامة. وقيل: بالقطع وعدمه فالنبي يقطع بكون ذلك معجزة والولي يجوز كونه مكراً. وقيل: إنْ كان ظهور الأمر الخارق للعادة على يد الشخص غير مقرون بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وإن كان مقرونا بهما فإن لم يكن معه دعوى النبوة فكرامة، وإلا فمعجزة.

وقال سهل بن عبد الله التستري: المعجزة للأنبياء، والكرامة للأولياء، والمعونة للمريدين، والتمكن لأهل الخصوص.

وقال أبو علي الروذباري: كما فرض الله تعالى على الأنبياء إظهار المعجزات فرض على الولي كتمان الكرامات لئلا يفتتن بها الخلق. وقيل: عقوبة الأنبياء حبس الوحي والمعجزات، وعقوبة الولي إظهار الكرامات، وعقوبة المريدين التقصير في الطاعات. ثم ظهور الكرامات يكون تارة بقصد الولي وتارة بغير قصده.

(واعلم) أنّ نهايات مقامات الأولياء منقطعة عن مبادي مقامات الأنبياء، فالولي وإنْ جل حاله ومرتبته لا يصل إلى شيْء من مقامات النبوة، لأن الولي متبع والنبي متبع، ومتى يقاوم الفرع الأصل أو يدانيه وبه قوامه وإليه مرجعه. ومن ظن خلاف ذلك فقد ظن خلاف الحق وكرامة الأولياء معجزة لنبيها، لأنهم تبع له وصدق التابع يدل على صدق المتبوع. والدليل على أنّ رتبة الولي أنزل من رتبة النبي ما ذكره أبو يزيد بقوله مثال ما حصل للنبي عليه السلام كزق فيه عسل رشحت منه قطرة فتلك القطرة تعدل كل شيء حصل لجميع الأولياء والذي في الزق مثال ما حصل لنبينا عليه السلام. واختلف أهل الحقيقة في جواز معرفة الولي كونه ولياً. واختار الأستاذ أبو علي جواز ذلك، قال القشيري وبه نقول خلافا لابن فورك! ومن عرف منهم ذلك كانت معرفته كرامة له وعلم كل ولي بذلك ليس بواجب ولكل منهم نوع كرامة بل لو لم يكن له كرامة في الدنيا أصلاً لا يقدح ذلك في كونه وليا. ونحن الدليل على جواز ظهور الكرامة قول صاحب سليمان عليه السلام: ﴿أنا آتيك به قبل أنْ يرتدّ إليك طرفك﴾، وقول عمر رضي الله عنه في خطبته يوم الجمعة يا سارية الجبل الجبل وبلغ صوته إلى سارية في تلك الساعة حتى أخذ حذره من العدو الكامن في الجبل، وكان سارية بمصر وقوله تعالى ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا﴾، وقوله تعالى ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾، ولم تكن مريم نبية وقصة أصحاب الكهف وتكليم الكلب لهم والذي يجوز كونه كرامة مثل إظهار الطعام في غير وقته أو ماء في وقت عطش أو قطع مسافة بعيدة في مدة قريبة أو تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو نحو ذلك، بخلاف حصول

الإنسان لا من أبوين وقلب الجماد حيوانا ونحو ذلك، فإنه لا يجوز ظهوره كرامة أصلا. وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فكذلك بالإجماع. ولابن فورك فيه قولان. ومما جاء في إثبات كرامة الأولياء من الأحاديث الصحيحة ما جاء في الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم ومبرئ جريج وصبي آخر». فأما عيسى فمعلوم. وأما جريج فراهب عابد نسب إليه ولد من الزنا، فأنطق الله الصبي، فقال: أبي فلان الراعي، فبرئ جريج منه. وأما الآخر فصبي كان يرضع في حجر أمه فمر بها شاب جميل ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، لأنه جبار من الجبابرة. ثم مرت بها امرأة ذكروا أنها زنت وسرقت، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فقال: اللهم اجعلني مثلها لأنها لم تزن ولم تسرق. ومن ذلك حديث الغار وهو مشهور وانفتاحه بدعاء الثلاثة بعد انطباق الصخرة على بابه وهو طويل فلم نشرحه.

وقال عليه السلام: «بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إذ التفتت البقرة إليه، وقالت: إني لم أخلق لهذا، وإنما خلقت للحرث». فقال الناس: سبحان الله، فقال النبي عليه السلام: «اني آمنت بهذا» وكذا أبو بكر وعمر، وهذا حديث صحيح. ومن ذلك حديث أويس القرني وما شاهد عمر بن الخطاب من حاله وقصته وهو مشهور.

❖ بيان حقيقة الولاية ❖

(وأما حقيقة الولاية) فالولي في اللغة ضد العدو، وفي اصطلاح أهل الحقيقة له معنيان: فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح وهو من يتولى الله رعايته وحفظه، فلا يكله إلى نفسه لحظة كما قال ﴿وهو يتولى الصالحين﴾، والثاني فعيل مبالغة فاعل ككريم وعليم، وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته، فيأتي بها على التوالي من غير أن يتخللها عصيان أو فتور وكلا المعنيين شرط في الولاية. فمن شرط الولاية والولي أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما، وكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع، هكذا ذكره الإمام القشيري وغيره من أئمة الطريق، قال: وسمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله يقول قصد أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه بعض من وثق بولايته فلما وافى مسجده رآه قد تنخم في المسجد فرجع ولم يسلم عليه وقال من لا يؤمن على أدب من آداب الشرع كيف يؤمن على أسرار الحق.

واختلف أهل الحقيقة: هل يجوز أن يعلم الولي انه ولي أم لا. قال بعضهم: لا ولو ظهر له من الكرامات ما ظهر لجاز ان يكون ذلك مكرا من الله تعالى به لأن العاقبة تخفى الأصل وهي مجهولة فكم رجل انعكس عليه حاله وخالف مبداه ماله. وإلى هذا ذهب جماعة من شيوخ هذه الطائفة لا يحصون. وقال بعضهم: يجوز أن يعلم أنه ولي باطلاع الله تعالى له

على عاقبة أمره ودوام حاله بطريق الكرامة. والدليل العشرة المبشرة بالجنة، وإلى هذا ذهب الأستاذ أبو علي الدقاق، وقال أبو يزيد البسطامي: أولياء الله عرائسه ولا يرى العرائس إلا المحارم فهم مخدرون عنده في حجاب الأنس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال النبي عليه السلام: إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم، قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال وانساب، وجوههم نور وهم على منبر من نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم تلا قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. قال أهل الحقيقة: سبب انتفاء الخوف والحزن عنهم أن الخوف متعلق بالمستقبل من توقع حصول مكروه أو فوت محبوب، والحزن متعلق بالماضي والولي ابن وقته فلا ماضي له ولا مستقبل فلذلك قال لا حزن له ولا خوف ولا رجاء أيضاً قلنا ووجه آخر وهو أن الحزن من حزونة الوقت ومن كان في ضياء الرضا ورداء الموافقة فأنى له حزن وقيل علامة الولي ثلاثة أشياء أن تكون همته لله وفراره إلى الله وشغله بالله. وقيل: علامة الولي أن يكون أبداً ناظراً إلى نفسه بعين الصغار وهو أن يكون خائفاً من سقوطه عن المرتبة التي هو فيها وأن لا يثق بكرامة تظهر له وأن لا يغتر بها. وقيل: نهايات الأولياء بدايات الأنبياء.

وقال أبو يزيد: حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء: الأول والآخر والظاهر والباطن. فمن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام، فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره، ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق، ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطا بما يستقبل.

قال الشيخ العارف أبو يزيد: وكل يكاشف على قدر طاعته إلا من تولاه الله سبحانه وتعالى ببره وقام عنه بنفسه. قال القشيري: وكلام أبي يزيد يشير إلى أن الخواص ارتقوا عن هذه الأقسام كلها، فلا العواقب في فكرهم ولا السوابق في ذكرهم ولا الطوارق في أسرارهم فأصحاب الحقائق محوا عن نعوت الخلائق.

وقال الخراز: إذا أراد الله أن يولي عبداً فتح عليه باب ذكره فإن استلذ الذكر فتح الله عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وادخله دار الفردانية وكشف له ستور الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو وصار فانياً فوقع في حفظ الله وبرئ من دعاوي نفسه فصار ولياً ولا يسقط الخوف عن الولي بل هو الغالب عليه فإن زال عن بعض الأولياء فنادر ولكن الهيبة لا تفارقه ويجوز أن يكون الولي ولياً ثم تبطل ولايته وقيل لا يجوز والأول مختار والغالب على الولي

أو ان محوه صدقه في أداء حقوق الله ثم رفقه وشفقته على خلق الله في كل حال ثم دوام التحمل منهم بتحميل الخلق وطلب الإحسان من الله إليهم ابتداء من غير أن يسألوه ذلك وتعليق الهمة بنجاتهم وترك الانتقام منهم وكف النفس عن أموالهم واللسان عنهم بكل حال والتعامي والعمى عن مساويهم ولا يكون خصما لأحد في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال العلامة السيد: الولي فعيل بمعنى فاعل وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان أو بمعنى مفعول وهو من يتوالى عليه إحسان الله تعالى وإفضاله والولاية من الولي وهو القرب فهي قرابة حكمية حاصلة من العتق أو من الموالاة.

❖ بيان التقوى ❖

(وأما التقوى) فتفسيرها في العزائم أن تعزم في جانب الخير أن تفعله وفي جانب الشر أن لا تفعله ثم تقضي في نفسك في وقت ثان بتقوى مجددة أن تفعل كما عزمت وأن تترك كما زعمت ثم يعترضك في الظاهر والباطن أحوال ففي الظاهر كالعز والذل والغنى والفقر والصحة والمرض والبؤس والنعمى وغير ذلك وفي الباطن كالقبض والبسط والخوف والرجاء وغير ذلك. ومنه أيضا الكبر والتواضع وخوف الفقر والأمن وسائر الأضداد فتعطي التقوى حقها في الأحوال وفي الأوصاف بالتحويل من بلد إلى بلد ومن موضع إلى موضع وغير ذلك وانظر قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه﴾ الآية، ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾، ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا﴾ ففز بالفهم وأنزل كل تقوى منزلها ترى العجائب والأسرار ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ ومن يزهد في الدنيا يحبه الله ومن أحبه الله كفاه الله وكلأه الله وجعله في حرزه وفي مأمنه وفي كلاءته وفي معاقله ومن يعش عن ذكر الرحمن نفسا واحدا أو نفسين أو زمانا أو زمانين أو ساعة أو ساعتين نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴿وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾.

❖ بيان الذوق والشرب ❖

(وأما الذوق والشرب) فهما قبل الصحو والسكر والذوق أول مقامات العارف، وهو وجدان لذة الحقيقة والشرب هو السكر المحض بعد الكرع في كأس المشاهدة والري دوام المواصلة بعد صفاء المعاملة، فصاحب الذوق متساكر وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح.

وقال القشيري: مرادهم بالذوق والشرب ما يجدون من ثمرات التحلي ونتائج الكشوفات وبواده الواردات ومن قوي حبه دام شربه ولا يؤثر فيه الشرب سكر القوة حاله، فيكون صاحيا بالحق فانيا عن كل حظ لا يتأثر بما يرد عليه من الواردات ولا يتغير ومن صفا سره

لم يتكدر عليه الشرب ومن صار له الشراب غذاء لم يصبر عنه ولم يبق عند فقده.

(واعلم) أن الشرب والذوق والري كل ذلك من نتائج التجلي فالخواص لهم دوام التجلي فهم في كمال الري ومن دونهم في رتبة التجلي لهم كمال الشرب ومن دونهم لهم كمال الذوق ومن دونهم وهم العوام في غطاء الستر وأنشدوا في الشرب:

إنما الكأس رضاع بيننا ۝ فإذا ما لم نذقها لم نعش

وقال الآخر: شربت الحب كأسا بعد كأس ۝ فما نفذ الشراب ولا رويت

وقيل كتب يحيى بن معاذ الرازي إلى أبي يزيد البسطامي شربت كأسا فلم أظمأ بعدها فكتب إليه أبو يزيد عجبت من هذه الحال. فإني أعرف من شرب بحار الكون وهو يقول هل من مزيد.

(واعلم) أن كاسات رحيق المشاهدة تبدو من الغيب ولا تدار إلا على نفوس مجردة وأسرار وأرواح عن رق الموجودات محرره.

❖ بيان السكر والصحو والمحو ❖

(وأما السكر والصحو والمحو) فالصحو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه والسكر غيبته بوارد قوي فهو أقوى من الغيبة وأتم منها أيضا لأن الغيبة قد يكون سببها الرغبة أو الرهبة أو الخوف أو الرجاء. والسكر لا يكون سببه إلا المكاشفة بنعت الجمال لأنه طرب الروح وهيام القلب ولا يكون ذلك إلا لأصحاب الوجد والمشاهدة والوجود لا لأهل الرغبة والرهبة والخوف والرجاء. ومنهم من قال أن من السكر ما هو أضعف من الغيبة وليس ببعيد لأن ذلك لا يسمى سكرا فالحاصل أن السكر هو الغيبة العظيمة والغيبة الضعيفة ليست بسكر بل هي إنتشاء وتساكر. وأنشدوا في معنى السكر:

فأسكر القوم دور كأس ۝ وكان سكرى من المدير

وقال الآخر:

سكران سكر هوى وسكر مدامة ۝ فمتى يفيق فتى به سكران

وفي عرصات القلوب استوت أحوال الصاحي والسكران في الفناء والبقاء فإنهما فانيان بالله تعالى باقيان به في الحالين

إذا طلع الصباح لنجم راح ۝ تساوى فيه سكران وصاح

❖ بيان حقيقة المحبة ❖

(وأما حقيقة المحبة) فهي في اللغة المودة وفي اصطلاح أهل العلم هي الإرادة، وفي اصطلاح أهل الحقيقة محبة الله للعبد إرادته كثرة الانعام عليه والإحسان إليه بتقريبه وإعطائه

الأحوال السنية والمقامات العلية وإرادته عز وجل صفة واحدة، لكنها تختلف باختلاف متعلقاتها فإذا تعلقت بعموم النعمة سميت رحمة وإذا تعلقت بخصوص النعمة سميت محبة. وأما ما هو المفهوم من صفات محبة الخلق إلى المحبوب والإستئناس به ونحو ذلك فالله تعالى منزه عنه وعلامة حب الله تعالى للعبد حب العبد له، ومحبة العبد لله تعالى هي حالة يجدها في قلبه تلطف عن العبارة وتخفى عنها ولا توصف المحبة بوصف ولا تحد بحد أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة. وتكلم الناس في اشتقاقها لغة فقيل : من الحبب وهو صفاء بياض الأسنان ونضارتها فتكون على هذا إسما لصفاء المودة. وقيل: من الحباب وهو ما يعلو الماء من النفاخات مثل القوارير عند صب مائع عليه فتكون على هذا اسما لغليان القلب وفورانه عند العطش والهيمان إلى لقاء المحبوب. وقيل : من حباب الماء وهو معظمه فتكون على هذا اسما لأعظم مهم في القلب. وقيل : أصلها من اللزوم والثبات من قولهم أحب البعير إذا برك فلم يقم. فكذا المحب ملازم ثابت لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه. وقيل : من الحب وهو الخابية لأنه لا يسع غير ما ملأه من الماء كذلك القلب لا يسع غير ما ملأه من الحب هذا كله قول أرباب اللغة. وأما أقوال المشايخ فيها فقال بعضهم محبة العبد لله تعالى هي التعظيم وإيثار الرضا وقلة الصبر وكثرة الإستئناس بذكره دائما. وقيل هي المبادرة إلى أداء الطاعات فرضا ونفلا وشدة اجتناب المعاصي. ويؤيد ذلك قوله عليه السلام حكاية عن الله تعالى : «ما تقرب إلي المتقربون بأفضل من أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا».

وقال بعضهم : حقيقتها الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل : هي إيثار المحبوب على جميع المصحوب. وقيل : موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. وقيل : موافقة القلب لمراد الرب. وقيل : هي محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته. وقيل : هي أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول. وقيل : هي حالة تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر. وقيل : هي ميلك إلى الله تعالى بكليتك وإيثارك له على نفسك وأهلك ومالك وموافقتك له سرا وجهرا ثم اعترافك بالتقصير في محبته وقيل هي نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب. وقيل : هي هتك الأستار وكشف الأسرار. وقيل : هي سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل له عند مشاهدته لا يوصف. وقيل : المحبة إيثار المحبوب كامرأة العزيز لما صدقت في المحبة قالت في الإنتهاء ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ فنادت على نفسها بالخيانة وفي الابتداء ﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا﴾. وقيل : هي فتنة تقع في الفؤاد من المراد.

وقال الشبلي: المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك. وقيل: المحبة الخروج عن البدن والروح لأن الحب مركب من حرفين الحاء والباء فالباء فيه إشارة إلى الخروج عن البدن والحاء فيه إشارة إلى الخروج عن الروح فما لم يتحقق الخروج عنهما لا تتحقق المحبة.

وقال بعضهم: المحبة ميل القلب إلى المحبوب والعشق غلبته والعشق عند المتكلمين نجوهر رباني يزيد بالسماع والرؤية وينقص بالجماع. وعند الحكماء: مرض شهواني يزيد بالسماع والرؤية وينقص بالجماع.

❖ بيان الخلة ❖

(وأما الخلة) فهي مشتقة من تخلل الشيء في الشيء وسمي الخليل خليلا لتخلل خليله في قلبه فوجوده مستهلك في وجوده فإذا تكلم تكلم فيه وإذا سكت فهو نصب عينيه في كل حال. وأنشدوا في ذلك:

قد تخللت مسلك الروح مني ◎ ولذا سمي الخليل خليلا

أنت همي وهمتي وحديثي ◎ ورقادي إذا أردت مقيلا

ولا يوصف العبد بالعشق لله تعالى لأن العشق مجاوزة الحد في المحبة ولا يجاوز أحد في محبة الله تعالى قدر استحقاقه بل لا يبلغ إلى ذلك القدر ولو اجتمعت محبة الخلق كلهم.

(واعلم) أن المحبة حالة شريفة وهي مطلوبة شرعا. قال الله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾. وقال: ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾. وقال النبي عليه السلام: « أحبوا الله لما أسدى إليكم من نعمة أي لما أنعم ». وقال النبي عليه السلام: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ». وقال: « إذا أحب الله عبدا قال لجبريل ناد أن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض ». وقال: « من آثر محبة الله على محبة الناس كفاه الله تعالى معونة الناس ». وقال: « إذا أحب الله تعالى المؤمن حماه من الدنيا نظرا له وشفقة كما يحمي المريض أهله من الطعام ». وقيل: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: "إني إذا اطلعت على قلب عبدي و لم أجد فيه حب الدنيا ملأته من حبي".

وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ أي لا تحبوا غيره.

وقال الفضيل بن عياض: يقول الله تعالى: « كذب من ادعى محبتي ونام عني أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه ». وقال عليه السلام: علامة حب الله حب ذكره. وقال أبو يعقوب السوسي: لا تصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة.

وقال السري : لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما لصاحبه : "يا أنا" أشار بذلك إلى الاتحاد. وقال أيضاً : المحب إذا سكت هلك والعارف إذا نطق هلك. وقال سمنون ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لأنه قال عليه السلام المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى.

وقال ابن مسروق : رأيت سمنونا يتكلم في المحبة فتكسرت قناديل المسجد.

وقال إبراهيم بن مقاتل : رأيت سمنونا يتكلم في المحبة فجاء طير صغير فقرب منه حتى جلس على يده ثم نزل وضرب بمنقاره على الأرض حتى سال منه الدم ومات.

وقيل : إن شاباً أشرف على الناس من موضع عال يوم عيد وقال : يا قوم،

من مات عشقا فليمت هكذا ۞ لا خير في عشق بلا موت

ثم ألقى نفسه من ذلك المكان فسقط ميتا. وقيل : الحب أوله ختل وآخره قتل ويؤيد هذا ما سبق أن المحبة الخروج عن البدن والروح جميعا. وقيل : كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب إليه أبو يزيد غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روي بل لسانه خارج من العطش وهو يقول هل من مزيد. وقيل : المحبة مقدمة على المعرفة. وقيل : المعرفة مقدمة لأن المحبة استهلاك في لذة والمعرفة شهود في حيرة وفناء في هيبة.

❖ بيان حقيقة الحجاب والظهور ❖

(واعلم) أن حقيقة الحجاب والظهور من إدراك السالك وهي عناية أزلية. قال في الحكم : الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار. ومما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء وكيف يحجبه شيء ولولاه لما كان وجود شيء ويا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم وما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه فالحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده. فالحاصل أن الحجب نشأت

من عَدَم الإدراك والمعصية، وأصل كلّ معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كلّ طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها ولأنْ تصحب جاهلا لا يرضي عن نفسه خير لك من أن تصاحب عالما يرضي عن نفسه وأطاع نفسه نعوذ بالله.

❖ بيان الفتوة ❖

(وأما الفتوة) ففي اللغة السخاء والكرم، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي إيثار الخلق بنفسك بعد أنْ تؤثرهم بالدنيا والآخرة. وكذلك بأن تبذل نفسك لكل نفيس وخسيس فيما يريد وتمكنها من التصرف فيك. وقيل: هي الصفاء والسخاء والوفاء. وقيل: هي أن لا ترى لشيء خطراً ولا قدراً. وقيل: هي أن تصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله فإنْ لم يكن أهله فكن أنت أهله. وقيل: أن يكون العبد أبداً في أمر غيره. وإلى ذلك أشار النبي عليه السلام بقوله لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه. وقيل: هي الصفح عن عثرات الإخوان وستر عيوبهم. وقيل: هذا أقل درجات الفتوة. وقيل: أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك. وقيل: أن تنصف ولا تنتصف. وقيل: هي حسن الخلق. وقيل: هي الإعراض عن الكونين والأنفة منهما.

وقال الجنيد: هي كف الأذى وبذل الندى. وقيل: هي اتباع السنة، وقيل: إظهار النعمة وكتمان المحبة.

وقال أحمد بن حنبل: هي ترك ما تهوى لما تخشى. وقيل: الفتى من لا خصم له. وقيل: الفتى من كسر الصنم الأكبر وهو النفس أخذاً من قوله تعالى في حق إبراهيم لما كسر الأصنام: ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾. فهذه ستة عشر قولا في تفسير الفتوة. وهي على قسمين: فتوة الخواص وهي ما بيناه في أول الباب، وفتوة العوام وهي أن لا تربح على صديقك.

وقال أبو علي الدقاق: كمال الفتوة والإيثار لم يكن لأحد من البشر إلا لمحمد ﷺ. فإن كل نبي يقول يوم القيامة "نفسي نفسي" وهو يقول "أمتي أمتي". وقيل: أصل الفتوة الإيمان. ولهذا سمى الله تعالى أصحاب الكهف فتية لما آمنوا بربهم، فقال: ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم ﴾. وقيل إنما سموا فتية لأنهم آمنوا بالله بغير واسطة.

وقال الجنيد: الفتوة بالشام واللسان بالعراق والصدق بخراسان. ثم اعلم أن الحرية أشرف من الصدق والفتوة أشرف منهما والمروءة شعبة من الفتوة والفرق بين الزاهد والفتى إن الزاهد من آثر عند الغني والفتى من آثر عند الحاجة كما قال الله تعالى: ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾.

وقيل : اشترى رجل من صديق له خرقة بياض فأخذ منه رأس ماله ولم يأخذ ربحاً وقال له : أما الثمن فآخذه، لأنه ليس له من الخطر ما تخلق به معك. وأما الربح فلا آخذه، لأنه ليس من الفتوة الربح على الصديق.

وسأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة، فقال له : قل أنت، فقال له شقيق : إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا، فقال جعفر ﷺ: الكلاب عندنا تفعل هكذا، فقال له شقيق : فقل أنت يا ابن رسول الله، فقال : إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا. وكان يقال للنصراباذي كثيراً إن علياً النوال يشرب بالليل ويحضر مجلسك بالنهار، وكان لا يسمع فيه ما يقال، فاتفق أنه كان يمشي يوماً ومعه من كان يذكر ذلك عن علي، فوجدوا علياً مطروحاً في موضع وهو سكران فقال ذلك الواشي كم أقول للشيخ عنه وهو لا يصدق فيه فنظر إليه الشيخ نظر غضب وقال : احمله على رقبتك إلى منزله ففعل الواشي ذلك ولم يجد منه بداً والواشي الغمّاز.

❖ بيان فائدة المراقبة ❖

(واعلم) أن المراقبة هي أقرب الطرق إلى الله تعالى من حيث التقرب إليه كما قيل : القصد إليه تعالى بالقلوب أبلغ من حركات الأعضاء في الأعمال بالصلاة والصيام والأذكار والأوراد ونحوها، لأن صاحب الهمة العالية لا يزال عاملا بقلبه وتساعده على الأعمال جوارحه فهو يكون دائماً في الترقي والتقرب وأبداً في التحبب.

(ثم اعلم) أن أقربية المراقبة من سائر الطرق ليست على إطلاقها بل بالنسبة إلى أهل الجذبة لأن المراقبة لا تصير أقرب الطرق إليه تعالى إلا بالنسبة إليه، وأما بالنسبة إلى غيره فليست المراقبة أقرب الطرق بل تكون بالنسبة إلى غير أهل الجذبة أبعد الطرق إليه تعالى لأن السلوك يحتاج إلى السلوك بالأسماء والمجاهدة.

(ثم اعلم) أن المراقبة هي بعينها معنى النفي والإثبات من غير ملاحظة حروف الكلمة الطيبة لأن المراقبة هي ملاحظة إثبات وحدة الوجود الإلهية في الباطن وهذا المعنى هو بعينه معنى إلا الله لأن نتيجة ذكر النفي والإثبات هي المراقبة، لأن حقيقة النفي والإثبات بالقلب فهي أن يتلفظ الذاكر بلسان القلب لا إله نافياً بها جميع تعلقات القلب ثم يتلفظ أيضاً بلسان القلب إلا الله مثبتاً بها وجود وحدانية الحق فيه ولا حاجة في ذكر النفي والإثبات على هذه الكيفية إلى حبس النفس للحضور مع المذكور ولحصول الذهول عما سوى المذكور. فإذا حصل ذلك فلا حاجة إلى حبس النفس، وإنما الحاجة فيه إلى الحضور مع المذكور والذهول عما سواه. فإذا ذكر الذاكر هذين الإسمين بهذه الكيفية يحصل له بذكرهما صفوة وزكاء نفس ويكون الذاكر بذكرهما عارفا بالله تعالى وواصلاً إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يحتاج ذلك لمعرفة الحق

إلى طريق آخر والطريق الآخر في ملاحظة الذكر عند كلمة التوحيد هو أن يلاحظ نفي وجود إله عن قلبه بكلمة النفي وأن يلاحظ إثبات وجود الله فيه بدلا منه بكلمة الإثبات فنفي وجود إله أصل لجميع معاني لا إله، وإثبات وجود الله أصل جميع معاني إلا الله. فمن يلاحظ هذين المعنيين في كلمة التوحيد، فكأنما يلاحظ جميع معانيها. فبهذه الملاحظة يكشف الذاكر وحدة وجود الله ويصل إليه تعالى.

(ثم اعلم) أن الآنية عبارة عن أن يكون القلب محجوبا بالوجود الإمكاني، وإثبات وجود الله فيه عبارة عن مشاهدة وجود الله تعالى فيه، فما دام القلب محجوباً بالوجود الإمكاني لا يشاهد وجود الله، ولا يتجلى الله فيه أبدا، ولا يعرف حينئذ طريق توحيد الله، ولا يكون عارفا بالله حق المعرفة.

(فإن قلت) كيف يكون الوجود الإمكاني المجازي الظلي حجابا مانعا عن شهود الوجود الحقيقي الأصلي (قلت) إن الوجود الإمكاني إنما يصير حجاباً بالنسبة لأهل الحجاب المحجوبين بالوجود الإمكاني في القلب كالعمى في العين فما دام القلب محجوبا لا يشاهد نور وجوده تعالى كما أن العين المحجوبة بالعمى لا ترى نور الشمس موجودًا في نفس الأمر ونورها ظاهر في العالم.

(ثم اعلم) أن الذاكر إذا بلغ مرتبة المراقبة فلا بد له أن يلاحظ هذا المعنى الذي هو إثبات وحدة الوجود الإلهية في الباطن والظاهر من غير تخصيص ملاحظة هذا المعنى بحال دون حال ووقت دون وقت ومكان دون مكان حتى تنتهي مراقبته إلى المشاهدة فمن يداوم على المراقبة على هذه الكيفية يتحقق بدوام العبودية وبها تتبدل مراقبته مشاهدة لأن نتيجة المراقبة مشاهدة من غير حجاب.

(واعلم) أن المراقبة هي رؤية جناب الحق تعالى بعين البصيرة على الدوام مع تعظيم مذهل وجذب حامل وسرور باعث وشوق حادث. وقالوا: المراقبة مراعاة السر لاطلاع الحق في كل لحظة ولفظة على معنى قوله تعالى أفمن هو قائم إلى آخره والمعنى الثاني أدنى مراتب المراقبة. وقد أشار عليه السلام إلى هاتين المرتبتين بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فإن دوام السالك على المراقبة مع المجاهدة التامة يترقى عن مرتبة المراقبة إلى مرتبة المشاهدة لأن المجاهدة بذر المشاهدة فمن لم يزرع المجاهدة في أرض الاستعداد لم يحصد المشاهدة في التجليات من أرض الاستعداد بل المجاهدة إنما هي فلك بحر المشاهدة فمن يركب المجاهدة يسبح في بحر المشاهدة لأنه يكشف للعبد أن أنوار وجود وحدة الذات الإلهية محيطة بجميع الأشياء وأنه تعالى متجل بصفاته وأسمائه في مصنوعاته وأنه تعالى ظاهر

في كل صورة لكن ذلك الكشف على حسب استعداد المكاشفين في صفاء أرواحهم وزكاء نفوسهم وجودة حواسهم واستعلائهم على الجسمانية وارتقائهم إلى الروحانية وتفاوت قربتهم من الحضرة الإلهية، وبقدر هذه الخصوصيات يصير الابتهاج بأنواع الربوبية والاستكشاف بأسرار الأحدية.

❖ بيان حقيقة المراقبة ❖

(وأما حقيقة المراقبة) فهي في اللغة المراصدة وهي قريبة من معنى الحفظ والانتظار، وفي اصطلاح أهل الحقيقة المراقبة استدامة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه في جميع أحواله. وقيل: هي مراعاة السر لملاحظة الحق مع كل خطرة. وقيل: هي تسليط هيبة حضور الحق ونظره على القلب وسائر الأعضاء في حركاتها وسكناتها.

قال الله تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾. وقال عليه السلام لجبرائيل لما سأل عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك» إشارة إلى حال المراقبة.

(واعلم) أن المراقبة أصل كل خير وسعادة ونجاة ولا يصل العبد إلى مقام المراقبة إلا بعد محاسبة نفسه على ما مضى وإصلاح وقته الحاضر. وقال بعضهم: من راقب الله تعالى في خواطره عصمه الله تعالى في جوارحه.

وقال ابن عطاء: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات.

وقال أبو عثمان قال أبو حفص الحداد: إذا جلست تعظ الناس فكن واعظا لنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك.

وقال بعض الحكماء لرجل: استح من الله على قدر قربه منك وعلمه بك وخفه على قدر قدرته عليك، واستعد للدنيا بقدر إقامتك فيها، وأطع الله بقدر حاجتك إليه، واشكره بقدر نعمه عليك.

وكتب بعض العلماء إلى صديق له: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والعمل بما علمك الله ومراقبة الله حيث لا يراك أحد إلا هو والاستعداد لما لابد منه وليس لأحد فيه حيلة ولا ينفع الندم عند نزوله. وقيل لحاتم الأصم: علام بنيت أمرك؟ فقال: على أربع خصال علمت أن لي رزقا لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي، وعلمت أن لي عملا لا يعمله غيري، فشغلت نفسي به وعلمت أن لي أجلا لا أدري متى هو فأنا مبادره وعلمت أن لي ربا لا أغيب عنه فأنا أستحي منه أبدا وأراقبه دائما.

وقالوا: إن المراقبة والتوجه هي أن يلازم القلب معنى اسم الذات على مفهوم الإيمان على

طريق الإستغراق والإستهلاك بحيث لا ينفعك عنه في أيّ حال كان. فإن انتهى أمره إلى انتفاء العلم مطلقاً حصل مبادي الفناء.

والمراقبة من باب المفاعلة الطريق المستقل بالوصول، فينبغي للطالب أن يكون عالما باطلاع الله عليه والمراقبة والتوجه أعلى وأفضل من النفي والإثبات وأقرب إلى الجذبة وبمداومة المراقبة والتوجه تترتب مرتبة الوزارة ويتيسر التصرف في الملك والملكوت والاشراف على الخواطر ويمكن أن يتنور الباطن بنور الهداية ومن داوم على المراقبة يحصل له دوام جمعية الخاطر ودوام قبول القلوب. ويقال له في اصطلاح الصوفية الجمع والقبول.

ونقل عن الجنيد قدس سره أنه قال: أستاذي في طريق المراقبة الهرة، لأني كنت يوما من الأيام ذاهبا في الطريق فرأيت هرة جالسة مراقبة إلى جحر الفأرة وكانت مستغرقة إلى جحرها لا تتحرك منها شعرة فحصل لي الحيرة من توجهها ومراقبتها فنوديت في سري: يا دنيء الهمة لا تخيلي في مقصودك أقل من الفارة وأنت لا تكن في الطلب أقل من السنور فانتبهت فلزمت طريق المراقبة فحصل لي ما حصل وفسر عبد الله الأنصاري هذه الآية: ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ أي إذا نسيت غيره ثم نسيت ذكرك في ذكرك ثم نسيت في ذكر الخلق إياك كل ذكر فإذا نسي السالك نفسه وغيبته فهو فناء الفناء. وقيل: الفاني لا يرد إلى أوصاف البشرية.

وقال ذو النون قدس سره: ما رجع من رجع إلا من الطريق وإذا حصل مبادي الفناء يليق له ذكر اللسان بلا إله إلا الله مع التدبر الحقيقي وأقله خمسة آلاف في المللون وبحصول الفناء التام يحصل له أول درجة الولاية الصغرى، وبمحض فضل الله تعالى وكرمه يتشرف بالكبرى إذ يبقى بالله فحينئذ يحسن له الإشتغال بنوافل الصلاة. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يظن الظان سهولة الأمر فإن قطع أدنى درجة مقدار خمسين ألف سنة:

كيف الوصول إلى سعاد ودونها ◎ قلل الجبال ودونهن حتوف
الرجل حافية ومالي مركب ◎ والكف صفر والطريق مخوف

❖ بيان آداب زيارة الأنبياء والأولياء ❖

(وأما آداب زيارة الأنبياء عليهم السلام والأولياء) فليتوسل المريد بروحانية مرشده الذي عمه من خيره ويتخذه شفيعاً إلى حضرة ذلك المزار في ابتداء سيره ويلاحظه أمامه على طريقة الشافعين للقوم العاصين ويستغفر كثيرا من جميع ذنوبه ومخالفة وعده، بل من علمه وفضله وزهده ويلاحظ نفسه مفلسا من العمل الصالح ولا يتأذى بمشاق الطريق، بل يعدها فضلاً ونعمة من الله تعالى فإن في ذلك إشارة إلى حصول المطلوب كما وقع لموسى مع الخضر في قوله تعالى: ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾. ويخلص في حضرة القبر النية الظاهرية والباطنية

ويسلم عليه من كل باب من أبوابه مع الذل والإنكسار عند القرب لرجائه ويقول: السلام عليكم تحية مني إليكم ويقرأ في كل باب الفاتحة والإخلاص ثلاثا ثلاثا ويقول: أتوسل بكم إلى رب البرية بتسهيل أموري في الدنيا والآخرة، والأحسن أن لا يقصد بتلك الزيارة غير مرضاة الذات القدسية لا غرضا من الأغراض الدنية، ثم إذا وقع نظره على مرقد حضرة القبر يقرأ الفاتحة في كل خطوة مرة إلى سبع خطوات ويربط قلبه بقلب حضرة القبر على الوقوف القلبي للإستفاضة من باطنه سواء كان من الأحياء أو من الأموات ثم يقف متوجها إلى ضريح المزار قريبا من رجليه مستديرا للقبلة ملاحظا مرشده الشفيع له بحضرة المزار ومتوسلا بذلك الشفيع إليه وحينئذ يسلم عليه ويقرأ الفاتحة والإخلاص قائما كأنه حي وهو واقف بين يديه فلو جلس وقرأ عشرا من القرآن فهو أفضل ثم يستفيض من قلبه جاعلا قلبه ملاصقا بقلب المزار لكن قلبه أنزل ولا يسهو عن الوقوف القلبي بغاية التضرع والإنكسار ولا يتغافل ويحسن الظن به إن كانت له حاجة فإنها تقضى بواسطته بإذن ربي قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي. ومدة تلك الإستفاضة بإقامته وعلى قدر ذوقه وجمعيته وأدبه ثم يدعو له وللمؤمنين والمؤمنات بقوله اللهم اغفر لي وللمــؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ويخصص نفسه ومرشــده بالدعوات الصالحات ويتوسل بالمزار إلى رابطته الداعي له على الله يرشده لينيله من خيره ورفده ويتحقق بإجابة دعواته فإنه لا يدعو داع بمباح إلا وصاحب المرقد يؤمن على دعائه فيستجيب الله له بفضله وعنايته. وإذا أراد الذهاب وانتصبت قدماه يسلم كالأول ويقرأ الفاتحة والإخلاص أو مع عشر من القرآن ويتوسل به في أموره الدنيوية والأخروية إلى ربه ويفعل ذلك في كل باب من أبوابه ويخرج على قفاه فإذا فعل ذلك حصل مطلوبه وانتصر وانقطع عنه كل شر وضرر.

❖ بيان وجوب الجد والإجتهاد

(واعلم) أن أشرف أحوالك أن تحمل نفسك على الجد والإجتهاد إما في ظاهرك وإما في باطنك طمعا أن تدفع عن نفسك. وأما سوء حالك فإذا كابدت أن تدفع بذلك ما أراد الله أن يدفعه عنك فكيف إذا نازعته فيما لا يريد دفعه عنك. وأقل ما في هذا الباب دعاوي الشرك بأنك قد غلبت وما غلبت، وإن كنت غالبا فكن حيث شاء ولا تكن حيث شئت أبدا فدل إجتهادك على عظيم جهلك بأفعال الله وما أقبح عابدا جاهلا أو عالما فاسقا فما أدري بأي الوصفين أصفك إما بالجهل أو بالفسق أو بهما جميعا نعوذ بالله من تعطيل النفس عن المجاهدات ومن خلو القلب عن المشاهدات، إذ التعطيل ينفي الشرع والخلو ينفي التوحيد وحاكم الشرع قد جاء بهما جميعا فانسلخ عن منازعة ربك تكن موحدا، واعمل بأركان الشرع تكن سنيا، واجمع بينهما بعين التأليف تكن محققا ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل

شيء شهيد ﴾. ثم إن خطر لك أيضاً في مراقبتك خاطر من مكروه في الشرع أو محبوب فيه مما قد سلف منك، فانظر ما تذكر به وتنبه. فإن ذكرت الله به فأدبك توحيده على بساط تفريده فإن لم تكن هناك فأدبك رؤية فضله فيما حلاك به من لطيف رحمته وزينك به من طاعته بتخصيص محبته على بساط مودته، فإن نزلت عن باب هذه الدرجة و لم تكن هناك فأدبك رؤية فضله إذ سترك فيما اقترفت من معصيته و لم يكشف سترك لأحد من خلقه. فإن صرفت عن هذا الباب وذكرت معصيتك و لم تكن فيما تقدم من الآداب الثلاثة فكن بأدب الدعاء في التوبة منها أو مثلها بطلب المغفرة لها بحسب ما يطلبه الجاني المحاط به هذا في جانب المكروه. وأما إذا ورد عليك خاطر من طاعة تقدمت وذكرت من آفاتها فلا تقرن عينيك بغيره، وإلا سقطت عن درجة التحقيق. فإن لم تكن في هذه المنزلة فكن في التي تليها، وهو أن تشهد فضل الله عليك أن جعلك من أهلها ومن علاماتها الدالة على صحتها أن ترزق خيراً متزايداً وإن لم تتبوأ هنا وتبوأت فيما دونها فأدبك تدقيق النظر في تلك الطاعة هل هي هي وأنت سالم من المطالبة أم هي بعكس ذلك وأنت مأخوذ بها نعوذ بالله من حسنات تعود سيئات ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾. فإن نزلت عن هذه الدرجة إلى غيرها فأدبك طلب النجاة منها بحسنها و سيئها وليكن هروبك من حسناتك أكثر من هروبك من سيئاتك إن أردت أن تكون من الصالحين.

❖ بيان طرق التزكية والتصفية ❖

(واعلم) أن طرق التزكية والتصفية كثيرة لا تحصى. فلذلك قيل: الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق وأصول تلك الطرق التي لا تحصى هذه. وهي طريق الذكر ثم طريق المراقبة ثم طريق الوقوف القلبي ثم سائر العبادات البدنية من الصلاة والصيام والحج والجهاد ثم المالية من الزكاة والحسنات ثم الرياضات الحكمية من تجريد النفس عن الشواغل الدنيوية والعلائق البدنية وتقليل الأكل والنوم والعزلة عن الخلق وغير ذلك من الأمور الرياضية.

(ثم اعلم) أن الرياضات لا تفيد ولا تقرب العبد إلى الله ما لم تكن على موافقة الشريعة ومتابعة السنة كما قال الشيخ الجنيد قدس سره: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ. فحينئذ لا بد لمن أراد التقرب إلى الله تعالى بالرياضات الحكمية أن يقتدي بالشريعة الغراء ويتبع السنة الحسناء حتى ينتج له من الرياضات التقرب إليه تعالى والمعرفة به. فلعدم الاقتداء وترك الاتباع قد ضل المرتاضون بمجرد الرياضات الاختراعية عن نور الهداية في معرفة الحق سبحانه وتعالى مع تعمقهم في تزكية النفس بتلك الرياضات الشاقة بل أفسدوا عقائدهم، كلما تعمقوا في الرياضات، لأن كل من لم يطبق رياضته بالشريعة و لم

يتبع السنّة، فليس له نصيب من التقربات الإلهية والمعرفة الحقانية، ولا تحصل له من تلك الرياضات إلا الأوهام الفاسدة والخيالات الكاسدة التي ليس لها من الله قبول بل إنما بها له عن طريق الحق خروج وعدول.

(ثم اعلم) أن تصفية القلب بطريق الذكر لقوله عليه السلام: «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الله تعالى»، ولقوله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

ثم إن الذكر إما بالقلب أو باللسان فذكر اللسان لتحصيل ذكر القلب، وذكر القلب لتحصيل المراقبة فذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه، كما قيل: الفكر ذكر القلب، والعشق ذكر الروح، والمعرفة ذكر السر.

◆ بيان حقيقة المعرفة ◆

(وأما حقيقة المعرفة) ففي اللغة بمعنى العلم وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي العلم بأسماء الله تعالى وصفاته مع الصدق لله تعالى في معاملاته وجميع أحواله ودوام مناجاته في السر والرجوع إليه في كل شيء والتطهر من الأخلاق والأوصاف الرديئة. وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه. وقيل: المعرفة معرفتان: معرفة حق ومعرفة حقيقة. فمعرفة الحق معرفة وحدانية الله تعالى بما أبرز للخلق من أسمائه وصفاته، ومعرفة الحقيقة لا سبيل لها لامتناع الإحاطة به علماً لقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون به علما﴾.

(واعلم) أن الكمل من أهل الحقيقة لم يتكلموا في المعرفة بأكثر من الاعتراف بالعجز عنها فأما من دونهم فقد تكلم فيها. ولهذا قال بعضهم الحق لا يعرفه سواه ومن عرفه فبه. ويؤيد هذا قول أبي بكر الصديق الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

وقال أبو حفص الحداد: منذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل. قال القشيري: معناه أن المعرفة توجب غيبة العبد لاستيلاء ذكر الحق عليه فلا يشاهد غيره ولا يرجع إلى غيره فكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له. وقال غيره: معناه أنه لاستيلاء ذكر الحق على قلبه واستغراقه به واستهلاكه فيه لا يجد غيره طريقاً إليه حقا كان أو باطلا. ومما يشير إلى كلام أبي حفص قول أبي يزيد: للناس حال ولا حال للعارف لأنه محيت رسومه وغيبت آثاره، وقوله أيضاً حين سئل عن المعرفة: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ الآية. فإذا نزلت المعرفة بالقلب خربت أوطان البشرية. وقول الواسطي أيضاً: لا تصح المعرفة للعبد وفيه افتقار إلى الله تعالى واستغناء به لأنهما أمارة بقاء العبد والعارف فناء كله.

وقيل: علامة العارف أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة. وقيل: علامته ثلاثة: أحب الأعمال إليه ذكر الله، وأحب الفوائد إليه ما دل على الله، وأحب الخلق إليه من يدعوه إلى

الله وقيل غاية المعرفة شيآن الدهشة والحيرة.

وقال ذو النون: أعرف الناس بالله أشدهم فيه تحيراً، وقيل: من كان بالله أعرف كان له أخوف. وقيل يخرج العارف من الدنيا و لم يقض وطره من شيئين بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه وإلى ذلك أشار النبي عليه السلام بقوله لا أحصي ثناء عليك.

وقال أبو يزيد: العارف طيار والزاهد سيار. وقال الشبلي: أهل المعرفة هم وحش الله تعالى في أرضه لا يستأنسون بأحد. وقال الحسين الحلاج: إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة وأراد أن يمر به غير خاطر الحق لا يقدر. وقيل: لا يكون العارف عارفا حتى يكون لو أعطي مثل ملك سليمان بن داود لم يشغله عن الله تعالى طرفة عين. وقيل: العالم يقتدى به والعارف يهتدى به. وقيل العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول. وقيل: العارف من تضيء له أنوار العلم فيبصر بها عجائب الغيب. وقيل: ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف من وصفها عند أبناء الدنيا.

وقال النبي عليه السلام: دعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل القامع فقيل وما العقل القامع قال الكف عن معاصي الله والحرص على طاعته.

وقال ذو النون: ركضت أرواح الأنبياء في ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا أرواح الأنبياء عليهم السلام إلى روضة الوصال.

(واعلم) أن المعرفة أشرف من الفقر والمحبة والتوحيد، لأنها الاستهلاك في الله بفنائه عن نفسه وعن كل الكون وعن الله وعن الإحساس بالفناء، بخلاف الفقر فإن ظاهره يشعر بافتقاره إلى شيء ففي الفقير ظمأ إلى المشاهدة والعارف ريان منها حيران مندهش في مقامها والمحب له إحساس أيضا بتلذذه لأن المحبة استهلاك في لذة المشاهدة فإن المحب متلذذ بفنائه في المشاهدة فكان له إحساس والعارف لا إحساس له بوجود ولا حالة أصلا والموحد أيضا له إحساس بتوحيده.

وقال الشاذلي: كنت في مغارة فقلت إلهي متى أكون لك عبدا شاكرا فسمعت النداء من جوف المغارة إذا لم تر في الوجود منعما عليك غيري فأنت إذا شاكر. فقلت: النبي والعالم والملك أكبر مني نعمة فقال لي النبي والعالم نعمة من الله عليك فهما بلغاك عن الله الشرائع والملك به صلحت الدنيا واستقامت لك عبادتك فالكل نعمة من الله عليك.

وقال الشاذلي: أوصاني ربي أن خف من الله خوفا تأمن به من كل شيء وحذر قلبك أن يأمن من الله في كل شيء وحدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء وفوق كل شيء وتحت كل شيء وقريبا من كل شيء ومحيطا بكل شيء بقرب هو وصفه وبإحاطة

هي نعته ومتعال عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب بالمسافات وعن الدور بالمخلوقات ومحق الكل بوصفة الأول والآخر والباطن وهو كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان.

وقال: أوصاني حبيبي أن لا تنقل رجلك إلا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس إلا حيث تأمن من معصيته ولا تصاحب إلا من تستعين به على طاعة الله ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقيناً بالله وقليل ما هم.

وقال حاكيا عن أستاذه: الله الله والناس الناس، نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن الميل قبلهم وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض وقد تمت ولاية الله لك ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك وقد تم ورعك. وقل: اللهم أرحني من ذكرهم ومن العوارض وبجني من شرهم وأغنني بخيرك عن خيرهم وتولني بالخصوصية من بينهم إنك على كل شيء قدير.

وقال: "أوصاني أستاذي، فقال لي: اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم، فإن شرهم يصيبك في بدنك وخيرهم يصيبك في قلبك. وقال: لعدو ترجع به إلى مولاك خير لك من حبيب يشغلك عن مولاك. وقال: قلما سلم من النفاق عبد يعمل على الوفاق.

وقال: اجتمعت برجل في سياحتي فأوصاني، فقال لي: ليس شيء في الأقوال أعون على حمل الأثقال من لا حول ولا قوة إلا بالله، وليس شيء في الأفعال أعون من الفرار إلى الله والإعتصام بالله ففروا إلى الله واعتصموا بالله ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ ثم قال: بسم الله، فررت إلى الله، واعتصمت بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومن يغفر الذنوب إلا الله، بسم الله قول باللســان، صدور عن القلب، ففروا إلى الله وصف الروح والسر، ومن يعتصم بالله وصف العقل والنفس، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصف للملك والأمر، ومن يغفر الذنوب إلا الله، أعوذ بك من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين. ثم يقول للشيطان: هذا علم الله فيك، وبالله آمنت، وعليه توكلت، وأعوذ بالله منك، ولولا أمرني ربي ما استعذت منك، ومن أنت حتى أعتصم بالله منك.

وقال: استوصيت أستاذي فقلت أوصني فقال لاتتهم الله في شيء وعليك بحسن الظن به في كل شيء ولا تؤثر نفسك على الله في شيء. وقال: الزم باباً واحداً تفتح لك الأبواب واخضع لسيد واحد تخضع لك الرقاب وإن من شيء إلا عندنا خزائنه فأين تذهبون.

وقال: يوصي بعض أصحابه في سفرهم، فقال: ارجعوا إلى الله أن يمدكم في سفركم بالتيسير في أرزاقكم وبالصحة في أبدانكم وبالعز بين أمثالكم وبالمغفرة لذنوبكم وتنزلوا على أربعة أشياء القبول من الخلق والرضا عن الحق والفناء عن الكثرة والهناء مع القلة فلا ترغبوا

فيما لكم فتعاقبوا بالطلب لغيركم. وهذه أدنى عقوبة الراغبين وأعظمها الحجاب عن رب العالمين. وعليكم بأربعة الألفة وحسن الصحبة والقيام بالفريضة والتوكل على الله في كل حركة والرباط الرباط ثم الرباط على ثلاثة أشياء لا تتهم الله في شيء وعليك بحسن الظن به في كل شيء ولا تؤثر نفسك على الله في شيء وتفسير الإيثار إذا اعترضك حقوق ربك وحظوظ نفسك فلا تؤثر الحظوظ على الحقوق ففي الإيثار للحقوق محبة الله وإذا اعترضك مندوب ومكروه فلا تؤثرن المكروه على المندوب ففي الإيثار للمندوب محبة رسول الله ﷺ ولن يسهل ذلك إلا على عبد يحب الله وحده أو أحب ما أمر الله به شرعًا لدينه، فهو قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأسماء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى بها صور الأشياء وظواهرها ويسميها الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية.

قال ﷺ: «ليس الأعمى من يعمى بصره إنما الأعمى من تعمى بصيرته» أخرجه الطبراني والحكيم.

❖ بيان حقيقة الحقائق ❖

(واعلم) أن حقيقة الحقائق هي المرتبة الأحدية الجامعة لجميع الحقائق، وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود. وحقائق الأسماء هي تعينات الذات ونسبها لأنها صفات يتميز بها الإنسان بعضها عن بعض والحقيقة المحمدية هي الذات مع التعين الأول وهو الإسم الأعظم. وأما الأعيان الثابتة فهي حقائق الممكنات في علم الله تعالى وهي صورة حقائق الأسماء الإلهية في الحضرة العلمية لا تأخر لها عن الحق إلا بالذات لا بالزمان فهي أزلية وأبدية والمعنى بالإضافة التأخر بحسب الذات لا غير.

❖ بيان حقيقة الفراسة ❖

(وأما حقيقة الفراسة) ففي اللغة التثبت والنظر، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي مكاشفات اليقين ومعاينة القلب. وقيل: هي مطالعة الغيوب بنور اطلاع الله تعالى على القلب. وإلى ذلك أشار النبي عليه السلام: «المؤمن ينظر بنور الله». وفي رواية: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى». وقيل: هي خاطر يهجم على القلب فينفي ما يضاده وله على القلب حكم أشتقاقًا من فريسة الأسد. وقيل: هي سواطع أنوار تلمع في القلوب وتمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب والفراسة على حسب قوة الإيمان فمن كان إيمانه أقوى كان أحد فراسة. وقيل: أن الفراسة تولدت من قوله تعالى ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فمن كان حظه من ذلك النور أتم كانت فراسته أحد وأصدق. وقيل في قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أي للمتفرسين. وقيل في قوله تعالى: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه﴾ أي

ميت الذهن فأحياه الله بنور الفراسة ﴿ وجعلنا له نوراً يمشي به ﴾ أي نور التجلي والمشاهدة ﴿ كمن مثله في الظلمات ﴾ أي كمن هو غافل بين أهل الغفلة.

وقال عليه السلام : « إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم ».

وقال الكرماني : من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه بأكل الحلال لم تخطئ فراسته. وقيل : كان الشافعي رحمه الله ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما جالسين في الحرم فدخل رجل فقال محمد أتفرس أنه نجار. وقال الشافعي : أتفرس أنه حداد فسألاه فقال قبل هذا كنت حداداً والآن أنا نجار.

وقال أحمد بن عاصم : جالس الصوفية بالصدق فإنهم جواسيس القلوب.

وقال الزبيدي : كنت في مسجد بغداد مع جماعة من الفقراء فلم يفتح علينا بشيء أياما فأتيت الخواص لأسأله شيئاً فلما رآني قال لي الحاجة التي جئت لأجلها يعلمها الله أم لا قلت يعلمها قال فلا تبدها المخلوق فرجعت فلم أبدها فلم يكن إلا قليل وقد فتح الله علينا بما فوق الكفاية.

وقال القشيري : كنت في ابتداء وصلتي بالأستاذ أبي علي عقد لي المجلس في مسجد المطرز فاستأذنته وقتاً في الخروج إلى نسا فأذن لي فخطر ببالي ليته ينوب عني في مجلسي مدة غيبتي فالتفت إلي وقال أنوب عنك أيام غيبتك فمشيت معه قليلاً ثم خطر ببالي أنه عليل يشق عليه أن ينوب في الأسبوع مرتين فليته يقتصر على مرة واحدة فالتفت إلي وقال إن لم يمكن في الأسبوع أن أنوب يومين نبت يوما واحدا فمشيت قليلا فخطر ببالي شيء ثالث فالتفت إلي وصرح به مفصلا.

(وري) عن أنس بن مالك قال دخلت على عثمان ﷺ وكنت رأيت امرأة في الطريق، فتأملت محاسنها، فقال عثمان ﷺ : يدخل علي أحدكم وأثر الزنا ظاهرة في عينيه، فقلت له: أوحي بعد رسول الله عليه السلام فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة.

وقال أبو سعيد الخراز : دخلت المسجد فرأيت فقيرا يسأل فقلت في نفسي مثل هذا يسأل فنظر إلي وقال : واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في نفسي فناداني وقال لي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده.

وقال أبو موسى الديلمي : سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال: هو أن يكون لو أدخلت يدك في فم التنين إلى الرسغين لا تخاف مع الله غيره، فذهبت إلى أبي يزيد لأسأله عن التوكل، فلما رآني قال لي قبل أن أسأله : لك في قول عبد الرحمن كفاية. قال أبو موسى : وأقمت مرة عند أبي يزيد شهراً فكان لا يحضرني شيء إلا حدثني عنه، فلما

أردتُ وداعه قلتُ له أفدني فائدة قال لي : عليك بأكل الحلال.

وقال خير النساج : كنتُ جالسا في بيتي فوقع لي أن الجنيد بالباب فلم أخرج فوقع لي ذلك ثانيا وثالثا فخرجتُ إلى الباب فلقيته فقال : لم لم تخرج مع الخاطر الأول (وقال) محي الدين بن عربي:

العبدُ حق والرب حق ⊙ فليت شعري من المكلّف

إنْ قلتُ عبد فالعبد ميت ⊙ أوْ قلتَ رب فما يكلف

قوله العبدُ حق أي وجوده متحقق في النشأتين وكذلك بعد العدم بوجوده سبحانه المتصف بوصف القِدم ودليل كون العبدِ حقا قوله تعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ﴾ وقوله والرب حق أي ثابت الوجود بلا سبق العدم فهو تعالى أصل جميع الكائنات وأصل أصول جميع الموجودات لأنهم قسموا الأصول إلى خمسة :

الأول الأصل الذي صدرت عنه الأصول وهو الله تعالى.

والثاني الأصل الذي أتت إليه الأصول وهو محمدٌ عليه السلام.

والثالث الأصل الذي أتى بالأصول وهو جبريل عليه السلام.

والرابع الأصل الذي تفرعت منه الأصول وهو القرآن الذي اشتمل على غايةِ المأمول.

والخامس الأصل الذي ترجع إليه الأصول بلا إشكال وهو الله تعالى.

فإذا علمتَ هذا فاعلمْ أن الفرع تبع للأصل الذي هو المقصود لأن أهل الشهود لا ينظرون إلى التبع المحدود فشهودهم دائما لواجب الوجودِ، فلا يرون مع الحق شيئاً سواه فإن جميع المخلوقات بالنسبة لشهودهم معدومات لا يرونها، بل مشهودهم أصلها والقسمة ثلاثية خالق وصفاته ومخلوقاته، فالخالق هو الذات المنزهة عن الماهية وصفاته هي الصفات القديمة الأزلية ومخلوقاته هي صفات صفاتِهِ الناشئة عن الصفات الذاتية، فكل صفةٍ تستدعي إيجاد شيء فالخالق يستدعي إيجاد مخلوق والرازق يستدعي إيجاد مرزوق، وهكذا لأن واحدة الصفات الأولى لا تتعطل فظهر أن غير الحق ليس له وجود إلا بالتبع إذ لولا إمداده للأشياء بالظهور فيها لاختفت وهلكت، فهي هالكة بالنظر إلى ذاتها ثابتة بالنسبةِ لتجلي الذاتِ عليها بصفاتها.

❖ بيان التوكل ❖

(واعلمْ) أنّ التوكلَ هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس. وقيل هو أن يستوي عند الإنسان الإكثار والإقلال. وقيل هو إسقاط هم الوقتِ الغائب. وقيل : هو بقاء العبد مع الله بلا علاقة وتفسير العلاقة ما ذكره يحيى بن معاذ في قوله ليس لصوفي حانوت والكلام.

في الزهد حرفة وصحبة القوافل تعرض وهذه كلها علاقات. وقيل: التوكل تمام اليقين بالله لأن اليقين بالله لا يتم إلا بحسن الظن به والثقة بما وعد من الرزق والرضا بما جرى به قضاؤه فأتم اليقين بالله يسمى توكلا. وقيل: التوكل بداية وهي صفة المؤمنين والتسليم واسطة وهو صفة الأولياء والتفويض نهاية وهو صفة خواص الخواص، وقد مدح الله تعالى التوكل وحث عليه، فقال: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾، وقال: ﴿وعلى الله فتوكلوا﴾، وقال: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾.

وقال عليه السلام: «التوكل نصف العبادة والدعاء نصفها»، وقال عليه السلام: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا».

وقال لقمان لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثيرون فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما أظنك ناجيا.

(واعلم) أن التوكل على قسمين توكل العام وهو تفويض أمر الرزق إلى الله تعالى وترك التعلق بالأسباب ثقة بوعد الله واعتمادا على كرمه وتوكل الخواص وهو تفويض الأمر إلى الله تعالى في كل شيء حتى يبقى العبد تحت أحكام القضاء والقدر عديم الحركة والإختيار كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء وهو عدم الحركة بالبدن وعدم الإختيار بالقلب فإن وقع في قلبه الحركة كان متحركا بالله وإن وقع في قلبه السكون كان ساكنا بالله. وإلى هذا أشار من قال: التوكل هو اضطراب بغير سكون، وسكون بلا اضطراب.

وقال أهل الحقيقة: المتوكل على التحقيق هو إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه فإنه لما ألقي في النار في كفة المنجنيق لقيه جبريل في الهواء وهو نازل إلى النار فقال له يا خليل الله: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. وكمال التوكل لا يظهر إلا عند نزول البلاء فالخليل عليه السلام كالذهب الإبريز عرض على النار لارتفاع شك الشاكين فيه، فلم تؤثر فيه النار إلا إظهار كمال الجوهرية والصفاء. وقيل: علامات توكل العوام ثلاثة أن لا يسأل الفقير ولا يرد ولا يدخر. وعلامة توكل الخواص أن يكون الفقير بحيث لو أحاطت به السباع والأفاعي لا يتحرك لها قلبه.

(واعلم) أن التوكل محله القلب وحركة الظاهر لا تنافيه بعد أن يتيقن العبد أن الكل بتقدير الله فإن تيسر شيء فبتقديره وإن تعسر فبتقديره أيضا.

وجاء رجل إلى النبي عليه السلام على ناقة فقال يا رسول الله أدعها وأتوكل فقال: لا، اعقلها وتوكل. وقيل: كان إبراهيم الخواص محققا في التوكل مدققا فيه وكان لا يفارقه إبرة وخيوط ومقراض وركوة فقيل له في ذلك، فقال: فرض الله تعالى علي لا يتأدى إلا بذلك

لأنه ليس لي إلا ثوب واحد خلق فربما انفتق أو انخرق فظهرت العورة فمنعت جواز الصلاة.

وقال الحسن أخو سنان: حججت أربع عشرة حجة حافيا متوكلا وكان يدخل في رجلي الشوك فلا أخرجه لئلا ينقض توكلي.

وقيل: من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زادًا، وجاء جماعة من الشام إلى بشر الحافي فطلبوا منه أن يحج معهم فقال لهم: نعم ولكن بثلاثة شروط: أن لا نحمل معنا شيئا، ولا نسأل أحدا شيئا ولا نقبل من أحد شيئا فقالوا: أما الأول والثاني فنقدر عليه. وأما الثالث فلا نقدر عليه، فقال: خرجتم تحجون متوكلين على زاد الحجاج.

وقال أبو حمزة الخراساني: حججت سنة فبينا أنا في الطريق، إذ وقعت في بئر فطلبت مني نفسي أن أستغيث فلم أفعل، فما تم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان، فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فوافقه صاحبه فهممت أن أصيح، ثم قلت في نفسي: أصيح إلى من هو أقرب منهما، ثم سكت حتى سدوا رأس البئر ومضوا، فلما مضت ساعة سمعت حس شيء فتح رأس البئر ودلى رجله وقال لي بلسان حاله: تعلق برجلي، فتعلقت بها فأخرجني فإذا هو سبع فتركني ومر، فسمعت هاتفا يقول: يا أبا حمزة كيف ترى، نجيناك من الهلاك بالهلاك.

وقال أبو سعيد الخراز: دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بالوصول ثم فكرت في نفسي إنني سكنت إلى غير الله في توكلي فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها.

وقال إبراهيم الخواص: بينا أنا أسير في البادية إذ قال لي أعرابي يا إبراهيم التوكل عندنا فأقم عندنا حتى يصح توكلك أما تعلم أن رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يحملك ويقويك اقطع رجاءك عن دخول البلدان وتوكل. والحاصل أن التوكل من المقامات العالية الشريفة ولكنه عزيز الوجود جدًا، تبصر.

❖ بيان الرضا ❖

(وأما الرضا) فهو سرور القلب بمر القضاء وقيل هو أن يتحقق العبد أن الله تعالى عدل في قضائه غير متهم في حكمه.

وقال أبو سليمان: الرضا أن لا تسأل الله الجنة ولا تتعوذ به من النار.

وقال الشبلي بين يدي الجنيد: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الجنيد هذا ضيق صدر وضيق الصدر إنما يكون من عدم الرضا بالقضاء. وقيل: الراضي بالله هو الذي لا يعترض على تقديره.

وقال القشيري : والواجب على العبد أن يرضى ببعض ما يقضي عليه به لا بكله، فإن القضاء بالمعاصي وأنواع المحن على المسلمين لا يجب الرضا به بل لا يجوز. وقال بعضهم: علامة الرضا أن يكون مريضا فلا يتمنى الصحة وفقيرا فلا يتمنى الغنى. وقيل لرابعة: متى يكون العبد راضيا؟ فقالت: إذا سرته المصيبة كما تسره النعمة. وقال الله تعالى في وصف الذين آمنوا وعملوا الصالحات : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾.

وقال عليه السلام : « قال الله تعالى لموسى عليه السلام : لن تتقرب إلي بشيء أحب إلي من الرضا بقضائي ». وقال عليه السلام « من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل ». وقال : « من رضي عن الله رضي الله عنه ».

وقال القشيري : إن العبد لا يكاد يرضى عن الله إلا بعد أن يرضى الله عنه لقوله تعالى : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾. واختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا، هل هو من الأحوال أو من المقامات، فقال الخراسانيون : هو من المقامات، وهو نهاية التوكل، وهو مكتسب كسائر المقامات. وقال العراقيون : من الأحوال وليس مكتسبا، بل هو كسائر الأحوال. ووجه التوفيق بين القولين أن أوله مقام فهو مكتسب وآخره حال فليس بمكتسب. وقيل للحسين بن علي : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة. فقال : رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول : من توثق بحسن اختيار الله له لم يختر غير ما اختار الله له. وسئل أبو عثمان عن قوله عليه السلام : « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء » فقال : إنما قال ذلك لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا. فأما الرضا بعد القضاء فهو الرضا حقيقة. وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما : أما بعد فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى فنعما، وإلا فاصبر. وقيل : غضب رجل على عبده فاستشفع إليه برجل فعفا عنه فأخذ العبد يبكي، فقال له الشفيع : أليس قد عفا سيدك، فما يبكيك؟ فقال : حصل لي العفو وبقي الرضا ولا سبيل إليه بشافع.

❖ بيان الصدق ❖

(وأما الصدق) ففي اللغة هو مقابل الكذب، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو قول الحق في مواطن الهلاك. وقيل : هو استواء السر والعلانية. وقيل : هو إسقاط ما سوى الحق. وقيل : هو الوفاء والصفاء.

وقال الجنيد : الصدق أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب.

وقال أبو علي الدقاق : هو أن تكون كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما تكون.

وقيل : الصادق من لا يحب اطلاع الناس على عمله ولا يكره ذلك. وقيل : الصادق هو

الذي يتهيأ له أن يموت ولا يستحي من سره لو كشف، وقد مدح الله تعالى الصدق وأمر به فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾.

وقال النبي عليه السلام: « لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ». وقال: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة ». وقال: « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار ».

(وروي) أن لقمان كان عبداً حبشياً، فقال له رجل: ما الذي بلغ بك هذه المنزلة؟ فقال: صدق الحديث وترك ما لا يعني، والصدق عماد أمر السالك ونظامه وتمامه وهو تالي درجة النبوة قال الله تعالى: ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾. والصديق هو صيغة مبالغة من الصادق كالسكيت من الساكت فالصادق من صدق في أقواله والصديق من صدق في أقواله وأفعاله وأحواله والصدق زلال منبعه استقامة القلب وبراءته من الأغراض الدنيوية والصدق قرين الحرية والفتوة وإن كان كونهما مرتبة. (والصدق) على ثلاثة أقسام: صدق النية وصدق اللسان وصدق العمل. فصدق النية أن لا يريد بجميع أقواله وأفعاله وأحواله إلا الله، وصدق اللسان معروف، وصدق العمل أن يكون حريصاً عليه لا يقطعه إلا قهرًا واضطرارًا.

وقال ذو النون: الصدق سيف الله تعالى ما وضع على شيء إلا قطعه. وقال بعضهم: إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تبصر فيها عجائب الدنيا والآخرة. وقال آخر: عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك.

وكان أبو العباس الدينوري يتكلم فصاحت عجوز في مجلسه، فقال لها: إن كنت صادقة فموتي فوقعت ميتة. وسئل أبو الفتح الموصلي عن الصدق، فأدخل يده في كير الحداد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه، وقال: هكذا هو الصدق.

❖ بيان السماع ❖

(وأما السماع) فهو على ثلاثة أقسام: سماع بالطبع، ويشترك فيه الخاص والعام بالجبلة البشرية في استلذاذ الصوت الطيب؛ وسماع بالحال، وصاحبه يتأمل ما يرد عليه من ذكر خطاب أو عتاب أو تصديق بوعد أو نقض لعهد أو ذكر اشتياق أو خوف فراق أو فرح وصال أو نحو ذلك وسماع بحق لا بحظ وصاحبه يستمع بالله لله ولا يتصف بشيء من هذه الأحوال التي هي ممزوجة بالحظوظ البشرية بل بصفاء التوحيد. وسئل إبراهيم الخواص: ما بال الإنسان

يتحرك عند سماع الألحان ولا يجد ذلك عند سماع القرآن، فقال: لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن أحدًا أن يتحرك فيه لشدة غلبته عليه، وسماع الألحان ترويح فيتحرك فيه.

وقال ابن الجلاء: كان بالمغرب شيخان يقال لأحدهما جبلة وللآخر زريق، وكان لهما أصحاب وتلاميذ، فزار زريق وأصحابه في بعض الأيام جبلة، فقرأ رجل من أصحاب زريق شيئًا فصاح واحد من أصحاب جبلة. ومات فلما أصبحوا قال جبلة لزريق أين الذي قرأ بالأمس فقال حاضر فقال ليقرأ آية فقرأ فصاح جبلة صيحة فمات القارئ فقال جبلة واحد بواحد والبادئ أظلم. وعن الجنيد أنه دخل يوما على السري فوجد عنده رجلا مغشيا عليه فقال ما هذا فقيل له سمع آية من كتاب الله فقال الجنيد: تقرأ عليه ثانيا فقرئ فأفاق، فقال السري للجنيد: من أين لك هذا؟ قال إن قميص يوسف ذهب بسببه بصر يعقوب لما جاءوا عليه بدم كذب، ثم عاد بسببه لما جاء البشير فأعجب السري قوله. وكان شاب يصحب الجنيد، فإذا سمع شيئا من الذكر صاح، فقال له الجنيد يوما: إن صحت بعد اليوم لم تصحبني، فكان إذا سمع شيئا يتغير ويضبط نفسه مغلوبا حتى كانت تقطر كل شعرة من بدنه قطرة، فغلب يوما وصاح صيحة عظيمة ومات. وقيل: السماع فيه نصيب لكل عضو فما يصيب العين يتولد منه البكاء، وما يصيب اللسان يحدث منه الصياح، وما يصيب اليد يحدث منه تمزيق الثياب واللطم، وما يصيب الرجل يحدث منه الرقص. وسمع الشبلي قائلا يقول: الخيار عشرة بدانق فصاح وغشي عليه، فلما أفاق قيل له في ذلك فقال إذا كان الخيار عشرة بدانق فكيف أحوال الشرار.

وكان جماعة من الصوفية في بيت الحسن القزاز ومعهم قوال يقول شيئا وهم يتواجدون فأشرف عليهم ممشاد الدينوري فسكتوا، فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه لو جمعت ملاهي الأرض ما شغلت همي ولا شفت بعض ما بي قال السري وهذه صفة الأكابر أنه لا يرد عليهم وارد وإن كان قويا إلا كانوا أقوى منه. وقيل: إن موسى قص في بني إسرائيل فمزق واحد قميصه فأوحى الله تعالى إليه يا موسى قل له مزق لي قلبك ودع قميصك. وقيل: قص موسى عليه السلام في بني إسرائيل فصاح واحد منهم فأنكر عليه فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى بطيبي فاحوا وبحبي باحوا وبوجدي صاحوا، فلم تنكر على عبادي.

وسأل أبو علي المغازلي الشبلي، فقال: ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتحملني على ترك الأشياء كلها والإعراض عن الدنيا، ثم أرجع إلى أحوال الناس وعاداتهم. فقال الشبلي: ما اجتذبك إليه به فهو عطف منه عليك ولطف بك وما ردك به إلى نصيبك من الدنيا فهو شفقة منه عليك لأنك لم يصح لك التبري من الحول والقوة في التوجه إليه.

❖ بيان الروح ❖

(وأما الروح) الإنساني فهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر تعجز العقول عن إدراك كنهه وتلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبعة في البدن.

(والروح الحيواني) هو جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن.

(والروح الأعظم) هو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها، ولذلك لا يحوم حولها حائم ولا يروم وصلها رائم ولا يعلم كنهها إلا الله، وهو العقل الأول والحقيقة المحمدية والنفس الواحدة والحقيقة الأسمائية، وهو أول موجود خلقه الله على صورته وهو الخليفة الأكبر، وهو الجوهر النوراني، ويسمى باعتبار الجوهرية نفساً، وباعتبار النورانية عقلاً أولاً وكما أن له في العالم الكبير مظاهر وأسماء من العقل الأول والقلم الأعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ وغير ذلك، له في العالم الصغير الإنساني مظاهر وأسماء بحسب ظهورته ومراتبه في اصطلاح أهل الله وغيرهم وهي السر والخفاء الأخفى والروح والقلب والكلمة والروع والفؤاد والصدر والعقل والنفس.

(واعلم) أن حقيقة الروح الإنساني من عالم الأمر وهو النفس الناطقة عند أهل الحكمة وعند أهل الحق هو جوهر نوراني وحقيقة روحانية عالم بذاته ومدرك لجميع المجردات ومشاهد لربه وصفاته لأنه تعالى تجلى فيه بذاته و صفاته وأسمائه وجعل الله ذلك الروح مظهراً تاما لذاته وصفاته وإنما يكدره ويظلمه هذا البدن الجسماني والهيكل الظلماني لما فيه من القوى المختلفة والحواس المتفرقة، وتلك القوى والحواس تذهله عن العلم بذاته وتعميه عن مشاهدة ربه، فلولا أن في الإنسان تعلقاً بتلك القوى والحواس لكان عالماً بذاته ومدركا لأحوال الملكوت ومشاهداً لربه تعالى، كما قال عليه السلام : لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات والأرض.ولو لم تكن الشهوة والغضب لسهل على النفس الإطلاع على المجردات الروحانية ولو لم تكن للقوة المتفكرة والمتخيلة شيطانية لكانت النفس تعرف نفسها وربها وتعلم ذاتها وتلاحظ صفاءها الأصلي وعالمها الروحاني فحجاب النفس عن كمالاتها العلمية إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية والقوى العنصرية فحينئذ لا بد لمن أراد أن يعرف نفسه ويشاهد أنوار ربه سبحانه وتعالى أن يجرد نفسه من التعلق بالقوى البدنية والتقيد بالحواس الجسمانية بأن يلطف نفسه بالعبادات ويخفف جسمه بالرياضات من قلة الأكل والنوم والصمت والعزلة وأن يجاهد بمخالفة النفس والهوى وترك الشواغل الدنيوية

التي حاصلها كثرة الهم، كما قال عليه السلام: « إن الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلباً فيه هم غد » وأن يسلك إلى طريق الله تعالى بالطاعات والذكر والفكر والتوجه إلى جناب الحق سبحانه وتعالى لأن من ليس له نصيب في طريق الحق من السلوك بهذه المجاهدات فلا نصيب له من المعرفة والمشاهدة، وليس له نصيب وحظ من الطريق إلى الله تعالى بغير هذه الطرق الثلاثة، لأن النفوس متعلقة بالشهوات البدنية فلا بد لها من الرياضات والمجاهدات والسلوك بالطاعات والأعمال الصالحات كما قال تعالى: ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾، فتبصر وانصف واجتهد.

❖ بيان أن الذكر الخفي والتفكر هما الغاية القصوى ❖

(واعلم) أن الذكر الخفي والتفكر هما الغاية القصوى وفي ذلك نصوص من الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ﴾ الآية، وقال: ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾، وقال: ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر ﴾ الآية. وأما السنة ففي البخاري عن النبي عليه السلام قال: « قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ».

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه السلام: « يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه سبعين ضعفا إذا كان يوم القيامة وارجع الله الخلائق إلى حسابه وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله تعالى انظروا هل بقي من شيء فيقولون ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه فيقول الله تعالى عندي شيء تحسن وأنا أجزي به وهو الذكر الخفي ».

وقال عليه السلام: « الذكر الذي لا تسمعه الملائكة يزيد على الذكر الذي تسمعه سبعين ضعفا ». وقـــال: « خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي »، والأحاديث في الذكر الخفي كثيرة ».

وقال القاضي عياض: ذكر الله ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان. وذكر القلب نوعان أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلـها الفكر في عظمة الله وجلاله وجبروته وملكوته وآياته وأرضه وسمواته. وفي الأذكار للنووي: الذكر يكون بالقلب وباللسان والأفضل ما كان بهما، فإن اقتصر فالقلب أفضل. وقال: الذكر بالقلب أفضل من القراءة بلا قلب وهو معنى كلام ابن الجوزي فإن أصوب الأمور أن تنظر إلى ما يطهر القلب ويصفيه للذكر والأنس فتلازمه. والحاصل أن الذكر الخفي أفضل من كل ذكر وعبادة عند كل العلماء والسلف

❖ بيان أحوال أهل الحقيقة عند الموت ❖

(وأما أحوال أهل الحقيقة عند الموت) فاعلم أن أحوالهم عند الموت مختلفة فمنهم من تغلب عليه الهيبة ومنهم من يغلب عليه الرجاء ومنهم من يكشف له في تلك الحال عما يوجب له السكون وجميل الثقة. وكان الشبلي طول ليلة خروجه من الدنيا يكرر هذين البيتين:

إن بيتاً أنت ساكنه ۞ غير محتاج إلى السرج

وجهك المأمول حجتنا ۞ يوم يأتي الناس بالحجج

وقيل لبشر الحافي وقد احتضر: كأنك تحب الحياة، فقال: القدوم على الله عز وجل شديد.

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون.

وقيل لذي النون المصري عند موته: ما تشتهي؟ فقال: أنا أعرفه قبل موتي بلحظة، ثم قال:

الخوف أمرضني والشوق أحرقني ۞ والحب يقتلني والله أحياني

وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينوري عند وفاته، فقيل له: كيف تجد العلة؟ فقال: سلوا العلة عني كيف تجدني فقيل له قل لا إله إلا الله فحول وجهه إلى الجدار وقال:

أفنيت كلي بكلك ۞ هذا جزاء من يحبك

عجزت عن خطابك ۞ فالكل مني جوابك

وقيل للشبلي عند وفاته قل لا إله إلا الله فأنشد:

قال سلطان حبه ۞ أنا لا أقبل الرشا فسلوه بحقه ۞ لم بقتلي تحرشا

وقال أبو عمران الأصطخري: رأيت أبا تراب النخشبي في البادية قائماً ميتاً لا يمسكه شيء

وقال أبو علي الروذباري: دخلت في مصر فرأيت الناس يقولون كنا في جنازة فتى سمع قائلاً يقول: كبرت همة عبد ۞ طمعت في أن تراكا

فشهق شهقة ومات. وقيل: سبب موت ابن بنان أنه ورد على قلبه وارد فهام على وجهه وذخر بتيه بني إسرائيل فوقف في الرمل وقال أربع فهذا مربع الأحباب وخرجت روحه.

وقال أبو سعيد الخراز: كنت بمكة فخرجت يوماً بباب بني شيبة فرأيت شاباً حسن الصورة ميتاً فنظرت في وجهه فتبسم وقال: يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباب أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار كما قال تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾ الآية.

وقال الشاذلي: رأيت في المنام كأني مجالس مع رجل من أصحابي بين يدي أستاذي، فقال لي احفظ عني أربعة فصول، ثلاثة منها لك وواحدة منها لهذا المسكين، لا تختر من أمرك شيئاً واختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾. وكل مختارات الشرع وترتيباته فهو مختار الله ليس لك

منه شيء ولا بد لك منه واسمع وأطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم الإلهامي وهو أرض علم الحقيقة المأخوذ عن الله لمن استوى فافهم واقرأ وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون. وعليك بالزهد في الدنيا والتوكل على الله فإن الزهد أصل في الأعمال والتوكل رأس في الأحوال واشهد بالله واعتصم بالله في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم وإياك والشك والشرك والطمع والإعتراض على الله في شيء واعبد الله على القرب الأعظم تحظ بالمحبة والاصطفائية والتخصيص والتولية من الله والله ولي المتقين، ثم قال: والذي قطع نفس هذا المسكين عن الوصلة بطاعته. وحجب قلبه عن شواهد توحيده أمران دخوله في عمل دنياه بتدبيره وفي عمل أخراه على الريب في مواهب محبوبه، فعاقبه الله بالحجاب وترادف الإرتياب ونسيان الحساب وغرق في بحر التدبير والتقدير وكلي فيه بورع التكبير، أفلا تتوب إلى الله في أوائل التدبير والتقدير فتحظى منه بمدد التيسير ويحال بينك وبين التعسير وكل ورع لا يثمر لك العلم والتنوير فلا تعد له أجرا وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله فلا تعد لها وزرا، ثم قال: خذ رزقك من حيث أنزلك الله باستعمال العلم ومتابعة السنة ولا ترق قبل أن يرقى قلبك فتزل بك قدمك. وقال: هممت مرة أن أختار القلة من الدنيا على الكثرة، ثم أمسكت وخشيت سوء الأدب فلجأت إلى ربي ورأيت في المنام كأن سليمان عليه السلام على سرير جالس وحوله عساكر ورفع لي عن قدوره وجفانه فرأيت أمرا عظيما كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾، فنوديت: لا تختر مع الله شيئا، وإن اخترت فاختر العبودية لله اقتداء برسوله ﷺ، حيث قال عبدا رسولا، وإن كان ولا بد فاختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار إلى اختيار الله، فانتبهت من نومي فرأيت بعدها قائلا يقول لي: إن الله اختار لك أن تقول: اللهم وسع علي رزقي في دنياي ولا تحجبني بها عن أخراي، واجعل مقامي دائما بين يديك وناظرا منك إليك وأرني وجهك ووارني عن الرؤية وعن كل شيء دونك وارفع البين فيما بيني وبينك يا من هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

❖ بيان بعض منازل التصوف ❖

(واعلم) أنه إذا جاوز السالك الظلمات الجسمانية والتجليات الروحانية يضع قدمه في بساط قدم الوجود الذي من كمال شفافيته وعدم تلونه تظهر الأسرار وتعترضه في طريق سلوكه منازل بهذا التفصيل أولها البدايات ثم الأبواب ثم المعاملات ثم الأخلاق ثم الأصول ثم الأدوية ثم الأحوال ثم الولاية ثم الحقائق ثم النهايات. فهذه عشرة ثم في كل منزل منها عشر منازل بهذا الترتيب. فالبدايات منها اليقظة وهي الفهم عن الله تعالى في زواجره، وبدايتها أن

يفهم ما يحتاج إليه في قضاءِ الله تعالى، وأوسطها التشمير لأدائها مع معرفة آدابها، ونهايتها الخروج عن العادة بالقيام بالعبادة. والتوبة وهي: الرجوع إلى الله، فتوبة العامة من المخالفة إلى الموافقة، وتوبة الخاصة عن السوى إلى الحق، وتوبة أخص الخاصة عن التوبة وعن مقتضى اسم إلى مقتضى اسم، وتسمى توبة المحققين. وتوبة خلاصة الخاصة عن التقييد بمقتضيات الأسماء وأحدية الجمع وتسمى توبة المنتهي. والإنابة هي: الرجوع إلى الله تعالى بنسيان ما رجع عنه. فإنابة العامة عن المخالفات، وإنابة الخاصة عن الإرادات، وإنابة الأخص عن رؤية الغير، وإنابة أخص الأخص عن عدم الشهود بمراتب التجليات فيما يسمى بالسوى، وإنابة خلاصة الخاص عن الإنقهار بسلطان التجلي عن رؤيةِ المتجلي. والمحاسبة وهي: المقايسة بين الكمالات والنقائص لتعرف الراجح من المرجوح فيترك أو يتدارك فمحاسبة العوام بين الطاعةِ والمعصية ومحاسبة المريدين بين الذكر والغفلة. والتفكر وهو: التفتيش عما يحصل به المقصود، فتفكر العوام فيما يسهل الخروج عن الشهوات، وتفكر الخواص فيما يسهل السلوك إلى الحقيقةِ. والتذكر وهو: نيل ما قصد بالتفكر. والفرار وهو: الهرب عما يبعد عن الحق إلى ما يقرب إلى الله، ففرار العامة عن الجهل بآداب الخدمة والكسل عن القيام بالحقوق، وفرار الخاصة عن الحظوظِ والأنفس، وفرار أخص الخاص عن الشغل بالغير ورؤيته. والسماع وهو: انتباه كل واحدٍ إلى مقصود خاص بحسب نصيبه، فسماع العوام إلى امتثال الأوامر، وسماع الخاص إلى شهود الحقِّ في كل مسموع لعدم سماعهم إلا بالحقِ وفي الحق وللحق ومن الحقِّ. فالسماع بالحق سماع من لم يبق فيه شيء من النفس، والسماع في الحق سماع من يشاهد اتصافه تعالى بكل كمالٍ، والسماع للحق من يشهد المسموعات للحق لا لغيره، والسماع من الحقِ من يأخذ الخطاب من الله تعالى أخذًا مقبولاً، كما هو أدب أهل الحقيقة، وسماع الأخص سماع كلام الله تعالى من كل كائن وهو السماع الكامل والرياضات وهي تهذيب الأخلاق النفسانية بالمجاهدات والإعتصام وهو الإحتماء عن وصول المكروهات فاعتصام العوام بالمحافظة على الطاعات امتثالاً لأمر الله تعالى، واعتصام الخواص بصورة الإراداتِ، واعتصام الأخص بالشهودية من الأنية، واعتصام أخص الأخص بتوفية حقوق الربوبية مع إثباتِ ملك الألوهية والحزن وهو التأسف على ما فات من الكمال وأسبابه فحزن العامة من التفريط فيما يجب وحزن المريدين من التفرقة حرصًا على الجمعية ولا حزن لمن وراءهما على الغير والخوف وهو الحذر من المكروه في الإستقبال فخوف العامة من العقوبة وخوف المريدين من المكر وخوف الخاصة من الهيبة والجلال والإشفاق وهو الحذر المقرون بالترحم فإشفاق العوام على أنفسهم من الميل إلى المخالفات من رؤيةِ الطاعات وإشفاق المريدين على

أو قائم من التفرقة وليس على الخواص إشفاق، والخشوع وهو خمود النفس لمتعاظم أو متضرع فخشوع العامة للهيبة من الوعيد وخشوع الخاصة لحفظ الحرمة مع الملك الشهيد وسيأتي تمام البحث في أقسام التصوف.

وقال المنكرون: الولي لا تصح له الولاية إلا إن ظهرت على يده كرامات ولو عالما عاملا متبع السنن مجتنب البدع بإخلاص ورسوخ وتمكين في اليقين والتيقن فنقول هذه الشبهة لا يليق لها الجواب بل هي مغالطة كما سبق عن الأئمة: إن لم تكن العلماء أولياء فليس لله ولي.

وقال السهروردي: فوق أصحاب الكرامات بسبب وبلا سبب أقوام ارتفعت الحجب عن قلوبهم فاستغنوا عن السبب وظهور الكرامات والخوارق ولهذا لم ينقل عن الصحابة إلا القليل من ذلك لما باشرت صريح الإيمان قلوبهم.

وقال زكريا الأنصاري: والكرامات أمر خارق للعادة على يد ولي غير مقارن لدعوى النبوة منه وفيها تثبت له ولهذا ربما وجدها أهل البدايات في بدايتهم وفقدوها في نهايتهم لأن ما هم عليه من الرسوخ والتمكن لا يحتاجون معه إلى تثبت ولذا قل ظهورها على يد السلف من الصحابة والتابعين وصاحب الكرامات لا يستأنس بها بل يشتد خوفه مخافة أن يكون ذلك استدراجا والمستدرج يستأنس بما ظهر عليه، وعند ذلك يستحقر غيره وينكر عليه ويحصل له الأمن من مكر الله وعقابه فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على من ظهر عليه ذلك يحل هذا على أنه استدراج لا كرامة. ولذلك قال المحققون: أكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الرب سبحانه إنما وقع في مقامات الكرامات. ولذلك كانوا يخافون منها ويعدونها من أشد البلاء وحيض النساء.

❖ بيان الدعاء والنداء والتضرع ❖

(وأما الدعاء والنداء والتضرع) فهو أهم وألزم في البداية والنهاية، قال الله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾، وقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾، وقال: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾، وقال: ﴿نداء خفيا﴾.

وقال النبي عليه السلام: «الدعاء مخ العبادة»، وقال: «أفضل الدعاء الحمد لله»، وقال: «الدعاء هو العبادة». قال الله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾. وقال: «الدعاء محجوب عن الله حتى يصلي على محمد وعلى آل محمد». وقال: «الدعاء جند من أجناد الله تعالى مجند يرد القضاء بعد أن يبرم»، وقال: «الدعاء يرد البلاء»، وقال: «الدعاء مفتاح الرحمة والوضوء مفتاح الصلاة والصلاة مفتاح الجنة»، وقال: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء». وقال: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور

السموات والأرض ».

واختلف الناس في الأفضل هل هو الدعاء أم السكوت والرضا، فقيل : الدعاء الأفضل لما قلنا وروينا ولأنه مستحق لله تعالى لما فيه من إظهار فاقة العبودية وذلها. ولهذا ذم الله تعالى قوماً لا يدعونه فقال ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾. وقيل: معناه لا يمدونها إلينا بالسؤال. وقيل : السكوت والخمود تحت جريان الحكم أتم رضا بما سبق من اختيار الحق وإرادته وقد قال عليه السلام خبراً عن الله تعالى : «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين».

وقال قوم : يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليجمع بين الأمرين. وقال القشيري : والأولى أن يقال : إن الأوقات مختلفة، ففي بعضها الدعاء أفضل وفي بعضها السكوت أفضل والفاصل بينهما الإشارة فمتى وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فهو وقته ومتى وجد في قلبه عدمه فلا، ويجوز أن يكون الفاصل بينهما مما يجده من البسط والقبض في قلبه فإن وجد الدعاء يوجب البسط دعا وإن وجده يوجب القبض سكت فإن لم يجد هذا ولا هذا كانا سواء فيتخير إن كان العلم والمعرفة في ذلك الوقت سواء عنده وإن غلب عليه العلم يرجح الدعاء وإن غلبت عليه المعرفة يرجح السكوت والسكون.

وقال أيضا : ويجوز أن يقال ما كان للعباد فيه نصيب أو لله فيه حق فالدعاء به أولى وما كان فيه حظ نفس للداعي فالسكوت عنه أولى وفي الخبر أن العبد ليدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول يا جبريل أخر حاجة عبدي فإني أحب أن أسمع صوته وأن العبد ليدعو الله تعالى وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض حاجة عبدي فإني أكره أن أسمع صوته.

(وحكي) عن الليث أنه قال رأيت عقبة بن نافع ضريرا ثم رأيته بصيرا، فقلت له : بم رد الله بصرك عليك فقال رأيت قائلا يقول في المنام قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيفا لما يشاء رد علي بصري فقلته فرد علي بصري.

(وحكي) عن محمد بن خزيمة أنه قال : لما مات أحمد بن حنبل ﷺ : كنت بالإسكندرية فاغتممت لموته، فرأيته في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب. وقال : يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي، ثم قال: ادعني بالدعاء الذي بلغك من سفيان الثوري وكنت تدعوني به في الدنيا فقلت: يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء، فقال: يا أحمد هذه الجنة فادخلها. وقيل : أن هذا الدعاء مجرب لجمع الضالة [يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه أجمع علي ضالتي] وعلم الخضر رجلا دعاء لشفاء المرضى فقال ضع يدك على موضع الوجع وقل ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ ففعله الرجل فعوفي. ومن الأدعية المجربة: يا مسبب كل سبب ومأمول من طلب

رد عليّ ما ذهب دعا به أعرابي مات جمله فأحياه الله.

وقال الكتاني: رأيت النبيّ عليه السلام في المنام فقلت له ادع الله أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت. وقيل: تعلق شاب بأستار الكعبة وقال: [إلهي لا شريك لك فيؤتى ولا وزير لك فيرشى إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد، وإن عصيتك فبجهلي ولك الحجة عليّ فبإثبات حجتك عليّ وانقطاع حجتي لديك إلا غفرت لي] فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار. ومن الأدعية المهمة والمناجاة العظيمة [يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعالا لما يريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني]. فمن دعا بهذا الدعاء في كل كربة وشدة ونازلة فرج الله عنه وأعانه. وقيل: الدعاء سلم المذنبين. وقيل: لسان المذنبين دموعهم. وقيل: الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب. وقيل: الدعاء يوجب الحضور والعطاء يوجب الصرف والمقام على الباب أشرف من الانصراف بالمثاب.

وقال صالح المري: من أدمن قرع الباب فتح له، فقالت له رابعة: ومتى أغلق هذا الباب حتى يفتح؟ فقال: شيخ جهل وامرأة علمت. وقال بعضهم لرجل: ادع لي، فقال: كفاك من الأجنبية أن تجعل بينك وبينه واسطة.

❖ بيان شروط الدعاء وآدابه ❖

(وأما شروط الدعاء) فالتوبة قبل الدعاء ورد المظالم وأكل الحلال وصدق المقال والإقبال بكنه همته (وأما آدابه) فالجد في الطلب والإلحاح والمحافظة على الدعاء في الرخاء والشدة، وأن يعزم إذا سأل، وأن يدعو ثلاثا، وأن يقتصر على جوامع الدعاء، وأن يختمه بالصلاة على النبي عليه السلام، وأن يدعو طاهرا إن أمكن، وأن يستقبل القبلة، وأن يرفع يديه حتى يحاذي بهما المنكبين، وأن يخفض صوته بالدعاء، وأن يمسح بيده وجهه إذا فرغ، وأن يحمد إذا عرف الإجابة، وافتتاحه بالحمد واختتامه بالصلاة، وأركانه وأزمانه وأمكنته وعلامة قبوله والذي يقبل دعائه وأنواعه وخواصه مفصل في رسالتنا نتائج الإخلاص.

❖ بيان المحو والإثبات ❖

(وأما المحو والإثبات) فالمحو رفع أوصاف العادة، والإثبات إقامة أحكام العبادة فمن محا عن نفسه وأحواله الخصال المذمومة وأتى بدلها بالخصال المحمودة فهو صاحب محو وإثبات. وقيل: المحو انسلاخ العارف عن كل وجود غير وجود الحق، والإثبات تصفية السر عن كدورات الإنسانية. ثم المحو والإثبات على ثلاثة أقسام: محو العوام وإثباتهم وهو محو الزلة

عن الظواهر وإثبات الطاعة عليها وفيه إثبات المعاملات ومحو الخواص وإثباتهم وهو محو الغفلة عن الضمائر وإثبات اليقظة فيها وفيه إثبات المنازلات ومحو العارفين وإثباتهم وهو محو العلة عن السرائر وإثبات الموحد فيها وفيه إثبات المواصلات وهذا كله محو وإثبات بشرط العبودية. وأما حقيقة المحو والإثبات فصادران عن القدرة فالمحو ما ستره الحق ونفاه والإثبات ما أظهره وأبداه فهما مقصوران على المشيئة قال الله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾. قيل: يمحو عن قلوب العارفين ذكر غيره ويثبت على ألسنة المريدين ذكره والمحق فوق المحو لأن المحو يبقى معه أثر بخلاف المحق فإنه لا يبقى معه أثر بالكلية فغاية همة القوم المحق وهو أن يمحقهم الله تعالى عن شاهدهم ثم لا يردهم إليهم بعد ما محقهم عنهم.

◆ بيان المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة ◆

(وأما المحاضرة ثم المكاشفة ثم المشاهدة) على هذا الترتيب فالمحاضرة هي حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان ثم المكاشفة وهي حضوره بنعت البيان لا بالنظر في الدليل ثم المشاهدة وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة فإذا أصحت سماء الحقيقة عن غيوم الستر أشرقت شمس المشاهدة في بروج المقابلة وقال الجنيد: حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك فصاحب المحاضرة يهديه قلبه وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة يفنيه سره. وقيل: إن المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عند صفاء القلوب من الأدناس والأقذار وخلوصها من الأضداد والأغيار في مراقبة الجبار، فيصير كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق من صفاء المعرفة وقوة اليقين، ولهذا قالوا: إن المشاهدة تتولد من المراقبة ولم يزد أحد في بيان حقيقة المشاهدة على ما قاله عمرو بن عثمان المكي. ومعنى ما قاله أنه تتوالى أنوار التجلي على قلب العارف من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدرنا اتصال البروق فكما أن الليلة الظلماء بتوالي البروق فيها واتصالها إذا قدرت تصير في ضوء النهار، فكذلك القلب إذا دام به دوام التجلي تمتع نهاره فلا ليل، وأنشدوا:

ليلي بوجهك مشرق ◎ وظلامه في الناس ساري

فالناس في سدف الظلا ◎ م ونحن في ضوء النهار

وتوهم قوم أن في المشاهدة تفرقة من حيث أنها مفاعلة وهو وهم لأن كل أبواب المفاعلة لا تقتضي ذلك فهو كسافر وشارف وصادف ورابط وداوم وطارق وواظب ونظائره كثيرة.

◆ بيان اللوائح والطوالع واللوامع ◆

(وأما اللوائح والطوالع واللوامع فهي متقاربة في المعنى لا يكاد يحصل بينها كثير فرق. وكلها من صفات أصحاب البداية الذين لم يتضح لهم ضياء من شموس المعارف ولم يدم، لكن

الله يؤتي قلوبهم من ذلك رزقها في كل حين كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾. فكلما أظلمت عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ سنحت لهم فيها لوائح الكشف وتلألأت لوامع القرب وأشرقت طوالع السعد، فتكون أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع فاللوائح كالبروق في سرعة الزوال واللوامع أظهر وأثبت من اللوائح فقد تبقى وقتين وثلاثة، لكنها تنقطع لأهل اللوامع بين رَوْح ونوح وكشف وستر والطوالع أدوم وقتا وأقوى سلطانا وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة ثم هذه الثلاثة قد يبقى لها بعد زوالها أثر يتعلل به صاحبها ويعيش في بركته إلى حين عودها وقد يذهب عينها وأثرها كأنها لم توجد.

◆ بيان البواده والهجوم

(وأما البواده والهجوم) فالبواده ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة، إما موجبا للفرح أو للترح. والهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت بغير تصنع منك. وقيل : الهجوم هي الحال الواردة فجأة والبواده هي الحال الواردة على سبيل السكون.

(واعلم) أن أحوالهم في البواده والهجوم مختلفة فمنهم من تغيره البواده ومنهم من يحتملها وتغيره الهواجم ومنهم من لا يتغير لشيء منهما وهم سادات القوم كما قيل:

لا تهتدي نوب الزمان إليهم ۞ ولهم على الخطب الجليل لجام

◆ بيان الحضور والغيبة ◆

(وأما الحضور والغيبة) فالغيبة غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق بما يرد عليه ثم قد يغيب عن غيره فقط وقد يغيب عن غيره وعن نفسه أيضا إذا عظم الوارد ثم قد تطول الغيبة وقد تقصر وقد تدوم.

(واعلم) أن العبد له أفعال وأخلاق وأحوال فالأفعال تصرفاته الاختيارية والأخلاق طباعه الفطرية لكنها تتغير بتبديل العادة على مرور الأيام والأحوال ترد على العبد ابتداء وصفاؤها بحسب صلاح أعماله ومتى فني العبد عن الأفعال والأخلاق والأحوال بزوال إحساسه عن كل ذلك فقد استولى عليه سلطان الحقيقة، فهو حاضر بالحق غائب عن نفسه وعن الخلق. ومما يشهد بصحة وجود الغيبة، أنا نرى الرجل يدخل على عالم أو سلطان أو رجل جليل القدر فيذهل عن نفسه وعن مجلسه، وربما ذهل عن ذلك الرئيس أيضا، حتى إذا سئل بعد خروجه عمن كان عنده في المجلس وما كان من شأنه لم يحفظ ذلك لفرط دهشته وذهوله من الهيبة والإجلال وأدل من ذلك وأوضح النسوة اللاتي قطعن أيديهن حين شاهدن يوسف عليه السلام فإذا كانت مشاهدة جمال يوسف عليه السلام والاشتغال به غيبهن عن الإحساس بألم القطع لفرط الدهش والذهول بجمال مخلوق مثلهن مع أنهن أضعف من الرجال خلقا

وأقل تجلدًا وصبرًا، فكيف تكون غيبة من شاهد أنوار ذي الجلال وخالق السموات والأرض فلا غرو أن يصير مستهلكا بكليته في وجود الحق لغيبته عن كل شيء سواه. ومن المشهور عن أبي حفص النيسابوري في ابتداء حاله أنه سمع قارئا يقرأ آية من القرآن فورد على قلبه وارد فغلب عن إحساسه وأدخل يده في النار وأخرج الحديدة المحماة بأصابعه فرآه تلميذه فقال له يا أستاذ ما هذا فنظر أبو حفص إلى ما كان منه فترك الحرفة وكان منه ما كان.

(وروي) عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه كان في سجوده فوقع في داره حريق فلم ينصرف عن صلاته فقيل له في ذلك فقال شغلتني النار الكبرى عن النار الصغرى.

(وأما الحضور) فهو حضور العبد بالحق بعد غيبته عن الخلق وذلك بسبب استيلاء ذكر الحق على قلبه ودوامه فيه وقدر حضوره بالحق بقدر غيبته عن الخلق فإن كان بالكلية كان حضوره كذلك ثم يكون مكاشفا في حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق بها وقد يقال حضر العبد بمعنى عاد من غيبته وعدم إحساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق.

❖ بيان الوقت والعصر والزمان ❖

(وأما الوقت والعصر والزمان) فهو عندهم تارة بمعنى الزمان الحاضر الذي هو واسطة بين الماضي والمستقبل. ومنه قولهم الصوفي ابن وقته يعنون به أنه مشتغل بما هو أولى به في الحال وتارة بمعنى ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم ومنه قولهم فلان بحكم الوقت يعنون أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختياره. وهذا أيضا إنما يكون فيما لا حكم فيه من جهة الشرع. فأما ما فيه حكم من جهته فإن تضييعه وإحالة الحكم فيه على المقادير خروج عن الدين.

وقال أبو علي: وقتك ما أنت به إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى وإن كنت بالسرور فوقتك السرور وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن أراد بالوقت ما كان غالبا على الإنسان.

وأما قولهم الوقت سيف قاطع فإنهم يعنون به أنه غالب عليهم بما يجري الله به من قضائه وقدره كما أن السيف غالب بقطعه. وقيل: معناه لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم، فكذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا، ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى. وأنشدوا في ذلك:

وكالسيف إن لاينته لان مسه ۞ وحداه إن خاشنته خشنان

وقيل: معناه أنه لا دوام له فأدرك فيه أمانيك ولا تدعه يمضي عنك وكن حاكما على وقتك لا محكوما عليه بوقته. وقيل: الكيس من كان يحكم وقته فإن كان وقته الصحو فقيامه

بالشريعة وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة وفي غير الصحو والمحو للصوفي أوقات تساعده وأوقات تناكده، فمن ساعده الوقت فهو له وقت ومن ناكده الوقت فهو عليه مقت وعليك بالمراقبة فإن كان بسطا فالزم فيه الآداب وإن كان قبضا فالزم السكون والسكينة إلى أن ينقضي.

❖ بيان النفس ❖

(وأما النفس) فهو ترويح القلوب بلطائف الغيوب كالوقت والحال إلا أن صاحب الأوقات مبتدئ في تحصيل إمداد الطائف الغيب وصاحب الأنفاس منته في ترويح القلب بعجائب الغيب وغرائب الأنس وصاحب الأحوال بينهما فالأوقات لأصحاب القلوب والأحوال لأرباب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر، وقالوا: أفضل العبادات عد الأنفاس مع الله تعالى.

وقال أبو علي: العارف لا يسلم له نفس لأنه لا يسامح والمحب يسلم له، لأنه يسامح إذ لو لم يسامح بالنفس لتلاشى احتراقا لعدم طاقته. فعليك أيها العارف بعد الأنفاس والأحوال والأوقات مع الله في الله بالله من الله. فإذا أردت الخلاص من النفس والمحن والمكر فالزم التوبة دائما بالنية الخالصة من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر وعرج عنها في معراج عالم القلب الذي هو معراج التوابين، ثم جز هذا المقام بالترقي إلى عالم الروح الذي هو معراج المحبين ثم اسلك في عالم السر الذي هو معراج العارفين فمهما لم ترق من حضيض طبعك وبشريتك ونفسك لا تصل إلى هذه العوالم الثلاثة. فإذا ترقيت عنها فحينئذ يستقبلك تصرف الحق فيك. وفي الخبر: «قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء» أي فتارة يقلبه من قبض إلى بسط ومن خوف إلى رجاء ومن بقاء إلى فناء ومن صحو إلى محو ومن طرب إلى حزن، وتارة تنعكس هذه الأحوال وتتغير هذه الأوصاف وهو أبدا بين قبض وبسط وخوف ورجاء وفناء وبقاء ومحو وصحو وطرب وحزن، وتارة يجذبه عنه ويوصله إلى أعلى مراتب السائرين إليه، وتارة يرده عنه ويوقعه في أدنى منازل المنقطعين عنه فإن جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين. وقد أشار إلى ذلك الحلاج قدس سره في قصيدة له فقال:

سكوتٌ ثم صمتٌ ثم خرس ◉ وعلم ثم وجد ثم رمس
وطين ثم نور ثم نار ◉ وبرد ثم ظل ثم شمس
وحزن ثم سهل ثم فقر ◉ ونهر ثم بحر ثم يبس
وصحو ثم سكر ثم شوق ◉ وقرب ثم وفر ثم أنس
وقبض ثم بسط ثم محو ◉ وفرق ثم جمع ثم طمس

وأخذ ثم رد ثم جـذب ⊙ ووصف ثم كشف ثم لبس

عبارات لأقـوام تساوت ⊙ لديهم هذه الدنيا وفلس

وأصوات وراء الباب لكن ⊙ عبارات الورى في القبر همس

وآخـر ما يؤول إليه عبد ⊙ إذا بلغ المدى حظ ونفس

لأن الخلق خدام الأمـاني ⊙ وحق الحق في التحقيق قلس

❖ بيان التجلي والواردات والأنوار ❖

(وأما التجلي والواردات والأنوار) فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى لا يتجلى لأرباب السلوك تجليا متساويا في الرتبة والأسلوب الواحد والإطراد بل تختلف رتب التجليات باختلاف استعداداتهم من حيث القوة والضعف في الصفوة والزكاء ومن حيث التقرب والتبعد من الحضرة الإلهية لأن مراتب الكشف إنما تزيد وتنقص في التجليات الإلهية بقدر أنوار بصائر القلوب وقدر أنوار بصائر القلوب إنما يتفاوت بقدر القرب والبعد من الحضرة الإلهية كما أن مراتب رؤية الأبصار تتفاوت بقدر أنوار حاسة الأبصار وتفاوت أنوار حاسة الأبصار هو باختلاف استعداد القوة الباصرة في اعتدال المزاج العنصري وباختلاف القرب والبعد من المبصرات، لأن نور الباصرة إنما يكون أزيد إذا كان مزاج الرائي أعدل وكان قربه من المبصر أكثر فحينئذ تكون رؤيته أزيد وأكمل، وكذلك الحال في شهود البصائر بأنوار التجليات الإلهية لأن نور البصيرة إنما يكون أزيد إن كان الإستعداد أقوى، وكان قرب البصيرة منه تعالى أكثر، فحينئذ تكون البصيرة أكثر شهودا وأكمل كشفا. ثم اعلم أن أشرف الأنوار وأعلاها نور الحق سبحانه وتعالى ثم نور الروح ثم نور القلب. فإن ارتقى السالك من مرتبة القلب إلى مرتبة الروح صار نور بصيرته أشرف وأعلى من مرتبة نور القلب فعلم من هذا أنه كلما قرب السالك إلى الحضرة الإلهية، كان نور بصيرته أشرف وألطف حتى صار له نور قريب التشابه بنوره تعالى. فلذلك التبس الأمر لبعض من وصل إلى تلك المرتبة فتكلم بكلام دال على الله، فتعالى الله علوا كبيرا. لكن ذلك الكلام يعفى عنه وإذا تاب واستغفر واعتذر كان عذره مقبولا ولا يظن السالك أنه إذا وصل إلى تلك المرتبة يحصل له الإتحاد مع الحق سبحانه لأن اتحاد الخالق مع المخلوق محال ذاتي من كل الوجوه لأن الإتحاد معناه أن يصير الشيء بعينه شيئا آخر، فهذا الإتحاد إما في الجسمانيات، بأن يكون بالإتصال والإمتزاج والتركيب وبطلانه ظاهر في حقه تعالى وإما في المجردات وبطلانه ظاهر أيضا لأن الشيئين إذا اتحدا فإن بقي أحدهما مع بقاء الآخر فيتعددان فلا اتحاد بينهما فإن بطل أحدهما وبقي الآخر فلا اتحاد أيضا، وإن بطلا معا فلا وجود لهما فضلا عن الإتحاد فثبت بطلان الإتحاد بين الخالق والمخلوق.

(وأما) الإتحاد الذي يدل عليه كلام بعض الواصلين إلى نور الأحدية الذاتية في بعض السكرات فالعلاقة القربية ونسبة الأحدية التي تحت تلك العلاقة عند الإلتفات إلى ذاته لاستعلاء نور الأحدية عليه فينطلق لسانه حينئذ بكلام حكم الأحدية. وذلك الكلام ليس في الحقيقة منه بل هو كلام الحق تعالى يتكلم بلسان عبده لكمال قربيته إليه تعالى كما تكلم بالشجرة لموسى عليه السلام ﴿إني أنا ربك﴾ شعر:

ولتفن حتى عن فنائك إنه ◎ عين الوصال فعند ذاك تراه
فإذا فنيت به فلست بذاته ◎ كلا ولا أيضا تكون سواه
شيئان ما اتحدا ولكن ههنا ◎ سر يضيق نطاقنا عما هو

◆ بيان الستر والتحلي ◆

(وأما الستر والتحلي) فالستر للعوام والتحلي للخواص. والمراد بالستر قيام الحجب المانعة من المشاهدة. وصاحب التحلي موصوف بالخشوع أبدا لقوله عليه السلام «إذا تجلى الله تعالى لشيء خشع له» وللخواص أيضا ستر، مع أنهم في دوام التحلي والحالتان في حقهم متناقضتان لفظا لا معنى، لأن التحلي عبارة عن انكشاف سرادقات الجلال عن كمال الجمال. والستر في حق الخواص عبارة عن حفظهم عن التلاشي والإحتراق وتمكينهم في مقام الثبات، إذ لولا ستره عليهم ما يكاشفهم به لتلاشوا عند ظهور سلطان الحقيقة، إذ الخلق لا بقاء لهم عند وجود الحق. وإلى هذا أشار النبي عليه السلام بقوله « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة » والإستغفار طلب الغفر وهو الستر، فمعناه أنه كان يطلب الستر للثبات والبقاء عند غلبة سلطان الحقيقة. وإليه أيضا أشار ﷺ بقوله «يا مثبت القلوب ثبت قلبي». وفي الخبر «أن الله جل وعلا لو كشف عن وجهه لاحترقت سبحات وجهه ما أدرك بصره». وقيل : إنما قال الله تعالى لموسى ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ ليستر عليه بتلك المشاغلة بعض ما كان فيه من دوام التحلي الحاصل له بمفاجاة سماع الخطاب الإلهي ويرده إلى حالة الثبات والتمكن. فالحاصل أن الستر للعوام عقوبة وللخواص رحمة وأصحاب الذوق كعوام هذه الطائفة فلا جرم أن عيشهم في التحلي وبلاءهم في الستر. وأما الخواص فهم بين طيش وعيش إذا تجلى لهم طاشوا وإذا ستر عليهم ردوا إلى الثبات والتمكن فعاشوا.

◆ بيان الشريعة والطريقة والحقيقة ◆

(وأما الشريعة) فهي الإئتمار بالتزام العبودية. والشرع في اللغة عبارة عن البيان والإظهار. يقال شرع الله كذا أي جعله طريقا ومذهبا ومنه المشرعة والشريعة والشرع والدين والملة والناموس كلها بمعنى واحد.

(والطريقة) هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقي في المقامات.

(والحقيقة) من حق الشيء إذا ثبت والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، وفي اصطلاح أهل اللغة حقيقة الشيء ما به الشيء هو هو، وفي العرف ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقة وباعتبار تشخصه هوية مع قطع النظر عن ذلك ماهية. والحق في اللغة هو الثبات الذي لا يسوغ إنكاره. وفي اصطلاح أهل المعاني هو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل. فمعنى حقية الشيء مطابقة الواقع إياه.

وقال النبي عليه السلام: «علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من يشاء من عباده»، أخرجه الديلمي عن علي. وقال عليه السلام: «العلم علمان فعلم في القلب فذلك النافع وعلم في اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم»، أخرجه الحكيم عن الحسن مرسلا.

(وقالوا) الشريعة أمر بالتزام العبودية دائماً، والحقيقة مشاهدة الربوبية. فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبولة أيضاً. فالشريعة أن تعبد الله، والحقيقة أن تشهده حقيقة، فالشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر.

(واعلم) أن أهل الظاهر هم أهل الشريعة وأهل الباطن هم أهل الحقيقة، وهما متلازمان حقيقة، لأن الطريق إلى الحق تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة فبطون الحقيقة في الشريعة كبطون الزبد في لبنه فبدون محض اللبن لا يظفر بزبده. فالمراد من الحقيقة والشريعة إقامة العبودية على الوجه المرضي. فكل شريعة لا حقيقة لها فهي عاطلة، وكل حقيقة لا شريعة لها فهي باطلة. فالشريعة حق والحقيقة حقيقتها، والشريعة القيام بأمر الشارع والحقيقة مشاهدة أمره ويجمعها قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. فإياك نعبد شريعة وإياك نستعين حقيقة، فإياك نعبد لا يتوصل إليها إلا بقطع عقبتين الأولى العلم النافع والثانية العمل المخلص، وإياك نستعين لا يتوصل إليها إلا بقطع سبع عقبات الأولى قطع عقبتي إياك نعبد، والثانية عقبة فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية، والثالثة فطم النفس عن المألوفات العادية، والرابعة فطم القلب عن الرعونات البشرية، والخامسة فطم السر عن الكدورات الطبيعية، والسادسة فطم العقل عن الخيالات الوهمية، والسابعة فطم الروح عن غير رب البرية. فإذا باشرت بقطع تلك العقبات الصورية فتشرف من العقبة الأولى على إخلاص النية بالأعمال العلمية ويظهر لك في العقبة الثانية ينابيع الحكمة القلبية، وتطلع من العقبة الثالثة

على أسرار العلوم اللدنية، ويلوح لك في العقبة الرابعة أعلام المناجاة الملكوتية، ويلمع لك في العقبة الخامسة أنوار المنازلات القربية، ويضيء لك في العقبة السادسة أقمار المشاهدات الحبية، وتهبط من العقبة السابعة إلى رياض الحضرة القدسية. فهنالك تغيب بما تشاهده من اللطائف الأنسية فتتحير في وقت الحضور وتندهش في حالة الظهور وتغيب عن حسك بمشاهدة ذلك النور فحينئذ تكون لك الثروة والسرور. فإذا فنيت ذاتك وذهبت صفاتك قام ببقائه عن فنائك وبصفاته عن صفاتك وخلع عليك خلعة في يسمع وبي يبصر فيكون هو متوليك ومموليك فإذا نطقت فبأذكاره وإذا نظرت فبأنواره وإذا تحركت فبأقداره وإذا بطشت فباقتداره فحينئذ تكون من أعلى طبقات الناس.

(فالطبقة الأولى) هم المشايخ الصوفية، وهم الذين حصل لهم الوصول إلى حضرة الحق بواسطة كمال متابعتهم للنبي عليه السلام وبعد ذلك صار لهم الإذن من الله تعالى بالإرشاد والرجوع إلى الخلق والمكملون للناس الكاملون في أنفسهم بلا التباس فقد استغرقوا أولا في عين الجمع ولجة التوحيد وبعد ذلك شملتهم العناية الأزلية فاستخرجتهم من بطن حوت الفناء إلى ساحل التفرقة وميدان البقاء فصار لهم الفعل السديد فاشتغلوا بدلالة المخلوقات حتى وصلوا إلى النجاة وبلوغ الدرجات.

(والطبقة الثانية) هم طائفة وصلوا إلى درجات الكمال والفعل الجميل، وبعد ذلك لم يؤذن لهم في الرجوع إلى الخلق والتكميل ومنهم الملامية أصحاب الرتب العلية الباطنية.

(والطبقة الثالثة) هم طائفة تركوا السلوك فلم يكونوا من أهل الطبقة العليا ولا الوسطى بل كانوا من الأشرار وأصحاب الشمال فهم على الخبائث مقيمون نسأل الله أن يحمينا من حالهم ونعوذ بالله من شرورهم.

(ثم اعلم) أن الملامية قوم لا يتميزون عن المؤمنين بحالة زائدة يظهر لهم فيها حسن المراتب ولا يريدون حسن المراتب يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس ولا يتميزون عن العامة بعبادة زائدة ظاهرة قد انفردوا بقلوبهم مع الله بلا التباس، راسخون في العلم والعبودية لا ينزلون عنها طرفة عين لما فيهم من النفوس الراضية فهم لا يطلبون الرياسة لأنه قد استولى على قلوبهم سلطان الربوبية وكان هذا حال الصديق الأعظم قبل خلافته لتحققه بمقام الملامية فلذا لم ينقل عنه الإكثار من النوافل لكثرة ما يخفى من أحواله فكانت أعماله قلبية مع أن كل ذرة ظهرت من أعماله لا يعادلها القناطير من عمل غيره كما وردت في ذلك أحاديث.

(واعلم) أن قسما من الملامية بالغوا في كتم الأحوال والأسرار حتى ظهر منهم بحسب الظاهر فعل الأشرار وأنهم مخالفون للشرع الشريف. ومع ذلك فحالهم في الباطن مع الحق

وقد سامحوا جميع مَنْ وقع في أعراضهم من الناس ودفعوا بذلك عن أنفسهم الرياء والسمعة والعجب وتسويل الوسواس الخناس فسلكوا بذلك طريق الصواب وتخلصوا من النفس الأمارة بلا ارتياب وجعلوا أعمالهم مكتومة لا يطلع عليها إلا ربّ الأرباب.

❖ بيان الجمع والتفرقة ❖

(وأما الجمع والتفرقة) فقال أبو علي: الفرق ما نُسِب إليك والجمع ما سُلب عنك، ومعناه أن ما يكون كسباً للعبد من إقامة وظائف العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق. وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع، ولا بد للعبد منهما. فان من لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له. فقول العبد "إياك نعبد" إشارة إلى التفرقة بإثبات العبودية. وقوله "وإياك نستعين" إشارة إلى الجمع. وإذا خاطب العبد ربه بلسان نجواه، إما سائلا أو داعيا أو مثنيا أو شاكرًا أو متنصلا أو مبتهلاً، قائم في مقام التفرقة. وإذا أصغى بسره إلى ما يناجيه به مولاه، واستمع بقلبه إلى ما ناداه به وعرفه إياه أو لوح لقلبه وأراه فهو في مقام الجمع. وانشد قوال بين يدي أبي سهل الصعلوكي هذا المصراع:

⊙ جعلت تنزهي نظري إليكا ⊙

وكان أبو القاسم النصراباذي حاضرًا، فقال أبو سهل: جعلت بفتح التاء، وقال النصراباذى: بل بضمها، فقال أبو سهل: أليس عين الجمع أتم؟ فوافقه النصراباذى. وهذا ظاهر، لأن معناه مع الفتح أن الله تعالى خصص عبده بذلك ومنحه من فضله وكرمه لا صنع فيه للعبد. ومعناه مع الضم إثبات فعل العبد. فكان الأول جمعا، والثاني تفرقة. فان ما يرجع إلى إرادة العبد وحاله يسمى تفرقة، وما يرجع إلى إرادة الحق يسمى جمعا. فالجمع إثبات الحق للعبد بشواهد الحقيقة في نفسه ببقاء التفرقة بين المريد والمراد بحقائق المشاهدة. فالتفرقة بداية الإرادة، والجمع نهايتها. ومن لا مشاهدة له فلا جمع له. وجمع الجمع مقام آخر أتم من الجمع، فان الجمع شهود الأشياء بالله، والتبري من الحول والقوة إلا بالله. وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله، فلا يحس بشيء سواه عند غلبة سلطان الحقيقة. وبعد ذلك مقام عزيز يسمونه الفرق الثاني، وهو أن يرد إلى الصحو عند أداء الفرائض في أوقاتها، فيكون رجوعا لله بالله تعالى، لا للعبد بالعبد.

وقـال بعض المحققين: المراد بلفظ الجمع والتفرقة أن الله جمع الخلق كلهم في الأزل، وخاطبهم بقوله: ﴿ ألستُ بربكم ﴾ ثم فرقهم بالسعادة والشقاوة، والتقريب والإبعـاد، والإكرام والإهانة، وأشباه ذلك. فقال: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي». وقال: ﴿ فريق في الجنة، وفريق في السعير ﴾. وللجنيد في معنى الجمع والتفرقة

وتحققتك في سري فناجاك لساني ۞ فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني

إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني ۞ فلقد صيرك الوجد من الأحشاء داني

فإذا عرفت هذا يا أخي، فلا تكسل في السعي. فإن فاتك أمر بالاجتهاد، فارجع إلى الحقيقة، وقل كذا قدر. وهكذا ينبغي للعبد أن يسعى امتثالا للأمر، وهو بباطنه معتمد على التقدير والحكم. وفي الصحيح عن رسول الله أنه قال: «تحاج آدم وموسى. قال موسى: أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك الملائكة، وأسكنك جنته، أغواك إبليس، وأخرجك من الجنة. فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق، فحج آدم موسى ثلاثا». فإن قيل: أن موسى عاتب آدم على مخالفة الأمر، فاحتج هو بالحقيقة ونفوذ الحكم، فإن كان هذا الاحتجاج مقبولا، فلم لا يقبل من المشركين في قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ وقولهم: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ فإنه احتجاج بالحقيقة ونفوذ الحكم، وهو احتجاج لا تعارض به الشريعة، فالجواب أنه لا احتجاج بالحكم مع مخالفة الأمر والإصرار على المعصية، فإذا دعي الكافر إلى الإيمان والعاصي إلى التوبة، فقال: لا حول لي ولا قوة إلا بمشيئة الله، فإن هذا الاحتجاج لا يقبل. قال بعض العلماء في قول المشركين "لو شاء الله": هذا كلام حق أريد به باطل، فلم يقبل منهم لأنهم لم يقولوه توحيدا ولا تسليما. فلو قال ذلك عاص تاب من ذنبه، نادما على ما سلف، ثم عيره إنسان بذنبه بعد توبته ورجوعه إلى حال الصلاح فاحتج بالحكم، فذلك مقبول في الشريعة. وقال لي أستاذي: قل نؤمن بالقدر ولا نحتج به إلا في المصائب.

(واعلم) أن مثال المتمسك بالشرع، الغافل عن التصريف والحكم، مثال عبد مملوك، أعطاه سيده مالا، وعلمه التجارة، وكان لسيده حرمة، يرعاه الناس بها حيثما توجه، فاتجر العبد زمانا وسافر شرقا وغربا في جاه سيده، حتى حصلت له أرباح كثيرة، فغفل عن سيده وإسبال جاهه ورعايته لأجله ونظر إلى اجتهاده وكسبه. فمن أولى من هذا باللوم والعتاب؟ ومن أحق منه بالطرد والحجاب؟ ومثال الناظر إلى التصريف والحكم المعرض عن الشرع، مثال العبد سلم إليه سيده خزائن ماله وأمره بالإنفاق على عياله، والقيام بمصالح بهائمه، فقال في نفسه: أنا من جملة العبيد، وسيدي يطعم من يريد، وهو الغني الحميد. فخالف أمر سيده وضيع عياله، وأهلك أهله وأمواله، فهذا مثال من خالف وصف العبيد وزعم أنه معتمد على التوحيد، وهو كمن ألقى نفسه من فوق جبل، وقال: لا يموت أحد إلا بالقضاء والأجل؛ وكمن شرب السم القاتل، وقال: كل مقدور حاصل؛ أو سرق مالا وأكله، وقال: هذا رزق يسره الله لي وسهله. ويا ليت شعري كيف يعتمد المخالف لأمر الله، المعرض عن شرع الله، المتهاون

بأحكامه على التوحيد، وهو من شرار العبيد. وإنما أهل التوحيد قوم اشتغلوا بالله عن حظوظ أنفسهم واستفرغوا أوقاتهم فى طاعة الله وذكره وغابوا عن رؤية اعمالهم بحمد الله وشكره علما منهم بأنه ذكرهم فذكروه ووفقهم فشكروه والهمهم فوحدوه وجذبهم فوجدوه. فأما من يضيع أوقاته بشهواته ويقطع عمره فى غفلاته ويجعل اجتهاده فى تحصيل لذاته، فكيف يدعى أنه من أهل التوحيد أو يزعم أنه من أصحاب التفريد؟ قال الله تعالى: ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾. فقوله اصبر تكليف وما صبرك إلا بالله تعريف معناه اصبر على أوامر الله واحكامه ولا ترى الصبر إلا من الله، فالعامل لله من يقصد باعماله التقرب إلى الله والعامل بالله من يرى الأعمال منه من الله.

❖ بيان التصوف ❖

(وأما التصوف) ففى اصطلاح أهل الحقيقة التخلق بأخلاق الصوفية والتوسل بأوصافهم الى الانتظام فى سلكهم والصوفية جمع الصوفى. قال القشيرى: وليس لهذا الاسم فى العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب. وقيل للشبلى لم سميت هذه الطائفة بهذا الاسم فقال لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ولولا ذلك لما تعلق بهم تسمية.

وقال بعضهم: التصوف مشتق من الصوف يقال تصوف الرجل إذا لبس الصوف كما يقال تقمص الرجل إذا لبس القميص والصوفى منسوب إلى الصوف. ولهذا القول وجه من حيث العربية إلا أن القوم لم يختصوا بهذا الاسم لابس الصوف. وقيل: سموا به لنسبتهم إلى صفة مسجد رسول الله وأخذهم طريقهم عن أهل الصفة. وقيل: اشتقاقه من الصفاء. وقيل: من الصف لأنهم من الصف الأول بقلوبهم مع الله فى المحاضرة. وهذه الأقوال الثلاثة قريبة من حيث المعنى بعيدة من حيث اللفظ، فإن النسبة إلى الصفة صفى وإلى الصفاء صفائى وإلى الصف صفى. وقد قيل لأهل الحقيقة فى تفسير التصوف اصطلاحات، فقيل: التصوف الخروج من كل خلق دنى والدخول فى كل خلق سنى. وقيل: مراقبة الأحوال ولزوم الأدب. وقيل: هو شغل كل وقت بما هو الأهم فيه.

وقال الجنيد: هو الكون مع الله بلا علاقة. وقال أيضا: هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به. وقال: هو عنوة لا صلح فيها. وقال: هو ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع.

وقال الشبلى: هو الجلوس مع الله بلا هم وقيل هو الخلق فمن زاد عليك من الخلق فقد زاد عليك فى التصوف. وقيل: هو الإناخة عند باب الحبيب وإن طردك. وقيل: هو كف فارغ وقلب طيب. وقيل: هو اسقاط الجاه وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة. وقيل: هو حال تضمحل معها معالم الإنسانية.

وقال الأستاذ أبو علي : أحسن ما قيل في ذلك قول بعضهم التصوف طريق لا يصلح إلا لقوم كنس الله بأنفسهم المزابل. وقيل : الصوفي من لا يملك شيئا ولا يملكه شيء. وقيل : هو من يرى دمه هدرا وملكه مباحا.

وقال الحصري : الصوفي من لا تقله الأرض ولا تظله السماء. قال القشيري : أشار إلى حال المحو. وقيل : علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة وعلامة الصوفي الكاذب ضد ذلك.

وقال الجنيد : الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح. وقال أيضا : الصوفي كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقي كل شيء. وقال أيضا : إذا رأيت الصوفي يعنى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب.

وقال الشبلي : الصوفي منقطع عن الخلق غير متصل بالحق كما قال الله لموسى عليه السلام ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ قطعه عن كل غير ثم قال ﴿ لن تراني ﴾. وقيل: الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء. وقيل : الصوفي يكون مع الواردات. وقيل : وصف الصوفي الشكر عند العدم والإيثار عند الوجود. وقيل : الصوفي وحداني الذات لا يقبل أحدا ولا يقبله أحد. وقيل : أصحب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم موقع. ومعناه أنهم اعتادوا فعل الحسن، فلم يبق عندهم غريبا ذا موقع لأنه صار لهم كالفعل الطبيعي الذي لا يحمد عليه الإنسان كالسمع والأبصار والفهم ونحو ذلك.

وقال في العوارف : الصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم، ولذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم. وإنما قدروا على هذا لزهدهم في الدنيا وتركهم لأربابها وطلاقها أبدا هذا إجمالهم.

وقال رويم : التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والإفتقار والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والإختيار. وقال الكرخي : التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق. وقال الشبلي : حقيقة الفقر أن لا تستغني بشيء دون الحق.

وقال الشاذلي : التصوف تدريب النفس على العبودية وردها إلى أحكام الربوبية. وقال : للصوفي أربع صفات : التخلق بأخلاق الله وحسن المجاورة لأوامر الله وترك الإنتصار حياء من الله وملازمة البساط بصدق الفناء مع الله.

وقال السيد الشريف : التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا فيسرى حكمها من الظاهر في الباطن وباطنا فيسرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال ونقل عن "رسالة منار الارادة" للشيخ محمد بن عبد الرحيم.

هذي أصول تصوف أركانه ۞ معدودة عشر كعقد نظام
تجريد توحيد وفهم سماعهم ۞ مع سرعة الوجد الصحيح النامي
كشف الخواطر منه إذ يبلو كذا ۞ ترك اختيار منه في الأحكام
تكثير أسفار لنيل معارف ۞ تحريم مدخر مدى الأيام
شيخ التصوف في التعرف فالها ۞ ثم الصلاة على النبي بسلام

(واعلم) أن حقيقة التصوف قطع الشهوات وترك الدنيا والمستحسنات والميل عن المألوفات، وهو مبني على ثمان خصال: السخاء والرضا والصبر والإشارة والغربة ولبس الصوف والسياحة والفقر. فالسخاء لابراهيم الخليل، والرضا لإسحق، والصبر لأيوب، والإشارة ليحيى، والغربة ليوسف، ولبس الصوف لموسى، والسياحة لعيسى، والفقر لمحمد ﷺ. وعلى جميع الأنبياء وآل كل أجمعين. وحده كما قال الغزالي: تجريد القلب لله واحتقار ما سواه وهو مأخوذ من الصفاء لتصفية القلوب كما قيل:

وليس يشهر بالصوفي غير فتى ۞ صافي فصوفي حتى سمي الصوفي

(وأول) شروط طريقة الصوفية تطهير القلوب بالكلية عما سوى رب البرية، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء في الله.

❖ بيان الإيمان ❖

(واعلم) أنه إذا قيل: ما الإيمان وما رأسه وما وسطه وما شجرته وما غصنه وما ثمرته وما عروقه وما أرضه وما ماؤه وما نهره؟ (فالجواب): الايمان هو التصديق، ورأسه الزهد والتقوى، ووسطه الطاعة واليقين، وشجرته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغصنه التوحيد، وثمرته الزكاة، وعروقه الصلاة والاخلاص، وأرضه المؤمنون، وماؤه كلام الله، ونهره العلم ❖ وإذا سئلت عن مراد الحق من الخلق (فالجواب) مراده منهم ما هم عليه أقام كلا منهم فيما أراد وله المراد فيما يريد فهم منه وإليه ❖ وإذا سئلت: هل الايمان قبل العقل أم العقل قبله (فالجواب) العقل لأنه حجة الله على خلقه، فبه يحصل الثواب والعقاب والرحمة والعذاب وبه التدبير لأنه ترجمان القلب والروح وزير ❖ وإذا سئلت: هل الإيمان مخلوق أم غير مخلوق (فالجواب) الإيمان إقرار وهداية. أما الاقرار فهو صنع العبد وهو مخلوق، وأما الهداية فهي صنع الرب وهو غير مخلوق ❖ وإذا سئلت عن الايمان: هل هو جمع أو تفريق (فالجواب) الايمان جمع عند الله وتفريق بين العباد وجمع في القلب وتفريق في الاعضاء.

(واعلم) أن الايمان والشريعة يدوران على عشرين وجها: خمسة منها محلها القلب وهي أن تعرف أن الله واحد لا ثاني له، وهو خالق الخلق ورازقهم وحافظهم وناصرهم ومحولهم من

حال إلى حال. وخمسة منها على اللسان، وهي أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن القدر خيره وشره من الله تعالى. وخمسة منها على الجوارح وهي الصوم والصلاة والحج والوضوء والاغتسال من النفاس والحيض والجنابة وما أشبه ذلك. وخمسة منها خارج الجوارح وهي الطاعة للامراء والسلاطين العادلين والأئمة والموذنين ومحبة الفقراء والمساكين * وإذا سئلت عن الإيمان والمعرفة والتوحيد والشريعة والدين والملة والناموس (فالجواب) الإيمان اقرار بوحدانية الله تعالى والمعرفة أن تعرف الله بلا كيف ولا كم ولا تشبيه والتوحيد إقرار من موحد لربه أنه واحد أول بلا بداية وآخر بلا نهاية. والشريعة الانقياد لربه بتنفيذ أوامره والاجتناب عن نواهيه والدين الدوام والثبات على هذه الأربعة إلى الممات ويطلق الدين على الاسلام والشريعة والشرع والملة الناموس.

(واعلم) أنك إذا سئلت عن شروط الايمان، كم هي؟ (فالجواب) عشرة الخوف من الله والرجاء في فضل الله والاشتياق إلى الله والتعظيم لمن عظم الله والتهاون بمن تهاون بالله والرضا بقضاء الله والحذر من مكر الله والشكر لنعمة الله والتوكل على الله والتسبيح بحمد الله.

وإذا سئلت عن الايمان على كم قسم (فالجواب) على خمسة أقسام: إيمان مطبوع لا يزيد ولا ينقص، وهو إيمان الملائكة. وإيمان معصوم، وهو إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يزيد بنزول الأحكام الشرعية عليهم، ولا ينقص. وإيمان مقبول، وهو إيمان المومنين تارة يزيد بالطاعة وتارة ينقص بالمعصية وعند الشافعية كان الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وإيمان موقوف، وهو إيمان المنافقين من أمة محمد فإذا ذهب النفاق من قلوبهم صح إيمانهم وإيمان مردود وهو إيمان الكفرة والنصارى وما أشبهه.

وإذا سئلت عن حقيقة الايمان هل هي مخلوقة أم لا (فالجواب) غير مخلوقة لأنها نور وهداية يقذفهما الله في قلب من يشاء من عباده * وإذا سئلت هل الحق تعالى موجود في الأذهان أم في الأعيان فالجواب الله موجود مع كل إنسان لقوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾. فمن قال في الأعيان فقد كفر لأنه لو كان في الأعيان لكان ينظر. ولو كان في الأذهان لكان متحيزًا ويلزم له المكان والله منزه عنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

* بيان الايمان والاسلام *

(وأما الايمان والاسلام) عند القوم فأن تشهد أوليتك بأوليته وآخريتك بآخريته وظاهريتك بظاهريته وباطنيتك بباطنيته. وقال الشاذلي خمس من لم يكن فيه شيء منهن فلا إيمان له التسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والتفويض إلى أمر الله، والتوكل على الله، والصبر عند الصدمة الأولى.

(وأما الاسلام) فتحقيق الشكر لله فيشكر الله والاسلام بالنفاق فيشكر الناس وإن كان لا خير فيه فان صاحبه مذموم فى الحال ومعذب فى المآل أو يتوب الله عليه قال الله تعالى : ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾. وهذا الاسلام الذي في ظاهره نفاق أقبح من سخط بقضاء الله وجزع فإن داء السخط والجزع يثبت معصية الله ونرجو التوبة منها وداء النفاق فى الإسلام يدعى صاحبه منافقا ويشهد له به وقلما يتوب منه والله يعلم ذلك منه.

(وأما العبودية) فهى الامتثال لأمر الله واجتناب نهى الله ورفض الشهوات والمشيآت على الشهود والعيان. وقال الشاذلى : إن أكرم الله عبدا فى حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه وجعله يتقلب فى عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جرى ما قدر له منها ولا يلتفت إليها وكان فى معزل مشغولا عنها. وإذا اهان الله عبدا فى حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه وستر عنه عبوديته فهو يتقلب فى شهواته وعبودية الله عنه بمعزل. وإن كان يجرى عليه شىء منها فى الظاهر وهذا فى باب الولاية والاهانة. وأما الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق عند صاحبها كلها سواء لانه بالله فيما يأخذ ويترك.

وقالوا : شروط صفة الايمان ستة ويقال الايمان الاجمالى آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى. وشرائط الايمان ستة أيضا : الايمان بالغيب، والاعتقاد بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، والرجاء فى رحمة الله، والخوف من عذاب الله، واعتقاد الحلال حلالا واعتقاد الحرام حراما.

(وأركان الايمان اثنان) الادلة العقلية والشواهد النقلية.

(وأساس الإســلام وعلامته خمسة) : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، والصلوات الخمس والصوم والحج والزكاة.

(ولوازم الايمان ثلاثة) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد فى سبيل الله. وحكم الايمان اثنان الاول أن يحفظ عرض المؤمن ودمه وماله وأهله والثانى أن يحفظ أسراره. ومن شرائط حقوق الإســلام : الشفقة على الناس وإزالة الفساد والفتنة عنهم، وقتل المشركين والمضلين والمتزندقين والملحدين والظلمة والخوارج وعونتهم، والترحم للمؤمنين والفــرح لفرحهم والحزن لحزنهم والنصح إليهم والاهتمام بمصالحهم والدعاء لهم والاستغفار عنهم والامداد والاعانة والنصرة اليهم وعدم الكيد والحيل والغش فيهم والاستقامة والمروءة والحلم معهم والصدق والصداقة والرفق فى أمورهم والصبر والعفو والتحمل لايذائهم واثقالهم ومؤنتهم واللطف والشوق والبشاشة والكرم وحب الايمان والعمل الصالح والكمال ودخول الجنة لكلهم.

◆ بيان الورع ◆

(وأما الورع) فهو والتقوى في اللغة واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة الورع هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع في المحرمات. وقيل: هو الوقوف مع ظاهر الشرع من غير تأويل. وقيل: هو ترك كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة.

وقال الشبلي: الورع ترك ما سوى الله وقد ندب النبي ﷺ إلى الورع، فقال: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات». فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك وفي رواية أخرى: «وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

وقال ﷺ: «ألا وإن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه». وقال: «الورع سيد العمل. وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى لن يتقرب المتقربون إلي بمثل الورع».

وقال بعض الاولياء: ملاك الدين الورع وآفته الطمع. وقال أبو بكر الصديق ﷺ: كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام. وقال الحسن البصري: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة. وقال أبو سليمان: الورع أول الزهد كما أن الرضا أول القناعة. وقال إسحاق بن خلف: التورع عن الكلام أشق من التورع عن الذهب والفضة والزهد في الرياسة أشق من الزهد في الذهب والفضة أيضا، لأنهما يبذلان في طلب الرياسة.

وقال بشر الحافي: أشق الاعمال ثلاثة الجود في القلة والورع في الخلوة وكلمة حق عند من يخاف ويرجى. وقيل: وقع من عبد الملك بن مروان فلس في حش فاكترى عليه بثلاثين دينارا حتى اخرجه فقيل له في ذلك فقال كان عليه اسم الله. وحمل إلى عمر بن عبد العزيز مسك من الغنائم فقبض على أنفه. وقال: إنما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين. وقيل: إن مالك بن دينار أقام بالبصرة أربعين سنة ولم يأكل من تمرها ولا من رطبها شيئا حتى مات. وكان إذا انقضى وقت الرطب قال: يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شيء ولا زاد في بطونكم. وقيل: إن ابن المبارك رجع من مرو إلى الشام ليرد قلما استعاره. وقيل استأجر النخعي دابة فسقط السوط من يده فنزل عن الدابة ورجع إلى السوط فأخذه ثم جاء فركب، فقيل له: لم لا رجعت إلى السوط راكبا؟ فقال: لأني استأجرت الدابة لأمضي بها لا لأرجع. وعن أبي حنيفة أنه كان لا يجلس في ظل شجرة وجدار وباب لغريمه ويقول: كل قرض جر منفعة فهو ربا.

(وحكى) أن أبا يزيد البسطامي اشترى بهمذان قرطما وسافر إلى بسطام فوجد فيه نملتين فرجع إلى همذان ووضع النملتين. ومر عيسى ابن مريم بمقبرة فأحيا الله له ميتا، فقال: من أنت؟ قال: أنا حمال كنت أحمل الناس فحملت لانسان حطبا فتخللت بعود منه، فأنا مطالب به مذ مت.

(وروى) أن رجلا كتب رقعة وهو في بيت بالكراء وخطر بباله أن يتربها من جدار البيت فوقع في قلبه أنه لا يجوز لأنه ملك الغير ثم وقع في قلبه أن ذلك لا خطر له ولا قيمة له فتربها فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه من الحساب.

(واعلم) أن المتورع تورعا كاملا هو الذي يتورع بقلبه ولسانه وسمعه وبصره وسائر أعضائه عن المباح المختص بكل عضو إلا في قدر الضرورة فحسب. وللمتورع درجات عظمى وسعادات كبرى وعنايات لا تحصى.

❖ بيان التقوى ❖

(وأما التقوى) فهي والتقى في اللغة بمعنى الاتقاء أي فرط الصيانة بما يقي الانسان أي يحفظه ويحول بينه وبين ما يخافه مثاله الترس ونحوه من الاجسام والصدق والصداقة من الأفعال. وقيل هي لغة مطاوعة يقال وقاه فاتقى، وشرعا هي الاحتناب عن مضرة الدنيا والآخرة فله عرض عريض يعني يقبل الزيادة والنقصان أدناه الاجتناب عن الشرك وأعلاه صيانة النفس عما يوجب العقوبة من فعل أو ترك. وعند أهل الحقيقة التنزه عما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه بشر لشره وهو التقى الحقيقي المراد بقوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾. وقيل: هو احتناب كل ما يبعد عن الله. وقيل: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته. وقيل: هو أن يجتنب العبد ما سوى الله.

وقال الواسطي: المتقي من اتقي تقواه أي من اتقى رؤية تقواه. وقيل: حقيقة التقوى من غير الانبياء الاحتراز عن الشرك الجلي والخفي والشرك الجلي والخفي أمران مختلفان باختلاف الاشخاص والشرك الجلي من العوام الكفر والشرك الخفي منهم التوحيد باللسان مع اشتغال القلب بغير الله وهذا هو الشرك الجلي من الخواص والشرك الخفي منهم إلتفاتهم إلى الدنيا وأسبابها وهذا هو الشرك الجلي من خواص الخواص وهم السابقون والمقربون والشرك الخفي منهم إلتفاتهم إلى الآخرة ونعيمها وتوسلهم بالطاعات لجلب ثواب أو دفع عقاب.

(وأما تقوى الأنبياء) فمنهم إليه ومنه إليهم تدبر فجزاء العوام على تقواهم قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ الآية وجزاء الخواص على تقواهم قوله تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات أعدت للمتقين﴾، وجزاء السابقين على تقواهم قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات

ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾. وأما جزاء الانبياء على تقواهم فمنه أيضا.

(واعلم) أن التقوى من أعظم أركان الدين وأجل مقامات السالكين وقد كرر الله تعالى في كتابه الكريم الوصية بالتقوى وكرر مدح المتقين أيضا. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وتزودوا فان خير الزاد التقوى ﴾، وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة ﴾ الآية.

وقال عليه الصلاة والسلام: « اتق الله حيثما كنت ». وقال: « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ». وقال رجل: أوصني يا رسول الله. فقال: « عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير ». وقال ابن عطاء: للتقوى ظاهر وباطن، فظاهرها حفظ حدود الشرع، وباطنها النية والاخلاص.

❖ بيان البلاء ❖

(وأما البلاء) فقال الله تعالى: ﴿ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾، وقال الله تعالى: ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيآت ﴾، وقال الله: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾.

(واعلم) أن البلاء على ثلاثة أقسام: أحدها البلاء على المخلصين وهو نقمة وعقوبة، والثاني البلاء على الاتقياء وهو تكفير للذنوب، والثالث البلاء على الصديقين والأنبياء وهو اختبار وامتحان. وقال بعضهم: البلاء محنة للغافلين ومنحة للعارفين.

وقال عليه السلام: « أشد الناس بلاء النبيون ثم الصالحون ». وقال: « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ».

وقيل في الأمراض والأوجاع أربعة فوائد: تطهير من الذنوب وتذكير بالآخرة ومنع عن المعاصي واخلاص في الدعاء.

وقال عليه السلام: « إن أهل العافية يودون يوم القيامة أن جلودهم قرضت بالمقاريض في الدنيا لما يشاهدون فيه من ثواب أهل البلاء ». وقال النبي عليه السلام: « إن الله يتعهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعهد الوالد ولده بالغذاء ».

(واعلم) أنك إذا سئلت عن حقيقة الادب مع الله فالجواب أربعة أشياء خوف وحياء ومعرفة وخشية ❖ وإذا سئلت عن الصوفي فالجواب الصوفي من صفت سريرته ونارت بصيرته وعلت همته وفاضت حكمته وارتفعت رتبته وتعلم العلم والطلب من الله والرضا بنعمة الله وسار في الطريق وراعى الرفيق وهدى بالتحقيق وفعل الخيرات وترك المنكرات واشتغل

بإقالة العثرات وتكفير السيآت وملازمة الاوقات واجابة الدعوات وقضاء الحاجات.

❖ وإذا سئلت عن شروط الفقير (فالجواب) شروطه مأخوذة من حروفه فالفاء فراقه لجميع المالوفات والقاف قيامه بما افترض عليه رب الارض والسموات والياء يكون متوكلا فى كل اموره عليه والراء رجوعه إليه ❖ وإذا سئلت بكم شرط يعرف العاقل (فالجواب) بثلاثة شروط بملكه لنفسه عند الغيظ وبملكه لنفسه عند الشهوة وبتركه ما لا يعنيه ❖ وإذا سئلت عن شروط المجذوب (فالجواب) شروطه أربعة أشياء من جذبه الله تعالى من الضلالة إلى النور وأنقذه من الغفلة إلى اليقظة وأطلعه من مقام المجاهدة إلى مقام المشاهدة وغمسه فى بحر نور فيضه.

❖ بيان السماع ❖

(وأما حقيقة السماع) ففى اللغة مصدر قولك سمع يسمع، وفى الاصطلاح هو معروف مشهور واختلفوا فمنهم من قال بإباحة الاشعار بالالحان وهو مالك بن أنس وابن جريج وأهل الحجاز كلهم.

(وأما سماع الإشعار) بغير لحن فجائز اجماعا وكذلك حادى العيس بالنغم وسماعه وتفصيل ذلك وذكر الادلة فيه من الطرفين موضعه الكتب المطولة من الفقه والحقائق وكتب الفقه أحق بذلك لان علم الحقيقة والطريقة لم يبن على المجادلة والقيل والقال بل على ترك ذلك كله ولنصدر الباب بشىء من القرآن والحديث على طريق التبرك، قال الله تعالى : ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾. والقول محلى باللام، فيكون ظاهره العموم فيتناول أقوال القوالين ومدحهم باتباع أحسنه فيدل ذلك على ندبه أو إباحته يبقى أن الحسن والقبح من الامور الاضافية، فقد يكون الشىء حسنا إلى شخص دون شخص وقبيحا إلى شخص دون شخص ومستند النسبة الاغراض فإذن السماع يختلف باختلاف حال المستمع فان كان بعيدا عن الاعراض البشرية والمقاصد البهيمية فهو لا يسمع إلا بالحق من الحق قال الله تعالى فهم أى الخواص فى روضة يحبرون أى يستمعون. وجاء فى التفسير أن السماع بالحور العين. وقيل فى قوله تعالى ﴿ يزيد فى الخلق ما يشاء ﴾ : إنه الصوت.

وقال عليه السلام : « حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا ».

وقال : « لكل شىء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن ».

وقيل : إن داود عليه السلام كان يتسمع لحسن قراءته الانس والجن والوحش والطير إذا قرأ الزبور وكان يحمل من مجلسه فى بعض الأوقات أربعمائة جنازة ممن قد مات فى مجلسه من لذة سماع صوته وطيب قراءته. وروى القشيرى أنه كان يحمل كل يوم من مجلسه هذا القدار. وأنشد فى هذا المعنى :

إن كنت تنكر أن لل‍ ◎ ألحان فائدة ونفعا

فانظر إلى الإبل اللوا ◎ تى هن أغلظ منك طبعا

يصغين للحادي فتقـ ◎ طع في الفلا بيدا وقفرا

يحلو لها نغم الحدا ◎ ء فتقطع البيداء قطعا

وقال أبو بكر محمد بن داود الرقي: كنت بالبادية فوافيت قبيلة من العرب فأضافني رجل فرأيت على باب خبائه غلاما أسود مقيدا وجمالا ميتة، فقال لي الغلام: أنت ضيف كريم على مولاي، فعساك تشفع لي عنده، فإنه لا يردك. فقلت لمولاه: لا آكل طعامك حتى تشفعني في هذا العبد. فقال: إنه قد أفقرني وأتلف مالي. فقلت: كيف أفقرك؟ فقال: له صوت طيب وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم. فلما حط عنها الأحمال ماتت كلها من التعب ولكن قد شفعتك فيه وحل قيده فأحببت أن أسمع صوته، فسألته ذلك فأمر الغلام أن يحدو لجمل على بئر هنالك يستقي عليه فحدا له فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ووقعت على وجهي حتى أشار عليه بالسكوت، فما أظن أني سمعت صوتا أطيب منه. وقيل: إذا تغنت الحور في الجنة تورّدت الأشجار.

وقال الجنيد: سبب اضطراب الإنسان عند السماع أن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله ألست بربكم تشربت الأرواح عذوبة سماع ذلك الكلام وتعلقت كليتها بسماعه فاذا جاء السماع هيجها ذكر ذلك. وقال سهل بن عبد الله: السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو. وقال الجنيد: السماع فتنة لمن طلبه لا لمن صادفه. وسئل الشبلي عن السماع، فقال: ظاهره فتنة وباطنه عبرة.

قال الجنيد: إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة. وسئل أبو علي الروذباري عنه، فقال: ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس. وسئل أبو سليمان الداراني عنه، فقال: كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف يداوى كما يداوى به الصبي إذا أريد أن ينام ثم قال والصوت الحسن لايدخل في القلب شيئا انما يحرك ما كان ساكنا فيه.

وقال القشيري: سألت الأستاذ أبا علي غير مرة في طلب رخصة في السماع، فكان يجيبني بما يمنع عنه، ثم بعد طول المعاودة قال لي: إن المشايخ قالوا: ما جمع قلبا إلى الله تعالى فلا بأس به. وقيل: رأى رجل النبي عليه السلام في المنام، فقال: ما رأيت شيئا أدخل به عليكم إلا السماع.

وقال الأستاذ أبو علي: السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم. ويروى عن أبي بكر الأنماطي: وسئل ذو النون عن الصوت الحسن، فقال: مخاطبات وإشارات أودعها الله كل طيب وطيبة. وسئل مرة أخرى عن السماع، فقال: وارد حق يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق،

ومن أصغى إليه بنفس تزندق. وقيل : لا يصلح السماع إلا لمن له نفس ميتة وقلب حي
وقال أبو عثمان المغربي : من ادعى السماع و لم يسمع صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مدع كذاب.

وقال الحصري : ما أصنع بسماع ينقطع بسكوت المسمع، بل السماع الحقيقي ما لا ينقطع. وقال أيضا : ينبغي أن يكون صاحب السماع دائم الشرب دائم الظمأ كلما شرب زاد عطشه. وقال أبو سهل : المستمع بين الإستتار والتجلي، فالإستتار يوجب الإحتراق، والتجلي يوجب الترويح، والأول يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف، والثاني يتولد منه سكون الواصلين وهو محل الإستقامة والتمكين، وذلك صفة الحضرة، فإنه ليس فيها إلا الذبول تحت موارد الهيبة.

❖ بيان حقيقة النفس والروح ❖

(وأما حقيقة النفس والروح) ففي اللغة بمعنى واحد والنفس أيضا بمعنى الجسد، والقلب في اللغة هو المضغة المعروفة وقد يعبر به عن العقل، وبه فسر القراء قوله تعالى : ﴿ لمن كان له قلب ﴾.

وقال ابن فارس : خالص كل شيء وأشرفه قلبه، وفي اصطلاح الحكماء أيضا، لا فرق بين النفس والروح كما قال أهل اللغة وعند الاطباء النفس قوة كلية مدبرة للبدن، متصرفة في أنواع قواه الجزئية، والروح عندهم بخار الدم ولطيفة، وعند أهل الحقيقة النفس والروح والقلب بمعنى واحد، وهي الإرادة المتعلقة بالمضغة المعروفة، وذلك المعنى هو المراد من قوله عليه السلام : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب ». وعند بعض أهل التحقيق من أهل السنة : الروح هي الحياة، وعند بعضهم هي عين لطيفة مودعة في هذه القوالب تلازمها الحياة عادة، ولها ترق كمفارقة البدن في حالة النوم ثم رجوعها إليه في اليقظة، والإنسان هو مجموع النفس والروح والجسد. وقد سخر الله هذه الجملة بعضها لبعض، والحشر يكون للجملة، وكذا الثواب والعقاب، والأرواح مخلوقة، ومن قال بقدمها فهو مخطئ خطأ عظيما.

وقال بعضهم : النفس في اصطلاح أهل الحقيقة ما كان معلوما ومذموما من أوصاف العبد وأقواله وأفعاله، ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في قالب البدن، وهي محل للأخلاق الذميمة، كما أن الروح لطيفة مودعة فيه، وهي محل للأخلاق الحميدة، ومثال النفس والروح من الأجسام اللطيفة الملائكة والشيطان، فالروح أشرف من النفس.

والنفس على ثلاثة أقسام : النفس الأمارة، وهي محل الأخلاق الذميمة، كالشهوة والغضب

والكبر والحسد كما سبق التفصيل، والنفس اللوامة وستأتي، والنفس المطمئنة، وهو نور من أنوار القدس فائض على حرم القلب، والنفس اللوامة هي المطمئنة إذا دنست بأوساخ المعاصي، تلوم صاحبها على ما فعل. والنفس بمعنى الجسد وهو العالم الأصغر، وهو مثال وأنموذج للعالم الأكبر، وفيه من العجائب ما لا يدركه إلا الراسخون في العلم. وإلى ذلك وقعت الإشارة الإلهية بقوله تعالى ما أثنى على نفسه بخلق شيء من الموجودات كثنائه على نفسه بخلق الإنسان بقوله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين .. إلى قوله .. فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾.

وقال بعض أهل الحقيقة : القلب نور له شعبتان، شعبة ممتدة إلى عالم الملكوت وله بها نسبة إلى الملائكة وبها يصلح معاده، وشعبة ممتدة إلى عالم الكون والفساد وله بها نسبة إلى أهل الأرض وبها يصلح معاشه، فمتى أدركته جواذب العناية الأزلية إلى لقاء الحق بذوق حلاوة اللذات القدسية غلبت الشعبة الأولى على الثانية غلبة يحصل بها الفناء عن عالم الحس والبقاء في عالم القدس فيصير كاشفا مشاهدًا لما في العالم العلوي من العجائب والغرائب. وتلك فضيلة يختص الله تعالى بها من يشاء.

(واعلم) أن النفس التي هي عندهم ما كان معلوماً ومذموماً من أوصاف العبد وأخلاقه كالكبر والعجب والحسد والحقد والبخل وقلة الاحتمال ونحوها قابلة للزوال بالمجاهدة وتعويدها خلاف ذلك وأشد أحكام النفس وأصعبها توهمها أن لها استحقاق قدر وتعظيم وتبجيل. ولهذا عد هذا من الشرك الخفي. ومعالجة الأخلاق بترك النفس وكسرها أتم من مقاساة الجوع والعطش وغيرهما من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة، وإن كان ذلك أيضا من جملة ما تكسر به النفس وقد سبق تسطير ذلك فيما سبق.

◆ بيان السر ◆

(وأما السر) فهو عندهم لطيفة مودعة في القلب كالروح، وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة. وقالوا : السر مالك أشراف عليه، وسر السر ما لا يطلع عليه إلا الله. والسر عندهم ألطف من الروح. ويقولون : الأسرار معتقة عن رق الأغيار من الآثار والإطلال. ويطلق لفظ السر على ما يكون مصونا بين العبد وربه من الأحوال. يقال : صدور الأحرار قبور الأسرار.

◆ بيان التفكر ◆

(واعلم) أن التفكر هو أعظم العبادات والاعتبارات. قال الله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾. وقال : ﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ﴾. وقال النبي ﷺ «تفكر

ساعة خير من عبادة سنة». وقال: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله». وقال: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره».

والفكر على خمسة أقسام: فكر في آيات الله تتولد منه المعرفة، وفكر في نعم الله ومنته تتولد منه المحبة، وفكر في وعد الله وثوابه تتولد منه الرغبة، وفكر في وعيد الله وعقابه تتولد منه الرهبة، وفكر في تفريط الإنسان في جنب الله يتولد منه الحياء والندامة.

(واعلم) أن التفكر قائد الإنسان إلى الخير. ودليله إذا كان تفكرا صحيحا مقصوداً به الفرار من الخلق إلى الحق والتفتيش على أقرب طرق الوصول إلى الله.

❖ بيان الشوق ❖

(وأما الشوق) ففي اللغة احتياج القلب إلى لقاء المحبوب، وكذلك هو في اصطلاح أهل الحقيقة، حتى قال بعضهم: هو احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأكباد. وقيل: علامته قطع الجوارح عن الشهوات. وقيل: علامته حب الموت مع كون الإنسان في العافية والراحة، كما صنع يوسف عليه السلام فإنه لما ألقي في الجب لم يقل توفني، ولما أدخل السجن لم يقل توفني، ولما دخل عليه أبواه وخر إخوته له سجدا وتم له الملك قال "توفني مسلما". وقيل لبعضهم: هل تشتاق؟ قال: لا لأن الشوق إنما يكون إلى غائب وهو حاضر. وقيل: شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين. ولهذا قيل:

وأبرح ما يكون الشوق يوما ◎ إذا دنت الخيام من الخيام.

وقال السرى: الشوق أجل مقام للعارف. وقيل: الشوق أعلى الدرجات في أعلى المقامات، فإذا بلغه الإنسان استبطأ الموت شوقا إلى لقاء ربه والنظر إليه. والشوق ثمرة المحبة، فبقدر المحبة يكون الشوق. يؤيد ذلك ما روي أن رجلا سأل ابن عطاء: هل الشوق أعلى أم المحبة؟ فقال: المحبة لأن الشوق يتولد منها.

(واعلم) أنه لا فرق في اللغة بين الشوق والإشتياق. وفرق بينهما أهل الحقيقة، فقال أبو على الدقاق الشوق يسكن باللقاء، والإشتياق يزيد به.

وقال النصر اباذي: للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق وهو أعلى.

وقال أبو على في قول موسى عليه السلام: وعجلت إليك رب لترضى، أراد شوقا إليك فستره بلفظ الرضا. وقيل: مكتوب في التوراة شوقناكم فلم تشتاقوا وخوفناكم فلم تخافوا، أي أعطيناكم الشوق فلم تكونوا مشتاقين وأعطيناكم الخوف فلم تكونوا خائفين.

وقال مالك ابن دينار: رأيت في التوراة شوقناكم فلم تشتاقوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا.

وفي الخبر: اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: على وعمار وسلمان الفارسي. وعن زيد بن ثابت أن

النبي عليه السلام علمه هذا الدعاء وأمره أن يتعهده كل صباح: «اللهم إني أسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة». فقوله عليه السلام "في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة" كضراء يوسف عليه السلام في السجن، وكضراء أيوب عليه السلام ونحوهما. والفتنة المضلة هي فتنة زليخا على يوسف.

وقال أبو علي في قوله عليه السلام: "وأسألك الشوق إلى لقائك كان الشوق مائة جزء تسعة وتسعون له عليه السلام، وجزء لباقي الأمة مقسوم عليهم بحسب مراتبهم، ففر عليه السلام من الشركاء في الشوق وطلب الكل له.

(واعلم) أن القلب هو النور الأزلي الذي أنزله الملك الرحمن لينظر به إلى الإنسان وعبر عنه في القرآن بروح الله المنفوخ في روع آدم فقال ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ ويسمى هذا النور القلب فهو لبابة المخلوقات وزبد الموجودات سمي بهذا الاسم لأن قلب الشيء خلاصته وزبدته، ولذا ورد في الخبر: «في جسد ابن آدم مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

(واعلم) أن القلب دائم التقلب من الشر إلى الخير وبالعكس، وأن القلب ليس له قفا مخصوص بل كله وجه بمعنى أنه من جميع جهاته وجه فبعضه مقابل لعالم الغيب وبعضه مقابل لعالم الشهادة. قال الشيخ الأكبر: اعلم أن القلب ما له قفا ينص عليه بل كله وجه لكن موضع الهم منه يسمى وجها وموضع الفراغ يسمى فراغا.

(واعلم) أن الهم لا يكون له من القلب جهة مخصوصة بل قد يكون تارة إلى فوق وتارة إلى تحت وعن اليمين وعن الشمال على قدر صاحب ذلك القلب فإن في الناس من يكون همه أبدا إلى فوق أي لتلقي التجليات والواردات كالعارفين. ومنهم من يكون همه إلى تحت أبدا كأهل الدنيا فيكون همهم جمعها وحلبها. ومنهم من يكون همه أبدا إلى الشمال وهو موضع النفس فإن محلها في الضلع الأيسر وأكثر البطالين لا يكون لهم هم إلا أنفسهم.

(وأما) المحققون فما لهم هم فليس في قلوبهم موضع يسمى قفا بل يقابلون بالكلية الأسماء والصفات فلا يختص وقتهم باسم ولا بغيره، لأنهم ذاتيون فهم مع الحق بالذات لا بالأسماء والصفات. (وأما) من كان قلبه مع التغيرات بتجلي الأسماء والصفات فيكون حاله مع ذلك الاسم فإذا تجلى عليه الحق باسمه الباسط فيكون مبسوطا أو باسمه القابض فيكون مقبوضا، وهكذا بقية الأسماء والصفات.

❖ بيان الروح ❖

(وأما الروح) فهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل

من عالم الامر تعجز العقول عن إدراك كنهه وتلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبعة في البدن.

(وأما الروح الحيواني) فهو جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن.

(وأما الروح الاعظم) فهو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها، ولذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم ولا يروم وصلها رائم ثم لا يعلم كنهها إلا الله تعالى ولا ينال هذه البغية سواه، وهو العقل الأول والحقيقة المحمدية والنفس الواحدة والحقيقة الأسمائية، وهو أول موجود خلقه الله تعالى على صورته أي على صفته وهو الخليفة الأكبر وهو الجوهر النوراني جوهريته مظهر الذات ونورانيته مظهر علمها ويسمى باعتبار الجوهرية نفسا واحدة وباعتبار النورانية عقلا أولا وكما أن له في العالم الكبير مظاهر وأسماء من العقل الأول والقلم الأعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ وغير ذلك. فكذلك له في العالم الصغير الانساني مظاهر وأسماء بحسب ظهوراته ومراتبه في اصطلاح أهل الله وغيرهم، وهي السر والخفاء والروح والقلب والكلمة والروع والفؤاد والصدر والعقل والنفس.

❖ بيان السر ❖

(وأما السر) فهو لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة. وأما بقية الأقسام الموعود بها فيما سبق وهو أن نؤلف مقام كل مائة منها في قسم من الأقسام العشرة فنقول :

(اعلم) أن البدايات هي القسم الاول من الاقسام العشرة ذات المنازل المائــة التي ينزلها السائرون الى الله عز وجل كما عرفت مما تقدم وتسمى منازل هذا القسم بالبدايات لأنها بداية الاخذ بالسير بتقويم قوى النفس وتعديل آلاتها الظاهرة.

(وأما اليقظة) فهي أصل في هذا القسم مستصحب في سائر الاقسام تتفرع منها فروعها وتتشعب شعبها ودرجاتها فاليقظة في هذا القسم هي التنبه عن سنة الغفلة والقومة لله تعالى وفي قسم الأبواب التيقظ في التحرز من دواعي الشيطان والتحفظ عن التخيلات الموجبة للخذلان، وفي المعاملات التيقظ في الحذر عن رعونات النفس كالاعجاب بأعمالها ومداخلة الرياء والنفاق في أفعــالها وتسويل النفس لصاحبها رؤية العمل وتزيينها واستحقاق الأجر والثواب بسببه، وفي الأخلاق التيقظ في التفصي عن رؤية فضيلته واستحقاره لركاكة حاله حتى تصير فضائله بذلك رذائل وفي الاصول أن يحيا بالحياة القلبية الذاتية المنافية للنوم والموت الموجبة لدوام المراقبة والحضور مع الله والسعي في القوت بدلا عن السلو والانجذاب إلى مقام

القرب والدنو وفى الولايات الاحتظاء بالنفحات والانفاس الرحمانية ليحيا بالحياة الالهية الحقانية والتحرز عن اشتباه الاحكام الوجوبية بالامكانية.

(ثم التوبة) وأصلها فى البدايات الرجوع عن المعاصى بتركها والاعراض عنها. وفى الأبواب ترك الفضول القولية والفعلية المباحة وتجريد النفس عن هيآت الميل اليها وبقايا النزوع إلى الشهوات الشاغلة عن التوجه إلى الحق وفى المعاملات الاعراض عن رؤية فعل الغير والاحتناب عن الدواعى وأحوال النفس برؤية أفعال الحق وفى الأخلاق التوبة عن الرذائل النفسانية وعن إرادته وجولته وقوته وفى الأصول الرجوع عن الإلتفات إلى الغير والفتور فى العزم وفى الأدوية الانخلاع عن علمه بمحو علمه فى علم الحق والتوبة عن شهود صفاته فى حضوره مع الحق وفى الأحوال السلو عن المحبوب والفراغ إلى ما سواه ولو إلى نفسه وفى الولايات عن التذكر بالتلوين والحرمان عن نور الكشف وفى الحقائق عن مشاهدة الغير وبقاء الانية وفى النهايات على ظهور البقية.

(ثم المحاسبة) وهى فى البدايات الموازنة بين الحسنات والسيآت، وفى الأبواب المقايسة بين الخير والشر وخواطرهما والانقياد للأولى وقمع الثانية، وفى المعاملات بين أوقات الحضور والرعاية وبين أوقات الذهول والغفلات، وفى الأخلاق بين الفضائل والرذائل والملكات الفاضلة والرديئة، وفى الأصول بين أوقات العزيمة والفترة وجمعية الهمم فى السلوك والتفرقة وأحايين الأنس بالحق والوحشة بالإكتفاء مع الخلق، وفى الأدوية الموازنة بين أوقات الأمن القريب من العيان فى مقام الاحسان وسكون الباطل بالتنور بنور الحقيقة، وفى الأحوال بين أزمنة حفوف البوارق وحنوها وأوقات استعداد الشوق والوجد وضعفها وحصول الذوق وعدمه إلى أن تستمر، وفى الولايات بين صفاء الوقت وكدورته وترويح النفس وتبويح الكرب أن تمكن، وفى الحقائق بين وارد البسط والقبض وأوقات التجلى والاستتار وغلبات السكر والصحو إلى أن يستقر، وفى النهايات بين حالات الفناء وظهور التلوين عند أوائل الود إلى البقاء والجمع والفرق والتحقق والتفرد إلى أن يتحقق بمحض التوحيد فى مقام أحدية الجمع والفرق.

(ثم الإنابة) وأصلها فى البدايات الرجوع إلى الحق بالوفاء بعد التوبة، وفى الأبواب تعديل القوى لتتحد فى الأوبة وتتفق فى الامتثال لأمر الله تعالى بلا تنازع وتخالف، وفى المعاملات توجه النفس إلى جناب القلب لتتنور بنوره وتسكن إليه بمحض حضوره، وفى الأخلاق التثبت فى مطاوعة القلب ومشايعته عند الترقى إلى جناب الرب والطمأنينة فى ذلك بالرضا المورث، وفى الأصول طيران القلب فى الترقى لصحة العزم وقوة الارادة وتنسم روح الانس واستشراق نور المودة، وفى الأدوية الانخراط فى سلك التوحيد بهداية الحكمة وتحديق البصيرة لاستشراق لمعان

أنوار التجلى بقوة الهمة، وفى الأحوال الانجذاب إلى الجناب الإلهى بقوة البصيرة والولوع بنور الجمال لشدة الشوق، وفى الولايات الاستغراق فى سبحات الجمال والانقطاع عن الأغيار لهتك استار الجلال، وفى الحقائق اللياذ بنور أحدية الذات من استيلاء سلطنة أنوار كثرة الصفات، وفى النهايات الاضمحلال فى عين جمع الوجود والخلاص عن رسم التعين بمحض الشهود.

(ثم التفكر) وهو فى البدايات تلمس البصيرة للادراكات الغيبية، وفى الأبواب التحدى وهو تلقى المطلوب مع الدليل من الغيب من غير رؤية، وفى المعاملات استخراج كيفية تخليص الأعمال من الآفات واستنباط تهذيبها بالعلم للحكم بالرواتب مقرونة بما يجعلها أفضل القربات من صفاء الطويات وصدق النيات، وفى الأخلاق تصفح سوابق النعماء ولواحق الآلاء الواصلة على الولاء من حضرة واسع العطاء ولو فى صورة النقمة والبلاء ليتمسك فى شكرها بالعجز والحياء ويصبر على الشدة والبلاء بل يرضى بعقاب النفس بالقضاء، وفى الأصول الإستعلام عن دقائق آداب الطريقة وتطبيقها على قواعد أحكام الشريعة وإلحاق الرخص بالفترة لاختيار صدق العزيمة، وفى الأدوية تنقيح العلوم والحكم عن شوائب الوهم والخيال بنور البصيرة وتمييز الفراسة عن الكهانة بنور السكينة، وفى الأحوال تطلب وجود محاسن شمائل المحبوب والتطلع بأنوار الصفات على أنها من مواهب المحبوب، وفى الولايات التنقل من التلون إلى التمكن والتأدى من اللحظ إلى الفرق، وفى الحقائق التوصل إلى المشاهدة والمعاينة والاتصال بالانفصال عن الكونين، وفى النهايات الانتقال من المعرفة إلى التحقق ومن البقاء إلى التلبس.

(ثم التذكر) وهو فى البدايات الاتعاظ بالمواعظ واستبصار العبر، وفى الأبواب استحضار ما قد فاته من الطاعات فى الدنيا واستقراب ما هو آت من أحوال العقبى، وفى المعاملات استذكار مبادئ خلقته ليستحقر نفسه لقوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾ وقوله ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ وأمثالهما وليستقبل أن أصله العدم فيبنى على ذلك المعاملة من الحرمة والتفويض والرعاية والتسليم، وفى الأخلاق ادكار أن الإمكان معدن الشر والوجوب مصدر الخير فيجب تبديل الرذائل بالفضائل والتخلق بالأخلاق الحميدة والشكر على النعم الجميلة، وفى الأصول تذكر العهد الأول وأن خاصته فطرة النور والوصل وخاصيته نشأة الظلمة والفصل فيقصد النور ويأنس به ويذكر المحبوب ويتوجه إليه وفاء بعهده، وفى الأدوية تذكر العلم والحكمة المودعين فيه فإن الحكمة ضالة المؤمن ويعاين أصول العهد فى الأزل فيتطلع إليه حبا للوطن، وفى الأحوال توهم أنوار الصفات ومحاسنها القديمة وتعرف سبحات جمال الذات الأزلية بعد النسيان فيعود إلى الحب الأول والهيمان وفى

الولايات تذكر وقت ذكر الحق إياه وصفاته والرجوع إلى ما كان عليه حالة غيبه من لقائه، وفي الحقائق شهود ما شاهده في الأزل وعيان ما عاينه في الوقت الاول، وفي النهايات الرجوع إلى ما كان عليه من الفناء حين كان الله ولم يكن معه شيء وبقاء الحق في الأبد على ما كان عليه في الأزل كما قيل والآن كما كان وهو أحدية الفرق والجمع. ولهذا قيل: الفاني فانٍ في الأزل والباقي باقٍ فيما لم يزل.

(ثم الاعتصام) وهو في البداية التمسك بحبل الله وهو الطاعة على وفق الكتاب والسنة، وفي الأبواب الإعتصام بتوفيقه وعونه في سياسة قوى النفس ودفع مكايد الشيطان، وفي المعاملات بقدرته وقوته، وفي الأخلاق بخلقه تعالى إياه وجذبه بمحبته اللازمة لوحدته، وفي الولايات بنور تجليه الأسمائي، وفي الحقائق بتجليه الذاتي، وفي النهايات بألوهيته بعد الفناء التام في هويته حتى يفعل ما يفعل باقيا ببقائه.

(ثم الفرار) وهو في البدايات عما يشغله عن طاعته ويبعده عن معصيته، وفي الأبواب عن دواعي القوى واستيلاء الهوى والميل إلى الدنيا ومقتضيات الطبيعة الجاذبة إلى الجهة السفلى، وفي المعاملات عن أغراض النفس المفسدة للأعمال لطلب الاعواض بها في الدارين وعن إهمال شرائط الرعاية والحرمة وكل ما يشغله عن الحق في الدين، وفي الأخلاق عن كل ما يزري بالمروءة ويشين المرء في طريق الفتوة، وفي الأصول عن كل ما يفتر العزم في السلوك ويسمى أدب الطريق عند أهل الحضور، وفي الأدوية عما ينافي علو الهمة ويقلب القلب عن سمة الوجهة ولو كان اشتغالا بالعلم والحكمة وفي الأحوال عن رؤية الكسب والعمل والتمسك بالوصل وعن كل ما يطرق السلو وينقص من الهمة العلو، وفي الولايات عن البقايا ولو كانت صفايا، وفي الحقائق عن كثرة تجليات الاسماء وشهودها وبقية رسم الانية بجحودها، وفي النهايات عن أحكام الاثنينية واعتبارها حتى رؤية الفرار وآثارها.

(ثم الرياضات) وهي في البدايات ترك الحظوظ والاقتصار على الحقوق مع تمرين الجوارح على موافقة حكم الشرع ومخالفة مقتضى الطبع، وفي الأبواب قهر القوى ورفض الدنيا وما فيها ودفع دواعي النفس ورد فتاويها ونفي مضمراتها وخوافيها، وفي المعاملات ربط القلب بالحق وقطع النظر عن الخلق، وفي الأخلاق الانسلاخ عن الطبائع والعادات المذمومة والرذائل والتخلق بالأخـــلاق والفضائل، وفي الأصول جعل الهموم هما واحدا وهو طلب المقصود والتأدب بين يدي المحبوب وجعل ما سواه من المعـــدوم المفقود، وفي الأدوية تعليق الهمة بالحق وحده وتصفية البصيرة عن كل ما أبعده وتفريغ الباطن عما سوى العلم اللدني والسكون إلى النور الحقيقي وفي الأحوال الإنجذاب إلى ما يجذب إليه بقوة الشوق والانخلاع عن قيود

أحكام العلم بحكم الحق، وفى الولايات نفى التلوينات عن ظهور بقايا صفات النفس والقلب وأحكام العقل بالغيبة عن رؤية الإغيار وأوصاف الممكنات ورسوم المحدثات وأحكام الفصل، وفى الحقائق رفع حجاب العلم عن مزاحمة العيان وأحكام الاتصال والانفصال والأكوان، وفى النهايات تصفية المعرفة عن العلم وتصفية شهود الحق بالحق عن رسم شهودك وعن شهود الغير حال البقاء بعد الفناء عند ظهور الكثرة فى الوحدة حتى لا يناسب الحدوث القدم ولا يعارض الفرق الجمع.

(ثم السماع) وهو فى البدايات سماع الوعد والوعيد من واعظ ذكى بصوت رخيم حتى يقع موقع القبول، وفى الأبواب سماع لمة الملك وإجابة داعى الحق بعد تمييزها عن لمة الشيطان وهواجس النفس، وفى المعاملات سماع أخبار الكتاب والسنة وتطبيق المعاملة عليها وتبادرها على توحيد الوجهة، وفى الأخلاق إجابة داعى الحق إلى التخلق بأخلاقه والرضا بأحكامه، وفى الاصول سماع القلب خطاب الرب بقوله ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ وتقريبه بقوله «من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتانى مشيا أتيته هرولة»، وفى الأدوية تلقى الحكم وقبول الإلهام، وفى الأحوال قبول ملاطفات الحق فى تحببه إلى العبد وسماع خطاب اتباع الحبيب فى قوله ﴿ فاتبعونى يحببكم الله ﴾، وفى الولايات سماع ﴿ إننى أنا الله ﴾ من سره ثم من كل شىء، وفى الحقائق سماع الاستجابة عند سماع قوله تعالى ﴿ فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانى فليستجيبوا لى ﴾ بسمع الحق وسماع قوله تعالى ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ بسمعه حين كان الحق سمعه، وفى النهايات سماع العبد تلبيس. فهذه مقدمات أصولها فى البدايات مشتركة فى كونها رفع الكثافات الطبيعية عن وجود القوى وقمع دواعى الهوى حتى تنفعل القوى من نور القلب فيقبل إلى الحق فتنفتح للسالك أبواب الغيب ويتطرق بها إلى حضرة الرب. ولهذا سمى القسم الثانى قسم الأبواب وهى مشتركة فى كونها إنفعالات عن النور القدسى وتنورات للردع النفسى تصير النفس بها لوامة بعد أن كانت أمارة بالسوء.

(وأول هذه الأبواب هو الحزن) وصورته فى البدايات الإحساس عند اليقظة بتألم الباطن الحاصل من الوقوع فى ورطة الغفلة التى قبلها بمنافيات الفطرة من كدورات غواشى النشأة فكأنه قد أصابه الحزن من نوم الغفلة فلم يحس بالألم فأحس به عند زوال الخدر حالة اليقظة. وهو فى الأبواب الحزن على التقصير فى الطاعات والتورط فى الجفاء وضياع الايام، وفى المعاملات الحزن على تفرقة الخاطر وتعلق القلب بالغير والسوى، وفى الأخلاق توجع الباطن على فقدان الملكات الفاضلة والفضائل الحميدة، وفى الأصول الحزن على فتور العزم وسد

أدب الحضرة بالمعارضات دون الخواطر والاعتراض على الأحكام ونسيان حق الرب بمعارضة القصد، وفى الأدوية الحزن على الجهل والاشتغال عن شهود الحق وذهاب الهمة، وفى الأحوال الحزن على السلو عن المحبوب وعلى فقدان الوجد ولوعة الشوق، وفى الولايات ينقلب الحزن سرورا فان لم يبتلع السر سرورا يحصل الحزن على فقدان السرور وكدورات الباطن. وعلى فقدان التمكن عند حلوث التلون، وفى الحقائق الحزن عند الاحتجاب بالصفات عن شهود الذات على فوات صورة الجمع، وفى النهايات لا يوجد الحزن إلا عند أوائل الفرق بعد الجمع قبل التمكن بأحدية الفرق والجمع كقوله تعالى ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾.

(وثانيها الخوف) وهو فى البدايات خوف الموت قبل التوبة. وأصله فى الأبواب خوف العقوبة بتصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العـافية. ودرجته فى المعاملات خوف المكر بالصدود والاعراض وزوال لذة الحضور والمراقـبة، وفى الأخلاق خوف النقص وفقدان الكمال، وفى الأصول خوف المكر بالصدود والنقص وفقدان لذة الانس وفتور العزم وقصور الارادة، وفى الأدوية خوف قصور الهمة والبقاء فى الجهل والذلة فى الأحوال زوال الشوق والوجد، وفى الولايات يصير الخوف هيبة الاجـلال بتجلى العظمة، وفى الحقائق هيبة تمنع المشاهد من الانبساط وتقصم المعاين بصيلمة العزة، وفى النهايات هيبة القهر عند منادى تجلى الذات وطمس رسم العبد ثم ينمحق الهائب وهيبته عند الفناء المحض.

(وثالثها الاشفاق) وفسره الشيخ بأنه دوام الحذر مقرونا بالترحم وذلك أصله وصورته فى البدايات الإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع. ومعنى أصله فى الأبواب أن يحذر من الموبقات ترحما على نفسه وإبقائها وكذلك هو الإشفاق عليها أن يجمع صاحبها ميلا إلى الهوى ومعاندة الشريعة والطريقة لما أن من طباعها اللج والإباء. ودرجته فى المعاملات إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرقة أى نظر والتفات إلى الغير، فإنه ينافى الرعاية والمراقبة، لأن الحضور مع الحق جمع ولا رعاية ولا مراقبة إلا بالحضور معه تعالى، وفى الأخلاق إشفاق على النفس أن تريد غير مراد الحق وعلى الخلق أن يعاقبوا بمعاصيهم لمعرفة مقاديرهم، وفى الأصول إشفاق على القلب أن يعرض له سآمة أو فترة تمنعه عن الترقي أو شبهة توهن يقينه، وفى الأدوية إشفاق على العقل أن يمنع طريقه شيطان الوهم ويعارضه فى العلم، وعلى البصيرة أن يعرض دونها حجاب الكون، وفى الأحوال على السر أى الباطن أن يعرض له السلو عن المحبوب أو يخمد فيه لهب الشوق إلى المعشوق، وفى الولايات إشفاق على الوقت الذى يسير به التلون والتمكن أن يغلبه تحكم فيميل إلى الوجود ويذهل عن الشهود، وفى الحقائق إشفاق فى مقام الخفاء

أنّ يبقى في السكر ويحرم لذة الصحو أو يبقى في فقد الفصل فيُحرم كمال الوصل وفي النهايات إشفاق في مقام التحقيق عن ان يمنعه عن محض التوحيد.

(ورابعها الخشوع) وصورته في البدايات خضوع الجوارح في الطاعات. وأصله في الأبواب انكسار لحق النفس وسكون في قواها الطبيعية استسلاما لحكم الحقّ واتضاعا لنظره وخشية لعظمته. ودرجته في المعاملات تصاغر في القلب عند المراقبة وانكسار فيه للحقّ وتحاقر ينشأ من الوقوف على آفات النفس والعمل. قال الله تعالى ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ وفي الأحوال خمود نار الطبيعة بنور الحق ورؤية فضل كل ذى فضل من الخلق عليه والانخلاع عن هيآت النفس بقبول نعوت الربّ لتنقلب رذائلها فضائل، وفي الأصول إسلام الوجه لله تعالى منقمعا في جنب نقصه منقهرا في ذل عدمه قضاء لحق الربوبية ومبالغة في التذلل عند تجلى العظمة واستسلاما لحكم القضاء وانخلاعا عن عمله بترك الاعتراض، وفي الأحوال إذعان بحكم الحال وانسلاخ عن أحكام العلم، وفي الولايات تنسم نسيم الفناء لبلوغ الغاية في الصفاء، وفي الحقائق الفناء عن الصفات بانمحائها في صفات الحق وفي النهايات التجرد عن البقية واعتبار الاثنينية.

(وخامسها الإخبات) وصورته في البدايات سكون النفس إلى الرجوع عن المخالفات. وأصله في الأبواب ورود المأمن من الرجوع إلى ما تاب عنه والتردد. ودرجته في المعاملات سكون النفس إلى الاستقامة إلى الله في الرعاية والمراقبة حتى تستغرق لعصمة الشهود، وفي الأخلاق سكون النفس إلى التخلق بأخلاق الحق والتنور بنور القدس وفي الأصول سكون القلب في السر إلى الحق بحيث لا ينقص إرادته سبب ولا يزيل أنسه عارض، وفي الأدوية سكون العقل إلى أن يصير بصيرة ولا يلتفت إلى الغير لفتة ولا يوجه همته إلا إلى الحق، وفي الأحوال سكون السرّ إلى المحبوب منجذبا إليه منقادا لجذبة مشتاقا، وفي الولايات سكون الروح إلى الحظ وانجذاب بالغيب عن التلون إلى التمكن، وفي الحقائق استقرار الاتصال باستمرار الشهود والانفصال عن الرسوم، وفي النهايات سكون إلى الحقّ وفرار بفناء رسوم الخلق.

(وسادسها الزهد) وصورته في البدايات ترك الشواغل وقطع العلائق ودفع العوائق وأصله في الأبواب الرغبة عن الشيء بالكلية. ودرجته في المعاملات الزهد في الفضول والاقتصار على الحقوق ليتفرغ إلى عمارة الوقت بالحضور وقطع الاضطراب في التوجه، وفي الأخلاق التجرد عن الميل إلى الفاني ليتعود بالإيثار ويتحرز عن وصمة الشح ورق الكون ليكون من الأحرار، وفي الأصول تجنيب ما دون الحق عن طريق القصد ولزوم الفقر لغنى القلب بالحق، وفي الأدوية تصفية الباطن عن ظلمة الكون وانحياز البصيرة إلى نور القدس وفي الأحوال

الاعـــراض عما سوى المحبوب والوحشة عن غير ما أنس به من نور تجلي المطلوب، وفي الولايات الاستيحاش عما ينطلق عليه اسم الغير والاستروح إلى من ترى منه كل خير، وفي الحقائق رفع محاسن الصفات عن مزاحمة شهود جمال الذات وفي النهايات نفي البقية بمحق رسم الاثنينية.

(وسابعها الورع) وصورته في البدايات تجنب المحرمات. وأصله في الأبواب تجنب القبائح من المكروهات والدناآت الشائنة عند ذوي المروآت وإن لم تكن محرمة شرعا صونا للنفس وتظرفا. ودرجته في المعاملات التوقي عن الفضول الشاغلة عن المراقبة والرعاية والتحفظ عن الاعتداد بالخلق في المعاملة، وفي الأخلاق صون النفس عن دنس الطباع والوقوف بذور المكارم والفضائل، وفي الأصول التورع عن الالتفات إلى من توجه إلى جنابه والتنزه عن التردد في العزم والتوقف دون بابه، وفي الأدوية التحرج عما لا تحققه البصيرة ولا تنزل في السكون إليه السكينة، وفي الأحوال التحرز عما لا يستحسنه الذوق ولا يجذبه إليه الشوق تثبتا لحكم الحب وتغلبا للصيانة إلى الرب، وفي الولايات التورع من كل داعية تدعو إلى شتات الوقت وعن كل شاغل عن الحق موجب للمقت، وفي الحقائق التورع عن كل ما يمنع المعاينة ويثبت بينه وبين حبيبه المغايرة، وفي النهايات التولي عن كل ما يعارض حال الجمع بمحق الرسوم حتى رؤية كونه في الجمع.

(وثامنها التبتل) وصورته في البدايات الانقطاع عن التلذذ بالمعاصي وتجرد النفس عن النزوع إليها. وأصله في الأبواب الانقطاع عن الحظوظ واللحوظ إلى الغـير خوفا ورجاء ومبالاة به بحال. ودرجته في المعاملات الانقطاع إلى الله عن فعله وحاله وقوته بتسليم النفس وتفويض الأمر إليه، وفي الأخلاق الانقطاع إلى الله بتجريد النفس عن الهوى وتزكيتها عن ظلمة طبائعها وهيآتها للتنور بنور أخلاقه وصفاته، وفي الأصول الانقطاع إلى الحق بالتوجه إليه عن الخلق أنسا به ووحشة عنهم، وفي الأدوية الانقطاع إلى نور القدس والانخلاع عن الوقوف مع النفس، وفي الأحوال الانقطاع عن الكسب والانقياد للجذب، وفي الولايات الانقـطاع عن أحكام الإمكان وآثار الخليقة إلى أحكام الوجوب وأوصاف الالوهية، وفي الحقائق الانقطاع عن رسم الاثنينية بطلب الانغماس في الهويـة، وفي النهايات الطمس في الجمع بالكلية والمحق في الحق مع الأمن من البقية.

(وتاسعها الرجاء) وصورته في البدايات توقع النجاة، وأصله في الأبواب رجاء الثواب، ودرجته في المعاملات رجاء القرب والكرامات بالحرمة والرعاية، وفي الأخلاق رجاء مقام الفتوة لصحة المروءة، وفي الأصول الأنس والغنى بالحق عن الأنس وفي الأدوية توقع نزول

السكينة عند وقوع البلية وانتظار الطمأنينة عند نزول السكينة، وفى الأحوال توقع اللقاء عند شيم البرق وكمال السرور عند حصول الذوق، وفى الولايات توقع وقت التمكن عند ظهور التلون، وفى الحقائق توقع المشاهدة حين المكاشفة كما فى قوله تعالى ﴿ أرنى أنظر إليك ﴾ وتوقع المعاينة عند المشاهدة كما فى قوله:

بيني وبينك أيني ينازعني ⊙ فارفع بفضلك أيني من البين

وفى النهايات استيهاب مقام أحد الجمع والفرق حال ظهور الفرق الثانى والتلوين بظهور الخلق.

(وعاشرها الرغبة) وصورتها فى البدايات ميل النفس، ودرجتها فى المعاملات رغبة أرباب الشواهد فيها وتقويته بشهادتها ليسلموا مما يزاحم عقولهم وأوهامهم بحسب عادتها، وفى الأخلاق الرغبة فى خصال الفتوة والاستعداد وكمال الولاية، وفى الأصول الرغبة فى المقصود بالإعراض عما سواه والأنس بذكره وما يلقاه، وفى الأدوية الرغبة فيما يجلى له بصره من الأنوار التى تثبت بها طمأنينته والأناة التى تعلو بها همته، وفى الأحوال الانجذاب إلى ما يجذبه إليه الشوق ويحكم بملامته الذوق، وفى الولايات الانغمار فى أنوار الصفات والإفتتان بمحاسنها قبل شهود جمال الذات، وفى الحقائق الانجبار على ما يعاين من أنوار جمال الذات مع بقية خفية منه مستغرقة فى تلك السبحات، وفى النهايات المعية مع الحق بدون المقارنة بل التحقق بتحقيقه فوق توهم المقارنة ثم لما صارت لوامة أخذت فى المعاملات لصلاحيتها لقبول حكم القلب وصيرورتها مطمئنة تذعن له بعض الإذعان وإن جمحت وأبت فى بعض الأحيان لكنها لم تلبث فى ذلك بل ندمت فى الساعة ولامت نفسها وعادت إلى الطاعة فالقلب غالبا يستعملها فى طريق الإطمئنان ويكلفها بما يزداد به الإيمان.

(وأول ما يبدأ به من المعاملات الرعاية) وأصلها فى هذا الباب رعاية الاعمال بإجرائها بمجرى العلم وتوقيرها بتحقيرها مع الجد فى القيام بها من غير نظر إليها ورؤية تزيين النفس. وصورتها فى البدايات الانقياد بحكم الشرع وإن كان مع كلفة ما، وفى الأبواب تمرن القوى البدنية والنفسانية بها. وأما درجتها فى الاخلاق فنفس التخلق بها، وفى الأصول رعاية القصد عن الميل والعزم عن الفتور والإرادة عن النقصان والأدب عن الاهمال ولو لحظة، وفى الأدوية رعاية العقل عن الحكم بالقياس، وفى الأحوال رعاية الرهب والحذر عن شوب الكسب والحجب به، وفى الولايات رعاية الوقت بالصفاء عن رسمه، وفى الحقائق رعاية المشاهدة عن شهوده والمعاينة عن أن تكون بعينه، وفى النهايات رعاية أزلية الحق إذ لا يكون فى أزلية الآزال إلا هو وحده.

(ثم المراقبة) وصورتها في البدايات محافظة الجوارح من المخالفات، وفي الأبواب مخالفة قوى النفس تحفظا من دواعيها. وأصلها في المعاملات مراقبة الحق بالقلب على الدوام في السير إليه بين تعظيم مذهل ومداناة حاملة وسرور باعث ودرجتها في الأخلاق مراقبة الحق في تجليه لعباده بأخلاقه حتى يتخلق بها، وفي الأصول دوام ملاحظة المقصود في القصد إليه مع حفظ الأدب معه، وفي الأدوية مراقبة الحق في التوجه إلى عالم القدس استنزالا للمعارف والحكم وسكونا إلى حكمة في القسم وتعرضا للنفحات بترك الرعونات والمعارضات، وفي الأحوال الإنجذاب إلى المحبوب وشيم برق الكشف من جانب المطلوب، وفي الولايات مراقبة الانفاس المروحة عن كرب رسوم الصفات والأوقات الصافية عن كدورات ظهورات البقيات، وفي الحقائق مراقبة الصحو في السكر ومراقبة الإتصال في الإنفصال، وفي النهايات مراقبة إشارات الأزل على أحايين الأبد ومراقبة الخلاص عن ربطة المراقبة بتحقق الرسم في عين الجمع.

(ثم الحرمة) وصورتها في البدايات التحرج عن المخالفات وفي الأبواب عن خواطرها ودواعيها. وأصلها في المعاملات تعظيم الأمر والنهي لمجرد الموافقة بحكم الصفة بمحض العبودية لا خوفاً من العقوبة ولا رجاء للمثوبة. ودرجتها في الأخلاق تصون عن مقتضيات الطبائع ودنايا الأخلاق تعظيماً للأمر بصفاياها، وفي الأصول التحرز في العزم والسير عن الإلتفات إلى السوى والغير وعن سوء الأدب في الحضرة، وفي الأدوية صيانة العقل عن الفكر حتى يصير بصيرة وصيانة الهمة عن التعلق بما دون الحقيقة، وفي الأحوال صيانة الحب أن يتعلق بالغير غيرة وصيانة الشوق والوجد عن السلو عزة، وفي الولايات صون السرور أن يداخله فأمن، وفي الحقائق صيانة البسط أن يشوبه جرأة، وفي النهايات صيانة الشهود أن يعارضه سبب وصيانة الوجد أن يزاحمه رسم.

(ثم الإخلاص) وصورته في البدايات أن لا يشرك بعبادة ربه أحداً وفي الأبواب أن لا يخطر بباله غرض في العمل ولا ينبعث من قوى نفسه داعية العز والجاه وغيرهما مما يشوب نية القرب إلى الحق. وأصله في المعاملات إخراج رؤية العمل عن العمل والخلاص من طلب العوض عليه والنزول عن الرضا به. ودرجته في الأخلاق تصفيتها عن شوب رسمه ورؤيتها من فضل ربه لقوله تعالى ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾، وفي الأصول رؤية القصد والعزم من توفيق الحق وامتنانه والجد والجهد في السير مع الإحتماء عن شهوده، وفي الأدوية تخليص العقل بنور البصيرة عن شوب الوهم وتخليص الحكمة والفراسة والإلهام عن ظلمة الكفر والرسم، وفي الأحوال تصفيتها عن أحكام العلم وتجريدها عن شوب الكسب، وفي الولايات تصفية الوقت عن كدورة الرسم ونفي الصفات بالطمس في عين الحق كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب ﷺ: كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، وفي الحقائق صفو المعلوم مع محو الموهوم، وفي النهايات إخلاص التوحيد بنفي الفرق عن الجمع في مقام الأحدية كما قال ﷺ نور يشرق منه صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره.

(ثم التهذيب) وصورته في البدايات تحسين العمل بموافقة العلم، وفي الأبواب تزكية النفس عن الميل إلى المخالفات. وأصله في المعاملات تهذيب الخلقة أن لا يخالجها جهالة ولا يسوقها عادة لا يقف عندها همه. ودرجته في الأخلاق تهذيب النفس عن الرذائل وتزيينها بالفضائل، وفي الأصول تحسين الأدب مع الله في السلوك، وفي الأدوية تهذيب العقل بالاستنارة بنور القدس والتنزه عن أحكام الوهم والحس، وفي الأحوال تهذيب الحال عن الميل إلى حكم العلم والخضوع للرسم والإلتفات إلى الخطر، وفي الولايات تهذيب الوقت عن مداخلة الرسم وتهذيب الصفاء عن كدورات الكون وتهذيب التمكن عن التلون، وفي الحقائق تهذيب السكر عن المحو والاتصال عن التنويه، وفي النهايات تهذيب عن الجمع والفرق بلا رؤية التهذيب بل بالغيبة في الجمع عن رؤية الجمع.

(ثم الإستقامة) وصورتها في البدايات الوفاء بعهد التوبة والثبات على حكمها، وفي الأبواب استسلام قوى النفس بحكم القلب. وأصلها في المعاملات الإستقامة في التوجه إلى الله والسير نحوه بالثبات على طريق السنة وعدم الإلتفات إلى الكونين وحظ الدارين. ودرجتها في الأخلاق سلوك العدالة وملازمة الصراط المستقيم في ظل الوحدة، وفي الأحوال الإستقامة في القصد عند السلوك في طريق الولاية، وفي الأدوية الإستقامة في تحصيل العلم والحكمة حتى البلوغ إلى علو الهمة، وفي الأحوال الإستقامة في الحب بشهود الحقيقة لا كسباً بل انجذاباً وجذباً، وفي الولايات الإستدامة في الحق بالحق، وفي الحقائق الإستقامة في المشاهدة بترك رؤية المشاهدة والغيبة عن تطلب الإستقامة، وفي النهايات الإستقامة في البقاء بعد الفناء بالله فيكون سيره سير الله بشهود إقامة الحق إياه وتقويمه له.

(ثم التوكل) وصورته في البدايات ترك الأفعال العادية الصادرة من الهوى بالتزام الأفعال المأمور بها، وفي الأبواب اعتقاد كون الحول والقوة على الفعل بالله. وأصله في المعاملات كلة الأمر إلى موكله والتعويل على وكالته. ودرجته في الأخلاق الحياء من التوكل لتحقق أن الأمر كله لله، فليس له من الأمر شيء حتى يكله إليه ولا ملك له حتى يجد وكيلاً في التصرف فيه فيستحيي منه ويتواضع له مستعيذاً به داعيا بقوله: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها». ويرى أن الخلق الحسن من فضله تعالى ومنته لا من كسبه وقوته، وفي الأصول الاتكال في القصد والعزم على توفيقه والإعتماد عليه في سيره

وتسليكه، وفى الأدوية الانسلاخ عن عقله والتعويل على علمه تعالى وفضله، وفى الأحوال الانقياد يجذبه والانغمار فى حبه والانخلاع عن كسبه، وفى الولايات الفناء فى أفعاله تعالى عن فضله لتحقق أن الله متولى أمره، وفى الحقائق بشهود مالكيته تعالى وقادريته وعجز الكل عن قيامه بعبوديته لأصالة عدميته، وفى النهايات القيام بالله فى كل الأمور لا بنفسه.

(ثم التفويض) وصورته فى البدايات الإنقياد للأمر والإستسلام للطاعة بترك التدبير، وفى الأبواب البراءة من الحول والقوة للعلم أن القوة لله. وأصله فى المعاملات ترك التعرض للعلم لمن له الأمر بتخليه وشأنه وعدم التصرف فيما ليس له، إذ لا يملك فى عمل استطاعة. ودرجته فى الأخلاق تفويض النفس إلى مالكها ومدبرها داعيا بدعاء النبى ﷺ : « اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق، لا يهدى لأحسنها إلا أنت. واصرف عنى سيئها، لا يصرف عنى سيئها إلا أنت ». وفى الاصول ترك الأسباب بمعاينة الاضطرار وعدم الاختيار ودوام الافتقار وانتفاء الإقتدار بحيث لا يرى لسعيه أثرا ولغير الله تأثيرا تصديقا لقوله تعالى ﴿ هو الذى يسيركم ﴾ فيكون فى سيره مع المسبب لا مع نفسه وفعله، وفى الأدوية الانسلاخ عن حكمه والانخلاع عن همته معتمدا على هدايته تعالى لا على بصيرته، وفى الأحوال شهود أخذ العمل بناصيته وانفراده تعالى بملك الحركة والسكون فى بريته ورؤيته حبه رشحة من محبته، وفى الولايات شهود تولى الحق إياه وكونه سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله كما فى الحديث، وفى الحقائق شهود تصريف الحق إياه فى القبض والبسط والسكر والصحو والفصل والوصل، وفى النهايات تسليم الوجود لمن له الوجود وشهود وجه الحق بالحق متحققا بمعنى قوله تعالى ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾.

(ثم الثقة) وصورتها فى البدايات تصديق الخبر جزما، وفى الأبواب الإعتماد على ذاهب القوى والقدر. وأصلها فى المعاملات الإياس من مغلوات الأحكام والتخلص من فجاة الإقدام ثقة بسبق الحكيم بالأقسام. ودرجتها فى الأخلاق الوثوق بقول النبى ﷺ « فرغ الله تعالى من أربعة أشياء: الخلق والخلق والرزق والأحل »، وفى الأصول الوثوق بأنه هو القادر لا غير، وفى الأدية الوثوق بقوله هو العليم الحكيم، وفى الأحوال الوثوق بالعناية الأزلية والتحقق بمعنى قوله يحبهم ويحبونه، وفى الولايات الوثوق بقوله ﴿ وهو الولى الحميد ﴾، وفى الحقائق الثقة بأوليته تعالى فى معاينته والتخلص من رسوم أنانيته، وفى النهايات الوثوق بقيوميته تعالى والأمن من فنائه.

(ثم التسليم) وصورته فى البدايات تسليم الأحكام الشرعية بلا اعتراض عليها ولا طلب لعلتها، وفى الأبواب استسلام القوى لها والإذعان لمقتضاها بلا نزاع ولا كره. وأصله فى

المعاملات تسليم ما يزاحم العقول ولا يشق على الأوهام مما يغالب القيام من سر الذوق والقسم والإجابة لما تفرغ من الأهوال. ودرجته في الأخلاق الإذعان لما يثبت للنفس على خلاف مقتضى طبعها من الصبر مكان الطيش والإيثار مكان الشح ويلزمها العدالة والتوسطة ويزيل عنها الإفراط والتفريط في كل خلق، وفي الأصول تسليم القصد إلى الكشف لقوة الانس، وفي الأدوية تسليم البصيرة والحكمة إلى الهمة إلى الحق وفي الأحوال تسليم الأمور إلى الحق ليقوى الحب ويشتد الجذب، وفي الولايات تسليم الرسم إلى الحقيقة والانخلاع عن صفات الخليقة، وفي الحقيقة تسليم المعاينة إلى المعاين والحياة إلى الحي بالذات، وفي النهايات تسليم ما دون الحق إلى الحق مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحق إياك إليه. ولما تكررت المعاملات المقرونة بالنيات الصادقة حدثت في النفس الأخلاق الفاضلة فإنها ثمرات المعـاملات القلبية والهيآت النورانية الراسخة في النفس بدوام مواظبة القلب عليها، فتأخذ النفس في الاطمئنان ومطاوعة القلب بالإذعان فتتخلق بالأخلاق والملكات المرضية التي هي مبادئ الأفعال الجميلة فمنها الصبر عن المرغوب، وهو فضيلة القوة الشهوانية أو على المكروه، وهو كمال القوة الغضبية. وصورته في البدايات حبس النفس عن المعاصي وعلى الطاعات بالثبات عليـها، وفي الأبواب حبسها ومنعها عن النزوع إلى الشـهوات وتعويدها كلف العبادات وترك الجزع على البليات، وفي المعاملات منعها عن الركون إلى البطالة وحثها على مشايعة القلب في الرعاية. وأصله في الأخلاق الصبر عن المخالفة حياء وعلى البلاء حرمة ودعاء. ودرجته في الأصول الصبر على سواء السبيل وقصد السلوك إلى الحق وعن الإلتفات حق النفس، وفي الأدوية الصبر على تعظيم الحق وإعلاء الهمة، وفي الأحوال الصبر مع الله، وفي الولايات الصبر في الله أي في تجليات صفاته والإتصاف بها، وفي الحقائق الثبات على دوام المشاهدة والمعاينة وعن ملاحظة الغير والمقارنة، وفي النهايات الصبر بالله في مقام البقاء بعد الفناء.

(ثم الرضا) وأصله في هذا القسم الرضا عن الله في كل ما قضى وقدر وهو نتيجة رضا الله تعالى عن العبد في قوله تعالى ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾. وصورته في البدايات الرضا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وفي الأبواب وقوف العبد حيثما أوقفه الله تعالى من الحدود الشرعية لا يطلب الإعتداء عنها ولا يميل إلى الرخص، وفي المعاملات ولوع النفس بها وبذل الوسع بلا ذكره فيها، وفي الأصول أن يرى قصد السـلوك وعظم السير وإرادة الحق من الله تعالى لا من نفسه لقوله تعالى: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾، وفي الأدوية رؤية قطعها بهداية الله وتأييده والرضا بتوفيقه لما أتى وتسديده، وفي الأحوال لا يرضى إلا بحب الله وحده ويغار على المحبوب أن

يعلق بغيره وده، وفي الولايات فناء إرادته في إرادة الحق بالكلية والإنخلاع عن جميع صفاته وعن البقية، وفي الحقائق الإنطماس في نور تجلي الهوية وعدم الشعور بالاثنينية، وفي النهايات القيام في صفاته وذاته، فلا يرضى إلا برضا الله تعالى كما في سائر رسومه.

(ثم الشكر) وأصله في هذا القسم الشكر على المكاره كالشكر على المحاب. وصورته في البدايات الثناء على المنعم باللسان والجوارح، وفي الأبواب معرفة النعم ورؤيتها من المنعم، وفي المعاملات رؤيتها نعماً ومننا من الله تعالى في حقه والشكر على إقداره وتمكينه عليها وتوفيقه لها. ودرجته في الأصول رعاية أدب الحضور والشكر على نعمة القصد والعزم والفقر والغنى، وفي الأدوية سلوك مسلك العلم، وفي الأصول استحلاء البلاء، وفي الولايات أن لا تشهد في النعم إلا المنعم دونها، وفي الحقائق الاستغراق في نور الجمال، وفي النهايات أن لا يشهد من الحق نعمه ولا شكره لاستهلاكه في عين الجمع ومحض التوحيد.

(ثم الحياء) وأصله في الأخلاق إنكسار يعتريه من علم القرب واستحقار نفسه عن استهال حب الرب. وصورته في البدايات الحياء من المخالفة والتقصير في المجاهدات، وفي الأبواب الحياء من الأشراف على علل معاملته. ودرجته في الأصول الحياء من الفتور في السلوك والقصور عن رعاية أدب الحضور، وفي الأدوية الحياء من العجز في الجري على مقتضى العلم وإبقاء حقوق التعظيم، وفي الأحوال الحياء من ظهور النفس بوجودها وصفاتها ومخالفة حكم العلم بحكم الحال بسببها، وفي الولايات انكسار مشوب بهيبة الإجلال عند تجلي العظمة وحياء من كدورة التفرقة عند صفاء الوقت، وفي الحقائق الحياء من حجبة البقية عند المعاينة ومن إفراط البسط لغلبة السكر، وفي النهايات الحياء من العجز في القيام بحقوق العبودية عند أوائل مقام البقاء قبل كمال الإستقامة.

(ثم الصدق) وأصله في هذا الباب صدق القصد المصحح للسير في طريق الولاية. وصورته في البدايات الصدق في الأقوال والأعمال، وفي الأبواب الصدق في النيات والدواعي، وفي المعاملات الصدق في الرعاية والمراقبة وما بينهما من الأعمال القلبية. ودرجته في الأصول المبالغة في الجد وعدم الإلتفات إلى ترفه الرخص، وفي الإدوية صدق الفراسة وعلو الهمة، وفي الأحوال الجري بحكم الحال لا بحكم العلم، وفي الولايات تصفية الوقت عن شوب الأكوان والرجوع إلى العدم بمقتضى الأحكام، وفي الحقائق الصدق في الطمس بنور القدس، وفي النهايات الصدق في محق الرسم في عين الحق.

(ثم الإيثار) وأصله في الأخلاق إيثار الغير على نفسك بما يختص بك، وإن كان بك حاجة، وفي البدايات إنفاق ما فضل من وقتك وترك الذخيرة مقتا للشح طوعاً، وفي الأبواب قطع

رحم تعلق حبّ المال عن النفس، وفي المعاملات اختيار رضا الله على رضا الغير في البذل، وإن كان ذلك الغير نفسك. ودرجته في الأصول بذل المال والروح في سبيل الله لئلا تتلاشى من السير إلى الله، وفي الأدوية رفع الهمّة عن التعلق بما دون الحق وصرفها عما سواه، وفي الاحوال عدم الالتفات إلى ما سوى المحبوب بتوحيد الهمّ والوجهة، وفي الولايات الفناء عن الافعال والصفات بإيثارها لمن له الكل، وفي الحقائق الانفصال عن الكونين وإفناء البقاء، وفي النهايات محق الانية وفقد البقية ونقص الرسوم بالكلية.

(ثم الخلق) وأصله في هذا القسم حسن الصحبة مع الحقّ والخلق. أما مع الحق فالوفاء بعهده والشكر على ما منه والعذر في كل ما منك. وأما مع الخلق فبذل المعروف وكف الأذى واحتماله. وصورته في البدايات الوفاء بالعهود الشرعية امتثالا وانتهاء وسلامة الخلق منك قال ﷺ « ألا أنبئكم بخيار كم؟ قالوا: نعم. قال: كل تقي نقي مخموم القلب. قيل: يا رسول الله، من مخموم القلب؟ قال: الذي ليس في قلبه غل ولا حقد ولا غش لأحد»، وفي المعاملات التخلق بتحسين الخلق. ودرجته في الأصول حسن التوجه إلى الحق بالكلية والاعراض عن الخلق للجمعية، وفي الأدوية معرفة حكمة الخلق والعمل بها بحسن القيام بشرائط العبودية وتوفية حقوق الربوبية والشفقة على خلق الله لرؤيتهم تحت حكم الله، وفي الأحوال الجرى بحكم الحال مطلقا والنظر بعين الفناء والتخلص بالجذب عن الكسب، وفي الولايات تصفية الخلق عن شوب رسوم صفاته وأخلاقه، وفي الحقائق تجريد التصفية عن رسم العبودية برؤيتها عن ربه، وفي النهايات التحقق بأخلاق الحق عند البقاء بعد الفناء.

(ثم التواضع) وأصله في هذا القسم اتضاع العبد لصولة الحقّ بحكمه وخلقه وسلطانه. وصورته في البدايات التواضع للدين ظاهرا، وفي الأبواب باطنا، وفي المعاملات التواضع للحق احتشاما واحتراما وثقة وافتقارا. ودرجته في الأصول التواضع له في حسن أدب الحضرة بأن يرى سيره من محض الامتنان لا من نفسه، وفي الأدوية أن يرى أن الاهتداء من تنور البصيرة بنوره لا من عقله والعلم والحكمة من القائه لا من فكره، وفي الأحوال اتضاعه لصولة الحق في تجليه وجذبه، وفي الولايات انقهاره تحت تجليات أسمائه، وفي الحقائق محو اسمه ورسمه، وفي النهايات الرجوع إلى العدم الأصلي في الأصل الأزلي.

(ثم الفتوة) وأصلها في هذا القسم طهارة القلب عن غواشي النشآت والرجوع إلى صفاء الفطرة حتى يتصف بالعدالة التي هي جماع الفضائل الخلقية وظل الوحدة الحقيقية ويتنزه عن الرذائل النفسية والألواث الطبيعية. وصورته في البدايات الوفاء بعهد الإيمان وعقود الاسلام وترك الخصومة مع الأنام، وفي الأبواب نسيان الأحقاد والأذيات والتغافل عن الزلات، وفي

المعاملات قطع النظر عن الأعمال والإعراض عن الأعواض. ودرجتها في الأصول أن لا يتعلق في المسير إليه بدليل ولا يأنس بما سواه بخليل، وفي الأدوية تنوير العقل بنور القدس وتنزيهه عن الميل إلى جانب الوهم والحس، وفي الأحوال الإكتفاء بالمواهب والإرتقاء عن ريب المكاسب، وفي الولايات التجلي عن كمالات القلب والتحلي بصفات الحق وفي الحقائق بذل الروح للفوز بحياة المحبوب، وفي النهايات القيام بالحق من غير رسم والوقوف مع الحقيقة لا مع الإسم.

(ثم الانبساط) وأصله في هذا القسم إرسال النفس على مقتضى السجية والتحاشي عن وحشة الحشمة. وصورته في البدايات ترك التكلف، وفي الأبواب تغليب الرجاء على الخوف بحسن الظن بالرب، وفي المعاملات المباسطة مع الخلق بحسن العشرة والمراقبة مع الحرمة. ودرجته في الأصول الإنبساط في الإقدام على طلب القرب بروح الأنس والإحتجاب عن الاحجام لقوة اليقين، وفي الأدوية الخروج عن قيد العقل بنور البصيرة والورود على حضرة الوحدة بعلو الهمة، وفي الأحوال الإنبساط بفرط السرور في طلب السير والجرأة على المحو لطلب التمكن، وفي الحقائق الإنبساط ببسط الحق وطلب المنادمة لغلبة السكر، وفي النهايات التحقق بالإسم الباطن بعد طمسه والتبسط ببسط الحق في مقام البقاء بعد الفناء عن رسمه.

وإذا اطمأنت النفس بكمالات الأخلاق فرغ القلب عن تكملها إلى السير في الله والتوجه بالكلية إلى الجهة العلوية، لأن النفس رجعت إلى ربها راضية مرضية عن الركون إلى الجهة السفلية فشايعته في القصد إلى الحضرة الإلهية عن الهيآت البدنية. وهذا القصد أول منازله في الولاية بعد كمال القوة. وهي أساس الأصول في طلب الفصول وأصل القصد ههنا قصد إجابة داعي الحق في باطن العبد الجاذب إليه. وصورته في البدايات تجريد في القصد للطاعة، وفي الأبواب قصد يبعث على الإرتياض ويخلص من التردد، وفي المعاملات قصد يدعو إلى مجانبة الأعراض والأغراض ولا يبعث إلا على طلب اللقاء، وفي الأخلاق قصد التخلق بالأخلاق المرضية والتحلي بخصال الفتوة. ودرجته في الأدوية قصد التنور بنور البصيرة والتحقق بعلو الهمة، وفي الأحوال الجري على مقتضى الحال بالعشق والانخلاع عن حكم العلم والعقل، وفي الولايات قصد الاقتحام في بحر الفناء عند محو الصفات بنور الصفاء، وفي الحقائق الخوض في الفناء مع بقيته في غاية الخفاء وفي النهايات قصد اللحوق في عين الجمع بالحق والخلاص من رسم الخلق.

(ثم العزم) وهو في الأصل الشروع في السير ليشتهر برق الكشف وليباء الحال على العلو واستدامة نور الأنس. وصورته في البدايات العزم على محافظة الحدود الشرعية، وفي الأبواب العزم على سلوك الطريقة بالإباحة لإماتة الهوى، وفي المعاملات استجماع قوى الاستقامة

وتوطين النفس على ملازمة الصراط المستقيم، وفى الأخلاق العزم على سلوك طريق الفضيلة والتجافى عن الوقوف مع الرذيلة. ودرجته فى الأدوية استنارة ضياء الطريق بنور البصيرة وطلب الأمن بزوال السكينة، وفى الأحوال الإنصباب بقوة التشوق إلى جانب الموصوف لما يجد من الذوق من سبحات جمال المعشوق، وفى الولايات عزم الاغتراب عن الدارين فى المناومة والاستغراق فى لوائح المشاهدة، وفى الحقائق العزم على التخلص من العزم بمعرفة علة العزم، وفى النهايات الخلاص من العزم وتركه للبراءة من وجوده ورسمه.

(ثم الإرادة) وأصلها فى هذا القسم الإجابة للدواعى الحقيقة طوعاً. وصورتها فى البدايات ترك العادات ولزوم العبادات، وفى الأبواب اعتلاق الرغبة بالحق والانقطاع عن الخلق، وفى المعاملات الإقبال بالكلية على الحق والإعراض عن الخلق، وفى الأخلاق البلوغ إلى كمال الفتوة والتفصى عن قوادح المروة. ودرجته فى الأدوية علو الهمة وتوحيد الوجهة، وفى الأحوال طلب الترقى إلى ذروة العشق لنيل حلاوة الذوق، وفى الولايات إرادة محو الإرادة والتفصى عن صفاته الموجبة للبعاد، وفى الحقائق التخلص عن البقية بطمس الإثنينية، وفى النهايات التحقق بمشيئة الله بحال التحقق ببقاء الله قال الله تعالى ﴿ وما تشاؤن إلا أن يشاء الله ﴾.

(ثم الأدب) وأصله فى الأصول الإعتدال بين القبض والبسط. وصورته فى البدايات رفض الغلو والجفاء فى الطاعة، وفى الأبواب تعديل الخوف والرجاء حتى لا يتعدى الأول إلى اليأس والثانى إلى الأمن، وفى المعاملات إقامة حقوق التهذيب فيها، وفى الأخلاق ملازمة التوسط بين الإفراط والتفريط. ودرجته فى الأدوية أن لا يتكل على حكم العقل ويسير فيها بنور القدس، وفى الأحوال أن يسير فيها بحكم الحال ولا يركن إلى مقتضى العلم، وفى الولايات الترقى عن السرور إلى ميدان المشاهدة والصفاء عن تكثر الصفات، وفى الحقائق الانقماع عن البسط بهيبة الاجلال عند البلوغ إلى حضرة الاتصال، وفى النهايات الغنى عن التأدب بتأديب الحق والخلاص عن شهود أعباء الأدب.

(ثم اليقين) وأصله ههنا الوقوف على الحقائق بالكشف. وصورته فى البدايات تصديق ما جاءت به الرسل وأثبتوه بالمعجزات يقيناً لا تقليداً، وفى الأبواب قبول ما غاب عنه من أحوال الآخرة يقيناً، وفى المعاملات اليقين فى باب توحيد الأفعال وتصحيح التوكل، وفى الأخلاق اليقين بأن النجاة فى كمال الخلق وحسنه. ودرجته فى الأدوية شهود الأشياء بنور البصيرة، وفى الأحوال الغنى بالإستدراك عن الاستدراك وبالعيان عن الخبر، وفى الولايات خرق الشهود وحجاب العلم، وفى الحقائق حق اليقين وهو استيلاء نور تجلى الحقيقة على ظلمة رسم العبد، وفى النهايات الغنى عن التأدب بتأديب الله والخلاص من شهود أعباء الأدب.

(ثم الأنس) وأصله الإسترواح بروح القرب والأنس بالشواهد التي تشهد بأنه قد تقدم في السلوك وتقرب. وصورته في البدايات الأنس بالطاعات والموافقات والوحشة من المعاصي والمخالفات، وفي الأبواب الإستلذاذ بالبواعث الباعثة على الخير واستكراه الرذائل، وفي المعاملات توطين النفس عليها والتروح بها، وفي الأخلاق استحباب الفضائل واستكراه الرذائل. ودرجته في الأدوية الأنس بما يجلبه نور البصيرة وبما يروح من نور السكينة، وفي الأخلاق الأنس بنور الكشف والتروح بروح الجمال، وفي الولايات الأنس بالتجليات في الحضرة الواحدية، وفي الحقائق الأنس بنور جمال الذات المشرق من وراء حجب الصفات، وفي النهايات أنس اضمحلال الرسوم بالكلية في عين الجمع الأحدية.

(ثم الذكر) وأصله ههنا الخلاص من النسيان بدوام حضور القلب مع الحق. وصورته في البدايات الذكر الظاهر، وفي الأبواب الذكر الخفي، وفي المعاملات ذكر الفعّال لما يريد برؤية الأفعال كلها منه والأمور كلها بيده، وفي الأخلاق ذكر الأخلاق الإلهية والتشوق إلى التخلق بها. ودرجته في الأدوية تلقي المعارف والحقائق منه وإلقاء السمع في إسرار إليه، وفي الأحوال لزوم المسامرة والمناجاة، وفي الولايات دوام المصافاة والمناغاة، وفي الحقائق دوام المشاهدة والمعاينة، وفي النهايات شهود ذكر الحق إياك والتخلص من شهود ذكرك إياه ومعرفة افتراء الذاكر في بقائه مع ذكره.

(ثم الفقر) وأصله الرجوع إلى عدمه الأصلي بحكم السبق الأزلي، حتى يرى وجوده وعمله وحاله ومقامه كلها فضلا من الله وامتنانا محضا. وصورته في البدايات ترك الدنيا ضبطا وطلبا، وفي الأبواب تجريد النفس من التعلق بها والميل إليها، وفي المعاملات الذهول عن تركها ذكرا وتصورا ووجودا وعدما وحسنا وقبحا، وفي الأخلاق الشكر عند وجودها وعدمها والمواساة مما رزق. ودرجته في الأدوية رؤية الدنيا وما فيها ملك الحق وإنفاق ما استخلف فيه منها كما أمره، وفي الأحوال رؤية نفسه ملك الحق يتصرف فيه كيف يشاء، وفي الولايات الفناء في الصفات، وفي الحقائق الوقوع في يد المنقطع الوحداني، وفي النهايات الطمس في عين الجمع الأحدية بالكلية. وقيل: إذا تم الفقر فهو الله.

(ثم الغنى) وأصله في هذا الباب غنى القلب وهو سلامته من السبب برؤية المسبب ومسالمته للحكم. وصورته في البدايات القناعة بما رزق، وفي الأبواب ترك الطمع واليأس مما في أيدي الناس، وفي المعاملات الإستغناء بما قدر الله له عما سوى الله تعالى، وفي الأخلاق الغنى بغنى الحق للتخلق بأخلاقه. ودرجته في الأدوية الغنى بالعلم والحكمة والسكون إلى الله بالأمن والطمأنينة، وفي الأحوال الغنى بما رزق من الذوق، وفي الولايات التحقق بمالكية الحق بالملك

التام، وفى الحقائق الغنى بسُبحات الذات عن أنوار الصفاتِ، وفى النهايات الغنى بالحقِ.

(ثم مَقام الموارد) وأصله هٰهنا تخصيص العبد بالإستعداد التام بحسب العناية ووضع عوار النقص عنه. وصورته فى البدايات عصمته عن الجفاءِ والمخالفة، وفى الأبواب تنقيص الشهوات عليه مع استشرافه إليها وتعويق المَلاذ عنه وسد مسالكها عليه إكراهًا، وفى المعاملات إجراء الخيرات والقبيحات على يده وتوفيقه للأعمال القلبية والإستقامة إلى اللهِ، وفى الأخلاق تزكية نفسه وبعثها على الفضائل والكمالات الخُلقية. ودرجته فى الأدوية تأييده بروح القدس وتنوير بصيرته بإلقاء الفِراسة والإلهام والوَحْى، وفى الأصول جذبه إليه وإلقاء المحبة عليه، وفى الولايات تمكينه عليها وتصفيته بالكشف حتى يبلغ مقامَ المسامرةِ والمكاشَفة، وفى الحقائق اجتهاده واصطفاؤه واصطناعه لنفسه، وفى النهايات استخلاصه بخالصته واختصاصه بخلافته نبياً ووليّاً. وإذا انتقل إلى مقامِ العقــل ورأى عيوبه بدأ بالسيرِ فى الأدوية والترقى إلى عالم القدس وقصد النزول بالوادى المقدس فأول منازله الإحسان، وهو هٰهنا تهذيب القصد بعلم الشريعة والطريقة فيكون قصده مطابقاً للأمر مبرأً عن شوب الرياءِ والغَرَض وطلب العوض وإحكامه بالجزْم وتوطين النفس على ثبات العزمِ وعدمِ الفتور فيه وتصفيته عن النظر إلى غير المقصودِ بشهود المعْبود وعدمِ الإلتفات إلى الغير ولو نفسه. وصورته فى البدايات أنْ يعبدَ اللهَ معتقداً بأنه بمرأى من اللهِ والتوجه إليه كأنه يراه بقلبه، وفى المعاملات شهود الحقِ فى المراقبة والأخلاق بقطعِ النظرِ عن الخلق، وفى الأخلاق رؤيتها من اللهِ لا من نفسه لقوله تعالى ﴿ واصبرْ وما صبرك إلاّ باللهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ رضى اللهُ عنهم ورَضوا عنه ﴾، وفى الأصول رؤية القصد والعزم وسائر الأصول من اللهِ وبحوله وقوته. ودرجته فى الأحوال رؤيته مواهبَ من اللهِ لا مكاسبَ منه وإن كانتْ ميراثاً للعمل، وفى المعاملات شهود صفات الحق بالحق فيكون وقته واحداً أبداً، وفى الحقائق أنْ لا يفارق المشاهدة والاتصال طرفة عين، وفى النهايات شهود الذات بالذات مع تلون ما يشغلها بشىء من الرَسْمِ والانية.

(ثم العلم) وأصله فى الأدوية العلم الذى هو ميراث العمل الصالح بالتصفية والتزكية فى السير الظاهر. وصورته فى البدايات العلم الشرعى الحاصل بالإستفاضة والتواتر، وفى الأبواب العلم العقلى الحاصل بالاستدلال، وفى المعاملات علمُ الطريقة الحاصل بالرعاية والمراقبة من علومِ التوكل والتفويض والتسليم ونظائرها، وفى الأخــلاق علم آفات النفس ورذائلهــا وكمالاتِها وعلم التزكية والتحلية، وفى الأصول علمُ اليقين ومعرفة آداب الحضرة والسلوك. ودرجته فى الأحوال علم لدنى وهبى، يبصـر به دقائقَ الأحـوال وذواتِها ومفسداتِها ومصححاتِها بتعريف أحكامها ولوازمها، وفى الولايات الفناء عن عِلْمه والإتصاف بعلم

الحق، وفى الحقائق هو المسمى عين اليقين على ما هو عليه، وفى النهايات شهود الحق اليقين فيكون كمال مقام الإحسان.

(ثم الحكمة) وهى ههنا معرفة الأشياء وأحكامها وذاته بذاته، وهو المسمى حق خواصها والعمل بمقتضاها فى إيفاء حقوق الأشياء ومحافظة حدود الأعمال على ما ينبغي. وصورتها فى البدايات معرفة ما كلفه الله من العقائد الإيمانية والأعمال الإسلامية وما اختص به من الأحكام الخمسة الشرعية، وفى الأبواب سياسة قوى نفسه بمقتضى الشريعة وتعويدها بما ينبغي من الانفعالات وتحذيرها عما لا ينبغي منها، وفى المعاملات تطويع النفس للقلب فى التوجه إلى جانب الحق والتنوير بنور القدس حتى تشايعه ولا تعارضه وتوافقه ولا تنازعه، وفى الأخلاق كمال الإطمئنان بمعرفة الفضائل والكمالات والرذائل والنقائص والتمرن بالأولى والتحرز عن الثانية، وفى الأصول معرفة شرائط السلوك وموانعه والعمل بمقتضاها. ودرجتها فى الأحوال معرفة أحكامها ولوازمها وذواتها وآفاتها ومصححاتها والاعراض عن مفسداتها، وفى الولايات معرفة حكمة الله تعالى فى كل شيء وشهود مراده فى وعده ووعيده ومنعه وإعطائه والإتصاف بأوصافه والعمل بمقتضاها، وفى الحقائق إلقاء الله تعالى إلى عبده المعارف والحكم فى مقام الخلافة الإلهية فيعرف ما يعرف بالحق ويعمل ما يعمل بالحق مع وقوعه فى التلوين أحيانا، وفى النهايات الاستقامة فى ذلك حال البقاء بعد الفناء وكمال التمكن والأمن من التلوين.

(ثم البصيرة) وهى فى هذا القسم تنور العقل بنور الحق حتى يشهد جميع الأشياء منه ويشهد عدله فى الهداية والإضلال واختلاف الأقسام وبره فى التضييق والإعسار. وصورتها فى البدايات إدراك حقيقة الشريعة وصدق مخبرها، وفى الأبواب الإلتذاذ بها وبسماعها والذوق من فهمها والغضب لها، وفى المعاملات معاينة جذب الحق إياه بحبل التوفيق للطاعة والتقريب وبالوصل، وفى الأخلاق شهود اختصاص الحق إياه بخلع أخلاقه تعالى، وفى الأصول رؤية بعثة الله تعالى إياه على القصد والعزم والإرادة وتسليكه على الصراط المستقيم. ودرجتها فى الأحوال شهود تجليات الأسماء اللطيفة وتحبيب ذاته تعالى إليه، وفى الولايات تصفية الله وقته فى الدنو عن النظر إلى الغير وشغله بمطالعة وجهه مسرورا بما انتهى إليه فى السر، وفى الحقائق شهود ذاته تعالى فى صورة أسمائه وبسطه إياه بالفوز بلقائه، وفى النهايات رؤية صرف المعرفة الحقة وشهود الكثرة فى عين الوحدة فيتم القيام بحقوق العبودية وإيفاء حقوق الربوبية فتثبت الإشارة فتتم

(ثم الفراسة) وأصلها فى قسم الأدوية أمر غيبي ينكشف عن صاحبه بصفاء الباطن وتنور البصيرة بنور القدس. وصورتها فى البدايات الخواطر الحقة والمناجاة الصادقة بقوة الإيمان أو

فراسة نادرة طارئة على لسان روحشي لضعف اليقين وحاجة صاحبه إلى التقوية، وفى الأبواب تلقى حكم الغيب بقوة الزهد والورع، وفى القسمين لا يكون الإكتفاء صوريًا عن عالم المثال لصفاء الخيال، وفى المعاملات فراسة تكون من نفث روح القدس فى الروع لقوة المراقبة وصفاء القلب، وفى الأخلاق ارتسام نقش القلب فى القلب بملكة الصدق، وفى الاصول تعريف إلهى لقوة الأنس بالحق ومراعاة حفظ الأدب فى السلوك. ودرجتها فى الأحوال كشف الأسرار بصحة الحال وقوة المحبة، وفى الولايات كشف سرى من باب المكالمة والمسامرة أو روحى من نتائج المكاشفة، وفى الحقائق إشارة إلهية تظهر بالمشاهدة والمعاينة، وفى النهايات شهود غيب الغيوب بعين المحبوب.

(ثم التعظيم) وهو فى هذا القسم تعظيم حكم الله تعالى على عباده بما يجرى عليهم، بأن يرضى به ولا يجرى له عوجًا ولا يدفع بعلم ولا بطلب ثواب إن كان خطابًا. وصورته فى البدايات تعظيم الأمر والنهى بالإمتثال والإجتناب، وفى الأبواب الحذر عن الجفاء لقوة الرجاء والإحتراز عن العلو لغلبة الخوف، وفى المعاملات تعظيم الحرمات وهو الحقوق الواجبة المراعاة، وفى الأخلاق التعظيم اللازم للتواضع لله بالتذلل والخضوع والرضا بحق الربوبية وغيرها فى مقابلة ذل العبودية، وفى الأصول تعظيم الهيبة والإجلال والرعاية لأدب الحضرة ودرجته فى الأحوال تعظيم المحب للمحبوب الذى يقضى به سلطان العشق عند استيلاء الشوق والذوق وأول أودية الفناء، وفى الولايات تعظيم التفانى فى كمالات صفات الحق والتلاشى بنور تجلى العظمة، وفى الحقائق الاندكاك بتجلى الجمال ورفع حجب الجلال عند الاتصال والفوز بالوصال، وفى النهايات تعظيم الحق بالحق على التمكن والاستقامة عند البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع.

(ثم الإلهام) وهو ههنا الاطلاع على أسرار الغيبة بعين البصيرة فى عالم المثال بلا شك ولا شبهة اطلاعًا غيبيا. وصورته فى البدايات صدق الخواطر، وفى الولايات نفث الروح الأمين فى الروع هتفًا أو مشافهة أو محادثة، وفى المعاملات إلقاء فى القلب على سبيل التفهيم أو الوحى القاطع، وفى الأخلاق التهدى إلى الأخلاق الإلهية بهداية الحق، وفى الأصول تلقى التأديبات الإلهية وشرائط السلوك وأحكام المنازل من الحق. ودرجته فى الأحوال تلقى خصائص المحبة وأحكامها وقبول الجذبات الإلهية بلا تعمل وتكسب بل بمحض الموهبة والامتنان، وفى الولايات الأبصار والسماع ببصيرة الحق وسميعته، وفى الحقائق جلاء عين التحقيق بالحق حال الاتصال، وفى النهايات التكلم بكلام الحق الأزلى بلا واسطة.

(ثم السكينة) وهى فى هذا القسم سكون إلى الله بروح السر عند إلقاء الحكمة على قلب

المحدث و كشف الشبه له وانطلاق لسانه بالحق. وصورتها في البدايات سكون النفس إلى طاعة الله بخشوع الجوارح، وفي الأبواب توطين النفس على موافقة الحكم بالإتيان بالمأمور والانتهاء عن المنهي مع خشوع القلب، وفي المعاملات السكون إلى الله بكمال الإيمان القريب من الإحسان عند العبادات ومحاسبة النفس في الأخلاق أي الفضائل والرذائل لا الأعمال، فإن محاسبتها فيها من قسم البدايات، وفي الأخلاق السكون إلى الله بحسن المراقبة معه والملاطفة مع عباده، وفي الأصول السكون إلى الله في السير إليه والإنقياد بجذبه بكمال الأنس. ودرجتها في الأحوال الانجذاب إليه بقوة العشق وشدة الشوق، وفي الولايات السكون إلى الله بفناء الإختيار في اختياره وفي الحقائق الوقوف على حد الرتبة والامتناع عن الشطح الفاحش في الاتصال، وفي النهايات سكون التمكين في شهود أحدية الجمع.

(ثم الطمأنينة) وأصلها في هذا القسم سكون يقويه أمن ناشئ من يقين قريب إلى العيان مقرون بدوام روح الأنس بالحق. وصورتها في البدايات اطمئنان النفس بذكر الحق إلى الانقياد بحكم الشرع والاستسلام للطاعة، وفي الأبواب طمأنينة الخائف إلى الرجاء والضجر إلى الحكم والمبتلي إلى الوعد بنيل الثواب، وفي المعاملات طمأنينة القلب بالحضور والمراقبة والثقة بالله في التوكل والتسليم، وفي الاخلاق طمأنينة القلب إلى التخلق بأخلاق الحق، وفي الأصول طمأنينة القلب في القصد إلى الكشف وفي الفقر إلى الغنى بالله. ودرجتها في الأحوال طمأنينة السر في الشوق إلى عدة اللقاء وفي البرق إلى الذوق، وفي الولايات طمأنينة الروح إلى التمكن في الاتصاف بالصفات الإلهية، وفي الحقائق طمأنينة الخفاء إلى الجمع، وفي النهايات طمأنينة شهود الحضرة إلى لطف الجمال.

(ثم الهمة) وهي التوجه إلى الحق بالكلية مع الأنفة من المبالاة بحظوظ النفس من الأعراض والأعواض وبالأسباب والوسائط كالعمل والأمل والوثوق به. وصورتها في البدايات عقد الهمة بالطاعة والوفاء بعهد التوبة، وفي الأبواب تعلق القلب بالنعيم الباقي وصرف الرغبة عن الفاني والجد في الطلب عند التواني، وفي المعاملات همة باعثة على الاستقامة في العمل مع دوام المراقبة وقوة الثقـة بالله في التوكل والتسليم، وفي الأخلاق صرف الهمة بالكلية إلى إحراز السعادات والكمالات، وفي الأصول همة جاذبة صاحبها إلى جناب الحق بقوة اليقين وروح الأنس مانعة عن الفتور في السير والزيغ في القصد. ودرجتها في الأحوال صيرورة الهموم هما واحدا باستيلاء العشق، وفي الولايات همة تتصاعد عن الأحوال والمقامات إلى حضرة الاسماء والصفات، وفي الحقائق همة تعلو الصفات وتنحو عن النعوت نحو الذات، وفي النهايات لا همة إلا التأثر بمؤثرية الحق في جميع الممكنات كقوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِن

الله رمى ﴾ وقوله ﴿ وإذ تخرج الموتى باذني ﴾. وهناك ينمحق التعمل والتكسب ويصفو عن شوبة الحدث وينفتح الطريق ويتسع ويترقى القلب إلى مقام السر، فيكون السائر مصحوبا محمولا فى السير كراكب البحر يسار به ولا يدرى، قال الله تعالى ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ وتتوالى عليه الأحوال بمحض الموهبة وتتواتر عليه الألطاف بحكم السابقة والمتعة.

(وأول ما يشرف به من الأحوال المحبة) التى هى آية الاختصاص ونتيجة الإصطفاء والاخلاص من قوله ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ فيخلصه الله تعالى من زيغ البصر والتقلب فى النظر. وأصلها فى الأحوال الإبتهاج بشهود الحق وتعلق القلب به معرضا عن الخلق معتكفا على المحبوب بجوامع هواه غير ملتفت إلى ما سواه. وصورتها فى البدايات التلذذ بالعبادة والتسلى عن فوات أشتات التفرقة، وفى الأبواب جمعية الباطن بالسلو عما سوى المحبوب والإخبات إلى جنابه مع الإعراض عما سواه من كل مرغوب، وفى المعاملات شغل القلب بالحبيب والفراغ عن كل حميم وقريب، وفى الأخلاق محبة الخصال المقربة منه وتجنب الملكات المبعدة عنه، وفى الأصول تجريد القصد المستوى إليه عن الموانع وتصميم العزم وهجر القواطع، وفى الأدوية تهييج دواعي العشق بالنظر فى الآيات ودوام مطالعة حسن الصفات. ودرجتها فى الولايات الابتهاج بحسن الصفات والتنور بنور الذات عند التحقق بالأسماء بمحو الرسوم والسمات، وفى الحقائق محبة تخطفه عن أدوية تفرق الصفات إلى حضرة جمع الذات، وفى النهايات حب الذات للذات فى الحضرة الأحدية مع بقاء رسم الحدوث فى عين الأزلية.

(ثم الغيرة) وأصلها نفاسة المحبوب عند المحب والضن به أن يتعلق فى المحبة بغيره أو يشغله عنه شيء أو يحجبه بحيث لا يحتمل ذلك ولا يصبر عليه. وصورتها فى البدايات الغيرة على عبادة ضاعت فيسترد ضياعها ويستدرك فواتها، وفى الأبواب على الخشوع للغير والرغبة فيه والخوف منه، وفى المعاملات غيرة المريد على وقت فات ورعاية أهملت، وفى الاخلاق الغيرة على فضيلة سبقه بها غيره، وفى الأصول الغيرة على قصد لغير المحبوب وتنور وأنس بغيره، وفى الأدوية الغيرة على تعظيم لغيره وهمة قاصرة عن بلوغ الغاية أو متعلقة بغيره. ودرجتها فى الولايات الغيرة على لحظ ما سواه والسرور بغيرة مولاه، وفى الحقائق الغيرة على إثبات الحياة لغيره واعتبار الاتصال به، وفى النهايات الغيرة على اثبات وجود غير الحق.

(ثم الشوق) وهو ههنا حركة السير إلى الله بالمحبة المنبعثة عن مطالعة تجليات الصفات. وصورته فى البدايات الاشتياق إلى الجنة وما وعد من الثواب، وفى الأبواب الشوق إلى الكرامة عند الله والتقرب إليه، وفى المعاملات الاشتياق إلى ألطافه وآيات بره وإفضاله، وفى الأخلاق الاشتياق إلى التخلق بأخلاقه، وفى الأصول الإرتياح إلى لقائه والتروح بنور جماله، وفى الأدوية

التشوق إلى ما في الغيب من الحقائق واستشراف أنواع المعارف. ودرجته في الولايات استلحاظ الوجه الباقي بانكشاف سبحات الجلال واستشراق نور الذات على وجوه الجمال والكمال، وفي الحقائق طلب العيان بعين المعشوق والانفصال عن الكل بالوصول إلى المطلوب، وفي النهايات الإشتياق مع الوصول إلى شهوده بجميع التجليات ومع الشهود إلى بروزه في مظاهر الكائنات.

(ثم القلق) وهو ههنا تحريك الشوق صاحبه بإسقاط صبره. وصورته في البدايات تحريك النفس إلى طلب الموعود والسآمة عما سواه في الوجود، وفي الأبواب قلق بضيق الخلق فيبغض إلى صاحبه الحياة ويحبب إليه الموت، وفي المعاملات توحش عما سوى الحق وأنس بالوحدة والتخلي عن الخلق، وفي الأخلاق الإنخلاع عن الصبر والطاقة لما يجد من التوقان للحق ولقائه، وفي الأصول اضطراب في الفرار إلى المقصود عن كل ما ينظر في السير إليه أو يقتضي الصدود، وفي الأدوية قلق يغالب العقل ويساور النقل. ودرجته في الولايات قلق يصفي الوقت وينفي النعت، وفي الحقائق قلق ينفي الرسوم والبقايا ولا يرضى بالعطايا والصفايا، وفي النهايات قلق لا يبقي شيئا ولا يذر ويغني عن كل عين وأثر.

(ثم العطش) وهو في الأحوال عطش السالك إلى ما يبلغه إلى المطلوب ويروحه بشهود المحبوب. وصورته في البدايات عطش المريد الى ما يوجب اليقين من الشواهد ويخلصه من الشبه والشكوك والفواسد، وفي الأبواب العطش إلى الالطاف للقربة والعواطف للمسكنة. وفي المعاملات العطش إلى الاستقامة والبلوغ إلى الثقة بالله والسلامة، وفي الأخلاق إلى وصول الخلاص عن البعد بالقبول. وفي الأدوية العطش إلى علو الهمة وتفريد الهم والوجهة. ودرجته في الولايات العطش إلى الخلاص من التلوين بشهود الصفات والبلوغ إلى التمكين بشهود الذات، وفي الحقائق العطش إلى الإتصال والخلاص من الانفصال، وفي النهايات العطش إلى جلوة لا يشوبها حجبة وجمع لا يعارضه تفرقة.

(ثم الوجد) وهو في الأحوال شعلة متأججة من نار العطش يستفيق لها الروح بلمع نور أزلي وشهود رفعي. وصورته في البدايات لهب مشتعل يستفيق له شاهد الحس سمعا أو بصرا، وفي الأبواب وجد عارض يستفيق له الفكر، وفي المعاملات لهب مشتعل يستفيق له القلب من شهود عارض، وفي الأخلاق لهب متأجج من نار الحب ينبعث منه القلب لطلب الفضائل الخلقية والكمالات الأنسية، وفي الأصول نار في القلب ينبعث منها لطلب الحق، وفي الأدوية شعاع نوري يضيء منه عالم القدس ويستفيق له العقل لطلب العلم والحكمة وتحصيل نور السكينة وعلو الهمة. ودرجته في الولايات وجد يخطف العبد من يد الكونين

ويخلصه من الأين والبين، وفى الحقائق تجرد يمحض معناه من دون الحد والرسم وينسيه اسمه بالكلية أو يغيره الرسم، وفى النهايات يتبدل الوجد بالوجود أو يتعارض الجمع والفرق للتلوين فى الشهود.

(ثم الدهش) وهو فى هذا الباب بهتة تأخذ العبد إذا فجاه ما يغلب عقله أو صبره أو عمله. وصورته فى البدايات الحيرة فى صورة الصنع وعجائب المصنوعات، وفى الأبواب الحيرة فى الآلاء والنعماء والألطاف الموجبة للحب، وفى المعـاملات الحيرة فى العظموت والرحموت بشهود تجليات الأفعال وتلاشى أفعال العباد فيها وفى الاخلاق التحير فى صفات الله تعالى واخلاقه وفى الأصول الحيرة فى شواهد السلوك الشاهدة بصحة الطريق وفى الادوية التحير فى علم الحق وحكمته ودرجته فى الولايات الحيرة فى تجليات الأسماء والصفات وفى الحقائق الحيرة فى معاينة الذات وفى النهايات التحيرة فى عين الجمع الأحدية.

(ثم الهيمان) وهو دوام الحيرة وثباتها وصوره ودرجاته صور الدهش ودرجاته اذا دامت واستقرت.

(ثم البرق) وهو فى الأحوال أول ما يبدو من أنوار التجليات، فيدعو العبد إلى الدخول فى الولايات أى السير فى الله بالفناء. وصورته فى البدايات لمع نور التنبيه الداعى للعبد إلى السير إلى الله، وفى الولايات أول ما ينفعل به قوى النفس بالرجـاء والخوف من آثار ذلك النور وإنارته لها، وفى المعاملات أول ما يلمع من تجليات الأفعال فينجذب العبد إلى نفى تأثير الغير مطلقا، وفى الاخلاق أول ما يبدو فى القلب من نور التجلى الإلهى، فيدعوه ويبعثه إلى الترقى فى السير فى الله وعليه ويؤنسه به، وفى الأدوية أول ما يبدو فى القلب من نور القدس فيورث الطمأنينة وعلو الهمة. ودرجته فى الولايات أول ما يبدو فى مقام السير من نور الذات من نور العيان فيورث الإتصال، وفى النهايات أول بارق الجمع الأحدى المورث للفناء فى الذات.

(ثم الذوق) وهو ثبات البرق وزيادة السرور والابتهاج لانتفاء الوجد وبقاء صفاء الوقت ونسـبة صوره. ودرجاته إلى صـور البرق ودرجاته كنسبة صور الهيمان ودرجاته وصور الدهش ودرجاته إلى الوجد، وحينئذ تنتقل الأحوال إلى الولايات والمقامات القلبية إلى السرية ويتولى الحق بنفسه أمور عبده فلا يكله إلى نفسه.

(وأول مقاماتها اللحظ) وهو فى هذا الباب ملاحظة نور الكشف الملبس لبـاس التولى المذيق طعم التجلى العاصم من عوار التسلى. وصورته فى البدايات ملاحظة الفضل السابق فى الرزق والحفظ والتكليف، وفى الأبواب ملاحظة الإمداد الصورية والثواب الموعود على الطاعة الموجبة للرجاء والرغبة، وفى المعاملات ملاحظة الإمداد المعنوية والقرب الموعود على

الرعاية والحرمة الموجبة للإستقامة والتوفيق للتخلق بالأخلاق الإلهية الموجبة للشكر والرضا، وفى الأصول ملاحظة الجواذب الإلهية الموجبة للأنس والغنى، وفى الأدوية ملاحظة الأنوار القدسية المفيدة للعلوم اللدنية وازدياد البصيرة، وفى الأصول ملازمة سبحات الجلال المفيدة لاستيلاء العشق والذوق. ودرجته فى الحقائق مطالعة نور الوجه الكريم والجمال القديم، وفى النهايات شهود الحق بالحق فى عين الجمع.

(ثم الوقت) وهو حين تردد السالك بين التلوين والتمكين مع رجحان التمكين لاستيلاء الحال مع الالتفات إلى العلم. وصورته فى البدايات حين كون النفس لوامة مترددة بين رؤية الفضل واللطف وصدمة الطرد والقهر مع رجحان رؤية اللطف وقوة الشوق، وفى الأبواب حين كونها متحائرة بين الخوف والرجاء مع رجحان الرجاء وصدق الرغبة، وفى المعاملات حين الحضور وجمعية الباطن مع تخلل الغفلات واللفتات أحيانا، وفى الأخلاق حين التخلق بالفضائل مع تخلل الرذائل أحيانا، فتكاد الفضائل أن تصير ملكات، وفى الأصول حين صدق القصد وقوة العزم مع تخلل الفوات أحيانا، وفى الأدوية حين نزول السكينة وحدوث الطمأنينة مع وقوع الاضطراب أحيانا، وفى الأحوال حين استيلاء سلطان العشق مع هجوم السلو أحيانا. ودرجته فى الحقائق وفى النهايات حين استقرار مقام الفناء وابتداء مقام البقاء بتكدير ظهور الكثرة عن الوحدة.

(ثم الصفاء) وهو ههنا اسم للبراءة من الكدر وهو بسقوط التلوين الواقع فى الوقت. وصورته فى البدايات صفاء علم يهذب العمل ويعد النفس للسلوك، وفى الأبواب صفاء نفس يزهد فى الدنيا ويصحح الورع والتقوى، وفى المعاملات صفاء عقيدة يحقق الإخلاص ويصحح التوكل والتسليم، وفى الأخلاق صفاء باطن يزكى النفس ويقوى الصدق ويحصل الفتوة، وفى الأصول صفاء طلب يصحح القصد ويقوى العزم ويورث الفقر، وفى الأدوية صفاء لب يورث الحكمة ويصدق الفراسة ويحقق الالهام، وفى الأحوال صفاء حال يشاهد به شواهد التحقيق بتجليات الأسماء ويذاق به حلاوة المباحات وينسى الكون. ودرجته فى الحقائق صفاء اتصال يفنى به العبد عن الأخلاق والأوصاف فيما للحق منها فيندرج حظ العبودية فى حق الربوبية ويطوى ذل الحدوث فى عز الأزل، وفى النهايات صفاء الجمع بشهود الحق بلا خلق.

(ثم السرور) وهو ابتهاج فى الباطن يظهر به تهلل ونضرة فى الظاهر. وفى هذا القسم سرور شهود يكشف حجب الصفات بأسرها ويخلص من رق التكاليف كلها أى لا يكلف ولا يشق بشيء ويتصرف بالله. وصورته فى البدايات سرور ذوق ينشأ من تصديق العدة ويبعث على الجد، وفى الأبواب سرور رغبة فيما يتحققه من عند الله من النعيم والكرامة، وفى المعاملات

سرور حضور ينشأ من مبادي الأنس بالله يخلّص من وحشة التفرقة، وفي الأخلاق سرور بهجة بهيآت نورانية في النفس مذهبة لوحشة الهيآت الظلمانية، وفي الأصول سرور إرادة ينشأ من اليقين وكمال الانس، وفي الأدوية سرور ينشأ من مطالعة سِرّ القدر ويذهب الحزن الناشئ من ظلمة الجهل، وفي الأحوال سرور ينشأ من الحب الخالص ويذهب بخوف الانقطاع دون الوصال، ودرجته في الحقائق سرور الاتصال والإنبساط ببسط الحق إياه، وفي النهايات سرور الوجود والفوز بالمطلوب في عين الجمع.

(ثم السر) وهو المعنى الخفي عن إدراك المشاعر. وحقيقته في هذا القسم سِرّ الولاية الذاتية عند الفناء عن رسوم الصفات البشرية فصاحبه يستر حاله عن الخلق غيرة ويتأدب بأدب الشرع صونًا، ويتهذب في الأخلاق والمعاملات ظرفًا، وهو من الاخفياء الذين ورد فيهم أحب العباد إلى الله الأخفياء الأتقياء. وصورته في البدايات إخفاء العمل للتحرز عن الرياء وتحصيل الزكاء والصفاء، وفي الأبواب تلطيف السر بالتقوى وتحقيق الزهد لطلب مقام الاخلاص، وفي المعاملات كمال الإخلاص ونفي الأعمال لتصحيح التوكل والتفويض، وفي الأخلاق تطهير الباطن عن الرذائل وصفات النفس والإتصاف بالفضائل والتخلق بالأخلاق الإلهية، وفي الأخلاق تصفية القلب وتصميم العزيمة، وفي الأدوية تنوير العقل بنور القدس وتخليصه من شوائب الوهم بقبول الفراسة والإلهام، وفي الأحوال سلطنة عشق الجمال بشهود الحق بالحق، ودرجته في الحقائق خفاء رسمه بنور الحق واستمرار حاله عن دركه، وفي النهايات المحق في الهوية الازلية.

(ثم النفس) وهو يشابه الوقت بكونه حينًا مخصوصا بما حدث فيه لكن النفس يمتاز زمنه بأنه حين تروح بحال. فالنفس حقيقته في قسم الولايات تروح في عين التجلي ناشئ من مقام السرور إلى روح العيان شاخص عن أنوار الوجود إلى منقطع الإشارة. وصورته في البدايات تروح بتصديق وعد الوفاء، وفي الأبواب تروح بالقصد، وفي المعاملات تروح بالثقة وكلة الأمر إلى الله واستراحة عن نسبته إلى غيره، وفي الأخلاق تروح ببهجة نفسه لنورانيتها بكمالها واستراحة عن ظلمتها، وفي الأصول تروح بشواهد صحة طريقه ورواة محبوبه، وفي الأدوية تروح بنزول السكينة وعلو الهمة مع حصول الحكمة، وفي الأحوال تروح لصفاء النفس وكمال الذوق. ودرجته في الحقائق تروح بنفس الحياة الحقانية وبسط الرحمة الرحمانية، وفي النهايات تروح الوجود في عين جمع الوجود.

(ثم الغربة) وهي في الولايات غربة الهمة المتعلقة بالذات الأحدية أعني العارف، فإنه في شاهده غريب وموجوده فيما يحمله علم أو يقوم به رسم. وصورتها في البدايات ترك

الذهاب إلى المألوفات والإغتراب عن العـادات، وفى الأبواب الانقطاع عن متاع الدنيـا وطيباتها وصرف الهمة عن لذاتها وشهواتها، وفى المعاملات الإنفراد بالعزلة والخلوة مع الله والإعتزال عن الخلق لطاعة الله وعبادته، وفى الأخلاق الانقطاع عن أهل البطالة والانحراف عن صفات النفس للتخلق بخلق الرب، وفى الأصول توحيد الوجهة والفرار عن الفترة بالجد فى السلوك والإجتناب عن السكون، وفى الأدوية الاغتراب عن وحشة الجهل وظلمة النفس بالتنور بنور القدس، وفى الأحوال إيثار المحبوب بالهجرة إليه عشقاً والاعراض عما سواه بالتجافى عنه بغضـا. ودرجتها فى الحقائق الإنفصال عن الكونين والاتصال بالعـين، وفى النهايات الإغتراب عن الخليقة للإنمحاق برسمه فى الحقيقة.

(ثم الغرق) وهو توسط مقام الولاية لاستيلاء المحبة والإنغمار فى غمار المقة والإستغراق فى بحر الحكمة وصورته فى البدايات الإستغراق فى الطاعة والإشتغال فى جميع الأوقات بالذكر والرياضة، وفى الأبواب الإستغراق فى الإخبات بالحضور والسكون إلى الحق والركون، وفى المعاملات الإستغراق فى المراقبة والثقة فى جميع الأمور، وفى الاخلاق الاستغراق فى السلوك فى الله والأنس به، وفى الأدويـة الإستغراق فى تحقيق البصيرة وعلو الهمـة، وفى الأحوال الإستغراق فى العشق والذوق والعطش والهيمان. ودرجته فى الحقائق الغرق فى سكر الحال لشدة الاتصال، وفى النهايات الاستغراق فى عين الجمع الأحدية ومحق الرسوم بالكلية.

(ثم الغيبة) وهى ههنا غيبة السالك عن رسوم العـلم لقوة نور الكشف. وصورتها فى البدايات الغيبة عن رسوم العادات، وفى الأبواب الغيبة عن تمتعات الدنيا ولذاتها والميل إلى زخارفها ومشتهياتها، وفى المعاملات الغيبة عن الخلق وأفعالهم والنظر إلى أمورهم وأقوالهم وفى الأخلاق الغيبة عن النفس وأهوائها وعن صفاتها ودواعيها وآرائها، وفى الاصول الغيبة عن القصد عما سوى المقصود وقصر الهمة فى السير على صمت الورد المورود، وفى الأدوية الغيبة عن ظلمات عالم النفس بالإستغراق فى نور القدس، وفى الأحوال الغيبة عما يحول بينه بين المحبوب فى تباريق تجلي المطلوب. ودرجتها فى الحقائق الغيبة عن الأكوان والإمكان بشهود نور الأزل بالعيان، وفى النهايات الغيبة عن الغيبة لسقوط الثنوية فى الحضرة.

(ثم التمكن) وهو فى هذا القسم استقرار السالك فى مقام الولاية باجتماع صحة الإنقطاع عما سوى الحق مع نور الكشف وصفاء الحال عن العلم، فلا يعارضه العلم ولا يفارقه الحال ولا يزاحمه الغير ولا يسلب عنه الشوق. وصورته فى البدايات التمكن من الوفاء بعهد التوبة والمداومة على العبادة بدون فترة، وفى الأبواب دوام التبتل إلى الله بدون الركون إلى الغير، وفى المعاملات دوام الاستقامة إلى الله بلا تلفت والثقة به وبحوله وقوته من غير توسل، وفى

الأخلاق التخلق بأخلاق الحق من غير تكلف والتدين بدينه برؤية الفضل بلا تعمل ولا تعسف، وفي الأصول تمكن السير به فيه بلا رؤية سعية والتثبت في الجد والطلب مع نفسه، وفي الأدوية التمكن من الحكمة والإلهام في الحب بلا سلو والاستمساك بالعروة الوثقى من غير تصور قرب ودنو. ودرجتة في الحقائق الانفصال عن السوى من غير رؤيته والتبرى عن رسمه وآنيته، وفي النهايات الإستقامة المطلقة في أحدية الجمع والفرق ورؤية الخلق في عين الحق، وحينئذ تتحقق عنده الحقائق وتخفي في نور الحقيقة اللطائف والرقائق فتنطمس رقيقة روحه في نور الأحدية ولا يشعر بذاته مع بقاء الاثنينية فتكشف له الحقيقة في مقام المكاشفة ويذهل عن رسمه مع بقائه للطف الحال.

(ثم المكاشفة) وهي ههنا شهوده الأعيان وما فيها من الأحوال في عين الحق فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية. وصورتها في البدايات الإيمان بحقائق الأسماء الإلهية، وفي الأبواب انفعال القوى النفسانية عن معاني الأسماء الإلهية، وفي المعاملات التهدي للعمل بمقتضاها وإجابة دواعيها، وفي الأخلاق الوقوف على كيفية التخلق بالأخلاق الإلهية، وفي الأصول الشعور بأنوار التجليات الإلهية الباعثة على السلوك المطلعة على شهود التجليات الأسمائية، وفي الأحوال تلألؤ أنوار الوجوه الأسمائية المهيجة للمحبة الصادقة الجاذبة للسالك إلى حضرة العندية، وفي الولايات انكشاف الحجب الأسمائية بصفاء صفات السالك فيها. ودرجتها في النهايات شهود أحدية الذات في صور الصفات في مقام البقاء بعد الفناء.

(ثم المشاهدة) وهي من ولايات الذات كما أن المكاشفة ولاية النعت، فالمشاهدة شهود الذات بارتفاع الحجاب مطلقا. وصورتها في البدايات اعتقاد حضور الحق بذاته لكل شيء والإيمان بذلك لقوله ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾، وفي الأبواب الإيمان بأنه موجود بالحق وهو القيوم بذاته له، وفي المعاملات إيقان كون الأعمال كلها لوجه الله تعالى، وفي الأخلاق تيقن أن الكمالات لله، وفي الأصول أن سيره ليس إلا لله وفي الله وبالله ووجهه مسلم لله وإلى الله، وفي الأدوية إدراك الحق بنور البصيرة المكحلة بنوره، وفي الأحوال شهود تجليات أنوار الجمال وخلوص الحب للجميل، وفي الولايات كشف سبحات الجلال عن جمال الذات. ودرجتها في النهايات شهود الحق بذاته لفناء العبد بكليته في عين الجمع.

(ثم المعاينة) وهي ههنا عيان الحق ذاته بذاته بلا شبهة مع اغتياب نقضية التلوين. وصورتها في البدايات اعتقاد معاينة الحق في الآخرة بالبصيرة كما في الخبر من قوله عليه السلام «ستروں ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته»، وفي الأبواب رؤيته في صورة نورية خيالية، وفي المعاملات اعتقاد كونه مرئيا بنور البصيرة، وفي الأخلاق العلم بأن له وجودا

خاصا ممتازاً عن جميع الوجودات بكونه غير عارض لماهيته بل وجوده عن حقيقته غير معقول من حيث خصوصيته، وفي الأصول معاينة وجه الحق بنور البصيرة مطلقا ومقيداً في كل، وهي معاينة بشواهد العلم، وفي الأحوال معاينة عن الروح عياناً محضا غير مستمر فيهيج الحب والشوق، وفي الولايات معاينة وجه الحق بتعين الحق في حضرة الواحدية عند الاتصاف بصفات الحق. ودرجتها في النهايات معاينة الحق ذاته بذاته على الاستمرار اللازم للتمكين في عين الجمع عند محق الرسم في عين الأزلية بالكلية.

(ثم الحياة) وهي الحياة الحقيقية الإلهية من النعوت الذاتية للعبد مع بقاء الرسم المخفي المستور بالنور. وصورتها في البدايات هي الحياة الطيبة التي هي حياة العلم الشرعي، وفي الأبواب حياة الزهد والقناعة بالتجريد الموجب لحياة القلب، وفي الأخلاق حياة الفطرة الإنسانية السالمة النورانية، وفي الأصول حياة اليقين والأنس الباعثة على الجد في السلوك، وفي الأدوية حياة الروح القدسي في العالم الفعلي، وفي الأصول حياة العشق الحقيقي والذوق الشهودي، وفي الولايات حياة السرور بالوجدان بعد الفقدان. ودرجتها في النهايات حياة الوجود عند اضمحلال الرسم بالكلية.

(ثم القبض) وهو ههنا قبض الحق عبده عن الخلق بسترة في لباس التلبيس بظاهر الشريعة، وصورة العوام صيانة عن الناس. وصورته في البدايات قبضه عن المخالفات، وفي الأبواب قبضه عن الفضول الشاغلة عن المناجاة، وفي المعاملات قبضه عن رؤية الأفعال من المسببات لا من الأسباب، وفي الأخلاق قبضه من صفات النفس واستيلاء الرذائل، وفي الأصول قبضه عن الفتور في السير وحدوث العلائق والموانع، وفي الأدوية قبضه عن الجهل والعادة، وفي الأحوال قبضه عن السلو والبطالة، وفي الولايات قبضه عن كثرة الصفات إلى وحدة الذات. ودرجته في النهايات قبض الحق رسم العبد وحاله عنه إليه في مقام المصافات ضناً به عليه.

(ثم البسط) وهو بسط الحق عبده لقوة معناه وكمال عرفانه بحيث يشهد الحق في الخلق فلا يخالج الشواهد مشهوده ولا يضرب رياح الرسوم موجوده فهو منبسط في قبضة القبض. وصورته في البدايات الفرح بالتوفيق للموافقات، وفي الثقة بالوعد في الآيات واستشياع الرحمة في جميع الكائنات وفي الأبواب غلبة الرجاء على الخوف لحسن الظن بالرب، وفي المعاملات بسط القلب برؤية الأفعال كلها لله وجميع الأمور بيد الله فيبسط صاحبها باطلاعه على أسرار الحق، وفي الأخلاق البسط مع الخلق بحسن الخلق لوقوفه على أسرار القدر، وفي الأصول البسط بقوة اليقين والأنس بالله، وفي الأدوية البسط بحصول السكينة وتنوير البصيرة، وفي الأحوال البسط بشهود أنوار التجليات وذوق الوصول إلى المحبوب، وفي الولايات البسط

بتولى الحق إياه وبسطه له. ودرجته فى النهايات البسط ببهجة الجمال المطلق وشهوده فى الكل.

(ثم السكر) وهو حيرة بين الفناء والوجود فى مقام المحبة الواقعة بين أحكام الشهود والعلم، إذ الشهود يحكم بالفناء والعلم يحكم بالوجود. وصورته فى البدايات الحيرة فى سماع الآيات الدالة على الجبر تارة، وعلى القدر أخرى، وفى الأبواب التردد بين الخوف والرجاء، وفى المعاملات الحيرة بين رعاية الأعمال والأحوال، وفى الأخلاق سكر الانبساط، وفى الأصول الحيرة بين أنوار القرب والأنس مع الجد فى السلوك الدالة على البعد والاستيحاش، وفى الأدوية الحيرة بين الحكمة والقدرة، وفى الأحوال الحيرة بين التجلى والإستتار، وفى الولايات السكر بين حسن الصفات وجمال الذات. ودرجته فى النهايات الاصطلام بين سطوة الفناء واستقراره وبداية البقاء بعده واستهلاكه.

(ثم الصحو) وهو ههنا صحو الشهود عن البقية، فإن السكر مؤذن بالبقية وإلا لم يجز بحر الحق والصحو مخبر بالخلو عن الشوق بلذة الوصول وفناء البقية ويستلزم السلو الموجب للبسط بالحق. وصورته فى البدايات الفراغ والسلو عن العادات والمألوفات الطبيعية، وفى الأبواب السلو عن الخوف والرجاء، وفى المعاملات السلو عن التدبير وحظوظ النفس للإشتغال بالرعاية والمراقبة، وفى الأخلاق زكاء النفس وصفاء القلب، وفى الاصول السلو عن الخلق للتوجه إلى الحق والانجذاب إلى جذبة لشدة الأنس، وفى الأدوية صفاء العقل لتنوره بنور القدس، وفى الأحوال صفاء الحال بقوة الحب والسلو عما سوى المحبوب، وفى الولايات صفاء الوقت بالسرور بوصل المعشوق. ودرجته فى النهايات صفاء العشق والذوق بأحدية الجمع والفرق.

(ثم الاتصال) وهو فى هذا القسم اتصال الشهود بالخلاص من الاعتداد رسمًا والفناء عن الاستدلال علمًا والترقى فى شتات الصفات جمعًا. وصورته فى البدايات الحضور مع سلامة الفطرة والإعتصام بالله بتصحيح القصد، وفى الأبواب تصحيح التوجه بقوة التقوى والتبتل من السوى، وفى المعاملات قوة المراقبة واعتقاد المقاربة، وفى الأخلاق الاتصاف بالأخلاق الإلهية، وفى الأصول السلوك فى الله بحول الله وقوته، وفى الأدوية رؤية الحقيقة بعين البصيرة، وفى الأحوال وجدان الحق بالذوق وصحة العشق، وفى الولايات التحقق بشهود الذات عند فناء الصفات. ودرجته فى النهايات الإستغراق فى الأحدية بانتفاء الرسم فى الأزلية.

(ثم الانفصال) وهو ههنا الإنفصال عن الكونين الذى هو شرط الإتصال وعن رؤية الإنفصال لكونها فى شهوده لا شيئاً محضًا. وصورته فى البدايات الانفصال عن المرادات النفسانية والعادات، وفى الأبواب الانفصال عن الفضول الزائدة على الضروريات، وفى

المعاملات الانفصال عن أفعال كل ما سوى الحق والتأثيرات، وفي الأخلاق الانفصال عن ملكات النفس والهيآت، وفي الأصول الانفصال عن التلفت والجهالات، وفي الأحوال الانفصال عن السلو والفرار بدون المحبوب، وفي الولايات الإنفصال عن الأسماء والصفات. ودرجته في الأحوال الإنفصال عن شهود مزاحمة الإتصال والإنفصال عين الأحدية الأزلية فإنهما في العلو سيان. وحينئذ ينتقل إلى غيب الذات وعين الأحدية التي هي غيب الغيوب ويسير في مقامات قسم النهايات.

(وأولها المعرفة) وهي الإحاطة بعين الحقيقة بالحقيقة على ما هي عليه. وصورتها في البدايات معرفة الحق بالنعوت والصفات على ما ورد في الكتاب والسنة وظهرت آياته في الصفات بنور البصيرة المفيدة للاعتقاد المطابق، وفي الأبواب وجدان ذلك المعتقد بقوة اليقين وصفاء العقل وطلب حياته بجودة الفكر وإصابته، وفي المعاملات بناؤها على اليقين العلمي القريب من العيني المصحح للتوكل والتفويض، وفي الأخلاق معرفة النعوت الكمالية والأخلاق الإلهية الموجبة لحسن الخلق مع الحق والخلق وإكمال الفتوة، وفي الأصول تنور السر بمعرفة صحة الطريق الباعث على الجد في السلوك، وفي الأدوية حصول العلم اللدني والحكمة الإلهية بالبصيرة والإلهام، وفي الأحوال العيان الموجب للذوق والعشق، وفي الولايات التمكن من شهود الذات وراء أنوار الصفات، وفي الحقائق شهود الحق بالحق مع بقية الخفاء المنور بنور الذات وشعاع شمس الوجه الأبدي.

(ثم الفناء) بزوال الرسوم جميعاً بالكلية في عين الذات الاحدية مع ارتفاع الإثنينية وهو مقام المحبوبية. وصورته في البدايات الفناء عن العادات والمألوفات بامتثال المأمورات، وفي الأبواب الفناء عن الهيآت الطبيعية النفسانية بالهيآت النورانية القلبية، وفي المعاملات الفناء عن الأفعال البشرية بالأفعال الإلهية، وفي الأخلاق الفناء عن الملكات النفسانية بالأخلاق الإلهية، وفي الأصول الفناء عن إرادة الأغيار وطلبها بإرادة الحق وطلبه، وفي الأدوية الفناء عن العلوم الرسمية والحكم العقلية بالعلوم اللدنية والحكم الالهية، وفي الأحوال الفناء عن التعلق بالأكوان ومحبتها بمحبة الرحمن، وفي الولايات الفناء عن الصفات والتوجه نحو الذات، وفي الحقائق الفناء عن الرسوم مع بقاء البقية الخفية وعدم الشعور بالآنية النورانية الموجبة للاثنينية وهو مقام الخلة.

(ثم البقاء) وهو بقاء ما لم يزل حقا بشهود فناء ما لم يكن شيئاً حتى يقبل محقاً. وصورته في البدايات بقاء الخلق المعدوم بذاته بوجود الحق حتى يقوم بالعبودية، وفي الأبواب توهم الوجود الخيالي الإضافي القائم بالأفعال، وفي المعاملات بقاء الذوات والصفات عند المريد بعد فناء الأفعال والتأثيرات، وفي الأخلاق بقاء الذوات بعد فناء الهيآت والصفات، وفي

الاصول بقاء وجود السالك في السير والإنتقال بعد فناء الموانع النفسانية عند الإقبال، وفي الأدوية بقاء الأنوار القدسية والحقائق بعد فناء الظلمات الحسية والعوائق، وفي الأحوال بقاء لوامع القدم وأنوار الوجه الباقي بعد فناء آثار الحدوث وزوال ظل الفاني، وفي الولايات بقاء الاسماء والصفات الإلهية بعد فناء السماة الخلقية، وفي الحقائق بقاء المشهود بفناء الشاهد.

(ثم التحقيق) وهو تلخيص ما للحق من العلم وسائر الصفات والشهود والذات من شوب ما لك فلا ترى العلم والإرادة والقدرة التي تظهر على مظهر الصفات وسائر المظاهر الإلهية ولا ترى شهودك هذا المعنى إلا شهوده ولا ترى حقيقة شيء فلا شوب للحدوث بالقدم ولا شوب بالوجود للعدم. وصورته في البدايات تحقيق كون الحال والقوة لله، وفي الأبواب تحقيق كون الحول والقوة والتصرف لله من الله، وفي الأحوال تحقيق كون الفعل والتأثير لله، وفي المعاملات تحقيق كون الأمر بيد الله، وفي الأخلاق تحقيق كون الخلق لله، وفي الأصول تحقيق الجذب والقصد والسير بالله ولله، وفي الأدوية تحقيق الحب لله لا له، وفي الولايات تحقيق كون الوجود والتمكن من الشهود لله، وفي الحقائق تحقيق أن التحقيق والحقيقة لله حالا، ثم يستقر هذا المعنى في النهايات مقاما.

(ثم التلبيس) وهو تلبيس أهل التمكن على العالم بملابسة الأسباب ترحما وتوسيعا عليهم. وصورته في البدايات تلبيس الأعمال صور الامتثال، وفي الأبواب تلبيس القوى النفسانية وأفعالها هيآت الانقياد، وفي المعاملات تلبيس أفعال الحق صورة أعماله بتيقن أن الفعل والتأثير ليس إلا لله، وفي الأخلاق تلبيس أخلاق الحق صورة أخلاقه، وفي الأصول نسبة القصد والسير إلى نفسه مع تحقيق أن ذلك كله لله، وفي الأدوية نسبة العلم والحكمة لله لا إلى نفسه مع تحقيق كونهما لله، وفي الأحوال تورية الحب والعشق بتعليقه بالأغيار غيرة على المحبوب، وفي الولايات تلبيس أهل الغيرة على أوقاتهم بإخفائها وعلى الكرامات بكتمانها صيانة لأحوالهم، وفي الحقائق التلبيس بالمكاسب والأسباب وتعليق الظواهر بالشواهد والمكاسب تلبيسا على العيون الكليلة والعقول العليلة مع تصحيح التحقيق عقدا وسلوكا ومعاينة.

(ثم الوجود) وهو في قوله تعالى ﴿ ووجد الله عنده ﴾ وقوله ﴿ لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ بمعنى إدراك حقيقة الشيء، وهو أصفى مراتب الشهود، أعني وجود مقام يضمحل رسم الوجود فيه بالكلية بحصول الواحد في عين الأولية. والمراد وجود الحق عينه بعينه حيث لا رسم ولا اسم. وصورته في البدايات إدراك المبتدئ وجوده بوجوده لا بصورة زائدة على الذات، وفي الأبواب وجوده لتفاصيل قوله، وفي المعاملات وجوده لأفعال الحق وتصريفه للأشياء كلها، وفي الأخلاق وجدانه لأخلاق الحق في مظهره، وفي الأصول وجدانه لسير

الحق من بداية الإيجاد إلى نهايته، وفى الأدوية وجود علم لدنى بقطع علوم الشواهد بمكاشفة الحق إياه، وفى الأصول وجوده بحب الحق فى صورة التفاصيل ذاته فى عين الجمع الأحدية، وفى الولايات وجود الحق وراء حجب الصفات، وفى الحقائق وجود الحق وجود عين منقطعًا عن مساغ الإشارة، كما قال عليه السلام «كشف سبحات الرحمن من غير إشارة».

(ثم التجريد) وهو فى النهايات تجريد الإخلاص عن شهود التجريد. وصورته فى البدايات التجريد عن المخالفات واللذات الطبيعية والمألوفات والزخارف الدنيوية والطيبات، وفى الأبواب تجريد النفس عن الميل إلى شهوات الدنيا ودعوات الهوى، وفى المعاملات تجريد النفس عن رؤية تأثير الكائنات ونسبة الأفعال إلى المخلوقات، وفى الأخلاق تجريدها عن الهيآت النفسانية والملكات الرديئة الشيطانية، وفى الأصول التجريد عن الفتور فى السير والإلتفات إلى الغير، وفى الأدوية التجريد عن العلوم الاستدلالية بالإلهامات الإلهية والعلوم اللدنية، وفى الأحوال التجريد عن محبة السوى والإصطبار مع القوى، وفى الولايات التجريد عن الأسماء والصفات وعن رسوم جميع الكائنات، وفى الحقائق تجريد عين الجمع عن درك العلم.

(ثم التفريد) وهو فى النهايات تفريد الإشارة عن الحق، بأن لا يشير إلى الخلق فى الهداية والدعوة إلى الله إلا عن الحق. وذلك حال بسط الله مع الخلق ظاهرًا ليدعوهم إليه وقبضه عنهم باطنًا، لئلا يقول إلا ما قال الحق. وصورته فى البدايات تخليص الإشارة إلى الحق بالعبادة، وفى الأبواب تخليص الإشارة إلى الحق بالعقيدة، وفى المعاملات تفريد الإشارة إلى الحق بالتأثير والتصريف، وفى الأخلاق تصريف الاشارة إلى الحق بالحق والبعث، وفى الأصول تخليص الإشارة إلى الحق قصدًا وسلوكًا، وفى الأدوية تخليص الإشارة بالحق محبة وغيرة، وفى الولايات تخليص الإشارة بالحق افتخارًا وبوحًا، وفى الحقائق تخليص الإشارة بالحق شهودًا واتصالاً.

(ثم الجمع) وهو ههنا جمع عين الأحدية، يعنى تلاشى كل ما تحمله الإشارة فى عين الأحدية بالحقيقة. وصورته فى البدايات جمع الهمة والخاطر عن التفرقة فى الطاعة، وفى الأبواب اجتماع جميع القوى ومسالمتها فى التوجه إلى الحق والتبتل عن الخلق، وفى المعاملات اجتماع القلب فى المراقبة، وفى الأخلاق موافقة جميع القوى ومسالمتها فى الفضيلة والعدالة، وفى الأصول اتحاد الوجه والقصد فى السلوك والوصول، وفى الأدوية جمع العقل فى التوجه إلى عالم القدس، وفى الأحوال السير فى الحب والذوق، وفى الولايات جمع الروح فى المشاهدة، وفى الحقائق جمع الروح فى مقام الخفاء فى المعاينة والإتصال والسكر.

(ثم التوحيد) وهو فى النهاية أحدية الفرق والجمع، وهو توحيد الحق ذاته بذاته. وصورته فى البدايات شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفواً أحد، وفي الأبواب تصـــديق الجنان بهذا المعنى بحيث لا يخالجه شك ولا شبهة ولا حيرة، وفي المعاملات العمل بالأركان المبني على اليقين الوجداني وإسقاط الأسباب بحيث لا نزاع فيه للحق ولا تعلق فيه للشواهد ولا يرى صاحبه لغير الحق تأثيراً ولا فعلاً، وفي الأخلاق رؤية الملكات والتبيين ومصادر الأفعال كلها، وفي الأصول رؤية القصد والعزم والسير لله وفي الله، وفي الأدوية شهود العـــلم والحكمة من صفات الله الأولية وسبق الحق بعلمه وبحكمه ووضعه الأشياء مواضعها وتعليقه إياها بأحاينها وإخفائه إياها في رسومها، وفي الأحوال شهود الحب من الحق بالحق للحق ذوقاً، وفي الولايات الفناء عن رسوم الصفات في الحضرة الوحدية وشهود الحق بأسمائه وصفاته لا غير، وفي الحقائق الفناء في الذات مع بقاء رسم الخفاء المستور بنور الحق المشعر بالإنيّية المثبت للخلق.

وهذا آخر ما لخصناه من كتب الأولياء الكرام، والحمد لله على ما أنعم به من تيسير الإتمام.

فيسّر لنا تمام معرفتك وتمام توفيقك وتمام مغفرتك وتمام رضوانك يا سلام.

وهذه المتممات تشتمل على ألف مقام وفي كل مقام عشر منازل، فتكون عشرة آلاف. وعلى اعتبار الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة تكون أربعين ألف مقام، بل سبعين كما يعلم بالتتبع من أول الكتاب إلى هنا. وللبشر سبعون ألف حجاب نوراني وسبعون ألف حجاب ظلماني، فوفق ممن وفق واخترق حجاباً، ومنهم من اخترق كثيراً، ومنهم من اخترق الكل. اللهم يسر لنا اختراق تمام الحجب بحرمة أنبيائك وأوليائك وصفاتك وذاتك يا رحمن.

تـــم.

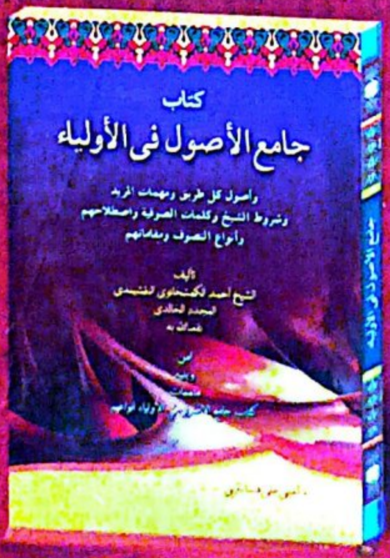
كتاب جامع الأصول

في الأولياء وأنواعهم

ومتمماته

فهرست كتاب جامع الأصول في الأولياء

فهرست متممات جامع الأصول


كتاب
جامع الأصول فى الأوليه
وأصول كل طريق ومهمات المريد
وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحهم
وأنواع التصوف ومقاماتهم
تأليف